NURUOSMANIYE
277/5
377

الجزء الخامس من العروضي ٤٢٧٧

لا اله الا الله محمد رسول الله
صادق الوعد
الامين

وقف السلطان السعيد الاعظم والخليفة الخاقان الاكرم الافخم ناشر العدل
والاحسان ومرجع احمال الامور بالرشد والعرفان السلطان ابن السلطان
السلطان ابو المحاسن والمكارم عثمان خان ابن السلطان مصطفى خان
ثبت الله اساس دولته الطاهرة وخلد خلافته الباهرة
وانا الداعي لدولته الحاج ابراهيم حنيف
المفتش باوقاف الحرمين
المحترمين
عفي عنه

NURUOSMANİYE KÜTÜPHANESİ
Kısmı : N. O.
Yeni No: 277/5
Eski Kayıt No: 377
Tasnif No. 297.1=927

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر

تفسير سورة طه عليه الصلاة والسلام

مكية في قول الجميع نزلت قبل اسلام عمر رضي الله تعالى
عنه روى الدارقطني في سننه عن انس بن مالك رضي
الله تعالى عنه قال خرج عمر متقلدا السيف فقيل له
ان ختنك واختك قد صبوا فاتاهما عمر وعندهما رجل من
المهاجرين يقال له خباب وكانوا يقرؤن طه فقال اعطوني
الكتاب الذي عندكم فاقرؤه وكان عمر رضي الله تعالى
عنه يقرأ الكتب فقالت له اخته انك رجس ولا يمسه
الا المطهرون فقم فاغتسل او توضأ فقام عمر فتوضأ ثم
اخذ الكتاب فقرأ طه وذكر ابن اسحق مطولا ان عمر
خرج متوشحا سيفه يريد رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقتله فلقيه نعيم بن عبد الله فقال اين تريد
يا عمر فقال اريد محمدا هذا الصابي الذي فرق امر قريش
وسفه احلامها وعاب دينها وسب آلهتها فاقتله فقال
له نعيم والله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر
اترى عبد مناف تاركيك تمشي على الارض وقد قتلت
محمدا افلا ترجع الى اهلك فتقيم امرهم قال واي اهل
بيتي قال ختنك وابن عمك سعيد بن زيد واختك فاطمة
بنت الخطاب فقد والله اسلما وتابعا محمدا على دينه فعليك
بهما قال فرجع عمر عامدا الى اخته وختنه وعندهما خباب
ابن الارت معه صحيفة فيها طه يقرئهما اياها فلما سمعوا
حس عمر تغيب خباب في مخدع لهم او بعض البيت
واخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت
فخذها وقد سمع عمر حين دنا الى البيت قراءة خباب
عليها فلما دخل قال ما هذه الهينمة التي سمعت قالا
له ما سمعت شيئا قال بلى والله لقد اخبرت انكما ○
تابعتما محمدا على دينه وبطش بختنه سعيد بن زيد
فقامت اليه اخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها
فضربها فشجها فلما فعل ذلك قالت له اخته وختنه

نعم قد اسلمنا وامنا بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك
ولما رأى عمر ما باخته من الدم ندم على ما صنع فارعوى
وقال لاخته اعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرؤن
آنفا انظر ما هذا الذي جاء به محمد وكان عمر كاتبا فلما قال
ذلك قالت له اخته انا نخشاك عليها قال لها لا تخافي
وحلف لها بآلهته ليردنها اذا قرأها فلما قال ذلك
طمعت في اسلامه فقالت له يا اخي انك نجس على شركك
وانه لا يمسها الا الطاهر فقام عمر فاغتسل فاعطته ○
الصحيفة وفيها طه فلما قرأ منها صدرا قال ما احسن
هذا الكلام واكرمه فلما سمع ذلك خباب خرج اليه فقال
عمر والله اني لارجو ان يكون الله قد خصك بدعوة نبيه
فاني سمعته امس وهو يقول اللهم ايد الاسلام بابي
الحكم بن هشام او بعمر بن الخطاب فالله الله يا عمر
فقال له عند ذلك فدلني يا خباب على محمد حتى آتيه
فاسلم وذكر الحديث مطولا اسنده الدارمي ابو محمد
في مسنده عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك
وتعالى قرأ طه ويس قبل ان يخلق السموات والارض
بالف عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالت طوبى لامة
ينزل عليها هذا وطوبى لاجواف تحمل هذا وطوبى لالسنة
تتكلم بهذا قال ابن فورك معنى قوله ان الله تعالى
قرأ طه ويس اي اظهر واسمع وافهم كلامه من اراد
من خلقه من الملائكة في ذلك الوقت والعرب تقول
قرأت الشيء اذا تتبعته وتقول ما قرأت هذه الناقة ○
في رحمها سلا قط اي ما ظهر فيها ولد فعلى هذا يكون الكلام
سابقا وقراءته اسماعه وافهامه بعبارات يخلقها وكتابة
يحدثها وهي معنى قولنا قرأنا كلام الله عز وجل ومعنى قوله
فاقرؤا ما تيسر منه ومن اصحابنا من قال معنى قوله
قرأ اي تكلم به وذلك مجاز كقولهم ذقت هذا الامر
ذواقا بمعنى اختبرته ومنه قوله سبحانه وتعالى ○
فاذاقها الله لباس الجوع والخوف اي ابلاهم الله

تعالى به فسمى ذلك ذوقا والخوف لابد ان على ن
الحقيقة لان الذوق فى الحقيقة بالفم دون غيره
من الجوارح قال ابن فورك وما قلناه اولا اصح
فى تاويل هذا الخبر لان كلام الله سبحانه وتعالى ازلى
قديم سابق لجملة الحوادث وانما اسمع وافهم من
اراد من خلقه على ما اراد فى الاوقات والازمنة
لا ان عين كلامه يتعلق وجوده بمدة وزمان **قوله**
تعالى طه اختلف العلما فى معناه فقال الصديق
رضى الله تعالى عنه هو من الاسرار ذكره الغزنوى
ابن عباس معناه يا رجل ذكره البيهقى وقيل انها
لغة معروفة فى عكل وقيل فى عك قال الكلبى لو
قلت فى عك لرجل يا رجل لم يجب حتى تقول طه
وانشد الطبرى فى ذلك •

• دعوت بطه فى القتال فلم يجب • فخفت عليه ان يكون موايلا •
ويروى مزايلا وقال عبد الله بن عمرو يا حبيبى بلغة
عك ذكره الغزنوى وقال قطرب هو بلغة طى وانشد
ليزيد بن المهلهل •

• ان السفاهة طه من شمايلكم • لا بارك الله فى القوم الملاعين •
وكذلك قال الحسن معنى طه يا رجل وقاله عكرمة
وقال هو بالسريانية كذلك ذكره المهدوى وحكاه
الماوردى عن ابن عباس ايضا ومجاهد وحكى الطبرى
انه بالنبطية يا رجل وهذا قول السدى وسعيد بن
جبير وابن عباس ايضا قال الشاعر •

• ان السفاهة طه من خلايقكم • لا قدس الله ارواح الملاعين •
وقال عكرمة ايضا هو كقوله يا رجل بلسان الحبشة
ذكره الثعلبى والصحيح انها وجدت فى لغة اخرى فانها
من لغة العرب كما ذكرنا وانها لغة يمنية فى عك وطى
وعكل ايضا وقيل هو اسم من اسماء الله سبحانه
وتعالى وقسم اقسم به ايضا روى عن ابن عباس
رضى الله تعالى عنه وقيل هو اسم للنبى صلى الله
عليه وسلم سماه به كما سماه محمدا وروى عن النبى

صلى

صلى الله عليه وسلم انه قال لى عند ربى عشرة اسما
تذكر ان فيها طه ويس وقيل هو اسم للسورة ومفتاح ح
لها وقيل هو اختصاص كلام خص الله تعالى رسوله
بعلمه وقيل انها حروف مقطعة يدل كل حرف منها
على معنى واختلف فى ذلك فقيل الطاء شجرة طوبى
والهاء النار الهاوية والعرب تعبر عن الشى كله ن
ببعضه كانه اقسم بالجنة والنار وقال سعيد بن
جبير الطاء افتتاح اسمه طاهر وطيب والهاء افتتاح اسمه
هادى وقيل طا يا طامع الشفاعة للامة ها يا هادى
الخلق الى الملة وقيل الطاء من الطهارة والهاء من
الهداية كانه يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم
يا طاهر من الذنوب يا هادى الخلق الى علام الغيوب
وقيل الطاء طبول الغزاة والهاء هيبتهم فى قلوب
الكافرين بيانه قوله سبحانه وتعالى سنلقى فى قلوب
الذين كفروا الرعب وقوله تعالى وقذف فى قلوبهم الرعب
وقيل الطاء طرب اهل الجنة والهاء هوان اهل النار
وقول سادس ان معنى طه طوبى لمن اهتدى قاله محمد
ابن على بن الحنفية وقول سابع ان معنى طه طاء الارض
وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم من مشقة الصلاة
حتى كادت قدماه تتورم ويحتاج الى الترويح بين قدميه
فقيل له طاء الارض اى لا تتعب ويحتاج الى الترويح ٥
حكاه ابن الانبارى وذكره القاضى عياض فى الشفا
عن الربيع بن انس قال كان النبى صلى الله عليه وسلم
اذا صلى قام على رجل ورفع الاخرى فانزل الله تعالى
طه يعنى طاء الارض يا محمد ما انزلنا عليك القران
لتشقى الزمخشرى وعن الحسن طه وفسر بانه امر
بالوطء وان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقوم ٥
فى تهجده على احدى رجليه فامر بان يطا الارض
بقدميه معا وان الاصل طا فقلبت همزته هاء او قلبت
فى يطا فى من قال لا هناك المرتع ثم بنى على الامر والها
للسكت وقال مجاهد كان النبى صلى الله عليه وسلم

واصحابه يربطون الحبال فى صدورهم فى الصلاة
بالليل من طول القيام ثم نسخ ذلك بالفرض فنزلت
هذه الاية وقال الكلبى لما نزل على النبى صلى
الله عليه وسلم الوحى بمكة اجتهد فى العبادة واشتدت
عبادته فجعل يصلى الليل كله زمانا حتى نزلت
هذه الاية فامره الله سبحانه وتعالى ان يخفف
عن نفسه فيصلى وينام فنسخت هذه الاية قيام
الليل فكان بعد هذه الاية يصلى وينام وقال
مقاتل والضحاك لما نزل القران على النبى صلى
الله عليه وسلم قام هو واصحابه فصلوا فقال
كفار قريش ما انزل الله تعالى هذا القران على
محمد الا ليشقى فانزل الله سبحانه وتعالى طه
يقول يا رجل ما انزلنا عليك القران لتشقى اى
لتتعب على ما ياتى وعلى هذا القول طه طاء الارض
تكون الهاء والالف ضمير الارض اى طئ الارض
برجليك فى صلاتك وخففت الهمزة فصارت الفاء
ساكنة وقرات طايفة طه واصله طاء بمعنى طاء
الارض فحذفت الهمزة وادخلت هاء السكت
وقال زر بن حبيش قرا رجل على عبد الله بن
مسعود رضى الله تعالى عنه طه فقال عبد الله
طه فقال يا ابا عبد الرحمن اليس قد امر ان يطا
الارض برجليه او بقدميه فقال طه كذلك
اقراها رسول الله صلى الله عليه وسلم واما
ابو عمرو وابن ابى اسحاق الها وفتحا الطاء واما لهما
جميعا ابو بكر وحمزة والكسائى والاعمش وقراهما
ابو جعفر وشيبة ونافع بين اللفظين واختاره
ابو عبيد الباقون بالتفخيم قال الثعلبى وهى
كلها لغات صحيحة النحاس لا وجه للامالة عند
اكثر اهل العربية والعلة الاخرى ان الطاء من
الحروف الموانع للامالة فهاتان علتان بينتان
قوله تعالى ما انزلنا عليك القران وقرى ما نزل

عليك

عليك القران لتشقى قال النحاس بعض النحويين يقول
هذه لام النفى وبعضهم يقول لام الجحود قال ابو جعفر
وسمعت ابا الحسن يقول انها لام الجحد الخفض والمعنى
ما انزلنا عليك القران للشقا به ويقصر وهو من
ذوات الواو واصل الشقا فى اللغة العناء التعب
اى ما انزلناه عليك لتتعب قال •
• ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله • واخو الجهالة فى الشقاوة ينعم •
فمعنى لتشقى لتتعب بفرط تاسفك عليهم وعلى كفرهم
وتحسرك على ان يؤمنوا كقوله تعالى فلعلك باخع
نفسك اى ما عليك الا ان تبلغ وتذكر ولم يكتب عليك
ان يؤمنوا لا محالة بعد ان لم تفرط فى اداء الرسالة والمو عظة
الحسنة وروى ان ابا جهل بن هشام والنضر بن
الحارث قالا للنبى صلى الله عليه وسلم انك شقى لانك
تركت دين ابائك فاريد رد ذلك بان دين الاسلام
وهذا القران هو السلم الى نيل كل فوز والسبب
فى درك كل سعادة وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها
وعلى الاقوال المتقدمة انه عليه الصلاة والسلام
صلى بالليل حتى اسمعرت قدماه فقال له جبريل
ابق على نفسك فان لها عليك حقا اى ما انزلناه عليك
لتنهك نفسك بالعبادة وتذيقها المشقة الفادحة وما
بعثت الا بالحنيفية السمحة قوله تعالى الا تذكرة
لمن يخشى قال ابو اسحاق الزجاج هو بدل من تشقى
اى ما انزلناه الا تذكرة النحاس وهذا وجه بعيد
وانكره ابو على من اجل ان التذكرة ليست بشقا وانما
هو منصوب على المصدر اى انزلناه لتذكر به تذكرة
اى على المفعول من اجله اى ما انزلنا عليك القران
لتشقى به ما انزلناه الا للتذكرة وقال الحسين
ابن الفضل فيه تقديم وتاخير مجازه ما انزلنا
عليك القران الا تذكرة لمن يخشى ولئلا تشقى
تنزيلا مصدر اى نزلناه تنزيلا وقيل بدل من
قوله تذكرة وقرا ابو حيوة الشامى تنزيل بالرفع

على معنى هذا التنزيل ممن خلق الارض والسموات
العلى اى العالية الرفيعة وهى جمع العليا كقوله
كبرى وصغرى وكبر وصغر اخبر عن عظمته ۝
وجبروته وجلاله ثم قال الرحمن على العرش
استوى ويجوز النصب على الفتح المدح قال ابو
اسحق ويجوز الخفض على البدل ممن وقال سعيد
ابن مسعدة الرفع بمعنى هو الرحمن النحاس يجوز
الرفع بالابتدا والخبر له ما فى السموات فلا يوقف
على انه استوى وعلى البدل من المضمر فى خلق ۝
فيجوز الوقف على استوى وكذا اذا كان خبر ابتدا
محذوف وعلى ولا يوقف على العلى وقد تقدم القول
فى معنى الاستواء فى تفسير سورة الاعراف والذى
ذهب اليه الشيخ ابو الحسن وغيره انه مستو على
عرشه بغير حد ولا تكييف كما يكون استوى المخلوقين
وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنه يريد خلق
ما كان وما هو كاين الى يوم القيامة وبعد القيامة له
ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى
يريد تحت الصخرة التى لا يعلم ما تحتها الا الله سبحانه
وتعالى وقال محمد بن كعب يعنى الارض السابعة ۝
ابن عباس رضى الله تعالى عنه الارض على نون
والنون على البحر وان طرفى النون راسه وذنبه
يلتقيان تحت العرش والبحر على صخرة خضرا خضرة
السماء منها وهى التى قال الله سبحانه وتعالى فيها ۝
فتكن فى صخرة او فى السموات او فى الارض والصخرة
على قرن ثور والثور على الثرى ولا يعلم ما تحت ۝
الثرى الا الله عز وجل وقال وهب بن منبه على وجه
الارض سبعة ابحر والارض سبعة ابحر والارض
مسبعة بين كل ارضين بحر فالبحر الاسفل مطبق
على شفير جهنم ولولا عظمه وكثرة مائه وبرده ۝
لاحرقت جهنم كل ما عليها قال وجهنم على متن
الريح ومتن الريح على حجاب من الظلمة لا يعلم غلظه

الا الله

الا الله عز وجل وذلك الحجاب على الثرى والى الثرى
انتهى علم الخلايق قوله تعالى وان تجهر ۝
بالقول فانه يعلم السر واخفى قال ابن عباس
رضى الله تعالى عنه السر ما حدث به الانسان
غيره فى خفا واخفى منه ما اضمر فى نفسه مما لم
يحدث به غيره وعنه ايضا السر حديث نفسك
واخفى من السر ما ستحدث به نفسك مما لم يكن
وهو كاين انت تعلم ما اسررت اليوم وما تسر
غدا والمعنى الله يعلم السر واخفى من السر
وقال ابن عباس ايضا السر ما اسر ابن ادم فى
نفسه واخفى ما خفى على ابن ادم مما هو فاعله
وهو لا يعلمه فالله يعلم ذلك كله وعلمه فيما مضى
من ذلك وما يستقبل علم واحد وجميع الخلايق
فى علمه كنفس واحدة وقال قتادة وغيره السر
ما اضمره احد وقال ابن زيد السر سر الخلايق
واخفى منه سره عز وجل وانكر ذلك الطبرى
وقال ان الذى هو اخفى ما ليس فى سر الانسان
وسيكون فى نفسه كما قال ابن عباس رضى الله
تعالى عنه الله لا اله الا هو له الاسما الحسنى الله
رفع بالابتدا او على اضمار مبتدا او على البدل
من الضمير فى يعلم وحد نفسه وذلك ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم دعا المشركين الى عبادة
الله وحده لا شريك له فكبر ذلك عليهم فلما سمعه
ابو جهل يذكر الرحمن قال للوليد بن المغيرة
محمد ينهانا ان ندعو مع الله الها اخر وهو يدعو
الرحمن فانزل الله تعالى الرحمن على العرش
استوى وانزل قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا
ما تدعوا فله الاسماء الحسنى وهو واحد واسماؤه
كثيرة ثم قال لا اله الا هو له الاسماء الحسنى وقد
تقدم التنبيه عليها فى تفسير سورة الاعراف
قوله تعالى وهل اتاك حديث موسى قال اهل

المعانى هو استفهام اثبات و ايجاب معناه أليس قد
اتاك وقيل معناه وقد اتاك قاله ابن عباس رضى
الله تعالى عنه وقال الكلبى لم يكن اتاه حديثه
بعد ثم اخبره اذ رأى نارا فقال لاهله امكثوا انى
انست نارا لعلى اتيكم منها بقبس او اجد على النار
هدى قال ابن عباس وغيره هذا حين مضى الاجل
وسار باهله وهو مقبل من مدين يريد مصر وكان
قد اخطأ الطريق وكان موسى رجلا غيورا يصحب
الناس بالليل ويفارقهم بالنهار غيرة منه لئلا
يروا امرأته فاخطأ الرفقة لما سبق فى علم الله تعالى
وكانت ليلة مظلمة وقال مقاتل وكانت ليلة
الجمعة فى الشتاء وهب بن منبه استأذن موسى
شعيبا فى الرجوع الى والدته فاذن فخرج باهله
وغنمه فولد له فى الطريق غلام فى ليلة شاتية ۝
باردة مثلجة وقد حاد عن الطريق وتفرقت ماشيته
فقدح موسى النار فلم تور المقدحة شيئا اذ بصر
بنار من بعيد على يسار الطريق فقال لاهله ۝
امكثوا اى اقيموا بمكانكم انى انست نارا اى ابصرت
قال ابن عباس رضى الله تعالى عنه فلما توجه
نحو النار فاذا النار فى شجرة عناب فوقف متعجبا
من حسن ضوء ذلك النار وشدة خضرة تلك
الشجرة فلا شدة حر النار تغير حسن خضرة الشجرة
ولا كثرة ماء الشجرة ولا نعمة الخضرة تغير حسن
ضوء النار وذكر المهدوى فرأى النار فيما روى وهى
فى شجرة من العليق فقصدها فتأخرت عنه
فرجع واوجس فى نفسه خيفة ثم دنت منه
وكلمه الله عز وجل من الشجرة الماوردى كانت
عند موسى نارا وكانت عند الله نورا وقرأ حمزة
لاهله امكثوا بضم الهاء وكذا فى سورة القصص
قال النحاس وهو على لغة من قال مررت
بهو يا رجل فجاء به على الاصل وهو جائز الا ان

حمزة

حمزة خالف اصله فى هذين الموضعين خاصة
وقال امكثوا ولم يقل اقيموا لان الاقامة تقتضى
الدوام والمكث ليس كذلك وانست ابصرت
قاله ابن الاعرابى ومنه قوله فان انستم منهم
رشدا اى علمتم وانست الصوت سمعته والقبس
شعلة من نار وكذا المقباس يقال قبست منه
نارا اقتبس قبسا فاقبسنى اى اعطانى منه قبسا
وكذا اقتبست منه نارا واقتبست منه علما ايضا
اى استفدته قال اليزيدى اقتبست الرجل
علما وقبسته نارا فان كنت طلبتها له قلت اقبسته
وقال الكسائى اقبسته نارا وعلما سواء قال
وقبسته ايضا فيهما هدى اى هاديا قوله
تعالى فلما اتاها يعنى النار نودى يا موسى ۝
اى من الشجرة كما فى سورة القصص اى
من جهتها وناحيتها على ما يأتى يا موسى انى
انا ربك قوله تعالى فاخلع نعليك انك
بالواد المقدس طوى فيه خمس مسائل
الاولى قوله تعالى فاخلع نعليك روى ۝
الترمذى عن عبد الله بن مسعود رضى
الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم
قال كان على موسى عليه الصلاة والسلام
يوم كلمه ربه كساء صوف وجبة صوف وكمة
صوف وسراويل صوف وكانت نعلاه من جلد
حمار ميت قال هذا حديث غريب لا نعرفه الا
من حديث حميد الاعرج منكر الحديث وحميد
ابن قيس الاعرج المكى صاحب مجاهد ثقة
والكمة القلنسوة الصغيرة وقرأ العامة انى
بالكسر اى نودى فقيل له يا موسى انى واختاره
ابو عبيد وقرأ ابو عمرو وابن كثير وابن محيصن
وحميد انى بفتح الالف باعمال النداء واختلف
العلماء رحمهم الله تعالى فى السبب الذى من

اجله امر بخلع النعلين والخلع النزع والنعل
ما جعلته وقاية لقدميك من الارض فقيل
امر بطرح النعلين لانهما نجسة اذ هي من جلد
غير ذكي قاله كعب وعكرمة وقتادة وقيل
امر بذلك لينال بركة الوادي المقدس وتمس
قدماه تربة الوادي قاله علي بن ابي طالب
رضي الله تعالى عنه والحسن وابن جريج ٥
وقيل امر بخلع النعلين للخشوع والتواضع
عند مناجاة الله عز وجل وقيل اعظاما ٥
لذلك الموضع كما ان الحرم لا يدخل بنعلين
اعظاما قال سعيد بن جبير قيل له طا الارض
حافيا كما تدخل الكعبة حافيا وكذلك فعل السلف
رضي الله تعالى عنه حين طافوا بالبيت والعرف
عند الملوك ان تخلع النعال ويبلغ الانسان الى
غاية التواضع فكان موسى عليه الصلاة والسلام
امر بذلك على هذا الوجه ولا يبالي كانت نعلاه
من ميتة او غيرها وقد كان ملك لا يرى لنفسه
ركوب دابة بالمدينة برّا بتربتها المحتوية على
الاعظم الشريفة والجثة الكريمة ومن هذا
المعنى قوله صلى الله عليه وسلم لبشير بن
الخصاصية وهو يمشي بين القبور بنعليه ه
اذا كنت في مثل هذا المكان فاخلع نعليك
قال فخلعتهما وقول خامس ان ذلك عبارة
عن تفريغ قلبه من امر الاهل والولد وقد يعبر
عن الاهل بالنعل وكذلك هو في التعبير من
راى انه لابس نعلين فانه يتزوج وقيل
لان الله بسط له بساط النور والهدى ولا ينبغي
ان يطا على بساط رب العالمين بنعله وقد
يحتمل ان يكون موسى صلى الله عليه وسلم امر
بخلع نعليه وكان ذلك اول فرض عليه كما كان
اول امر ما قيل لمحمد صلى الله عليه وسلم

ثم

قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز
فاهجر والله سبحانه وتعالى اعلم بالمراد ٥
من ذلك **الثانية** في الخبر ان موسى عليه
الصلاة والسلام خلع نعليه والقاهما من ورا
الوادي وقال ابو الاحوص زار عبد الله ابا
موسى في داره فاقيمت الصلاة فقال ابو موسى
لعبد الله تقدم فقال له عبد الله تقدمه
انت في دارك فتقدم ونزع نعليه فقال عبد
الله ابالواد المقدس انت وفي صحيح مسلم
عن سعيد بن يزيد قال قلت لانس رضي
الله تعالى عنه كان النبي صلى الله عليه ٥
وسلم يصلي في نعلين قال نعم وروى
النسائي عن عبد الله بن السايب رضي الله
تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
صلى يوم الفتح فوضع نعليه عن يساره وروى
ابو داود من حديث ابي سعيد الخدري رضي الله
تعالى عنه قال بينما رسول الله صلى الله ه
عليه وسلم يصلي باصحابه اذ خلع نعليه
فوضعهما عن يساره فلما راى ذلك القوم خلعوا
نعالهم فلما قضى رسول الله صلى الله عليه
وسلم صلاته قال ما حملكم على القائكم ٥
نعالكم قالوا رايناك القيت نعليك فالقينا نعالنا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
جبريل اتاني فاخبرني ان فيهما قذرا وقال اذا
جاء احدكم المسجد فلينظر فان راى في نعليه
قذرا او اذى فليمسحه وليصل فيهما صححه ه
ابو محمد عبد الحق وهو يجمع بين الحديثين
قبله ويرفع بينهما التعارض ولم يختلف العلما
رحمهم الله تعالى على جواز الصلاة في النعال
اذا كانت طاهرة من ذكي حتى لقد قال بعض
العلما ان الصلاة فيهما افضل وهو معنى قوله

تعالى خذوا زينتكم عند كل مسجد على ما تقدم وقال
ابراهيم النخعي في الذين يخلعون نعالهم لوددت ان
محتاجا جاء فاخذها **الثالثة** فان خلعتهما بين رجليك
فان ابا هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى احدكم فليجعل
نعليه بين رجليه وقال ابو هريرة رضي الله
تعالى عنه للمقبري اخلعهما بين رجليك ولا تؤذ بهما
مسلما وما رواه عبد الله بن السايب رضي الله تعالى
عنه انه عليه الصلاة والسلام خلعهما عن يساره
فانه كان اماما او وحدك فافعل ذلك ان احببت
وان كنت ماموما في الصف فلا تؤذ بهما من على
يسارك ولا تضعهما بين قدميك فتشغلاك ولكن
قدام قدميك وروي عن جبير بن مطعم رضي
الله تعالى عنه انه قال وضع الرجل نعليه بين
قدميه بدعة **الرابعة** فان تحقق فيهما نجاسة
مجمع على تنجيسها كالدم والعذرة من بول بني
ادم لم يطهرها الا الغسل بالماء عند مالك والشافعي
واكثر العلماء رحمهم الله تعالى وان كانت النجاسة
مختلفا فيها كبول الدواب وارواثها الرطبة فهل
يطهرها المسح بالتراب من النعل والخف
اولا قولان عندنا واطلق الاجزاء بمسح ذلك
بالتراب من غير تفصيل الاوزاعي وابو ثور
وقال ابو حنيفة رضي الله تعالى عنه يزيل
اذا يبس الحك والفرك ولا يزيل رطبه الا الغسل
ما عدا البول فلا يجزي عنده فيه الا الغسل
وقال الشافعي رضي الله تعالى عنه لا يطهر
شيا من ذلك كله الا الماء والصحيح قول من قال
بان المسح يطهره من الخف والنعل لحديث ابي
سعيد رضي الله تعالى عنه فاما لو كانت النعل
والخف من جلد ميتة فان كان غير مدبوغ فهو
نجس باتفاق ما عدا ما ذهب اليه الزهري

والليث

والليث على ما تقدم بيانه في تفسير سورة النحل
ومضى في تفسير سورة براءة القول في ازالة
النجاسة والحمد لله رب العالمين **الخامسة**
قوله تعالى انك بالوادي المقدس طوى المقدس
المطهر والقدس الطهارة والارض المقدسة
اي المطهرة سميت بذلك لان الله سبحانه وتعالى
اخرج منها الكافرين وعمرها بالمؤمنين وقد
جعل الله سبحانه وتعالى لبعض الاماكن زيادة
فضل على بعض كما قد جعل لبعض الازمان
زيادة فضل على بعض ولبعض الحيوان كذلك
ولله سبحانه وتعالى ان يفضل ما شاء وعلى
هذا فلا اعتبار بكونه مقدسا باخراج المشركين
واسكان المؤمنين فقد شاركه في ذلك غيره
وطوى اسم الوادي عن ابن عباس ومجاهد
وغيرهما وقال الضحاك هو واد عميق مستدير
مثل الطوي وطوى اسم موضع بالشام تكسر
طاؤه وتضم يصرف ولا يصرف فمن صرفه
جعله اسم واد ومكان وجعله نكرة ومن
لم يصرفه جعله بلدة وبقعة وجعله معرفة
وقال بعضهم طوى مثل طوي وهو الشيء المثني
وقال الزوالي قوله تعالى المقدس طوى طوي
مرتين اي قدس وقال الحسن ثنيت فيه
البركة والتقديس مرتين وذكر المهدوي
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه انه قيل
له طوى لان موسى عليه الصلاة والسلام طواه
بالليل اذ امر به فارتفع الى اعلى الوادي فهو
مصدر عمل فيه ما ليس من لفظه فكانه قال
انك بالوادي المقدس الذي طويته طوى اي
تجاوزته وطويته بسيرك الحسن معناه انه
قدس مرتين فهو مصدر من طويته طوى ايضا
قوله تعالى وانا اخترتك اي اصطفيتك

للرسالة وقرا اهل المدينة ابو عمرو وعاصم والكسائى وانا اخترتك وقرا حمزة وانا اخترناك والمعنى واحد الا ان وانا اخترناك هاهنا اولى من جهتين احداهما انها اشبه بالخط والثانية انها اولى بنسق الكلام لقوله جل وعز يا موسى انى انا ربك وعلى هذا النسق جرت المخاطبة قاله النحاس رحمه الله تعالى **قوله تعالى** فاستمع لما يوحى فيه مسئلة واحدة قال ابن عطية وحدثنى ابى رحمه الله قال سمعت ابا الفضل الجوهرى رحمه الله تعالى يقول لما قيل لموسى صلوات الله وسلامه عليه استمع لما يوحى وقف على حجر واستند الى حجر ووضع يمينه على شماله والقى ذقنه على صدره ووقف يستمع وكان كل لباسه صوفا قلت حسن الاستماع كما يجب قد مدح الله سبحانه وتعالى عليه فقال الذين يستمعون فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله وذم على خلاف هذا الوصف فقال نحن اعلم بما يستمعون به الاية فمدح المنصت لاستماع كلامه مع حضور العقل وامر عباده بذلك ادبا لهم فقال واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا وقال هاهنا فاستمع لما يوحى لان بذلك ينال الفهم عن الله سبحانه وتعالى روى عن وهب بن منبه انه قال من ادب الاستماع سكون الجوارح وغض البصر والاصغا بالسمع وحضور العقل والعزم على العمل وذلك هو الاستماع كما يجب لله سبحانه وتعالى وهو ان يكف العبد جوارحه ولا يشغلها فيشتغل قلبه عما يسمع ويغض طرفه فلا يلهو قلبه بما يرى ويحصر عقله فلا يحدث نفسه بشىء سوى ما يستمع اليه ويعزم على ان يفهم فيعمل وقال سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى اول العلم

الاستماع

الاستماع ثم الفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر فاذا استمع العبد الى كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام بنية صادقة على ما يحب الله افهمه الله سبحانه وتعالى كما يجب وجعل له فى قلبه نورا **قوله تعالى** اننى انا الله لا اله الا انا فاعبدنى واقم الصلاة لذكرى قيل يحتمل ان يريد لتذكرنى فيها او يريد لاذكرك بالمدح فى عليين بها فالمصدر على هذا يحتمل الاضافة الى الفاعل والى المفعول وقيل المعنى اى حافظ بعد التوحيد على الصلاة وهذا تنبيه على عظيم قدر الصلاة اذ هى تضرع الى الله سبحانه وتعالى وقيام بين يديه وعلى هذا فالصلاة هى الذكر وقد سمى الله سبحانه وتعالى الصلاة ذكرا فى قوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله وقيل المراد اذا نسيت فتذكرت صلاة فصل كما فى الخبر فليصلها اذا ذكرها اى لا تسقط الصلاة بالنسيان **الثانية** روى مالك رضى الله تعالى عنه وغيره ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من نام عن صلاة او نسيها فليصلها اذا ذكرها فان الله عز وجل يقول اقم الصلاة لذكرى روى ابو محمد عبد الغنى بن سعيد من حديث ابى الحجاج وهو حجاج الاول الذى روى عنه يزيد بن زريع قال حدثنا قتادة عن انس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يرقد عن الصلاة ويغفل عنها قال كفارتها ان يصليها اذا ذكرها تابعه ابراهيم بن طهمان عن حجاج وكنا ابى همام

ابن يحيى عن قتادة الدارقطني عن ابي هريرة رضي
الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ومن نسي صلاة فوقتها اذا ذكرها فقوله فليصلها
اذا ذكرها دليل على وجوب القضاء على النائم
والغافل كثرت الصلاة او قلت وهو مذهب عامة
العلماء رحمهم الله تعالى وقد حكي خلاف شاذ
لا يعتد به لانه مخالف لنص الحديث عن بعض
الناس فيما زاد على خمس صلوات انه لا يلزمه
قضاء قلت امر الله سبحانه وتعالى باقامة
الصلاة ونص على اوقاتها معينة فقال اقم
الصلاة لدلوك الشمس الاية وغيرها من
الاي ومن اقام بالليل ما امر باقامته بالنهار
او بالعكس لم يكن فعله مطابقا لما امر به ٥
ولا ثواب له على فعله وهو عاص وعلى هذا
الحد كان لا يجب عليه قضاء ما فات وقته ولولا
قوله صلى الله عليه وسلم من نام عن
صلاة او نسيها فليصلها اذا ذكرها لم ينتفع
احد بصلاة وقعت في غير وقتها وبهذا الاعتبار
كانت قضاء لا اداء لان الامر القضا بامر متجدد
وليس بالامر الاول **الثانية** فاما من ترك
الصلاة متعمدا فالجمهور ايضا على وجوب القضا
عليه وان كان عاصيا الا داود ووافقه ابو عبد
الرحمن الاشعري الشافعي رحمه الله تعالى ٥
حكاه عنه ابن القصار والفرق بين المتعمد
والناسي والنائم حط المأثم فالمتعمد مأثوم
وجميعهم قاضون والحجة للجمهور قوله سبحانه
وتعالى اقيموا الصلاة ولم يفرق من ان تكون
في وقتها او بعده وهذا امر يقتضي الوجوب وايضا
فقد ثبت الامر بقضاء الناسي والنائم مع انهما
غير مأثومين فالعامد اولى وايضا قوله من نام
عن صلاة او نسيها والنسيان الترك قال الله سبحانه

وتعالى نسوا الله فنسيهم ونسوا الله فانساهم
انفسهم سواء كان مع ذهول او لم يكن لان
الله سبحانه وتعالى لا ينسى وانما معناه
تركهم وقال تعالى ما ننسخ من اية او ننساها
نتركها اي نتركها وكذلك الذكر يكون بعد
نسيان وبعد غيره قال الله سبحانه وتعالى
من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وهو سبحانه
وتعالى لا ينسى فيكون ذكره بعد نسيان وانما
معناه علمت فكذلك يكون معنى قوله اذا ذكرها
اي علمها وايضا فان الديون التي للادميين
اذا كانت متعلقة بوقت ثم جاء الوقت لم
يسقط قضاؤها بعد وجوبها وهي مما يسقطها
الابرا كان في ديون الله سبحانه وتعالى الا ابرا
اولى ان لا يسقط قضاؤها الا باذن منه وايضا
فقد اتفقنا انه لو ترك يوما من شهر رمضان
متعمدا بغير عذر لوجب قضاؤه فكذلك ٥
الصلاة فان قيل فقد روي عن مالك
رضي الله تعالى عنه من ترك الصلاة متعمدا
لا يقضي ابدا قلنا الاشارة الى ان ما مضى
لا يعود او يكون كلاما خرج على التغليظ كما
روي عن ابن مسعود وعلي رضي الله تعالى
عنهما ان من افطر في رمضان عامدا لم يكفره
صيام الدهر وان صامه ومع هذا فلا بد
من توفية التكليف حقه باقامة القضاء ٥
مقام الاداء واتباعه بالتوبة ويفعل الله سبحانه
وتعالى بعد ذلك ما يشاء وقد روى ابو المطوس
عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
من افطر يوما من رمضان متعمدا لم يجزه
صيام الدهر وان صامه وهذا يحتمل ان لو
صح كان معناه التغليظ وهو حديث ضعيف ٥

حديث ضعيف خرجه ابو داود وقد جات الكفارة باسانيد صحاح وفي
بعضها فليقضها اليوم والحمد لله **الرابعة** قوله عليه السلام من نام عن
صلاة او نسيها الحديث يخص عموم قوله عليه السلام رفع القلم عن ثلاثة عن
النايم حتى يستيقظ والمراد بالرفع هنا رفع الاثم لا رفع الفرض عنه وليس
هذا من باب قوله وعن الصبي حتى يحتلم وان كان ذلك جا في اثر واحد نسق
على هذا الاصل **الخامسة** اختلف العلما في هذا المعنى فيمن ذكر صلاة
فايتة وهو في اخر وقت صلاة او ذكر صلاة وهو في صلاة بجملة فمذهب مالك
ان من ذكر صلاة وقد حضر وقت صلاة اخرى بدا بالتي نسي اذا كان خمس
صلوات فادنى وان فات وقت هذه وان كان اكثر من ذلك بدا بالتي حضر
وقتها وعلى نحو هذا مذهب ابي حنيفة والثوري والليث الا ان ابا حنيفة
واصحابه قالوا الترتيب عندنا واجب في اليوم والليلة اذا كان في الوقت
سعة للفايتة ولصلاة الوقت فان خشي فوات الوقت بدا بها فان زاد
على صلاة يوم وليلة لم يجب الترتيب عندهم وقد روي عن الثوري وجوب
الترتيب ولم يفرق بين القليل والكثير وهو تحصيل مذهب الشافعي قال
الشافعي الاختيار ان يبدا بالفايتة ما لم يخف فوات هذه فان لم يفعل
وبدا بصلاة الوقت اجزاه وذكر الاثرم ان الترتيب عند احمد واجب
في صلاة ستين سنة واكثر وقال لا ينبغي لاحد ان يصلي صلاة وهو
ذاكر لما قبلها لانها تفسد عليه وروى الدارقطني عن عبد الله بن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نسي احدكم صلاة وهو في صلاة
مكتوبة فليبدا بالتي هو فيها فاذا فرغ منها صلى التي نسي عمر بن ابي عمر
مجهول قلت وهذا لو صح كان حجة للشافعي في البداية بصلاة الوقت
وانما الصحيح ما رواه الصحيح عن جابر بن عبد الله ان عمر بن الخطاب يوم
الخندق جعل يسب كفار قريش وقال يا رسول الله والله ما كدت
ان اصلي العصر حتى كادت ان تغرب الشمس فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فوالله ان صليتها فنزلنا الى بطحان فتوضا رسول الله صلى
الله عليه وسلم وتوضانا فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العصر بعد
ما غربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب وهذا نص في البداية بالفايتة
قبل الحاضرة لا سيما والمغرب وقتها واحد مضيق غير ممتد في المشهور عندنا
وعند الشافعي كما تقدم وقد روى الترمذي عن ابي عبيدة بن عبد الله
ابن مسعود عن ابيه ان المشركين شغلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن اربع صلوات يوم الخندق حتى ذهب من الليل ما شا الله فامر

بلالا فاذن ثم اقام فصلى الظهر ثم اقام فصلى العصر ثم اقام فصلى المغرب
ثم اقام فصلى العشا وبهذا استدل العلما على ان من فاتته صلوات قضاها
مرتبة كما فاتته اذا ذكرها في وقت واحد واختلفوا اذا ذكر فايتة في
مضيق وقت حاضرة على ثلاثة اقوال يبدا بالفايتة وان خرج وقت
الحاضرة وبه قال مالك والليث والزهري وغيرهم كما قدمناه الثاني
يبدا بالحاضرة وبه قال الحسن والشافعي وفقها اصحاب الحديث والمحاسبي
وابن وهب من اصحابنا **الثالثة** يتخير فيقدم ايهما شا وبه قال اشهب
وجه الاولى تكثير الصلوات ولا خلاف انه يبدا بالحاضرة مع الكثيرة قاله
القاضي عياض واختلفوا في مقدار اليسير فعن مالك الخمس فدون وقد
قيل الاربع فدون لحديث جابر ولم يختلف المذهب ان الست كثير **السادسة**
واما من ذكر صلاة وهو في صلاة فان كان وراء الامام فكل من قال بوجوب
الترتيب ومن لم يقل به يقول يتمادى مع الامام حتى يكمل صلاته والاصل
في هذا ما رواه مالك والدارقطني عن ابن عمر قال اذا نسي احدكم صلاة
فلم يذكرها الا وهو مع الامام فليصل مع الامام فاذا فرغ من صلاته فليصل
التي نسي ثم ليعد صلاته التي صلى مع الامام لفظ الدارقطني وقال قال موسى
ورواه ابو ابراهيم الترجماني قال نا سعيد ورفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم
ووهم في رفعه فان كان قد رجع عن رفعه فقد وفق للصواب ثم اختلفوا
فقال ابو حنيفة واحمد بن حنبل يصلي التي ذكر ثم التي صلى مع الامام الا
ان يكون بينهما اكثر من خمس صلوات على ما قدمناه ذكره عن الكوفيين
وهو مذهب جماعة من اصحاب مالك المدنيين وذكر الخرقي عن احمد بن
حنبل انه قال من ذكر صلاة وهو في اخرى انه يتمها وقضى المذكورة واعاد
التي كان فيها اذا كان الوقت متسعا فان خشي خروج الوقت وهو فيها
اعتقد الا يعيدها وقد اجزته ويقضي التي عليه وقال مالك من ذكر صلاة
وهو في صلاة قد صلى منها ركعتين سلم من ركعتيه فان كان اماما انهدمت
عليه وعلى من خلفه وبطلت هذا الظاهر من مذهب مالك وليس عند اهل
النظر من اصحابه كذلك لانه قوله فيمن ذكر صلاة في صلاة قد صلى منها
ركعة ان يضيف اليها اخرى ويسلم ولو ذكرها في صلاة قد صلى منها ثلاث
ركعات اضاف اليها رابعة وسلم وصارت نافلة غير فاسدة ولو انهدمت
عليه كما ذكر وبطلت لم يؤمر ان يضيف اليها اخرى كما لو احدث بعد ركعة
لم يضف اليها اخرى **السابعة** روى مسلم عن ابي قتادة قال خطبنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر حديث الميضاة بطوله وقال فيه ثم قال

اما لكم في اسوة ثم قال اما انه ليس في النوم تفريط انما التفريط على من لم يصل الصلاة حتى يجيء وقت الصلاة فليصلها حتى ينتبه لها فاذا كان الغد فليصلها عند وقتها) واخرجه الدارقطني هكذا بلفظ مسلم سواء وظاهره يقتضي اعادة المقضية مرتين عند ذكرها وحضور مثلها من الوقت الاتي ويعضد هذا الظاهر ما خرجه ابو داود من حديث عمران بن حصين وذكر القصة وقال في اخرها فمن ادرك منكم الصلاة من غد صالحا فليقض معها مثلها قلت وهذا ليس على ظاهره ولا تعاد غير مرة واحدة لما رواه الدارقطني عن عمران بن حصين قال سرينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة او قال في سرية فلما كان السحر عرسنا فما استيقظنا حتى ايقظنا حر الشمس فجعل الرجل منا يثب فزعا دهشا فلما استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم امرنا فارتحلنا ثم سرنا حتى ارتفعت الشمس فقضى القوم حوائجهم ثم امر بلالا فاذن فصلينا ركعتين ثم امره فاقام فصلينا الغداة فقلنا يا نبي الله الا نقضيها لوقتها من الغد فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اينهاكم الله عن الربا ويأخذه منكم وان الطرق الصحاح من حديث عمران بن حصين ليس فيها من تلك الزيادة شيء الا ما ذكر في حديث ابي قتادة وهو محتمل كما بيناه قلت ذكر الكيا الطبري في احكام القران ان من السلف من خالف في قوله عليه السلام من نسي صلاة فليصلها اذا ذكرها لا كفارة لها الا ذلك فقال تصير الى مثل وقته فيصلي اذا فاتت الصبح يصلي من الغد وهذا قول بعيد شاذ **قوله تعالى** ان الساعة اتية اكاد اخفيها لتجزى اية مشكلة فروي عن سعيد بن جبير انه قرا اكاد اخفيها بفتح الهمزة قال ومعناه اظهرها لتجزى اي لا اظهار للجزاء رواه ابو عبيد عن الكسائي عن محمد بن سهل عن ورقاء بن اياس عن سعيد بن جبير قال النحاس وليس لهذه الرواية طريق غير هذا قلت وهكذا رواه ابو بكر الانباري في كتاب الرد حدثني ابي نا محمد بن الجهم نا الفراء نا الكسائي ح ونا عبد الله بن ناجية نا يوسف نا يحيى الحماني نا محمد بن سهل قال النحاس واجود من هذا الاسناد ما رواه يحيى القطان عن الثوري عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير انه قرا اخفيها بضم الهمزة قلت فاما قراة ابن جبير اخفيها بفتح الالف بالاسناد المذكور فقال ابو بكر الانباري قال الفراء معناه اظهرها من خفيت الشيء اذا اظهرته اخفيه وانشد الفراء لامرئ القيس

فان تدفنوا الداء لا نخفه ... وان تبعثوا الحرب لا نقعد

اراد

اراد لا نظهره وقد قال بعض اللغويين يجوز ان يكون اخفيها بضم الالف معناه اظهرها لانه يقال خفيت الشيء واخفيته اذا اظهرته فاخفيته من حروف الاضداد يقع على الستر والاظهار وقال ابو عبيدة خفيت واخفيت بمعنى واحد النحاس وهذا حسن وقد حكاه عن ابي الخطاب وهو رئيس من رؤساء اللغة لا يشك في صدقه وقد روى عنه سيبويه وانشد

ان تكتموا الداء لا نخفه البيت كذا رواه ابو عبيدة عن ابي الخطاب بضم النون وقال امرؤ القيس ايضا

خفاهن من انفاقهن كانما ... خفاهن ودق من عشي مجلب

اي اظهرهن وروي من سحاب مركب بدل من عشي مجلب قال ابو بكر الانباري وتفسير للاية اخر ان الساعة اتية اكاد انقطع الكلام على اكاد وبعده مضمر اكاد اتي بها ووقع الابتداء اخفيها لتجزى كل نفس قال ضابئ البرجمي

هممت ولم افعل وكدت وليتني ... تركت على عثمان تبكي حلائله

اراد وكدت افعل فاضمر مع كدت فعلا كالفعل المضمر معه في القران قلت هذا الذي اختاره النحاس وزيف القول الذي قبله فقال يقال خفى الشيء يخفيه اذا اظهره وقد حكي انه يقال اخفاه ايضا اذا ستره وليس بالمعروف قال وقد رايت علي بن سليمان لما اشكل عليه معنى اخفيها عدل الى هذا القول وقال معناه كمعنى اخفيها قال النحاس ليس المعنى على اظهرها ولا سيما واخفيها قراءة شاذة فكيف ترد القراءة الصحيحة الشائعة الى الشاذة ومعنى المضمر اولى ويكون التقدير ان الساعة اتية اكاد اتي بها ودل اتية على اتي بها ثم قال اخفيها على الابتداء وهو معنى صحيح لان الله عز وجل قد اخفى الساعة التي هي القيامة والساعة التي يموت فيها الانسان ليكون الانسان يعمل والامر عنده مبهم ولا يؤخر التوبة قلت وعلى هذا القول تكون اللام في لتجزى متعلقة باخفيها وقال ابو علي هذا من باب السلب وليس من الاضداد ومعنى اخفيها ازيل عنها خفاها وهو سترها كخفاء القربة واذا ازال عنها سترها ظهرت ومن هذا قولهم اشكيته اي ازلت شكواه واعديته اي قبلت استعداه ولم احوجه الى اعادته وحكى ابو حاتم عن الاخفش ان كاد زائدة موكدة قال ومثله اذا اخرج يده لم يكد يراها لان الظلمات التي ذكرها الله تعالى بعضها يحول بين الناظر والمنظور اليه وروي معناه عن ابن جبير والتقدير ان الساعة اتية اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى وقال الشاعر

سريع الى الهيجاء شاك سلاحه ... فما ان يكاد قرنه يتنفس

اراد مما يتنفس وقال اخر

ولمن لام اللوم النفس فيما اصابني ... وان لا اكاد بالذي نلت ابجح

معناه وان ابجح بالذي نلت فاكاد توكيد للكلام وقيل المعنى اكاد اخفيها اي اقارب ذلك لانك اذا قلت كاد زيد يقوم جاز ان يكون قام وان يكون لم يقم ودل على انه قد اخفاها بدلالة غير هذه على هذا الجواب قال اللغويون كدت افعل معناه عند العرب قاربت الفعل ولم افعل وما كدت افعل معناه فعلت بعد ابطاء وشاهده قول الله عز عظمته فذبحوها وما كادوا يفعلون معناه وفعلوا بعد ابطاء لتعذر وجدان البقرة عليهم وقد يكون ما كدت افعل بمعنى ما فعلت ولا قاربت اذا اكد الكلام باكاد وقيل معنى اكاد اخفيها اريد اخفيها قال الانباري وشاهد هذا قول الفصيح من الشعر كادت وكدت وتلك خير ارادة لو عاد من لهو الصبابة ما مضى معناه اردت واردت وقال ابن عباس واكثر المفسرين فيما ذكر الثعلبي ان المعنى اكاد اخفيها من نفسي وكذلك هو في مصحف ابي وفي مصحف ابن مسعود اكاد اخفيها من نفسي فكيف يعلمها مخلوق وفي بعض القراءات فكيف اظهرها لكم وهذا محمول على جاعلي ما جرت به عادة العرب في كلامها من ان احدهم اذا بالغ في كتمان الشي قال كدت اخفيه من نفسي والله تعالى لا يخفى عليه شي قال معناه نطرب وغيره وقال الشاعر

ايام تصحبني هند واخبرها ... ما اكتم النفس من حاجي واسراري

فكيف يخبرها بما يكتم نفسه ومن هذا الباب قوله صلى الله عليه وسلم ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه هو الزمخشري وقيل معناه اكاد اخفيها من نفسي ولا دليل في الكلام على هذا المحذوف ومحذوف لا دليل عليه مطرح والذي غرهم منه ان في مصحف ابي اكاد اخفيها من نفسي وفي بعض المصاحف اكاد اخفيها من نفسي فكيف اظهركم عليها قلت قد قيل ان معنى قول من قال اكاد اخفيها من نفسي اي ان اخفاها كان من قبلي ومن عندي لا من قبل غيره وروي عن ابن عباس ايضا اكاد اخفيها في نفسي رواه طلحة بن عمرو عن عطا وروي علي بن ابي طلحة عن ابن عباس قال لا اظهر عليها احدا وروي عن سعيد بن جبير قال قد اخفاها وهذا على ان كاد زايدة اي ان الساعة اتية اخفيها والفايدة في اخفايها التخويف والتهويل وقيل تعلق لتجزى بقوله تعالى واقم الصلاة فيكون في الكلام تقديم وتاخير

اي اقم الصلاة لذكري لتجزى كل نفس بما تسعى اي سعيها ان الساعة اتية اكاد اخفيها والله اعلم وقيل هي متعلقة باتية اي الساعة اتية لتجزى فلا يصدنك عنها اي لا يصرفنك عن الايمان بها والتصديق لها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى اي فتهلك وهو في موضع نصب بجواب النهي **قوله تعالى** وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي فيه ثمني مسايل **الاولى** قوله تعالى وما تلك بيمينك قال كان هذا خطاب من الله تعالى لموسى وحيا لانه قال فاستمع لما يوحى ولا بد للنبي في نفسه من معجزة يعلم بها صحة نبوة نفسه واراه في العصا وفي نفسه ما اراه لذلك ويجوز ان يكون ما اراه في الشجرة اية كافية له في نفسه ثم يكون اليد والعصا زيادة توكيد وبرهانا يلقى به قومه واختلف في قوله وما تلك قال الزجاج والفرا هي اسم ناقص وصلت بيمينك اي ما التي بيمينك وقال الفرا ايضا تلك بمعنى هذه ولو قال ما ذلك لجاز اي ما ذلك الشي ومقصود السوال تقدير الامر حتى يقول موسى هي عصاي لتثبت الحجة عليه بعد ما اعترف والا فقد علم الله ما هي في الازل قال ابن الجوهري وفي بعض الاثار ان الله تعالى عتب على موسى اضافة العصا الى نفسه في ذلك الموطن فقيل له القها لترى منها العجب فتعلم انه لا ملك لك عليها ولا تضاف اليك وقرا ابن ابي اسحاق عصى على لغة هذيل ومثله يا بشرى ويحيى وقد تقدم وقرا الحسن عصاي بكسر الياء لالتقاء الساكنين ومثله قراءة حمزة وما انتم بمصرخي وعن ابن ابي اسحق سكون الياء **الثانية** في هذه الاية دليل على جواب المسئول باكثر مما سيل لانه لما قال وما تلك بيمينك يا موسى ذكر معاني اربعة وهي اضافة العصا اليه وكان حقه ان يقول عصى والتوكؤ والهش والمارب المطلقة فذكر موسى من منافع عصاه عظمها وجمهورها واجمل سائر ذلك وفي الحديث سيل النبي صلى الله عليه وسلم عن ما البحر فقال هو الطهور ماوه الحل ميتته وسالته امراة عن الصغير حين رفعته اليه فقالت الهذا حج قال نعم ولك اجر ومثله في الحديث كثير **الثالثة** قوله تعالى اتوكا عليها اي اتحامل عليها في المشي والوقوف ومنه الاتكا واهش بها ايضا ذكره النحاس وهي قراءة النخعي اي اخبط بها الورق اي اضرب اغصان الشجر ليسقط ورقها على غنمي نتاولها فتاكلها قال الراجز

اهش بالعصا على اغنامي ... من ناعم الاراك والبشام

يقال هش على غنمه يهش بضم الها في المستقبل وهش الرجل يهش

بالفتح وكذلك هش المعروف بهش وهششت انا وفي حديث عمر هششت
يوما فقبلت وانا صايم قال شمر اي فرحت واشتهيت قال ويجوز هاش
بمعنى هش قال الراعي

• فكبر للرويا وهاش فواده • وبشر نفسا كان قبل يلومها •

اي ضرب والاصل في الكلمة الرخاوة يقال رجل هش وجود هش وقرا
عكرمة واهس بالسين غير معجمة قيل هما لغتان بمعنى واحد وقيل معناهما
مختلف فالهش بالاعجام خبط الشجر والهس بغير اعجام زجر الغنم ذكره الماوردي
وكذلك ذكر الزمخشري وعن عكرمة واهش بالشين اخبط عليها زاجرها
والهش زجر الغنم **الرابعة** قوله تعالى ولي فيها مارب اخرى اي حوايج
واحدها مارب ومارب وماربه وقال اخرى على صيغة الواحد لان
مارب في معنى جماعة لكن المهيع في توابع جمع ما لا يعقل الافراد والكناية
عنه بذلك فان ذلك مجرى الواحدة الموننة كقوله ولله الاسما الحسنى وكقوله
يا جبال اوبي معه وقد تقدم هذا في الاعراف **الخامسة** تعرض قوم لمنافع
تعديد العصا منهم ابن عباس قال اذا انتهيت الى راس بير فقصر الرشا
وصلته بالعصا واذا اصابني حر الشمس غرزتها في الارض والقيت عليها
ما يظلني واذا خفت شيا من هوام الارض فقتلته بها واذا اشتدت
القيتها على عاتقي وعلقت عليها القوس والكنانة والمخلاة واقاتل بها
السباع على الغنم وروي عنه ميمون بن مهران قال امساك العصى سنة
للانبيا وعلامة للمومن وقال الحسن البصري فيها ست خصال سنة
الانبيا وزينة الصلحا وسلاح الاعدا وعون الضعفا وغم المنافقين
وزيادة في الطاعات ويقال اذا كان مع المومن العصا يهرب منه الشيطان
ويخشع منه المنافق والعاجز وتكون قبلة اذا صلى وقوة اذا اعيا ولقي
الحجاج اعرابيا فقال من اين اقبلت يا اعرابي قال من البادية قال
وما في يدك قال عصاي اركزها لصلاتي واعدها لعداتي واسوق بها
دابتي واقوى بها على سفري واعتمد بها في مشيي ليتسع خطوي واثب
بها على النهر وتومنني العثر والقي عليها كسايي فتقيني الحر وتدفيني من
القر وتدني الي ما بعد مني وهي محل سفرتي وعلاقة اداوتي واعصي بها عند
الضراب واقرع بها الابواب واتقي بها عقور الكلاب وتنوب عن الرمح في
الطعان وعن السيف عند منازلة الاقران ورثتها عن ابي واورثها بعدي
ابني واهش بها على غنمي ولي فيها مارب اخرى كثيرة لا تحصى قلت
منافع العصى كثيرة ولها مدخل في مواضع من الشريعة منها انها تتخذ

بتد

قبلة في الصحرا وقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم عنزة تركز له فيصلي اليها
وكان اذا خرج يوم العيد امر بالحربة فتوضع بين يديه فيصلي اليها
وذلك ثابت في الصحيح والحربة والعنزة والنبرك الاله اسمي لمسمى واحد
وكان له محجن وهو عصا معوجة الطرف يشير به الى الحجر اذا لم يستطع ان
يقبله ثابت في الصحيح ايضا وفي الموطا عن السايب بن يزيد انه قال
امر عمر بن الخطاب ابي بن كعب وتميما الداري ان يقوموا للناس باحدى
عشرة ركعة وكان القاري يقرا بالمين حتى كنا نعتمد على العصي من
طول القيام وما كنا ننصرف الا في فروع الفجر وفي الصحيحين انه عليه السلام
كان له مخصرة والاجماع منعقد على ان الخطيب يخطب متوكا على سيف
او عصا فالعصا ماخوذة من اصل كريم ومعدن شريف ولا ينكرها الا
جاهل وقد جمع الله لموسى في عصاه من البراهين العظام والايات الجسام
ما امن به السحرة المعاندون واتخذها سليمان لخطبته وموعظته وطول
صلاته وكان ابن مسعود صاحب عصا النبي صلى الله عليه وسلم وعنزته
وكان يخطب بالقضيب وكفى بذلك فضلا على شرف حال العصا وعلى ذلك
الخلفا وكبرا الخطبا وعادة العرب العربا الفصحا اللسن البلغا اخذ
المخصرة والعصا والاعتماد عليها عند الكلام وفي المحافل والخطب وانكرت
الشعوبية على خطبا العرب اخذ المخصرة والاشارة بها الى المعاني
والشعوبية تبغض العرب وتفضل العجم قال مالك والرجل اذا كبر لم يكن
مثل الشاب يقوى بها عند قيامه قلت وفي مشيه كما قال بعضهم

• قد كنت امشي على رجلين معتمدا • فصرت امشي على اخرى من الخشب •

قال مالك رحمه الله ورضي عنه وقد كان الناس اذا جاهم المطر خرجوا
بالعصا يتوكون عليها حتى لقد كان الشباب يحبسون عصيهم وربما
اخذ ربيعة العصا من بعض من يجلس اليه حتى يقوم ومن منافع العصا
ضرب الرجل نساه بها فيما يصلحهم ويصلح به حاله وحالهم معه ومنه
قوله عليه السلام واما ابو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه في احد التاويلات
وقد روي عنه عليه السلام انه قال لرجل اوصاه لا ترفع عصاك
عن اهلك اخفهم في الله رواه عبادة بن الصامت خرجه النسايي ومن
هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم علق سوطك حيث يراه اهلك وقد
تقدم هذا في النسا ومن فوايدها التنبيه على الانتقال من هذه الدار
كما قيل لبعض الزهاد ما لك تمشي على عصى ولست بكبير ولا مريض
قال اني اعلم اني مسافر وانها دار قلعة وان العصا من الة السفر

فاخذ بعض الشعرا فقال

حملت العصا لا الضعف اوجب حملها علي ولا اني تحنيت من كبر
ولكن الزمت نفسي حملها لاعلمها ان المقيم على سفر

قوله تعالى قال القها يا موسى لانه لما اراد الله تعالى ان يدربه في تلقي النبوة وتكاليفها امره بالقا العصا فالقاها موسى فقلب الله اوصافها واعراضها وكانت عصا ذات شعبتين فصار الشعبتان لها فما وصارت حية تسعى اي تنتقل وتمشي وتلتقم الحجارة فلما راها موسى عليه السلام راي عبرة فولي مدبرا ولم يعقب فقال الله له خذها ولا تخف وذلك انه اوجس في نفسه خيفة اي يلحقه ما يلحق البشر وروي ان موسى تناولها بكمي جبته فنهي عن ذلك فاخذها بيده فصارت عصا كما كانت اول مرة وهي سيرتها الاولى وانما اظهر له هذه الاية لئلا يفزع منها اذا القاها عند فرعون ويقال ان العصا بعد ذلك كانت تماشيه وتحادثه ويعلق عليها احماله وتضي له الشعبتان بالليل كالشمع واذا اراد الاستقا انقلبت الشعبتان كالدلو واذا اشتهى ثمرة ركزها في الارض فاثمرت تلك الثمرة وقيل انها كانت من اس الجنة وقيل اتاه جبريل بها من الجنة وقيل ملك وقيل قال له شعيب خذ عصا من ذلك البيت فوقعت بيده تلك العصا وكانت عصا ادم هبط بها من الجنة والله اعلم قوله تعالى فاذا هي حية تسعى النحاس ويجوز حية يقال خرجت فاذا زيد جالس وجالسا والوقف حية بالها والسعي المشي بسرعة وخفة وعن ابن عباس انقلبت ثعبانا ذكرا يبتلع الشجر فلما راه يبتلع كل شي خافه ونفر منه وعن بعضهم انما خاف منه لانه عرف ما لقي ادم منها وقيل لما قال له ربه لا تخف بلغ من ذهاب خوفه وطمانينة نفسه ان ادخل يده في فيها واخذ بلحيها سنعيدها سيرتها الاولى سمعت علي بن سليمان يقول التقدير الى سيرتها مثل واختار موسى قومه قال ويجوز ان يكون مصدرا لان المعنى سنعيدها سيرتها قوله تعالى واضمم يدك الى جناحك يجوز في غير القران ضم بفتح الميم وكسرها لالتقا الساكنين والفتح اجود لخفته والكسر على الاصل ويجوز الضم على الاتباع ويد اصلها فعل يدي يدل على ذلك ايد وتصغيرها يدية والجناح العضد قاله مجاهد وقال الى سمعن يعني تحت تطرب الى جناحك الى جيبك ومنه قول الراجز • اضمه للصدر والجناح • وقيل الى جنبك تعبر عن الجنب بالجناح لانه مايل في محل الجناح وقيل الى

عندك وقال مقاتل الى بمعنى مع اي مع جناحك تخرج بيضا من غير سوء من غير برص نورا ساطعا تضي بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر واشد ضوءا عن ابن عباس وغيره فخرجت نورا مخالفة للونه وبيضا نصبت على الحال ولا ينصرف لان فيها الفي التانيث لا يزايلانها لزومهما علة ثابتة فلم ينصرف في النكرة وخالفتا الهاء لان الهاء تفارق الاسم ومن صلة البيضا كما تقول ابيضت من غير سوء اية اخرى سوى العصا فاخرج يده من مدرعة له مصرية لها شعاع مثل شعاع الشمس يغشي البصر واية منصوبة على البدل من بيضا قاله الاخفش النحاس وهو قول حسن وقال الزجاج المعنى اتيناك اية اخرى او نوتيك لانه لما قال تخرج بيضا من غير سوء دل على انه قد اتاه اخرى لنريك من اياتنا الكبرى يريد العظمى وكان حقها ان يقول الكبيرة وانما قالت الكبرى لوفاق روس الاي وقيل فيه اضمار معناه لنريك من اياتنا الكبرى دليله قول ابن عباس يد موسى اكبر اياته قوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى لما انسه بالعصا واليد واراه ما يدل على انه رسول امره بالذهاب الى فرعون وان يدعوه وطغى معناه عصى وتكبر وكفر وتجبر وجاوز الحد قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي طلب الاعانة لتبليغ الرسالة وقيل ان الله علمه بانه ربط على قلب فرعون وانه لا يومن فقال موسى يا رب فكيف تامرني ان اتيه وقد ربطت على قلبه فاتاه ملك من خزان الريح فقال يا موسى انطلق لما امرك الله فقال موسى عند ذلك رب اشرح لي صدري اي وسعه ونوره بالايمان والنبوة ويسر لي امري اي سهل علي ما امرتني به من تبليغ الرسالة الى فرعون واحلل عقدة من لساني يعني العجمة التي كانت فيه من جمرة النار التي القاها في فيه وهو طفل قال ابن عباس كانت في لسانه رتة وذلك انه كان في حجر فرعون ذات يوم وهو طفل فلطمه لطمة واخذه بلحيته فنتفها فقال لاسية هذا عدوي فهات الذباحين فقالت اسية على رسلك فانه صبي لا يفرق بين الاشيا ثم اتت بطشتين فجعلت في احدهما جمرا وفي الاخر جوهرا فاخذ جبريل بيد موسى فوضعها على النار حتى رفع جمرة ووضعها على لسانه فكانت تلك الرتة وروي ان يده احترقت وان فرعون اجتهد في علاجها فلم تبرا ولما دعاه قال الى اي رب تدعوني قال الى الذي ابرا يدي وقد عجزت عنها وعن بعضهم انما لم تبرا يده لئلا يدخلها مع

فرعون في قصعة واحدة فتعقد بينهما حرمة المواكلة ثم اختلف
هل زالت تلك الرتة فقيل زالت بدليل قوله قد اوتيت سؤلك يا موسى
وقيل لم تزل كلها بدليل قوله حكاية عن فرعون ولا يكاد يبين ولانه
لم يقل احلل كل لساني فدل على انه بقي في لسانه شي من الاستمساك وقد
زالت بالجملة بدليل قوله اوتيت سؤلك وانما قال فرعون ولا يكاد
يبين لانه عرف منه تلك العقدة في التربية وما ثبت عنده ان الافة
زالت قلت وهذا فيه نظر لانه لو كان ذلك لما قال فرعون ولا يكاد
يبين حين كلمه موسى بلسان ذلق فصيح والله اعلم وقيل ان تلك
العقدة حدثت بلسانه عند مناجاة ربه حتى لا يكلم غيره الا باذنه
يفقهوا قولي اي يعلموا ما اقوله لهم ويفهموه والفقه في كلام العرب الفهم
قال اعرابي لعيسى بن عمر شهدت عليك بالفقه تقول منه فقه الرجل
بالكسر وفلان لا يفقه وافقهتك الشي ثم خص به علم الشريعة
والعالم به فقيه وقد فقه بالضم فقاهة وفقهه الله وتفقه اذا تعاطى
ذلك وفاقهته اذا باحثته في العلم قاله الجوهري والوزير الموازر
كالاكيل المواكل لانه يحمل عن السلطان وزره اي ثقله وفي كتاب
النسائي عن القسم بن محمد سمعت عمتي تقول قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من ولي منكم عملا فاراد الله به خيرا جعل الله له وزيرا صالحا ان
نسي ذكره وان ذكر اعانه ومن هذا المعنى قوله عليه السلام ما بعث
الله من نبي ولا استخلف من خليفة الا وله بطانتان بطانة تامره
بالمعروف وتحضه عليه وبطانة تامره بالشر وتحضه عليه والمعصوم من
عصمه الله رواه البخاري فسال موسى الله تعالى ان يجعل له وزيرا الا انه
لم يرد ان يكون مقصورا على الوزارة حتى لا يكون شريكا له في النبوة
ولولا ذلك لجاز ان يستوزره من غير مسالة وعين فقال هرون وانتصب
على المفعول من قوله وزيرا ويكون منصوبا باجعل على التقديم والتاخير
والتقدير واجعل لي هارون اخي وزيرا وكان هرون اكبر من موسى بسنة
وقيل بثلاث اشدد به ازري اي ظهري والازر الظهر من موضع الحقوين
ومعناه تقوى به نفسي والازر القوة وازره قواه ومنه قوله تعالى
فآزره فاستغلظ قال ابو طالب

ليس ابونا هاشم شد ازره ... واوصى بنيه بالطعان وبالضرب
وقيل الازر العون اي يكون عونا يستقيم به امري قال الشاعر
شددت به ازري وايقنت انه ... اخو الفقر من ضاقت عليه مذاهبه

وكان

وكان هرون اكثر لحما من موسى واتم طولا وابيض جسما وافصح لسانا
ومات قبل موسى بثلاث سنين وكان في جبهة هرون شامة وعلى
ارنبة انف موسى شامة وعلى لسانه شامة ولم تكن على احد قبله ولا
تكون على احد بعده وقيل انها سبب العقدة في لسانه فالله اعلم واشركه
في امري اي في النبوة وتبليغ الرسالة قال المفسرون وكان هرون يومئذ
بمصر فامر الله موسى ان ياتي هو وهرون واوحى الى هرون وهو بمصر
ان يتلقى موسى فتلقاه الى مرحلة واخبره بما اوحي اليه فقال له موسى
ان الله امرني ان اتي فرعون فسالت ربي ان يجعلك معي رسولا وقرا
العامة اخي اشدد بوصل الالف واشركه بفتح الهمزة على الدعاء اي اشدد
يا رب ازري واشركه معي في امري وقرا ابن عامر ويحيى بن الحرث وابو
حيوة والحسن وعبد الله بن ابي اسحاق اشدد بقطع الالف واشركه
بضم الالف اي انا افعل ذلك اشدد انا به ازري واشركه انا يا رب في
امري قال النحاس جعلوا الفعلين في موضع جزم جوابا لقوله اجعل
لي وزيرا وهذه القراءة شاذة بعيدة لان جواب مثل هذا انما يتخرج بمعنى
الشرط والمجازاة فيكون المعنى ان تجعل لي وزيرا من اهلي اشدد به ازري
واشركه في امري وامره النبوة وليس هذا اليه صلى الله عليه وسلم فيخبر
به انما يسال الله عز وجل ان يشركه معه في النبوة وفتح الياء من اخي ابن كثير
وابو عمرو كي نسبحك كثيرا قيل معنى نسبحك نصلي لك ويحتمل ان يكون
التسبيح باللسان اي ننزهك عما لا يليق بجلالك وكثيرا نعت لمصدر
محذوف ويجوز ان يكون نعتا لوقت والادغام حسن وكذا ونذكرك
كثيرا انك كنت بنا بصيرا قال الخطابي البصير المبصر والبصير
العالم بخفيات الامور فالمعنى اي عالما بنا ومدركا لنا في صغرنا فاحسنت
الينا فاحسن الينا كذلك يا رب قوله تعالى ولقد مننا عليك
مرة اخرى اي قبل هذه وهو حفظه سبحانه له من شر الاعداء في الابتداء
وذلك حين الذبح والله اعلم والمن الاحسان والافضال وقوله اذ اوحينا
الى امك ما يوحى قيل اوحينا الهمنا وقيل اوحي اليها في النوم وقال ابن
عباس اوحي اليها كما اوحي الى النبيين ان اقذفيه في التابوت قال مقاتل
مؤمن من آل فرعون هو الذي صنع التابوت ونجره وكان اسمه حزقيل
وكان التابوت من جميز فاقذفيه في اليم اي اطرحيه في البحر نهر النيل
فليلقه قال الفراء فاقذفيه في اليم امر وفيه معنى المجازاة اي اقذفيه يلقه
اليم وكذا قوله واتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ياخذه عدو لي وعدو له

يعني فرعون فاتخذت تابوتا وجعلت فيه قطنا ووضعت فيه موسى وقيرت رأسه وخصاصه يعني شقوقه ثم ألقته في النيل وكان يشرع منه نهر كبير في دار فرعون فساقه الله في ذلك النهر إلى دار فرعون وروي أنها جعلت في التابوت قطنا محلوجا فوضعته فيه وجصصته وقيرته ثم ألقته في اليم وكان يشرع منه إلى بستان فرعون نهر كبير فبينا هو جالس على رأس بركة مع آسية إذا بالتابوت فأمر به فأخرج فإذا صبي أصبح الناس فأحبه عدو الله حبا شديدا بحيث لم يكن أن يصبر عنه وظاهر القرآن يدل على أن البحر ألقاه بساحله وهو شاطئه فرأى فرعون التابوت بالساحل فأمر بأخذه ويحتمل أن يكون ألقاه اليم بموضع من الساحل فيه فوهة نهر فرعون ثم أداه النهر إلى حيث البركة والله أعلم وقيل وجدته ابنة فرعون وكان بها برص فلما فتحت التابوت شفيت وروي أنهم حين التقطوا التابوت عالجوا فتحه فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فأعياهم فدنت آسية فرأت في جوف التابوت نورا فعالجته ففتحته فإذا صبي نوره بين عينيه وهو يمص إبهامه لبنا فأحبوه وكانت لفرعون بنت برصاء وقالت له الأطباء لا تبرأ البرصاء إلا من قبل البحر يوجد فيه شبه إنسان دواؤها ريقه فلطخت البرصاء برصها بريقه فبرأت وقيل لما نظرت إلى وجهه برأت والله أعلم وقيل وجدته جوار لامرأة فرعون فلما نظر إليه فرعون فرأى صبيا من أصبح الناس وجها فأحبه فرعون فذلك قوله وألقيت عليك محبة مني قال ابن عباس أحبه الله وحببه إلى خلقه وقال عطية جعل عليه مسحة من جمال لا يكاد يصبر عنه من رآه وقال قتادة كانت في عيني موسى ملاحة ما رآه أحد إلا أحبه وعشقه وقال عكرمة المعنى جعلت فيك حسنا وملاحة فلا يراك أحد إلا أحبك وقال الطبري المعنى وألقيت عليك رحمتي وقال ابن زيد جعلت من رآك أحبك حتى أحبك فرعون فسلمت من شره وأحبتك آسية بنت مزاحم فتبنتك ولتصنع على عيني قال ابن عباس يريد أن ذلك بعيني حيث جعلت في التابوت وحيث ألقي التابوت في البحر وحيث التقطتك جواري امرأة فرعون فأرادوا أن يفتحوا التابوت لينظروا ما فيه فقالت منهن واحدة لا تفتحوه حتى تأتين به سيدتكم فهو أحظى لكن عندها وأجدر بأن لا تتهمكن أنكن وجدتن فيه شيئا فأخذتموه لأنفسكن وكانت امرأة فرعون لا تشرب من الماء إلا ما استقينه أولئك الجواري فذهبن بالتابوت إليها مغلقا

فلما فتحته رأت صبيا لم تر مثله قط وألقي عليها محبته فأخذته فدخلت به إلى فرعون فقالت له قرة عين لي ولك قال لها فرعون أما لك فنعم وأما لي فلا فبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو أن فرعون قال نعم هو قرة عين لي ولك لآمن وصدق فقالت هبه لي ولا تقتله فوهبه لها وقيل ولتصنع على عيني أي تربى وتغذى على مرأى مني قاله قتادة قال النحاس وذلك معروف في اللغة يقال صنعت الفرس وصنعته إذا أحسنت القيام عليه والمعنى ولتصنع على عيني فعلت ذلك وقيل اللام متعلقة بما بعدها من قوله إذ تمشي أختك على التقديم والتأخير فإذ ظرف لتصنع وقيل الواو في ولتصنع زائدة وقرأ ابن القعقاع ولتصنع بإسكان اللام على الأمر وظاهره للمخاطب والمأمور غائب وقرأ أبو نهيك ولتصنع بفتح التاء والمعنى ولتكون حركتك وتصرفك بمشيئتي وعلى عين مني ذكره المهدوي إذ تمشي أختك العامل في إذ تمشي ألقيت أو تصنع ويجوز أن يكون بدلا من إذ أوحينا وأخته اسمها مريم فتقول هل أدلكم على من يكفله وذلك أنها خرجت متعرفة خبره وكان موسى لما وهبه فرعون لامرأته طلبت له المواضع وكان لا يأخذ من أحد حتى أقبلت أخته فأخذته ووضعته في حجرها وناولته ثديها فمصه وفرح به فقالوا لها تقيمين عندنا فقالت إنه لا لبن لي ولكن أدلكم على من يكفله وهم له ناصحون قالوا ومن هي قالت أمي فقالوا لها ألها لبن قالت لبن أخي هارون وكان هارون أكبر من موسى بسنة وقيل بثلاث وقيل بأربع وذلك أن فرعون رحم بني إسرائيل ورفع عنهم القتل أربع سنين فولد هارون فيها قاله ابن عباس فجاءت الأم فقبل ثديها فذلك قوله تعالى فرجعناك وفي مصحف أبي فرددناك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن وروى عبد الحميد عن ابن عامر كي تقر بكسر القاف قال الجوهري وقررت به عينا قرة وقرورا فيهما ورجل قرير العين وقد قرت عينه تقر وتقر نقيض سخنت وأقر الله عينه أي أعطاه حتى تقر فلا يطمح إلى من هو فوقه ويقال حتى تبرد ولا تسخن فللسرور دمعة باردة وللحزن دمعة حارة وقد تقدم في مريم ولا تحزن أي على فقدك وقتلت نفسا قال ابن عباس قتل قبطيا كافرا قال كعب وكان إذ ذاك ابن اثني عشر سنة في صحيح مسلم وكان قتله خطأ على ما يأتي فنجيناك من الغم أي آمناك من الخوف والقتل والحبس وفتناك فتونا أي اختبرناك اختبارا حتى صلحت للرسالة وقال قتادة بلوناك بلاء مجاهد خلصناك خلاصا وقال ابن عباس اختبرناك بأشياء قبل الرسالة أولها حملته أمه

في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الاطفال ثم القاوه في اليم ثم
منعه من الرضاع الا من ثدي امه ثم جره لحية فرعون ثم قتله
القبطي وخروجه خايفا يترقب ثم رعايته الغنم ليتدرب بها على رعاية
الخلق فيقال انه ند له من الغنم جدي فاتبعه اكثر النهار واتعبه ثم
اخذه فقبله وضمه الى صدره وقال له اتعبتني واتعبت نفسك ولم
يغضب عليه قال وهب بن منبه ولهذا اتخذه الله كليما وقد مضى في
النسا **قوله تعالى** فلبثت سنين في اهل مدين يريد عشر سنين
الاجلين وقال وهب لبث عند شعيب ثمانية وعشرين سنة منها
عشر مهر امراته صفورا ابنة شعيب وثمانية عشر اقامه عنده حتى ولد
له عنده وقوله جيت على قدر يا موسى قال ابن عباس وقتادة وعبد الرحمن
ابن كيسان يريد موافقا للنبوة والرسالة لان الانبيا لا يبعثون الا ابنا
اربعين سنة وقال مجاهد ومقاتل على قدر على وعد وقال محمد بن
كعب ثم جيت على القدر الذي قدرت لك انك تجي فيه وقال الشاعر

نال الخلافة اوكانت له قدرا كما اتى ربه موسى على قدر

قوله تعالى واصطنعتك لنفسي قال ابن عباس واصطفيتك
لوحيي ورسالتي وقيل اصطنعتك خلقتك ماخوذ من الصنعة وقيل
قويتك وعلمتك لتبلغ عبادي امري ونهيي اذهب انت واخوك باياتي قال
ابن عباس يريد التسع ايات التي انزلت عليه ولا تنيا قال ابن عباس
تضعفا اي في امر الرسالة وقاله قتادة وقيل تفترا قال الشاعر

فما ونا محمد مذ ان غفر له الاله ما مضى وما غبر

والونى الضعف والفتور والكلال والاعيا وقال امرو القيس

مسح اذا ما السابحات على الونى اثرن غبارا بالكديد المركل

يقال ونيت في الامر اني ونيا اي ضعفت فانا وان وناقة وانية
واونيتها انا اضعفتها واتعبتها وفلان لا يني كذا اي لا يزال وبه فسر
بان معنى الاية واستشهد بقول طرفة

كان القدور الراسيات امامهم قباب بنوها لا تني ابدا تغلي

وعن ابن عباس ايضا لا تبطيا وفي قراة ابن مسعود ولا تهنا في ذكري
وتحميدي وتمجيدي وتبليغ رسالتي **قوله تعالى** اذهبا الى فرعون
انه طغى فقولا له قولا لينا فيه اربع مسايل **الاولى** قوله تعالى
اذهبا قال في اول الاية اذهب انت واخوك باياتي وقال هنا
اذهبا فقيل امر الله تعالى و هرون في هذه الاية بالعود الى دعوة

فرعون وخاطب اولا موسى وحده تشريفا له ثم كرر للتاكيد وقيل بين
بهذا انه لا يكفي ذهاب احدهما وقيل الاولى امر بالذهاب الى كل الناس
والثاني بالذهاب الى فرعون **الثانية** في قوله تعالى فقولا له قولا
لينا دليل على جواز الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وان ذلك يكون باللين
على القول لمن معه القوة وضمنت له العصمة الا تراه قال فقولا له قولا
لينا وقال لا تخافا انني معكما اسمع وارى فكيف بنا فنحن اولى بذلك
وحينئذ يحصل الامر والناهي على مرغوبه ويظفر بمطلوبه وهذا واضح
الثالثة واختلف الناس في معنى قوله لينا فقالت فرقة منهم
الكلبي وعكرمة معناه كنياه وقاله ابن عباس ومجاهد والسدي ثم
قيل كنيته ابو العباس وقيل ابو الوليد وقيل ابو مرة فعلى هذا القول تكنية
الكافر جايزة اذا كان وجيها ذا شرف وطمع باسلامه وقد يجوز ذلك
وان لم يطمع باسلامه لان الطمع ليس بحقيقة توجب عملا وقد قال
صلى الله عليه وسلم اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه ولم يقل وان طمعتم
باسلامه ومن الاكرام دعاوه بالتكنية وقد قال صلى الله عليه وسلم
لصفوان بن امية انزل ابا وهب فكناه وقال لسعد الم تسمع ما قال
ابو حباب يعني عبد الله بن ابي وروي في الاسرائيليات ان موسى عليه
السلام قام على باب فرعون سنة لا يجد رسولا يبلغ كلاما حتى خرج
فجرى له ما قص الله علينا من ذلك وكان ذلك تسلية لمن جا بعده من
المومنين في سيرتهم مع الظالمين وربك اعلم بالمهتدين وقيل قال له
موسى تومن بما جيت به وتعبد رب العالمين على ان لك شبابا لا يهرم
الى الموت وملكا لا ينزع منك الى الموت وينسا في اجلك اربعمائة سنة
فاذا مت دخلت الجنة فهذا القول اللين وقال ابن مسعود القول
اللين قوله تعالى فقل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى
وقد قيل ان القول اللين قول موسى يا فرعون انا رسول رب العالمين
فسماه بهذا الاسم لانه كان احب اليه مما قيل له كما يسمى عندنا الملك ونحوه
قلت القول اللين هو القول الذي لا خشونة فيه يقال لان الشي يلين
لينا وشي لين ولين مخفف منه والجمع الينا فاذا كان موسى امر بان
يقول لفرعون قولا لينا فمن دونه احرى ان يقتدي بذلك في خطابه
وامره بالمعروف في كلامه وقد قال تعالى وقولوا للناس حسنا على
ما تقدم في البقرة بيانه **الرابعة** قوله تعالى لعله يتذكر او يخشى
معناه على رجايكما وطمعكما فالتوقع فيهما انما هو راجع الى جهة البشر

قاله كبرا النحويين سيبويه وغيره وقد تقدم في اول البقرة قال الزجاج
لعل لفظه طمع وترج فخاطبهم بما يعقلون وقيل لعل هاهنا بمعنى الاستفهام
والمعنى فانظر هل يتذكر وقيل هي بمعنى كي وقيل هو اخبار من الله تعالى
عن قول هرون لموسى لعله يتذكر او يخشى قال الحسن ان لعل وعسى في
جميع القران لما قد وقع وقد تذكر فرعون حين ادركه الغرق وخشي فقال
امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرايل وانا من المسلمين ولكن
لم ينفعه ذلك قاله ابو بكر الوراق وغيره وقال يحيى بن معاذ في هذه
الاية هذا رفقك بمن يقول انا الاله فكيف رفقك بمن يقول انت
الاله وقد قيل ان فرعون ركن الى قول موسى لما دعاه وشاور امراته
فامنت واشارت عليه بالايمان فشاور هامان فقال لا تفعل بعد ان
كنت مالكا تصير مملوكا وبعد ان كنت ربا تصير مربوبا وقال له
انا اردك شابا فخضب لحيته بالسواد فهو اول من خضب **قوله تعالى**
قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى قال الضحاك يفرط يعجل
قال ويطغى يعتدي النحاس التقدير نخاف ان يفرط علينا منه امر يبدر
قال الفرا فرط منه امر وقال وافرط اسرف قال وفرط ترك وقراة الجمهور
يفرط بفتح اليا وضم الرا ومعناه يعجل ويبادر بعقوبتنا يقال يفرط من
اسراي جد ومنه الفارط في الما الذي يتقدم القوم الى الما يعذبنا عذاب
الفارط في الذنب وهو المتقدم فيه قاله المبرد وقرات فرقة منهم ابن
محيصن يفرط بفتح اليا والرا ومعناها ان يحمله حامل على التسرع
الينا وقرات طايفة يفرط بضم اليا وكسر الرا وبها قرا ابن عباس ومجاهد
وعكرمة وابن محيصن ايضا ومعناه يشتط في اذيتنا قال الراجز
قد افرط العلج علينا وعجل **قوله تعالى** قال لا تخافا انني معكما
اسمع وارى فيه مسيلتان **الاولى** قال العلما لما لحقهما ما يلحق
البشر من الخوف على انفسهما عرفهما سبحانه ان فرعون لا يصل اليهما ولا
قومه وهذه الاية ترد على من قال انه لا يخاف والخوف من الاعدا
سنة الله في انبيايه واوليايه مع معرفتهم به وثقتهم ولقد احسن
البصري رحمه الله حين قال للمخبر عن عامر بن عبد الله انه نزل مع
اصحابه في طريق الشام على ما فحال الاسد بينهم وبين الما فجا عامر
الى الما فاخذ منه حاجته فقيل له قد خاطرت بنفسك فقال لان
تختلف الاسنة في جوفي احب الي من ان يعلم الله اني اخاف شيا سواه
قد خاف من كان خيرا من عامر موسى صلى الله عليه وسلم حين قال ان الملا

يأمرون

يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين فخرج منها خايفا
يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين وقال فاصبح في المدينة خايفا يترقب
وقال حين القى السحرة حبالهم وعصيهم فاوجس في نفسه خيفة موسى
قلنا لا تخف انك انت الاعلى قلت ومنه حفر النبي صلى الله عليه وسلم الخندق
حول المدينة تحصينا للمسلمين واموالهم مع كونه من التوكل والثقة بربه
بمحل لم يبلغه احد ثم كان من اصحابه ما لا يجهله احد من تحولهم عن منازلهم
مرة الى الحبشة ومرة الى المدينة تخوفا على انفسهم من مشركي مكة وهربا
بدينهم ان يفتنوهم عنه بتعذيبهم وقد قالت اسما بنت عميس لعمر لما قال
لها سبقناكم بالهجرة فنحن احق برسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كذبت
يا عمر كلا والله كنتم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يطعم جايعكم ويعظ
جاهلكم وكنا في دار او ارض البعدا البغضا في الحبشة وذلك في الله وفي
رسوله وايم الله لا اطعم طعاما ولا اشرب شرابا حتى اذكر ما قلت لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ونحن كنا نوذى ونخاف الحديث بطوله خرجه
مسلم قال العلما فالمخبر عن نفسه بخلاف ما طبع الله نفوس بني ادم كاذب
وقد طبعهم على الهرب مما يضرهم ويولمهم ويتلفهم قالوا ولا ضار اضر
من سبع عاد في فلاة من الارض على من لا اله معه يدفعه بها عن نفسه من
سيف او رمح او نبل او قوس وما اشبه ذلك **الثانية** قوله تعالى انني
معكما يريد بالنصر والمعونة والقدرة على فرعون هذا كما يقول الامير لرجل
اذا اردت انا معك وقوله اسمع وارى عبارة عن الادراك الذي لا يخفى
معه شي تبارك الله رب العالمين **قوله تعالى** فاتياه فقولا
انا رسولا ربك في الكلام حذف والمعنى فاتياه فقالا له ذلك فارسل
معنا بني اسرايل اي خل عنهم ولا تعذبهم اي بالسخرة والتعب والنصب في
العمل وكانت بنو اسرايل عند فرعون في عذاب شديد يذبح ابناهم ويستخدم
نساهم ويكلفهم من العمل في اللبن والطين وبنا المداين ما لا يطيقونه قد
جيناك باية من ربك قال ابن عباس يريد العصا واليد وقيل ان فرعون
قال له وما هي فادخل يده في جيب قميصه ثم اخرجها بيضا لها شعاع
مثل شعاع الشمس غلب نورها على نور الشمس فعجب منها ولم يره العصا
الا يوم الزينة والسلام على من اتبع الهدى قال الزجاج اي من اتبع الهدى
سلم من سخط الله جل وعز وعذابه قال وليس بتحية قال والدليل على
ذلك انه ليس بابتدا لقا ولا خطاب الفرا السلام على من اتبع الهدى ولمن
اتبع الهدى سوا انا قد اوحي الينا ان العذاب يعني الهلاك والدمار

الدنيا والخلود في جهنم في الآخرة على من كذب انبياء الله وتولى اعرض
عن الايمان وقال ابن عباس هذه ارجى اية للموحدين لانهم لم يكذبوا ولم
يتولوا **قوله تعالى** قال فمن ربكما يا موسى ذكر فرعون موسى دون
هارون لرؤوس الاي وقيل خصصه بالذكر لانه صاحب الرسالة والكلام
والاية وقيل انهما جميعا بلغا الرسالة وان كان ساكتا لانه في وقت الكلام
انما يتكلم واحد فاذا انقطع وازره الاخر وايده فصار لنا في هذا البيان
فائدة علم ان الاثنين اذا قلدا امرا فقام به احدهما والاخر شخصه هناك
موجود مستغنى عنه في وقت دون وقت انهما اديا الامر الذي قلدا
وقاما به واستوجبا الثواب لان الله تعالى قال اذهبا الى فرعون
وقال اذهب انت واخوك وقال فقولا له فامرهما جميعا بالذهاب
وبالقول ثم اعلمنا في وقت الخطاب بقوله فمن ربكما انه كان حاضرا مع
موسى ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه اي انه يعرف بصفاته وليس له اسم علم
حتى يقال فلان بل هو خالق العالم وهو الذي خص كل مخلوق بهيئة
وصورة ولو كان الخطاب معهما لقالا قالا ربنا وخلقه اول مفعولي اعطى
اي اعطى خليقته كل شيء يحتاجون اليه ويرتفقون به او ثانيهما اي اعطى كل
شيء صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به على قول الضحاك على
ما ياتي ثم هدى قال ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي اعطى كل شيء
زوجه من جنسه ثم هداه الى منكحه ومطعمه ومشربه ومسكنه وعن ابن
عباس ثم هداه الى الالفة والاجتماع والمناكحة قال الحسن وقتادة
اعطى كل شيء صلاحه وهداه لما يصلحه وقال مجاهد اعطى كل شيء صورة
ثم لم يجعل خلق الانسان في خلق البهائم ولا خلق البهائم في خلق الانسان
ولكن خلق كل شيء فقدره تقديرا وقال الشاعر

وله في كل شيء خلقة وكذاك الله ما شاء فعل

يعني بالخلقة الصورة وهو قول عطية ومقاتل وقال الضحاك اعطى كل
شيء خلقه من المنفعة المنوطة به المطابقة له يعني اليد للبطش والرجل
للمشي واللسان للنطق والعين للنظر والاذن للسمع وقيل اعطى كل شيء ما الهمه
من علم او صناعة وقال الفراء خلق الرجل للمراة ولكل ذكر ما يوافقه من
الاناث ثم هدى الذكر للانثى فالتقدير على هذا اعطى كل شيء مثل خلقه
قلت وهذا معنى قول ابن عباس والاية بعمومها تتناول جميع الاقوال
وروى زائدة عن الاعمش انه قرا الذي اعطى كل شيء خلقه بفتح اللام وهي
قراءة ابن ابي اسحاق ورواها نصير عن الكسائي وغيره اي اعطى بني ادم كل

شيء خلقه

شيء خلقه مما يحتاجون اليه فالقراءتان متفقتان في المعنى **قوله تعالى**
قال فما بال القرون الاولى قال علمها عند ربي في كتاب فيه اربع مسائل
الاولى قوله تعالى فما بال القرون الاولى البال الحال اي ما حالها وما شانها فاعلمه
ان علمها عند الله تعالى اي ان هذا من علم الغيب الذي سالت عنه وهو مما
استاثر الله تعالى به لا يعلمه الا هو وما انا الا عبد مثلك لا اعلم منه الا ما
اخبرني به علام الغيوب وعلم احوال القرون مكتوبة عند الله في اللوح
المحفوظ وقيل المعنى فما بال القرون الاولى لم يقروا بذلك اي فما بالهم
ذهبوا وقد عبدوا غير ربك وقيل انما ساله عن اعمال القرون الاولى فاعلمه
انها محصاة عند الله عز وجل ومحفوظة عنده في كتاب اي هي مكتوبة
فسيجازيهم غدا بها وعليها وعنى بالكتاب اللوح المحفوظ وقيل هو كتاب
مع بعض الملائكة **الثانية** هذه الاية ونظائرها مما تقدم وياتي تدل
على تدوين العلوم وكتبها لئلا تنسى فان حفظ الانسان قد يعتريه
الافات من الغلط والنسيان وقد لا يحفظ الانسان ما يسمع فيقيده لئلا
يذهب عنه وروينا بالاسناد المتصل عن قتادة انه قيل له انكتب ما
نسمع منك قال وما يمنعك ان تكتب وقد اخبرك اللطيف الخبير انه يكتب
فقال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قضى الله الخلق كتب في كتابه
على نفسه فهو موضوع عنده ان رحمتي تغلب غضبي واسند الخطيب ابو
بكر عن ابي هريرة قال كان رجل من الانصار يجلس الى النبي صلى الله عليه
وسلم فيسمع منه الحديث فيعجبه ولا يحفظه فشكى ذلك الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني اسمع منك الحديث يعجبني ولا احفظه
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم استعن بيمينك واوما الى الخط وهذا
نص على جواز كتب العلم وتدوينه جمهور الصحابة والتابعين وقد امر
صلى الله عليه وسلم بكتب الخطبة التي خطب بها في الحج شاه رجل من اليمن
لما ساله كتبها اخرجه مسلم وروى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قيدوا العلم بالكتاب وقال معاوية
ابن قرة من لم يكتب العلم لم يعد علمه علما وقد ذهب قوم الى المنع
من الكتب فروى ابو نضرة قال قيل لابي سعيد انكتب حديثكم
هذا قال لم تجعلونه قرانا ولكن احفظوا كما حفظنا وممن كان
لا يكتب الشعبي ويونس بن عبيد وخالد الحذاء قال خالد ما كتبت
شيئا قط الا حديثا واحدا فلما حفظته محوته وابن عون والزهري

وقد كان بعضهم يكتب فاذا حفظ محاه منهم محمد بن سيرين وعاصم بن
ضمرة وقال هشام بن حسان ما كتبت حديثا قط الا حديث
الاعماق فلما حفظته محوته قلت وقد ذكرنا في خالد الحذاء مثل هذا
وحديث الاعماق خرجه مسلم في اخر الكتاب لا تقوم الساعة حتى تنزل
الروم بالاعماق او بدابق الحديث ذكره في كتاب الفتن وكان بعضهم
يحفظ ثم يكتب ما يحفظ منهم الاعمش وعبد الله بن ادريس وهشيم
وغيرهم وهذا احتياط على الحفظ والكتب اولى على الجملة وبه وردت الاي
والاحاديث وهو مروي عن عمر وعلي وجابر وانس ومن يليهم من كبرا
التابعين كالحسن وعطا وطاوس وعروة بن الزبير ومن بعدهم
من اهل العلم قال الله تعالى وكتبنا له في الالواح من كل شي وقال
ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون
وقال واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة الاية وقال وكل شي فعلوه
في الزبر وكل صغير وكبير مستطر وعلمها عند ربي في كتاب الى غير
هذا من الاي وايضا فان العلم لا ينضبط الا بالكتاب ثم بالمقابلة
والمدارسة والتعهد والتحفظ والمذاكرة والسوال والفحص عن الناقلين
بقرب العهد وتقارب الاسناد ولئلا يعتمده الكاتب فيهمله او يرغب
عن تحفظه والعمل به واما والوقت متباعد والاسناد غير متقارب
والطرق مختلفة والنقلة متشابهون وافة النسيان معترضة
والوهم غير مامون فان تقييد العلم بالكتاب اولى واشفى والدليل على
وجوبه اقوى فانه احتج محتج بحديث ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال لا تكتبوا عني غير القران ومن كتب عني غير القران فليمحه
خرجه مسلم فالجواب ان ذلك كان متقدما فهو منسوخ بامره بالكتابة
واباحتها لابي شاه وغيره وايضا كان لئلا يخلط بالقران ما ليس منه
وكذا ما روي عن ابي سعيد ايضا حرصنا ان ياذن لنا النبي صلى الله
عليه وسلم في الكتابة فابى ان كان محفوظا فهو قبل الهجرة وحين كان
لا بد من الاشتغال به عن القران الثالثة قال ابو بكر الخطيب
ينبغي ان يكتب الحديث بالسواد ثم بالحبر خاصة دون المداد لان السواد
اصبغ الالوان والحبر ابقاها على مر الدهور وهو الة ذوي العلم وعدة
اهل المعرفة ذكر عبد الله بن احمد بن حنبل حدثني ابي قال رانى الشافعي
وانا في مجلسه وعلى قميصي حبر وانا اخفيه فقال لم تخفيه وتستره
ان الحبر على الثوب من المروة لان صورته في الابصار سواد وفي البصاير

بياض وقال خالد بن يزيد الحبر في ثوب صاحب الحديث مثل الخلوق
في ثوب العروس واخذ هذا المعنى ابو عبد الله البلوي فقال مداد
المحابر طيب الرجال وطيب النسا من الزعفران فهذا يليق باثواب الحما
وذاك باثواب الرجال وروي ان عبيد الله بن سليمان فيما حكي راى على بعض ثيابه
اثر صفرة فاخذ من مداد الدواة فطلا به ثم قال المداد بنا احسن
من الزعفران وانشد

• انما الزعفران عطر العذارى • ومداد الدوي عطر الرجال •

الرابعة قوله تعالى لا يضل ربي ولا ينسى اختلف في معناه على اقوال
خمسة الاول انها ابتدا كلام تنزيه لله تعالى عن هاتين الصفتين
وقد كان الكلام تم في قوله في كتاب وكذا قال الزجاج وان معنى
لا يضل لا يهلك من قوله ابذا ضللنا في الارض ولا ينسى شيا تنزهه
عن الهلاك والنسيان القول الثاني لا يضل لا يخطئ قاله ابن
عباس اي لا يخطئ في التدبير فمن انظره فلحكمة انظره ومن عاجله
فلحكمة عاجله القول الثالث لا يضل لا يغيب قال ابن الاعرابي
اصل الضلال الغيبوبة يقال ضل الناسي اذا غاب عنه حفظ الشي
قال ومعنى لا يضل ربي ولا ينسى اي لا يغيب عنه شي ولا يغيب عن
الشي القول الرابع قاله الزجاج ايضا قال النحاس وهو اشبهها
بالمعنى اخبر الله عز وجل انه لا يحتاج الى كتاب والمعنى لا يضل عنه
علم شي من الاشيا ولا معرفتها ولا ينسى ما علمه منها قلت وهذا القول
راجع الى معنى قول ابن الاعرابي وقول خامس لا يضل ربي ولا ينسى في
موضع الصفة لكتاب اي الكتاب غير ضال عن الله عز وجل اي غير
ذاهب عنه ولا ينسى اي غير ناس له فهما نعتان لكتاب وعلى هذا
يكون الكلام متصلا ولا يوقف على كتاب تقول العرب ضلني الشي اذا
لم اجده واضللته انا اذا تركته في موضع لم تجده فيه وقرا الحسن
وقتادة وعيسى بن عمر وابن محيصن وعاصم الجحدري وابن كثير فيما
روي شبل عنه لا يضل بضم اليا على معنى لا يضيعه ربي ولا ينساه
قال ابن عرفة الضلالة عند العرب سلوك سبيل غير القصد يقال
ضل عن الطريق واضل الشي اذا اضاعه ومنه قرا من قرا لا يضل ربي
اي لا يضيع هذا مذهب العرب قوله تعالى الذي جعل لكم
الارض مهادا الذي في موضع رفع نعت لذي اي لا يضل ربي الذي
جعل ويجوز ان يكون منصوبا باضمار اعني وقرا الكوفيون مهادا هنا

وفي الزخرف بفتح الميم واسكان الها الباقون مهادا واختاره ابو
عبيد وابو حاتم لاتفاقهم على قراة الم نجعل الارض مهادا النحاس والجمع
اولى لان مهدا مصدر وليس هذا موضع مصدر الا على حذف اي ذات
مهد المهدوي ومن قرا مهدا جاز ان يكون مصدرا كالفرش اي مهد
لكم الارض مهدا وجاز ان يكون على [illegible] من جمع مهد استعمل استعمال الاسما
فكسر ومعنى مهادا اي فراشا وقرارا تستقرون عليها وسلك لكم
فيها سبلا اي طرقا نظيره والله جعل لكم الارض بساطا لتسلكوا منها
سبلا فجاجا وقال الذي جعل لكم الارض مهدا وجعل لكم فيها سبلا
لعلكم تهتدون وانزل من السما ما تقدم معناه وهذا اخر كلام موسى
ثم قال الله تعالى فاخرجنا وقيل كله من كلام موسى والمعنى فاخرجنا به
اي بالحرث والمعالجة لان الما المنزل سبب خروج النبات المختلفة ومعنى
ازواجا ضروبا واشباها اي اصنافا من النبات المختلفة الازواج
والالوان وقال الاخفش التقدير ازواجا شتى من نبات قال وقد يكون نعتا
للنبات وشتى ماخوذ من شت الشي اي تفرق يقال امر شت اي متفرقة
وشت الامر شتا وشتاتا تفرق واشتت مثله وكذلك التشتت وشتته
تشتيتا فرقه واشتت بي قومي اي فرقوا امري والشتيت المتفرق قال
روبة يصف ابلا جات معا واطرقت شتيتا وهي تثير الساطع السختيتا
وثغر شتيت اي مفلج وقوم شتى واشيا شتى وتقول جاوا اشتاتا اي
متفرقين واحدهم شت قاله الجوهري قوله تعالى كلوا وارعوا
انعامكم امر اباحة وارعوا من رعت الماشية الكلا ورعاها صاحبها
رعاية اي اسيموها وسرحوها لازم ومتعد ان في ذلك لايات لاولي النهى
اي العقول الواحدة نهية قال لهم ذلك لانهم الذي ينتهي الى رايهم وقيل لانهم
ينهون النفس عن القبايح وهذا كله من موسى احتجاج على فرعون في
اثبات الصانع جوابا لقوله فمن ربكما يا موسى وبين انه انما يستدل
على الصانع اليوم بافعاله قوله تعالى منها خلقناكم يعني ادم
عليه السلام لانه خلق من الارض قاله ابو اسحاق الزجاج وغيره وقيل
كل نطفة مخلوقة من التراب على هذا يدل ظاهر القران وروى ابو هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود الا وقد ذر عليه من
تراب حفرته اخرجه ابو نعيم الحافظ في باب ابن سيرين وقال هذا
حديث غريب من حديث عون لم نكتبه الا من حديث ابي عاصم النبيل
وهو احد الثقات الاعلام من اهل البصرة وقد مضى هذا المعنى مبينا

في

في سورة الانعام عن ابن مسعود وقال عطا الخراساني اذا وقعت
النطفة في الرحم انطلق الملك الموكل بالرحم فاخذ من تراب المكان
الذي يدفن فيه فيذره على النطفة فيخلق النسمة من النطفة ومن التراب
فذلك قوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة
اخرى وفي حديث البرا عن النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد المومن اذا خرجت
روحه صعدت به الملايكة فلا يمرون بها على ملا من الملايكة الا قالوا
ما هذه الروح الطيبة فيقولون فلان بن فلان باحسن اسمايه الذي
كانوا يسمعونه بها في الدنيا فيستفتحون لها فيفتح فيشيعه من
كل سما مقربوها الى السما التي تليها حتى ينتهي الى السما السابعة فيقول
الله عز وجل اكتبوا العبدي كتابا في عليين واعيدوه الى الارض فاني
منها خلقتهم وفيها اعيدهم ومنها اخرجهم تارة اخرى فيعاد روحه
في جسده وذكر الحديث وقد ذكرناه بكماله في كتاب التذكرة وروي من
حديث علي رضي الله عنه ذكره الثعلبي ومعنى وفيها نعيدكم اي بعد
الموت ومنها نخرجكم اي للبعث والحساب تارة اخرى يرجع هذا الى
قوله منها خلقناكم لا الى نعيدكم وهو كقوله اشتريت ناقة ودارا و
ناقة اخرى قوله تعالى ولقد اريناه اياتنا كلها اي
المعجزات الدالة على نبوة موسى وقيل حجج الله الدالة على توحيده فكذب
وابى اي لم يومن وهذا يدل على انه كفر عنادا لانه راى الايات عيانا
لا خبرا نظيره وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا قوله تعالى
قالوا اجيتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى لما راى الايات التي اتى بها
موسى قال انها سحر والمعنى جيت لتوهم الناس انك جيت باية توجب
اتباعك والايمان بك حتى تغلب علينا وعلى ارضنا فلناتينك بسحر مثله
اي لنعارضنك بمثل ما جيت به ليتبين للناس ان ما اتيت به ليس
من عند الله فاجعل بيننا وبينك موعدا هو مصدر اي وعدا وقيل
الموعد اسم لمكان الوعد كما قال وان جهنم لموعدهم فالموعد ها هنا
مكان وقيل الموعد اسم لزمان الوعد كقوله ان موعدهم الصبح فالمعنى
اجعل لنا يوما معلوما او مكانا معروفا قال القشيري والاظهر انه
مصدر ولهذا قال لا نخلفه اي لا نخلف ذلك الوعد والاخلاف ان يعد شيا ولا
ينجزه وقال الجوهري والميعاد المواعدة والوقت والموضع وكذلك
الموعد وقرا ابو جعفر بن القعقاع وشيبة والاعرج لا نخلفه بالجزم
جوابا لقوله اجعل ومن رفع فهو نعت لموعد والتقدير موعدا غير مخلف

مكانا سوى قرا ابن عامر وحمزة سوى بضم السين الباقون بكسرها وهما لغتان مثل عدا وعدا وطوى وطوى واختار ابو عبيدة وابو حاتم كسر السين لانها اللغة العالية الفصيحة وقال النحاس والكسر اعرف واشهر وكلهم نون الواو وقد روي عن الحسن واختلف عنه ضم السين بغير تنوين ه واختلف في معناه فقيل سوى هذا المكان قاله الكلبي وقيل مكانا مستويا يتبين للناس ما بيننا فيه قاله ابن زيد بن عباس نصفا مجاهد منصفا وعنه ايضا وقتادة عدلا بيننا وبينك وقال النحاس واهل التفسير على انه معنى سوى نصف وعدل وهو قول حسن قال سيبويه يقال سوى وسوى اي عدل يعني عدلا بين المكانين فيه النصفة واصله من قولك جلس في سوا الدار بالمد اي في وسطها ووسط كل شي اعدله وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك جعلناكم امة وسطا اي عدلا وقال زهير

ارونا خطة لا ضيم فيها يسوي بيننا فيها السواء

وقال ابو عبيدة والقتبي وسطا بين الفريقين وانشد ابو عبيدة لموسى بن جابر الحنفي وان ابانا كان حل ببلدة سوى بين قيس قيس عيلان والفزر والفزر سعيد بن زيد مناة بن تميم وقال الاخفش سوى اذا كان بمعنى غير او بمعنى العدل يكون فيه ثلاث لغات ان ضممت السين او كسرت قصرت فيهما جميعا وان فتحت مددت تقول مكانا سوى وسوى وسواء اي عدل ووسط فيما بين الفريقين قال موسى بن جابر وجدنا ابانا كان حل ببلدة البيت وقيل مكانا سوى اي قصدا وانشد صاحب هذا القول

لو تمنت حبيبتي ما عدتني او تمنت ما عدوت سواها

ويقول مررت برجل سواك وسواك اي غيرك وهما في هذا الامر سواء وان شئت سواآن وهم سوا للجميع وهو سواهم سواسية مثل ثمانية على غير قياس وانتصب مكانا على المفعول الثاني لجعل ولا يحسن انتصابه بالموعد على انه مفعول او ظرف له لان الموعد قد وصف والاسما التي تعمل لخروجها عن شبه الفعل ولم يحسن حمله على انه ظرف وقع موقع المفعول الثاني لان الموعد اذا وقع بعده ظرف لم تجره العرب مجرى المصادر مع الظروف لكنهم يتسعون فيه كقوله تعالى ان موعدهم الصبح وموعدهم يوم الزينة واختلف في يوم الزينة فقيل هو يوم عيد كان لهم يتزينون ويجتمعون فيه قاله

قتادة

قتادة والسدي وغيرهما وقال ابن عباس وسعيد بن جبير كان يوم عاشورا وقال سعيد بن المسيب يوم سوق كان لهم يتزينون فيها وقاله قتادة ايضا وقال الضحاك يوم السبت وقيل يوم النيروز ذكره الثعلبي وقال يوم يكسر فيه الخليج وذلك انهم يخرجون فيه يتفرجون ويتنزهون وعند ذلك تامن الديار المصرية من قبل النيل وقرا الحسن والاعمش وعيسى الثقفي والسلمي وهبيرة عن حفص يوم الزينة بالنصب ورويت عن ابي عمرو اي في يوم الزينة انجاز موعدنا الباقون بالرفع على انه خبر الابتدا وان يحشر الناس ضحى اي وجمع الناس فان في موضع رفع على قراة من قرا يوم بالرفع وعطف وان يحشر يقوي قراة الرفع لان ان لا يكون ظرفا وان كان المصدر الصريح يكون ظرفا كمقدم الحاج لان من قال اتيتك مقدم الحاج لم يقل اتيتك ان يقوم الحاج النحاس واولى من هذا ان يكون في موضع خفض عطفا على الزينة والضحى مونثة تصغرها العرب بغير ها لئلا يشبه تصغيرها تصغير ضحوة قاله النحاس وقال الجوهري ضحوة النهار بعد طلوع الشمس ثم بعده الضحى وهي حين تشرق الشمس مقصورة تونث وتذكر فمن انث ذهب الى انها جمع ضحوة ومن ذكر ذهب الى انه اسم على فعل مثل صرد ونغر وهو ظرف غير متمكن مثل سحر تقول لقيته ضحى وضحى اذا اردت به ضحى يومك لم تنونه ثم بعده الضحا ممدود مذكر وهو عند ارتفاع النهار الاعلى وخص الضحى لانه اول النهار فلو امتد الامر فيما بينهم كان في النهار متسع وروي عن ابن مسعود والجحدري وغيرهما وان يحشر الناس او نحوه وعن بعض القرا وان يحشر الناس والمعنى وان يحشر انت يا فرعون الناس وعن الجحدري ايضا وان نحشر بالنون وانما واعدهم ذلك اليوم ليكون علو كلمة الله وظهور دينه وكبت الكافر وزهوق الباطل على روس الاشهاد وفي المجمع الغاصي لتقوى رغبة من رغب في الحق ويكل حد المبطلين واشياعهم ويكثر المحدث بذلك الامر العلم في كل بدو وحضر ويشيع في جمع اهل الوبر والمدر **قوله تعالى** فتولى فرعون فجمع كيده اي حيله وسحره والمراد جمع السحرة قال ابن عباس كانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل ساحر منهم حبال وعصي وقيل كانوا اربع مائة وقيل كانوا اثني عشر الفا وقيل اربعة عشر الفا وقال ابن المبارك كانوا ثمانين الفا وقيل كانوا مجتمعين على رئيس يقال له شمعون وقيل كان اسمه يوحنا معه اثنا عشر نقيبا مع كل نقيب

عشرون عريفا مع كل عريف الف ساحر وقيل كانوا ثلاث مائة الف
ساحر من الفيوم وثلاث مائة الف ساحر من الصعيد وثلاث مائة
الف من الريف فصاروا تسع مائة الف وكان رئيسهم اعمى ثم اتى اي
الميعاد فقال لهم موسى اي قال لفرعون والسحرة ويلكم دعا عليهم بالويل
وهو بمعنى المصدر وقال ابو اسحاق الزجاج هو منصوب بمعنى الزمهم
الله ويلا قال ويجوز ان يكون نداء كقوله يا ويلنا من بعثنا لا تفتروا
على الله كذبا اي لا تختلقوا عليه الكذب ولا تشركوا به ولا تقولوا
للمعجزات انها سحر فيسحتكم بعذاب اي يستاصلكم بالاهلاك يقال
فيه سحت واسحت بمعنى واصله من استقصا الشعر وقرا الكوفيون
فيسحتكم من اسحت الباقون يسحتكم من سحت وهذه لغة اهل الحجاز
وبني تميم وانتصب على جواب النهي وقال الفرزدق

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحتا او مجلف

الزمخشري وهذا بيت لا تزال الركب تصطك في تسوية اعرابه
وقد خاب من افترى اي خسر وهلك وخاب من الرحمة والثواب من
ادعى على الله ما لم ياذن فيه **قوله تعالى** فتنازعوا امرهم
بينهم اي تشاوروا يريد السحرة واسروا النجوى قال قتادة قالوا ان
كان ما جا به سحرا فسنغلبه وان كان من عند الله فسيكون له امر
وهذا الذي اسروه قولهم ان هذان لساحران الايات قاله السدي
ومقاتل وقيل الذي اسروه قولهم ان غلبنا اتبعناه قاله الكلبي
دليله ما ظهر من عاقبة امرهم وقيل كان سرهم ان قالوا حين قال
لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا ما هذا بقول ساحر والنجوى
المناجاة يكون اسما ومصدرا وقد تقدم في النسا بيانه **قوله تعالى**
ان هذان لساحران قرا ابو عمرو ان هذين لساحران ورويت عن
عثمان وعايشة وغيرهما من الصحابة وكذلك قرا الحسن وسعيد بن
جبير وابراهيم النخعي وغيرهم من التابعين ومن القرا عيسى بن عمر
وعاصم الجحدري فيما ذكر النحاس وهذه القراة موافقة للاعراب
مخالفة للمصحف وقرا الزهري والخليل بن احمد والمفضل وابان وابن
محيصن وابن كثير وعاصم في رواية حفص عنه ان هذان بتخفيف
ان لساحران وابن كثير يشدد دون هذان وهذه القراة سلمت
من مخالفة المصحف ومن فساد الاعراب ويكون معناها ما هذان
الا ساحران وقرا المدنيون والكوفيون ان هذان بتشديد ان

ساحران

لساحران فوافقوا المصحف وخالفوا الاعراب قال النحاس فهذه ثلاث
قراات قد رواها الجماعة عن الايمة وروي عن عبد الله بن مسعود انه قرا
ان هذان لساحران وقال الكسائي في قراة عبد الله ان هذان ساحران
بغير لام وقال الفرا في حرف ابي ان ذان الا ساحران فهذه ثلاث قراات
اخرى تحمل على التفسير لا انها جايز ان يقرا بها لمخالفتها المصحف قلت
وللعلما في قراة اهل المدينة والكوفيين ستة اقوال ذكرها ابن الانباري في
اخر كتاب الرد له والنحاس في اعرابه والمهدوي في تفسيره وغيرهم دخل
كلام بعضهم في بعض وقد خطاها قوم حتى قال ابو عمرو اني لاستحي من الله
ان اقرا ان هذان وروي عروة عن عايشة انها سيلت عن قوله تعالى لكن
الراسخون في العلم ثم قال والمقيمين وفي المايدة ان الذين امنوا والذين
هادوا والصابيون وان هذان لساحران فقالت يا ابن اختي هذا خطا
من الكاتب وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه في المصحف لحن وستقيمه
العرب بالسنتهم وقال ابان بن عثمان قرات هذه الاية عند ابي عثمان
ابن عفان فقال لحن وخطا فقال له قايل الا تغيروه فقال دعوه
فانه لا يحرم حلالا ولا يحل حراما **القول الاول** من الاقوال الستة
انها لغة بني الحرث بن كعب وزبيد وخثعم وكنانة بن زيد يجعلون
رفع الاثنين ونصبه وخفضه بالالف يقولون جا الزيدان ورايت الزيدان
ومررت بالزيدان قوله تعالى ولا ادراكم به على ما تقدم وانشد الفرا
لرجل من بني اسد قال وما رايت افصح منه

فاطرق اطراق الشجاع ولو يرى مساغا لناباه الشجاع لصمما

ويقولون كسرت يداه وركبت علاه بمعنى يديه وعليه قال شاعرهم

تزود منا بين اذناه ضربة دعته الى هابي التراب عقيم

وقال اخر

ان اباها وابا اباها قد بلغا في المجد غايتاها

اي ان اباها وغايتيها قال ابو جعفر النحاس وهذا القول من احسن ما حملت
عليه الاية اذ كانت هذه اللغة معروفة وقد حكاها من يرتضى علمه وامانته
منهم ابو زيد الانصاري وهو الذي يقول اذا قال سيبويه حدثني من اثق
به فانما يعنيني وابو الخطاب الاخفش وهو رييس من روسا اللغة هو
والكسايي والفرا كلهم قالوا هذا على لغة بني الحرث بن كعب وحكى ابو عبيدة
عن ابي الخطاب ان هذه لغة بني كنانة المهدوي سيبويه واعلم انك اذا
ثنيت الواحد زدت عليه زايدتين الاولى منهما حرف مد ولين وهو

حرف الاعراب يوجب ان الاصل ان لا يتغير فيكون ان هذان جيا على اصله
ليعلم ان ذلك وقد قال تعالى استحوذ عليهم الشيطان ولم يقل استحاذ
فجا هذا ليدل على الاصل فكذلك ان هذان ولا تفكر في انكار من انكر هذه
اللغة اذ كان الايمة قد رووها **القول الثاني** ان تكون ان بمعنى نعم
كما حكى الكسائي عن عاصم قال العرب تاتي بان بمعنى نعم وحكى سيبويه
ان يان تاتي بمعنى اجل والى هذا القول كان محمد بن يزيد واسماعيل ابن
اسحاق القاضي يذهبان اليه الا مخشري وقد اعجب به ابو اسحق
النحاس وحدثنا علي بن سليمان قال ثنا عبد الله بن احمد حدثني
قال حدثني عمير بن المتوكل قال ثنا محمد بن موسى النوفلي من ولد حارث
ابن عبد المطلب قال حدثنا عمير بن جميع الكوفي عن جعفر بن محمد عن
ابيه عن علي وهو ابن الحسين عن ابيه عن علي بن ابي طالب رضوان الله
عليهم اجمعين قال لا احصي كم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
على منبره ان الحمد لله نحمده ونستعينه ثم يقول انا افصح قريش
كلها وافصحها بعدي ابان بن سعيد بن العاص قال ابو محمد الخفاف
قال عمير اعرابه عند اهل العربية والنحو ان الحمد لله بالنصب الا ان العرب
تجعل ان في معنى نعم الحمد لله وذلك ان خطبا الجاهلية كانت تفتتح في
خطبها بنعم وقال الشاعر في معنى نعم

فالوا غدرت فقلت ان وربما نال العلى وشفى الغليل الغادر

وقال عبد الله بن قيس الرقيات

بكر العواذل في الصباح يلمنني والومهنه
ويقلن شيب قد علاك وقد كبرت فقلت انه

فعلى هذا جايز ان يكون قول الله عز وجل ان هذان لساحران بمعنى نعم
ولا تنصب قال النحاس انشدنا داود بن الهيثم قال انشد لي ثعلب

ليت شعري هل للمحب شفاء من جوى حبهن ان اللقا

قال النحاس وهذا قول حسن الا ان فيه شيئا لانه انما يقال نعم زيد
خارج ولا تكاد تقع اللام ها هنا وان كان النحويون قد تكلموا في
ذلك فقالوا اللام ينوى بها التقديم كما قال خالي

لانت ومن جرير خاله ينل العلا ويكرم الاخوالا
اخر
ام الحليس لعجوز شهربه ترضى من الشاة بعظم الرقبه

اي لخالي ولام الحليس قال الزجاج ان هذان لهما ساحران ثم حذف
المبتدا المهدوي وانكره ابو علي وابو الفتح بن جني قال ابو الفتح هما

المحذوف

المحذوف لم يحذف الا بعد ان عرف واذا كان معروفا فقد استغنى بمعرفته
عن تاكيده باللام ويقبح ان يحذف المؤكد ويترك المؤكد **القول الثالث**
قاله الفرا ايضا قال وجدت الالف دعامة ليست بلام الفعل فزدت
عليها نونا ولم اغيرها كما قلت الذي ثم زدت عليه نونا فقلت جاني
الذين عندك ورايت الذين عندك ومررت بالذين عندك **القول الرابع**
قاله بعض الكوفيين قال الالف في هذا مشبهة بالالف في يفعلان
فلم يغير **القول الخامس** ابو اسحق النحويون القدما يقولون
الها ها هنا مضمرة والمعنى انه هذان لساحران قال بن الانباري فاضمرت
الها التي هي منصوب ان وهذا خبران وساحران يرفعها هما المضمر
انه هذان لهما ساحران ولا ثبت عند اصحاب ذا الجواب ان الها اسم
لان وهذان رفع بالابتدا وما بعده خبر الابتدا **القول السادس** قال
ابو جعفر النحاس وسالت ابا الحسن بن كيسان عن هذه الاية فقال
ان شيت اجبتك بجواب النحويين وان شيت اجبتك بقولي فقلت
بقولك فقال سالني اسماعيل بن اسحاق عنها فقلت القول عندي انه لما
كان يقال هذا في موضع الرفع والنصب والخفض على حال واحدة وكانت
التثنية يجب ان لا يغير لها الواحد اجريت التثنية مجرى الواحد فقال
ما احسن هذا لو تقدمك احد بالقول به حتى يونس به قال بن كيسان
فقلت له فيقول القاضي حتى يونس به فتبسم **قوله تعالى**
يريدان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى هذا حكي
قول فرعون للسحرة اي غرضهما افساد دينكم الذي انتم عليه كما قال
فرعون اني اخاف ان يبدل دينكم وان يظهر في الارض الفساد يقال
فلان حسن الطريقة اي حسن المذهب وقيل طريقة القوم افضل
القوم وهذا الذي ينبغي ان يسلكوا طريقته ويقتدوا به فالمعنى ان
ويذهبا بسادتكم ورؤسايكم استمالة لهم ويذهبا ببني اسرايل
وهم الاماثل وان كانوا خولا لكم لما يرجعون اليه من الانتساب الى الانبيا
او يذهبا باهل طريقتكم فحذف المضاف والمثلى تانيث الامثل كما يقال
الافضل والفضلى وانث الطريقة على اللفظ وان كان يراد بها الرجال
ويجوز ان يكون التانيث على الجماعة وقال الكسائي بطريقتكم سنتكم
وسمتكم والمثلى نعت كقولك امراة كبرى تقول العرب فلان على الطريقة
المثلى يعنون على الهدي المستقيم **قوله تعالى** فاجمعوا كيدكم
الاجماع الاحكام والعزم على الشي يقول اجمعت الخروج وعلى الخروج اي

عزمت وقرات كل الامصار فاجمعوا الا ابا عمرو فانه قرا فاجمعوا
بالوصل وفتحة الميم واحتج بقوله تعالى فجمع كيده ثم اتى قال
النحاس وفيما يحكى لى عن محمد بن يزيد انه قال يجب على ابى
عمرو ان يقرا بخلاف هذه وهى القراة التى عليها اكثر الناس قال
لانه احتج بجمع وقوله جل وعز فجمع كيده قد ثبت فبعيد ان يكون
بعده فاجمعوا ويقرب ان يكون بعده فاجمعوا اى اعزموا وجدوا ولما
تقدم ذلك وجب ان يكون بخلاف معناه يقال امر مجمع ومجمع عليه
قال النحاس وتصحيح قراة ابى عمرو فاجمعوا اى اجمعوا كل كيدكم
لكم وكل حيلة فضموه مع اخيه وقال ابو اسحاق الثعلبى
والقراة بقطع الالف وكسر الميم لها وجهان احدهما بمعنى
الجمع تقول اجمعت الشئ وجمعته بمعنى واحد وفى الصحاح واجمعت
الشئ جعلته جميعا قال ابو ذويب يصف حمرا ·
· فكانها بالجزع بين نبايع · واولات ذى العرجا نهب مجمع ·
اى مجموع والثانى انه بمعنى العزم والاحكام قال الشاعر ·
· ليت شعرى والمنى لا تنفع · هل اغدون يوما وامرى مجمع ·
اى محكم ثم ايتوا صفا قال مقاتل والكلبى جميعا وقيل صفوفا
ليكون اشد لهيبتكم وهو منصوب بوقوع الفعل عليه على قول
ابى عبيدة قال يقال اتيت الصف يعنى المصلى فالمعنى عنده ايتوا
الموضع الذى تجتمعون فيه يوم العيد وحكى عن بعض فصحا العرب
ما قدرت ان اتى الصف اى المصلى وقال الزجاج يجوز ان يكون
المعنى ثم ايتوا والناس مصطفون فيكون على هذا مصدرا فى
موضع الحال ولذلك لم يجمع وقرى ثم ايتوا بكسر الميم وياء من ترك
الهمزة ابدل منها من الهمزة الفا وقد افلح اليوم من استعلى اى من غلب
وهذا كله من قول السحرة بعضهم لبعض وقيل من قول فرعون لهم
قوله تعالى قالوا يا موسى يريد السحرة اما ان تلقى عصاك من يدك
واما ان نكون اول من القى تادبوا مع موسى فكان ذلك سبب
ايمانهم قال بل القوا فاذا حبالهم فى الكلام حذف اى فالقوا دل عليه المعنى
وقرا الحسن وعصيهم بضم العين قال هرون القارى لغة بنى تميم وعصيهم
وبها ياخذ الحسن الباقون بالكسر اتباعا لكسرة الصاد ونحوه دلى ودلى
وقسى وقسى يخيل اليه من سحرهم انها تسعى وقرا ابن عباس وابو حيوة
الثوى وابن ذكوان وروح عن يعقوب تخيل ∴ الى العصى

والحبال

والحبال اذ هى مونثة وذلك انهم لطخوا العصى بالزيبق فلما اصابها
حر الشمس ارتعشت واهتزت قال الكلبى خيل الى موسى ان الارض حيات
وانها تسعى على بطنها وقرى تخيل بمعنى تتخيل وطريقه طريقة تخيل
ومن قرا يخيل بالياء رده الى الكيد وقرى نخيل بالنون على ان الله
هو المخيل للمحنة والابتلا وقيل الفاعل انها تسعى فان فى موضع رفع
اى يخيل اليه سعيها قاله الزجاج وزعم الفرا ان موضعها موضع نصب
اى بانها ثم حذف البا والمعنى فى الوجه الاول شبه اليه من سحرهم وكيدهم
حتى ظن انها تسعى وقال الزجاج ومن قرا بالتا جعل ان فى موضع
نصب اى تخيل اليه ذات سعى قال ويجوز ان تكون فى موضع رفع
بدلا من الضمير فى تخيل وهو عايد على الحبال والعصى والبدل فيه
بدل الاشتمال وتسعى معناه تمشى قوله تعالى فاوجس فى نفسه خيفة
موسى اى اضمر وقيل وجد وقيل احس اى من الحيات وذلك على
ما يعرض من طباع البشر على ما تقدم وقيل خاف ان يفتتن الناس
قبل ان يلقى عصاه وقيل خاف حين ابطا عليه الوحى بالقا العصا ان
يفترق الناس قبل ذلك فيفتتنوا وقال بعض اهل الحقايق انما كان
السبب ان موسى عليه السلام لما التقى بالسحرة وقال لهم ويلكم
لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب التفت فاذا جبريل عليه
السلام على يمينه فقال له يا موسى ترفق باوليا الله فقال موسى يا جبريل
هولا سحرة جاوا بسحر عظيم ليبطلوا المعجزة وينصروا دين فرعون
ويردوا دين الله تقول ترفق باوليا الله فقال جبريل هم من الساعة
الى صلاة العصر عندك وبعد صلاة العصر فى الجنة فلما قال له
ذلك اوجس فى نفسه موسى وخطر ان ما يدرينى ما علم الله فى
خلعى فلعلى اكون الان فى حالة وعلم الله فى على خلافها كما كان هولا فلما
علم الله ما فى قلبه اوحى اليه لا تخف انك انت الاعلى اى الغالب لهم
فى الدنيا وفى الدرجات العالى فى الجنة للنبوة والاصطفا الذى اتاك
الله به واصل خيفة خوفة فانقلبت الواو يا لانكسار الخا قوله تعالى
والق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا ولم يقل والق عصاك فجايز ان يكون
تصغيرا لها اى لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويد الفرد الصغير
الجرم الذى فى يمينك فانه بقدرة الله يتلقفها على وحدته وكثرتها
وصغره وعظمها وجايز ان يكون تعظيما لها اى لا تحتفل بهذه الاجرام
الكثيرة فان فى يمينك شيا اعظم منها كلها وهذه على كثرتها اقل شئ

وانزره عندها فالقه ولقها باذن الله ويحتها وتلقف بالجزم جواب
الامر كانه قال ان تلقه تلقف اى تاخذ وتبتلع وقرا السلمى وحفص
قال الك تلقه تلقف اى تاساكنة اللام من لقف يلقف لقفا وقرا
ابن ذكوان وابو حيوة الشامى ويحيى بن الحرث تلقف بحذف التاو برفع
الفاء على معنى فانها تتلقف والخطاب لموسى وقيل للعصا واللقف
الاخذ بسرعة يقال لقفت الشى بالكسر القفه لقفا وتلقفته ايضا
اى تناولته بسرعة عن يعقوب يقال رجل لقف ثقف اى خفيف
حاذق واللقف بالتحريك سقوط الحايط ولقد لقف الحوض لقفا اى
تهور من اسفله وانسع وتلقف وتلقم وتلهم بمعنى وقد مضى فى الاعراف لقمت
اللقمة بالكسر لقما وتلقمتها اذا ابتلعتها فى مهلة وكذلك لهمه بالكسر اذا
ابتلعه ما صنعوا اى الذى صنعوه وكذلك لهمه بالكسر انما صنعوا اى ان
الذين صنعوه كيد بالرفع سحر بكسر السين واسكان الحا وهى قراة
الكوفيين الا عاصما وفيه وجهان احدهما ان يكون الكيد مضافا الى السحر
على الاتباع من غير تقدير حذف الثانى ان يكون فى الكلام حذف اى كيد
ذى سحر وقرا الباقون كيد بالنصب بوقوع الصنع عليه وما كافة ولا
تضمرها ساحر بالاضافة والكيد فى الحقيقة على هذه القراة مضاف
للساحر لا للسحر ويجوز فتح ان على معنى لان ما صنعوه كيد سحر ولا
يفلح الساحر حيث اتى اى لا يفوز ولا ينجو حيث اتى من الارض وقيل حيث
احتال وقد مضى فى البقرة حكم الساحر ومعنى السحر فتامله هناك **قوله تعالى**
فالقى السحرة سجدا المارأوا من عظيم الامر وخرق العادة فى العصا فانها
ابتلعت جميع ما احتالوا به من الحبال والعصى وكانت حمل ثلاثماية بعير
ثم عادت عصا لا يعلم احد اين ذهبت الحبال والعصى الا الله عز وجل
وقد مضى فى الاعراف هذا المعنى وامر العصا مستوفاة قالوا امنا برب
هرون وموسى قال امنتم له اى به يقال امن له وامن به ومنه فامن له
لوط وفى الاعراف امنتم به قبل ان اذن لكم انكار منه عليهم اى تعديتم وفعلتم
ما لم امركم به انه لكبيركم الذى علمكم السحر اى رئيسكم فى التعليم وانما غلبكم لانه
احذق به منكم وانما اراد فرعون بقوله هذا ليشبه على الناس حتى لا يتبعوهم
فيومنوا كايمانهم والا فقد علم فرعون انهم لم يتعلموا من موسى بل قد علموا السحر
قبل قدوم موسى وولادته فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم فى
جذوع النخل اى على جذوع النخل قال سويد بن ابى كاهل هم صلبوا العبدى
فى جذع نخلة فلا عطست شيبان الا باجدعا فقطع وصلب حتى ماتوا رحمهم

الله وقرا ابن محيصن وفى الاعراف فلاقطعن ولاصلبنكم بفتح الالف
والتخفيف من قطع وصلب ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى يعنى انا ام رب
موسى **قوله تعالى** قالوا لن نوثرك لن نوثرك اى لن نختارك على ما
جانا من البينات قال ابن عباس يريد من اليقين والعلم وقال عكرمة
وغيره لما سجدوا اراهم الله فى سجودهم منازلهم فى الجنة فلهذا قالوا لن
نوثرك وكانت امراة فرعون تسال عن من غلب فقيل لها غلب موسى
وهرون فقالت امنت برب موسى وهرون فارسل لها فرعون فقال
انظروا اعظم صخرة فان مضت على قولها فالقوها عليها فلما اتوها رفعت
بصرها الى السما فابصرت منزلها فى الجنة فمضت على قولها فانتزع
روحها والقيت الصخرة على جسدها وليس فيها روح وقيل قال
مقدم السحرة لمن يثق به لما راى من عصى موسى ما راى انظر الى هذه
الحية هل تخوفت فتكون جنيا او لم تتخوف فهى من صنعة الصانع
الذى لا يعزب عليه مصنوع فقال ما تخوفت فقال امنت برب هرون
وموسى والذى فطرنا قيل هو معطوف على ما جانا من البينات
اى لن نوثرك على ما جانا من البينات ولا على الذى فطرنا اى خلقنا
وقيل هو قسم اى والله لن نوثرك فاقض ما انت قاض التقدير
ما انت قاضيه وليست ما هاهنا التى تكون مع الفعل بمنزلة المصدر
لان تلك توصل بالافعال وهذه موصولة بابتدا وخبر قال ابن عباس
فاصنع ما انت صانع وقيل فاحكم ما انت حاكم اى من القطع والصلب
وحذفت اليا من قاض فى الوصل لسكونها وسكون التنوين واجاز
سيبويه اثباتها فى الوقف لانه زال علة التقا الساكنين انما تقضى هذه
الحيوة الدنيا اى انما ينفذ امرك فيها وهذه منصوبة على الظرف والمعنى
انما تقضى فى متاع هذه الحياة الدنيا وقت هذه الحياة الدنيا
فتقدر حذف المفعول ويجوز ان يكون التقدير انما تقضى امور هذه
الحياة الدنيا فتنتصب انتصاب المفعول وما كافة لان واجاز الفرا الرفع
على ان تجعل ما بمعنى الذى وتحذف الها من تقضى ورفعت هذه الحياة
الدنيا انا امنا بربنا اى صدقنا بالله وحده لا شريك له وما جانا به موسى
ليغفر لنا خطايانا يريد الشرك الذى كانوا عليه وما اكرهتنا عليه
من السحر ما فى موضع نصب معطوفة على الخطايا وقيل لا موضع لها
وهى نافية اى ليغفر لنا خطايانا من السحر وما اكرهتنا عليه النحاس
والاول اولى والمعنى وهى رغبة بعد لقولهم ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين

وليس هذا القول مكرهين ولكن الاكراه ليس بذنب وان كان يجوز ان
يكونوا اكرهوا على تعليمه صغارا قال الحسن كانوا يعلمون السحر اطفالا
ثم عملوه مختارين بعد ويجوز ان تكون ما في موضع رفع بالابتدا ويضمر
الخبر والتقدير وما اكرهتنا عليه من السحر موضوع عنا ومن السحر على
هذا القوله والقول الاول يتعلق باكرهتنا وعلى ان من نافية تتعلق
بخطايانا والله خير وابقى اى ثوابه خير وابقى حذف المضاف قاله ابن
عباس وقيل الله خير لنا منك وابقى عذابا لنا من عذابك وهو جواب
قوله ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى وقيل الله خير لنا ان اطعناه
وابقى عذابا منك ان عصيناه قوله تعالى انه من يات ربه مجرما قيل
هو من قول السحرة لما امنوا وقيل ابتدا كلام من الله عز وجل والكناية
في انه ترجع الى الامر والشان ويجوز ان من تاب ومنه قول الشاعر

ان من يدخل الكنيسة يوما • يلق فيها جاذرا وظبا •

اراد انه من يدخل اى ان الامر هذا او هو ان المجرم يدخل النار والمومن يدخل
الجنة والمجرم الكافر وقيل الذى يقترف المعاصى ويكتسبها والاول اشبه
لقوله فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى وهذه صفة الكافر المكذب الجاحد
على ما تقدم بيانه في النسا وغيرها فلا ينتفع بحياته ولا يستريح بموته قال
الشاعر الا من لنفس لا تموت فينقضى • شقاها ولا تحيى حياة لها طعم •
وقيل نفس الكافر معلقة في حنجرته كما اخبر الله تعالى عنه فلا يموت بفراقها
ولا يحيى باستقرارها ومعنى من يات ربه مجرما من يات موعد ربه ومعنى
ومن ياته مومنا اى يمت عليه ويوافيه مصدقا به قد عمل الصالحات اى
الطاعات وما امر به ونهى عنه فاولئك لهم الدرجات العلى اى الرفيعة
التى قصرت دونها الصفات ودل قوله ومن ياته مومنا على ان المراد
بالمجرم المشرك قوله تعالى جنات عدن بيان للدرجات وبدل منها
والعدن الاقامة وقد تقدم بيانه تجرى من تحتها اى من تحت غرفها
وسررها الانهار من الخمر والعسل واللبن والما وقد تقدم خالدين فيها
اى ماكثين دائمين وذلك جزاء من تزكى اى من تطهر من الكفر والمعاصى ومن
قال هذا من قول السحرة قال لعل السحرة سمعوا من موسى او من بنى اسرايل
اذا كان فيهم بمصر اقوام وكان فيهم ايضا المومن من ال فرعون قلت
ويحتمل ان يكون ذلك الهاما من الله لهم انطقهم بذلك لما امنوا والله اعلم
قوله تعالى ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادى تقدم الكلام في هذا مستوفى
فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا اى يابسا لا طين فيه ولا ما وقد مضى في البقرة ضرب

موسى البحر وكنيته اياه واغراق فرعون فلا معنى للاعادة لا تخاف دركا
اى لحاقا من فرعون وجنوده ولا تخشى قال ابن جريج قال اصحاب موسى له
هذا فرعون قد ادركنا وهذا البحر قد غشينا فانزل الله لا تخاف دركا
ولا تخشى اى لا تخاف دركا من فرعون ولا تخشى غرقا من البحران غشيك وقرا
حمزة ولا تخف على انه جواب الامر التقدير ان تضرب لا تخف ولا انت لا تخشى ويكون مجزوما
والالف مشتقة من فتحة كقوله فاضلونا السبيلا او يكون على حد قول الشاعر
كان لم ترقبلى اسيرا يمانيا • على تقدير حذف الحركة كما تحذف حركة الصحيح وهذا
مذهب الفرا وقال اخر • هجوت زبان ثم جيت معتذرا • من سب زبان لم تهجو ولم تدع
وقال اخر • الم ياتيك والانبا تنمى • بما لاقت لبون بنى زياد •
قال النحاس وهذا من اقبح الغلط ان يحمل كتاب الله جل وعز على الشذوذ
من الشعر وايضا فان الذى جاء به من الشعر لا يشتبه من الاية شيا لان اليا
والواو مخالفتان للالف لانهما يتحركان والالف لا تتحرك فللشاعر اذا اضطر
ان يقدرهما متحركتين ثم يحذف الحركة للجزم وهذا محال في الالف
والقراة الاولى ابين لان بعده ولا تخشى مجمع عليه بلا جزم وفيها
ثلاث تقديرات الاول ان تكون لا تخاف في موضع الحال من المخاطب
التقدير فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا غير خايف ولا خاش الثانى
ان تكون في موضع النعت للطريق لانه معطوف على يبس
الذى هو صفة ويكون التقدير لا تخاف فيه فحذف الراجع
من الصفة والثالث ان يكون منقطعا خبر ابتدا محذوف
تقديره وانت لا تخاف قوله تعالى فاتبعهم فرعون
بجنوده اى اتبعهم فرعون ومعه جنوده وقوله فاتبعهم
بالتشديد فتكون اليا في بجنوده عدت الفعل الى المفعول
الثانى لان اتبع يتعدى الى مفعول واحد اى تبعهم ليلحقهم
بجنوده اى مع جنوده كما يقال ركب الامير بسيفه اى مع
سيفه ومن قطع فاتبع يتعدى الى مفعولين فيجوز ان
ان تكون البا زايدة ويجوز ان يكون اقتصر على مفعول
واحد يقال تبعه واتبعه ولحقه والحقه بمعنى واحد
وقوله بجنوده في موضع الحال كانه قال فاتبعهم سايقا
جنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم اى اصابهم من
البحر ما غرقهم وكرر على معنى التعظيم والمعرفة بالامر
واضل فرعون قومه وما هدى اى اضلهم عن الرشد

وَمَا هَدَاهُمْ الى خير وَلا نجاة لانه قدر ان موسى عليه السلام
ومن تبعه لا يفوتونه لانه بين ايديهم البحر فلما ضرب موسى
البحر بعصاه انفلق منه اثنى عشر طريقا وبين الطرق الما
قايما كالجبال وفى سورة الشعرا فكان كل فرق كالطود
العظيم اى الجبل الكبير فاخذ كل سبط طريقا واوحى الله
الى اطواد الماء ان تشبكى فصارت شبكات يرى بعضهم بعضا
ويسمع بعضهم كلام بعض فكان هذا من اعظم المعجزات
واكبر الايات فلما اقبل فرعون وراى الطرق فى البحر والماء
قايما اوهمهم ان البحر فعل هذا لهيبته فدخل هو واصحابه
فانطبق البحر عليهم وقيل ان قوله وما هدى تاكيد لاضلاله
اياهم وقيل هو جواب قول فرعون ما اريكم الا ما ارى وما
اهديكم الا سبيل الرشاد فكذبه الله وقال ابن عباس وما هدى
اى ما هدى نفسه بل اهلك نفسه وقومه **قوله تعالى**
يابنى اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم لما انجاهم من فرعون
قال لهم هذا ليشكروا ووعدناكم جانب الطور الايمن جانب نصب
على المفعول الثانى لواعدنا ولا يحسن ان ينتصب على الظرف
لانه ظرف مكان محض مبهم وانما تتعدى الافعال والمصادر الى
ظروف المكان بغير حرف جر اذا كانت مبهمة قال مكى هذا اصل
لا خلاف فيه وتقدير الاية وواعدناكم اتيان جانب الطور ثم
حذف قال النحاس اى امرنا موسى ان يامركم بالخروج معه ليكلمه
بحضرتكم فتسمعوا الكلام وقيل وعد موسى بعد اغراق فرعون
ان ياتى جانب الطور الايمن فيوتيه التوراة فالوعد كان لموسى ولكن
خوطبوا به لان الوعد كان لاجلهم وقرا ابو عمرو وعدناكم بغير الف
واختاره ابو عبيد لان الوعد انما هو من الله تعالى لموسى خاصة
والمواعدة لا تكون الا من اثنين وقد مضى فى البقرة هذا المعنى والايمن
نصب لانه نعت للجانب وليس للجبل يمين ولا شمال فاذا قيل خذ عن
يمين الجبل فمعناه خذ على يمينك من الجبل وكان الجبل على يمين
موسى اذ اتاه ونزلنا عليكم المن والسلوى اى فى التيه وقد تقدم
القول فيه كلوا من طيبات ما رزقناكم اى من لذيذ الرزق وقيل من
حلاله اذ لا صنع فيه ولا ∴ فتدخله شبهة ولا تطغوا فيه اى لا
تحملنكم السعة والعافية ان تعصوا لان الطغيان التجاوز الى ما لا

غير صحو

يجوز وقيل المعنى اى لا تكفروا النعمة ولا تنسوا شكر المنعم بها
عليكم وقيل اى ولا تستبدلوا بها شيئا اخر كما قال اتستبدلون
الذى هو ادنى بالذى هو خير وقيل ولا تدخروا منه لاكثر من يوم
وليلة قال ابن عباس فتدود عليهم ما ادخروه ولولا ذلك ما تدود
طعام ابدا فيحل عليكم غضبى اى يجب وينزل وهو منصوب بالفا
فى جواب النهى من قوله ولا تطغوا ومن يحلل عليه غضبى فقد
هوى قرا الاعمش ويحيى بن وثاب والكسائى فيحل بضم الحاء
ومن يحلل بضم اللام الاولى الباقون بالكسر وهما لغتان
وحكى ابو عبيدة وغيره انه يقال حل يحل اذا وجب
وحل يحل اذا نزل وكذا قال الفرا الضم من الحلول
بمعنى الوقوع والكسر من الوجوب والمعنيان متقاربان
الا ان الكسر اولى لانهم قد اجمعوا على قوله ويحل
عليه عذاب مقيم وغضب الله عقابه ونقمته وعذابه
فقد هوى قال الزجاج فقد هلك اى صار الى الهاوية
وهى قعر النار من هوى يهوى هويا اى سقط من علو
الى اسفل وهوى فلان اى مات وذكر ابن المبارك نا
اسمعيل بن عياش نا ثعلبة بن مسلم عن ايوب بن بشير
عن شفى الاصبحى قال ان فى جهنم جبلا يدعى صعودا
يطلع فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يرقاه قال الله
تعالى سارهقه صعودا وان فى جهنم قصرا يقال له هوى
يرمى الكافر من اعلاه فيهوى اربعين خريفا قبل ان يبلغ
اصله قال الله تعالى ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى
وذكر الحديث وقد ذكرناه فى كتاب التذكرة **قوله تعالى**
وانى لغفار لمن تاب اى من الشرك وامن وعمل صالحا ثم اهتدى
اى اقام على ايمانه حتى مات عليه قاله سفيان الثورى وقتادة
وغيرهما وقال ابن عباس اى لم يشك فى ايمانه ذكره الماوردى
والمهدوى وقال سهل بن عبد الله التسترى وابن عباس ايضا اقام
على السنة والجماعة ذكره الثعلبى وقال انس اخذ بسنة النبى صلى
الله عليه وسلم ذكره المهدوى وحكاه الماوردى عن الربيع بن انس
وقول خامس اصاب العمل قاله ابن زيد وعنه ايضا تعلم العلم
ليهتدى كيف يفعل ذكر الاول المهدوى والثالث الثعلبى وقال الشعبى

ومقاتل والكلبي علم ان لذلك ثوابا وعليه عقابا وقال الفرا
وقول ثامن ثم اهتدى في ولاية اهل بيت النبي صلى الله عليه
وسلم قال ثابت البناني والقول الاول احسن هذه الاقاويل
ان شاء الله واليه مرجع سايرها قال وكيع عن سفيان كنا
نسمع في قوله عز وجل واني لغفار لمن تاب اي من الشرك وامن
اي بعد الشرك وعمل صالحا صلى وصام ثم اهتدى مات
على ذلك **قوله تعالى** وما اعجلك عن قومك يا موسى
اي ما حملك على ان سبقتهم قبلهم عني بالقوم جميع بني
اسرائيل فعلى هذا قيل استخلف هارون على بني
اسرائيل وخرج معه سبعين رجلا للميقات فقوله هم اولاء
على اثري ليس يريد انهم يسيرون خلفه متوجهين
اليه بل اراد انهم بالقرب مني ينتظرون عودي اليهم
وقيل لا بل كان امر هارون بان يتبع في بني اسرائيل اثره
ويلحقونه به وقال قوم اراد بالقوم السبعين الذين
اختارهم وكان موسى لما قرب من الطور سبقهم شوقا
الى سماع كلام الله وقيل لما وفد الى الطور سينا بالوعد
اشتاق الى ربه وطالت عليه المسافة من شدة الشوق الى
الله تعالى فضاق به الامر حتى شق قميصه ثم لم يصبر
حتى خلفهم ومضى وحده فلما وقف في مقامه قال الله
تبارك وتعالى وما اعجلك عن قومك يا موسى فبقي صلى
الله عليه وسلم متحيرا عن الجواب لهذه الكلمة لما استقبله
من صدق الشوق فاعرض عن الجواب وكنى عنه بقوله
هم اولاء على اثري وانما سأله عن السبب الذي اعجله بقوله
ما فاخبر عن مجيئهم بالاثر ثم قال وعجلت اليك رب لترضى فكنى عن
ذكر الشوق وصرفه الى ابتغاء الرضى ذكر عبد الرزاق عن معمر عن قتادة
في قوله وعجلت اليك رب لترضى قال شوقا وكانت عايشة رضي الله عنها
تقول اذا اوت الى فراشها تقول هاتوا المجيد فتؤتى بالمصحف فتاخذها في
صدرها وتنام معه تتسلى بذلك رواه سفيان عن مسعر عن عايشة وكان
عليه السلام اذا امطرت السماء خلع ثيابه وتجرد حتى يصيبه المطر ويقول انه
حديث عهد بربه فهذا من الرسول صلى الله عليه وسلم ومن بعده من قبيل
الشوق وكذلك قال تبارك وتعالى اسمه فيما يروى طال شوق الابرار الى لقائي

وانا

وانا الى لقائهم اشوق وقال ابن عباس كان الله عالما
بهذا القول وتسكينا للقلب ورقة عليه فقال مجيبا لربه
هم اولاء على اثري قال ابو حاتم قال عيسى بنو تميم
يقولون هم اولا مقصورة مرسلا واهل الحجاز يقولون
اولاء ممدودة وحكى الفراء هم اولاي على اثري وزعم
ابو اسحاق الزجاج ان هذا لا وجه له قال النحاس وهو
كما قال لان هذا ليس مما يضاف فيكون مثل هداي
ولا يخلو من احدى جهتين اما ان يكون اسما مبهما فاضافته
محال واما ان يكون بمعنى الذين فلا يضاف ايضا لان
ما بعده من تمامه وهو معرفة وقرا ابن ابي اسحق ونصر
ورويس عن يعقوب على اثري بكسر الهمزة واسكان الثاء
وهو بمعنى اثر لغتان وعجلت اليك رب لترضى عني يقال رجل
عجل وعجل وعجول وعجلان بين العجلة والعجلة خلاف البطء
قوله تعالى فانا قد فتنا قومك من بعدك اي اختبرناهم
وامتحناهم بان يستدلوا على الله عز وجل واضلهم
السامري اي دعاهم الى الضلالة اذ هو سببها
وقيل فتناهم القيناهم في الفتنة اي زينا لهم
عبادة العجل ولهذا قال موسى ان هي الا فتنتك
قال ابن عباس كان السامري من قوم يعبدون البقر
فوقع بارض مصر فدخل في دين بني اسرائيل بظاهره
وفي قلبه ما فيه من عبادة البقر وقيل كان رجلا
من القبط وكان جارا لموسى امن به وخرج معه وقيل
كان عظيما من عظماء بني اسرائيل من قبيلة تعرف
بالسامرة وهم معروفون بالشام قال سعيد بن
جبير كان من اهل كرمان **قوله تعالى** فرجع موسى
الى قومه غضبان اسفا حال وقد مضى في الاعراف
بيانه مستوفى قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا
حسنا وعدهم جل وعز الجنة اذا اقاموا على طاعته
ووعدهم انه يسمعهم كلامه في التوراة على لسان
موسى ليعملوا بما فيها فيستحقوا ثواب عملهم وقيل
وعدهم النصر والظفر وقيل وعده قوله واني لغفار

لمن تاب وآمن الآية افطال عليكم العهد اى افنسيتم كما
قيل والشئ قد ينسى لطول العهد ام اردتم ان يحل
عليكم غضب من ربكم يحل اى يجب وينزل والغضب العقوبة
والنقمة والمعنى ام اردتم ان تفعلوا فعلا يكون سبب حلول
غضب الله بكم لان احدا لا يطلب غضب الرب بل يرتكب
ما يكون سببا للغضب فاخلفتم موعدى لانهم وعدوه ان
يقيموا على طاعة الله عز وجل الى ان يرجع اليهم من الطور
وقيل وعدهم على اثره الميقات فوقفوا قالوا ما اخلفنا
موعدك بملكنا بفتح الميم وهى قراءة نافع وعاصم وعيسى
ابن عمر قال مجاهد والسدى ومعناه بطاقتنا ابن زيد
لم نملك بكسر الميم واختاره ابو عبيد وابو حاتم لانها
اللغة العالية وهو مصدر ملكت الشئ املكه ملكا ن
والمصدر مضاف الى الفاعل والمفعول محذوف كانه
قال بملكنا الصواب بل اخطانا فهو اعتراف منهم بالخطا
وقرا حمزة والكسائى بملكنا بضم الميم والمعنى بسلطاننا
اى لم يكن لنا ملك فنخلف موعدك ثم قيل قوله تعالى
عام يراد به الخاص اى قال الذين ثبتوا على طاعة الله
الى ان يرجع اليهم من الطور ما اخلفنا موعدك بملكنا
وكانوا اثنى عشر الفا وكان جميع بنى اسرائيل ستمائة الف
ولكنا حملنا بضم الحاء وتشديد الميم مكسورة قراءة نافع
وابن كثير وابن عامر وحفص ورويس الباقون بفتح الحرفين
خفيفة واختاره ابو عبيد وابو حاتم لانهم حملوا حلى القوم
معهم وما حملوه كرها اوزارا اثقالا من زينة القوم اى من
حليهم وكانوا استعاروه حين ارادوا الخروج مع موسى عليه
السلام واوهموا انهم يجتمعون فى عيد لهم او وليمة وقيل
هو ما اخذوه من آل فرعون لما قذفهم البحر الى الساحل
وسميت اوزارا بسبب انها كانت آثاما اى لم يحل لهم اخذها
ولم تحل لهم الغنايم وايضا فالاوزار هى الاثقال فى اللغة
فقذفها فقذفناها اى ثقل علينا حمل ما كان معنا من الحلى
فقذفناها فى النار لتذوب اى طرحناه فيها وقيل طرحناه
الى السامرى ليرجع فترك فيها رايه قال قتادة ان

السامرى

السامرى قال لهم حين استبطا القوم موسى انما احتبس
عليكم من اجل ما عندكم من الحلى فجمعوه ودفعوه الى
السامرى فرمى فى النار وصاغ لهم منه عجلا ثم القى عليه
قبضة من اثر فرس الرسول وهو جبريل عليه السلام
وقال معمر الفرس الذى كان عليه جبريل هو الحياة
فلما القى القبضة عليه صار عجلا جسدا له خوار والخوار
صوت البقر وقال ابن عباس لما انسبكت الحلى فى النار
جاء السامرى وقال لهرون يا نبى الله القى ما فى يدى
وهو يظن انه كبعض ما جاء به غيره من الحلى فقذف
التراب فيه وقال كن عجلا جسدا له خوار فكان كما قال
للبلاء والفتنة فخار خورة واحدة لم يتبعها مثلها وقيل
كان خواره وصوته كان بالريح لانه كان عمل فيه خروقا
فاذا دخلت الريح فى جوفه خار ولم يكن فيه حياة وهذا
قول مجاهد وعلى القول الاول كان عجلا من لحم ودم
وهو قول الحسن وقتادة والسدى وروى حماد عن سماك
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال مر هرون
بالسامرى وهو يصنع العجل فقال ما هذا فقال ينفع
ولا يضر فقال اللهم اعطه ما سالك على ما فى نفسه
فقال اللهم انى اسئلك ان يخور فكان اذا خار سجدوا
فكان الخوار من اجل دعوة هرون قال ابن عباس خار
كما يخور الحى من العجول وروى ان موسى قال يا رب
هذا السامرى اخرج لهم عجلا جسدا له خوار من حليهم
فمن جعل الجسد والخوار قال الله تعالى انا قال موسى
صلى الله عليه وسلم وعزتك وجلالك وارتفاعك
وعلوك وسلطانك ما اضلهم غيرك قال صدقت
يا حكيم الحكما وقد تقدم هذه الكلمة فى الاعراف فقالوا هذا
الهكم واله موسى اى قال السامرى ومن تابعه وكانوا
ميالين الى التشبيه اذ قالوا اجعل لنا الها كما لهم الهة
هذا الهكم واله موسى فنسى اى فضل موسى يطلب هذا فلم
يعلم مكانه واخطا الطريق الى ربه وقيل معناه فتركه موسى هنا
وخرج يطلبه اى ترك موسى الهه هنا وروى اسرائيل عن سماك عن عكرمة

عن ابن عباس قال اى فنسى موسى ان يذكر لكم انه
الهه وقيل الخطاب خبرا عن السامرى اى ترك السامرى
ما امره به موسى من الايمان وضل قاله ابن الاعرابى فقال
الله تعالى محتجا عليهم افلا يرون اى يعتبرون ويتفكرون
فى انه لا يرجع اليهم قولا اى لا يكلمهم وقيل لا يعود الى
الخوار والصوت ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا فكيف يكون
الها والذى يعبده موسى صلى الله عليه وسلم يضر وينفع
ويثيب ذلك ويعطى ويمنع وان لا يرجع تقديره انه لا يرجع
فلذلك ارتفع الفعل فخففت ان وحذف الضمير وهو
الاختيار فى الرؤية والعلم والظن قال

فى فتية من سرف الهند قد علموا ان هالك كل من يحفى وينتعل
وقد يجوز مع التشديد بدقال

قد كنت صبيا عرفت قرابتى ولكن زجيا عظيم المصائر
وكنك

ولقد قال لهم هرون من قبل
اى من قبل ان ياتى موسى ويرجع اليهم يا قوم انما فتنتم به
اى ابتليتم واضللتم به اى بالعجل وان ربكم الرحمن لا العجل
فاتبعونى فى عبادته واطيعوا امرى لا امر السامرى او فاتبعونى
فى مسيرى الى موسى ودعوا العجل فعصوه وقالوا لن نبرح
عليه عاكفين اى لن نزال مقيمين على عبادة العجل حتى يرجع
الينا موسى فينظر هل يعبده كما عبدناه فتوهموا ان موسى
يعبد العجل فاعتزلهم هارون فى اثنى عشر الفا الذين لم
يعبدوا العجل فلما رجع موسى وسمع الصياح والجلبة
وكانوا يرقصون حول العجل قال للسبعين معه هذا صوت
الفتنة فلما راى هرون اخذ شعر راسه بيمينه ولحيته بشماله
غضبا وقال يا هارون ما منعك اذ رايتهم ضلوا اى اخطاوا
الطريق وكفروا ان لا تتبعن لا زايدة اى ان تتبع امرى ووصيتى
وقيل ما منعك من اتباعى فى الانكار عليهم وقيل معناه
هلا قاتلتهم اذ لو قد علمت انى كنت بينهم لقاتلتهم على كفرهم
وقيل ما منعك من اللحوق لما فتنوا افعصيت امرى يريد
ان مقامك بينهم وقد عبدوا غير الله تعالى عصيان منك لى
قال ابن عباس قيل معناه هلا فارقتهم فتكونوا مفارقين لـ

ايام

اياهم تقريعا لهم وزجرا ومعنى افعصيت امرى قيل ان
امره ما حكاه الله تعالى عنه وقال موسى لاخيه هرون
اخلفنى فى قومى واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين فلما
اقام معهم ولم يبالغ فى منعهم والانكار عليهم نسبه الى
عصيانه ومخالفته امره مسئله وهذا كله اصل فى
الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وتغييره ومفارقة اهله
وان المقيم بينهم لا سيما اذا كان راضيا حكمه كحكمهم وقد مضى
هذا المعنى فى ال عمران والنسا والمايدة والانعام والاعراف
والانفال وسيل الامام ابو بكر الطرطوشى رحمه الله ما يقول
سيدنا الفقيه فى مذهب الصوفية واعلم حرس الله مدته
انه اجتمع له روح ودم فلما سالوك ان تجعل لهم الها زينت لى
نفسى ذلك وقال على رضى الله عنه لما نزل جبريل
ليصعد بموسى الى السماء ابصره السامرى من بين الناس
فقبض قبضة من اثر الرسول الفرس وقيل قال السامرى
رايت جبريل على الفرس وهى تلقا خطوها مد البصر
فالقى فى نفسى ان اقبض من اثرها فلما القيته على شى الا
صار له روح ودم وقيل ان جبريل يوم نزلت على رمكة
وديق فتقدم خيل فرعون فى ورود البحر ويقال ان ام
السامرى جعلته حين وضعته فى غار حذرا من ان يقتله
فرعون فجاءه جبريل عليه السلام فجعل كف السامرى فى فم
السامرى فرضع العسل واللبن فاختلف اليه فعرفه من
حينيذ وقد تقدم هذا المعنى فى الاعراف ويقال ان السامرى
سمع كلام موسى عليه السلام حيث عمد بتمثالين من شمع
احدهما ثور والاخر فرس فالقاهما فى النيل طلب قبر
يوسف وكان فى تابوت من حجر فى النيل فاتى به الثور
على قرنه فتكلم السامرى بذلك الكلام الذى سمعه من
موسى والقى القبضة فى جوف العجل فخار وقرا حمزة
والكسائى والاعمش وخلف بما لم تبصروا بالتاء على الخطاب
الباقون بالياء على الخبر وقرا ابى بن كعب وابن مسعود والحسن
وقتادة فقبصت قبصة بالصاد مهملة والفرق بينهما ان القبض
بجميع الكف باطراف الاصابع ونحوها الخصم والقضم والقبضة بضم

القاف القدر المقبوض ذكره الهروى ولم يذكر الجوهرى قبضة
القاف والضاد غير معجمة وانما ذكر القبضة بضم القاف والضاد
المعجمة وهو ما قبضت عليه من شئ يقال اعطاه قبضة من
سويق او تمرا وكفا منه وربما جا بالفتح قال والقبص
بكسر القاف والصاد غير المعجمة العدد الكثير من الناس
قال الكميت

لكم مسجد الله المدوران والحصى لكم قبضة من بين اثرى واقترى

فنبذتها اى طرحتها فى العجل وكذلك سولت لى نفسى اى زينته
قاله الاخفش وقال ابن زيد حدثتنى نفسى والمعنى متقارب
قال فاذهب اى قال له موسى فاذهب اى
من بيننا فان لك فى الحياة ان تقول لا مساس اى لا امس
ولا امس طول الحياة فنفاه موسى عن قومه وامر بنى اسرائيل
ان لا يخالطوه ولا يقربوه ولا يكلموه عقوبة له قال الشاعر

تميم كرهط السامرى وقوله الا لا يريد السامرى مساسا

قال الحسن جعل الله عقوبة السامرى ان لا يماس الناس ولا
يماسوه عقوبة له ولمن كان منه الى يوم القيمة فكان الله عز
وجل شدد عليه المحنة بان جعله لا يماس احدا ولا يمكن من
ان يمسه احد وجعل ذلك عقوبة له فى الدنيا ويقال ابتلى
بالوسواس واصل الوسواس من ذلك الوقت وقال قتادة
بقاياهم الى اليوم يقولون ذلك لا مساس وان مس واحد
من غيرهم احدا منهم حم كلاهما فى الوقت ويقال ان موسى هم
بقتل السامرى فقال الله تعالى له لا تقتله فانه سخى ويقال
ان السامرى لما قال له موسى فاذهب فان لك فى الحياة
ان تقول لا مساس خاف جماعة من رجال فيكثروا من ذكر
الله تعالى وذكر محمد صلى الله عليه وسلم ثم انهم يوقعون بالقضيب
على شئ من الاديم ويقوم بعضهم يرقص ويتواجد حتى يقع مغشيا
عليه ويحضرون شيئا ياكلونه هل الحضور معهم جايز ام لا
افتونا يرحمكم الله وهذا القول يذكرونه

يا شيخ كف عن الذنوب قبل التفرق والزلل
واعمل لنفسك صالحا ما دام ينفعك العمل
اما الشباب فقد مضى وشيب قد نزل

وفى مثل هذا وجوه الجواب رحمك الله مذهب الصوفية بطالة
وجهالة وضلالة وما الاسلام الا كتاب الله وسنة رسوله واما
الرقص والتواجد فاول من احدثه اصحاب السامرى لما اتخذ لهم
عجلا جسدا له خوار قاموا يرقصون حواليه ويتواجدون فهو دين
الكفار وعباد العجل واما القضيب فاول من اتخذه الزنادقة ليشغلوا
به المسلمين عن كتاب الله تعالى وانما كان يجلس النبى صلى الله
عليه وسلم مع اصحابه كانما على رؤسهم الطير من الوقار فينبغى للسلطان
ونوابه ان يمنعهم من الحضور فى المساجد وغيرها ولا يحل لاحد يؤمن
بالله واليوم الاخر ان يحضر معهم ولا يعينهم على باطلهم هذا مذهب
مالك وابى حنيفة والشافعى واحمد بن حنبل وغيرهم من ايمة المسلمين
وبالله التوفيق قوله تعالى قال يا بن ام لا تاخذ بلحيتى ولا
براسى ابن عباس اخذ شعره بيمينه ولحيته بيساره لان الغيرة فى
الله ملكته اى لا تفعل هذا فيتوهموا انه منك استخفاف او عقوبة
وقد قيل ان موسى عليه السلام انما فعل هذا على غير استخفاف ولا
عقوبة كما ياخذ الانسان بلحية نفسه وقد مضى هذا المعنى فى الاعراف
مستوفى والله جل وعز اعلم بما اراد نبيه عليه السلام انى خشيت
ان تقول فرقت بين بنى اسرائيل انى خشيت ان اخرج واتركهم وقد
امرتنى ان اخرج معهم فلو خرجت لا تبعنى قوم ويتخلف عن العجل قوم
وربما ادى الامر الى سفك الدما وخشيت ان زجرتهم ان يقع قتال
فتلومنى على ذلك وهذا جواب هرون لموسى عن قوله افعصيت
امرى وفى الاعراف ان القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى وقد تقدم
ومعنى ولم ترقب قولى لم تعمل بوصيتى فى حفظهم لانك امرتنى ان
اكون معهم قاله مقاتل وقال ابو عبيدة لم تنتظر عهدى وقدومى
فتركه موسى ثم اقبل على السامرى فقال ما خطبك وشانك وما
الذى حملك على ما صنعت قال قتادة كان السامرى عظيما فى بنى اسرائيل
من قبيلة يقال لها سامرة ولكن عدو الله نافق بعدما قطع البحر
مع موسى فلما مرت بنو اسرائيل بالعمالقة وهم يعكفون على اصنام لهم
قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة فاغتنمها السامرى وعلم انهم
يميلون الى عبادة العجل فاتخذ العجل فقال السامرى مجيبا لموسى
بصرت بما لم يبصروا به يعنى رايت ما لم يروا رايت جبريل على فرس
الحياة فالقى فى نفسى ان اقبض من اثره قبضة فما القيته على شئ

الا صار له روح وضرب فجعل بهيم في البرية مع السباع والوحوش
لا يجد احدا من الناس يمسه حتى صار كالقايل لا مساس لبعده عن
الناس وبعد الناس عنه كما قال الشاعر

حمال رايات بها قناعسا • حتى تقول الازد لا مساسا •

مسـئلة هذه الاية اصل في نفي اهل البدع والمعاصي وهجرانهم وان
لا يخالطوا وقد فعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بكعب ابن مالك والثلاثة
الذين خلفوا ومن التجا الى الحرم وعليه قتل لا يقتل عند بعض الفقها
ولكن لا يعامل ولا يبايع ولا يشاري وهو ارهاق الى الخروج ومن
هذا القبيل التغريب في حد الزنا وقد تقدم جميع هذا كله في موضعه
فلا معنى لاعادته والحمد لله وقال هرون القاري ولغة العرب
لا مساس بكسر السين وفتح الميم وقد تكلم النحويون فيه فقال
سيبويه هو مبني على الكسر كما يقال اضرب الرجل وقال ابو اسحاق
لا مساس نفي وكسرت السين لان الكسرة من علامة التانيث
تقول فعلت المراة قال النحاس وسمعت علي بن سليمان يقول سمعت
محمد بن يزيد يقول اذا اعتل الشي من ثلاث جهات وجب ان يبنى
واذا اعتل من جهتين وجب ان لا ينصرف لانه ليس بعد الصرف الا البنا
فمساس ودراك اعتل من ثلاث جهات منها انه معدول ومنها انه
مونث وانه معرفة فلما وجب البنا فيه وكانت الالف قبل السين ساكنة
كسرت السين لالتقا الساكنين كما تقول ضرب الرجل ورايت ابا
اسحق يذهب الى ان هذا القول خطا والزم ابا العباس اذا سمى امراة
بفرعون ان يبنيه وهذا لا يقوله احد وقال الجوهري في الصحاح
واما قول العرب لا مساس مثل نظام فانما بني على الكسر لانه معدول
عن المصدر وهو المس وقرا ابو حيوة لا مساس وان لك موعدا لن
تخلفه يعني يوم القيامة والموعد مصدر اي ان لك وعدا لعذابك
وقرا ابن كثير وابو عمرو تخلفه بكسر اللام وله معنيان احدهما
ستاتيه ولن تجده مخلفا كما تقول احمدته اي وجدته محمودا والثاني
على التهديد اي لا بد لك من ان تصير اليه والباقون بفتح اللام بمعنى ان
الله لن يخلفك اياه **قوله تعالى** وانظر الى الهك الذي ظلت
عليه عاكفا اي دمت واقمت عليه عاكفا اي ملازما واصله ظللت
قال حكيم اذا العتاق من المطايا احسن به فهي اليهن سوسا ي احسن
وكذلك قرا الاعمش بلامين على الاصل وفي قراة ابن مسعود ظلت بكسر

الظا يقال ظللت افعل كذا اذا فعلته نهارا وظلت وظلت فمن قال ظلت
حذف اللام الاولى تخفيفا ومن قال ظلت القى حركة اللام على الظا لنحرقنه
قراة العامة بضم النون وشد الراء من حرق يحرق وقرا الحسن وغيره بضم
النون وسكون الحا وتخفيف الراء من احرقه يحرقه وقرا علي وابن عباس
وابو جعفر وابن محيصن واشهب العقيلي لنحرقنه بفتح النون وضم الراء
خفيفة من حرقت الشي احرقه حرقا بردته وحككت بعضه ببعض ومنه
قولهم حرق نابه يحرقه ويحرقه اي سحقه حتى سمع له صريف فمعنى هذه
القراة لنبردنه بالمبارد ويقال للمبرد المحرق والقراتان الاولتان
معناهما المحرق بالنار وقد يمكن جمع ذلك فيه قال السدي ذبح العجل فسال
منه كما يسيل من العجل اذا ذبح ثم برد عظامه بالمبرد وحرقه وفي حرف
ابن مسعود لنذبحنه ثم لنحرقنه واللحم والدم اذا احرقا صارا رمادا
فيمكن تذريته في اليم فاما الذهب فلا يصير رمادا وقيل عرف موسى
ما صير به الذهب رمادا وكان ذلك من اياته ومعنى لننسفنه
لنطيرنه وقرا ابو رجا لننسفنه بضم السين لغتان والنسف نفض
الشي لتذهب به الريح وهو التذرية والمنسف ما ينسف به الطعام
وهو شي منصوب الصدر اعلاه مرتفع والنسافة ما يسقط منه يقال
اعزل النسافة وكل الخالص يقال اتانا فلان كان لحيته منسف حكاه
ابو نصر احمد بن حاتم والمنسفة اله يقلع بها البنا ونسفت البنا
نسفا قلعته ونسف البعير الكلا ينسفه بالكسر اذا اقتلعه
باصله وانتسف الشي اذا اقتلعته عن ابي زيد **قوله تعالى**
انما الهكم الله الذي لا اله الا هو لا العجل وسع كل شي علما اي وسع علمه
كل شي فانتقل الفعل عن العلم ونصب على التفسير وقرا مجاهد وقتادة
وسع كل شي علما **قوله تعالى** كذلك الكاف في موضع نصب نعت لمصدر
محذوف اي كما قصصنا عليك خبر موسى كذلك نقص عليك قصصا
كذلك وقد اتيناك من اخبار ما قد سبق ليكون تسلية لك وليدل
على صدقك وقد اتيناك من لدنا ذكرا يعني القران وسمى القران ذكرا لما
فيه من الذكر كما سمى الرسول ذكرا لان الذكر كان ينزل عليه وقد اتيناك
من لدنا ذكرا اي شرفا كما قال وانه لذكر لك ولقومك اي شرف وتنويه
باسمك **قوله تعالى** من اعرض عنه اي القران فلم يومن به ولم يعمل
بما فيه فانه يحمل يوم القيامة وزرا اي اثما عظيما وحملا ثقيلا خالدين
فيه يريد مقيمين فيه اي في جزايه وجزاوه جهنم وساهم يوم القيامة

قال الجوهري ورجل هضيم ومهتضم وهضمه اي ظلمه واهتضمه اذا
ظلمه وكسر عليه حقه **قوله تعالى** وكذلك اي كما بينا لك في هذه
السورة من البيان فكذلك جعلناه قرانا عربيا اي بلغة العرب وصرفنا
فيه من الوعيد اي بينا ما فيه من التخويف والتهديد والثواب والعقاب
لعلهم يتقون اي يخافون الله فيجتنبون معاصيه ويحذرون عقابه
او يحدث لهم ذكرا اي موعظة وقال قتادة حذرا وورعا وقيل شرفا
فالذكر ها هنا بمعنى الشرف كقوله وانه لذكر لك ولقومك وقيل اي
ليتذكروا العذاب الذي توعدوا به وقرا الحسن او نحدث بالنون
وروي عنه رفع الثا وجزمها **قوله تعالى** فتعالى الله الملك الحق
لما عرف العباد عظيم نعمه وانزال القران نزه نفسه عن الاولاد والانداد
فقال فتعالى الله اي جل الله الملك الحق اي ذو الحق ولا تعجل بالقران
من قبل ان يقضى اليك وحيه علم نبيه كيف يتلقى القران قال ابن
عباس كان عليه السلام يبادر جبريل فيقرا قبل ان يفرغ جبريل
من الوحي حرصا على الحفظ وشفقة على القران مخافة النسيان
فنهاه الله عن ذلك وانزل ولا تعجل بالقران وهذا كقوله لا تحرك به
لسانك لتعجل به عاب على ما ياتي وروي بن ابي نجيح عن مجاهد قال
لا تتله قبل ان تبينه وقيل ولا تعجل اي لا تسل انزاله قبل ان يقضى
اي ياتيك وحيه وقيل المعنى لا تلقه الى الناس قبل ان ياتيك بيان
تاويله وقال الحسن نزلت في رجل لطم وجه امراته فجات الى النبي
صلى الله عليه وسلم فطلب القصاص فجعل النبي صلى الله عليه وسلم لها
القصاص فنزل الرجال قوامون على النسا ولهذا قال وقل رب زدني
علما اي فهما لانه عليه السلام حكم بالقصاص وابى ذلك وقرا ابن مسعود
وغيره من قبل ان نقضي بالنون وكسر الضاد وحيه بالنصب **قوله تعالى**
ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي قرا الاعمش باختلاف عنه فنسي
باسكان اليا معنيان احدهما ترك اي ترك الامر والعهد وهذا قول
مجاهد واكثر المفسرين ومنه نسوا الله فنسيهم وقال بن عباس
نسي هنا من السهو والنسيان وانما اخذ الانسان من انه عهد اليه
فنسي قال بن زيد نسي ما عهد الله اليه في ذلك ولو كان له عزم ما
اطاع عدوه ابليس وعلى هذا القول يحتمل ان يكون ادم عليه السلام
في ذلك الوقت ماخوذا بالنسيان وان كان النسيان عنا اليوم
مرفوعا ومعنى من قبل اي من قبل ان ياكل الشجرة لانه نهي عنها والمراد

تسلية

تسلية النبي صلى الله عليه وسلم اي طاعة بني ادم للشيطان امر قديم اي ان
نقض هولا العهد فان ادم ايضا عهدنا اليه فنسي حكاه القشيري وكذلك
الطبري اي وان يعرض يا محمد هولا الكفرة عن اياتي ويخالفوا رسلي ويطيعوا
ابليس فقدما فعل ذلك ابوهم ادم قال بن عطية وهذا التاويل ضعيف
وذلك كون ادم مثلا للكفار الجاحدين بالله ليس بشي وادم انما عصي بتاويل
ففي هذا غضاضة عليه صلى الله عليه وسلم وانما الظاهر في الاية اما ان يكون
ابتدا قصص لا تعلق له بما قبله واما ان يجعل تعلقه انه لما عهد الى محمد
صلى الله عليه وسلم انه لا يعجل بالقران مثل له بني قبله عهد اليه فنسي فعوقب
ليكون اشد في التحذير وابلغ في العهد الى محمد صلى الله عليه وسلم والعهد
ها هنا في معنى الوصية ونسي معناه ترك ونسيان الذهول لا يمكن هنا
لانه يتعلق بالناسي عقاب والعزم المضي على المعتقد في اي شي كان وادم
عليه السلام قد كان يعتقد ان لا ياكل من الشجرة لكن لما وسوس اليه
ابليس لم يعزم على معتقده والشي الذي عهد الى ادم هو ان لا ياكل من
الشجرة واعلم مع ذلك ان ابليس عدو له واختلف في معنى قوله ولم
نجد له عزما فقال بن عباس وقتادة لم نجد له صبرا عن اكل الشجرة
ومواظبة على التزام الامر قال النحاس وكذلك هو في اللغة يقال لفلان
عزم اي صبر وثبات على التحفظ من المعاصي حتى يسلم منها ومنه كما صبر
اولوا العزم من الرسل وعن ابن عباس ايضا وعطية العوفي حفظا لما امر
به اي لم يتحفظ مما نهيته حتى نسي وذهب عن علم ذلك بترك الاستدلال
وذلك ان ابليس قال له ان اكلتها خلدت في الجنة يعني عين تلك الشجرة
فلم يطعه فدعاه الى نظير تلك الشجرة مما دخل في عموم النهي وكان يجب ان
يستدل عليه فلم يفعل وظن انها لم تدخل في النهي فاكلها تاويلا ولا
يكون ناسيا للشي من يعلم انه معصية وقال بن زيد عزما محافظة
على امر الله وقال الضحاك عزيمة امره ابن كيسان اصرارا للعود الى
الذنب قال القشيري والاول اقرب الى تاويل الكلام ولهذا قال قوم
ادم لم يكن من اولي العزم من الرسل لان الله قال ولم نجد له عزما وقال
المعظم كل الرسل اولي العزم وفي الخبر ما من نبي الا وقد اخطا او هم بخطية
ما خلا يحيى ابن زكريا فلو خرج ادم بسبب خطيته من جملة اولي العزم
لخرج جميع الانبيا سوي يحيى وقد قال ابو امامة لو ان احلام بني
ادم جمعت منذ خلق الله الخلق الى يوم القيامة ووضعت في كفة
ميزان ووضع حلم ادم في كفة اخري لرجحهم وقد قال الله تعالى ولم

حيث قالت حسنات الابرار سيئات المقربين فهم صلوات الله وسلامه
عليهم وان كانوا قد شهدت النصوص بوقوع ذنوب منهم فلم يخل ذلك
بمناصبهم ولا قدح في رتبتهم بل قد تلافاهم واجتباهم وهداهم ومدحهم
وزكاهم واختارهم واصطفاهم صلوات الله عليهم وسلامه **الثانية**
قال القاضي ابو بكر ابن العربي لا يجوز لاحد منا اليوم ان يخبر بذلك
عن ادم الا اذا ذكرناه في اثنا قوله تعالى عنه او قول نبيه فاما ان يبتدي
ذلك من قبل نفسه فليس بجايز لنا في ابايتنا الادنين الينا المماثلين لنا
فكيف في ابينا الاقدم الاعظم الاكبر النبي المقدم الذي عذره الله سبحانه
وتاب عليه وغفر له قلت واذا كان هذا في المخلوق لا يجوز فالاخبار
عن صفات الله تعالى كاليد والرجل والاصبع والجنب والنزول الى غير
ذلك اولى بالمنع وانه لا يجوز الابتدا بشي من ذلك الا في اثنا قراة كتابه
او سنة رسوله ولهذا قال الامام مالك بن انس من وصف شيا من
ذات مثل قوله وقالت اليهود يد الله مغلولة واشار بيده الى عنقه
قطعت يده وكذلك في السمع والبصر يقطع ذلك منه لانه شبه الله
تعالى بنفسه **الثالثة** روي الايمة واللفظ للبخاري عن ابي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال احتج ادم وموسى فقال موسى يا ادم انت ابونا
خيبتنا واخرجتنا من الجنة فقال له ادم يا موسى اصطفاك الله
عز وجل بكلامه وخط لك بيده تلومني على امر قدره الله علي قبل ان
يخلقني باربعين سنة فحج ادم موسى ثلاثا قال المهلب قوله فحج ادم موسى
اي غلبه بالحجة قال الليث بن سعد وانما صحت الحجة في هذه القصة
لادم على موسى عليهما السلام من اجل ان الله تعالى قد غفر لادم خطيته
وتاب عليه فلم يكن لموسى ان يعيره بخطية قد غفرها الله له وكذلك
قال ادم انت موسى الذي اتاك الله التوراة وفيها علم كل شي فوجدت
فيها ان الله قد قدر علي المعصية وقدر علي التوبة منها واسقط بذلك
اللوم عني افتلومني انت والله لا تلومني ومثل هذا احتج ابن عمر على الذي
قال له ان عثمان فر يوم احد فقال ابن عمر ما على عثمان ذنب لان الله
تعالى قد عفا عنه بقوله ولقد عفا الله عنهم وقد قيل ان ادم عليه السلام
اب وليس تعييره من بره ان لو كان مما يعيره به غيره فان الله تعالى
يقول في الابوين الكافرين وصاحبهما في الدنيا معروفا ولهذا ان ابرهيم
عليه السلام لما قال له ابوه وهو كافر لين لم تنته لارجمنك واهجرني
مليا قال سلام عليك فكيف باب هو نبي قد اجتباه ربه وتاب عليه

وهدي **الرابعة** واما من عمل الخطايا ولم تاته المغفرة فان العلما مجمعون
على انه لا يجوز له ان يحتج بمثل حجة ادم فيقول تلومني على ان قتلت او
زنيت او سرقت وقد قدر الله علي ذلك والامة مجمعة على جواز حمد
المحسن على احسانه ولوم المسي على اساته وتعديد ذنوبه عليه **الخامسة**
قوله تعالى فغوى اي ففسد عليه عيشه حكاه النقاش واختاره
القشيري وسمعت شيخنا الاستاذ المقري ابا جعفر القرطبي يقول فغوى
ففسد عيشه بنزوله الى الدنيا والغي الفساد وهو تاويل حسن وهو
اولى من تاويل من يقول ان فغوى معناه ضل من الغي الذي هو ضد الرشد
وقيل معناه جهل موضع رشده اي جهل ان تلك الشجرة هي التي نهي عنها
والغي الجهل وعن بعضهم فغوى فبشم من كثرة الاكل الزمخشري وهذا وان
صح على لغة من يقلب اليا المكسورة ما قبلها الفا فيقول في فني وبقي
فنا وبقا وهم بنو طي تفسير خبيث **السادسة** قال القشيري ابو
نصر قال قوم يقال عصى ادم وغوى ولا يقال له عاص ولا غاو كما ان من
خاط مرة يقال له خاط ولا يقال له خياط ما لم تتكرر منه الخياطة وقيل
يجوز للسيد ان يطلق في عبده عند معصيته ما لا يجوز لغيره ان يطلقه
وهذا تكلف وما اضيف من هذا الى الانبيا فاما ان تكون صغايرا او ترك
الاولى او قبل النبوة قلت هذا حسن قال الامام ابو بكر بن فورك رحمه
الله كان هذا من ادم قبل النبوة ودليل ذلك قوله ثم اجتباه ربه فتاب
عليه وهدى فذكر ان الاجتبا والهداية كانا بعد العصيان واذا كان
هذا قبل النبوة فجايز عليهم الذنوب وجها واحدا لان قبل النبوة لا شرع
علينا في تصديقهم فاذا بعثهم الله تعالى الى خلقه وكانوا امينين
في الادا معصومين لم يضر ما قد سلف منهم من الذنوب وهذا نفيس
والله اعلم **قوله تعالى** قال اهبطا منها جميعا خطاب ادم وابليس
منها اي من الجنة وقد قال لابليس اخرج منها مذموما مدحورا فلعله
اخرج من الجنة الى موضع من السما ثم اهبط الى الارض بعضكم لبعض
عدو تقدم في البقرة اي انت عدو للحية ولابليس وهما عدوان لك
وهذا يدل على قوله اهبطا ليس خطابا لادم وحوا لانهما ما كانا متعاديين
وتضمن هبوط ادم هبوط حوا فاما ياتينكم مني هدى اي رشدا وقولا
حقا وقد تقدم في البقرة فمن اتبع هداي يعني الرسل والكتب فلا يضل
ولا يشقى قال ابن عباس رضي الله تعالى لمن قرا القران وعمل بما فيه لا يضل
في الدنيا ولا يشقى في الاخرة وتلا الاية وعنه من قرا القران واتبع

القسم الاول والاول من القسم الثالث الاخر فقال عن الطرفين
اطرافا على نحو فقد صغت قلوبكما واشار الى هذا النظر
ابن فورك فى المشكل وقيل النهار للجنس فلكل يوم
طرف وهى التى جمع لانه يعود فى كل نهار واناء الليل
ساعاته وواحد الاناء انا وانا والى وقالت فرقة المراد
بالاية صلاة التطوع قاله الحسن **قوله تعالى** ولا
تمدن بفتح التاء اى لعلك تثاب على هذه الاعمال بما
ترضى به وقرا الكسائى وابو بكر عن عاصم ترضى بضم
التاء اى لعلك ما يرضيك **قوله تعالى** ولا تمدن
عينيك الى ما متعنا به قد تقدم معناه فى الحجر وازواجا
مفعول ثان بمتعنا وزهرة نصب على الحال وقال الزجاج
زهرة منصوبة بمعنى متعنا لان معناه جعلنا لهم الحياة
الدنيا زهرة او بفعل مضمر وهو جعلنا اى جعلنا لهم
زهرة الحياة الدنيا عن الزجاج ايضا وقيل هى بدل
من الهاء فى به على الموضع كما تقول مررت به اخاك واشار
الفراء الى نصبه على الحال والعامل فيه متعنا قال
كما تقول مررت به المسكين وقدره متعناهم به زهرة
فى الحياة الدنيا وزينة فيها ويجوز ان تنصب على
المصدر مثل صنع الله ووعد الله وفيه نظر والاحسن
ان ينصب على الحال ويحذف التنوين لسكونه وسكون
اللام من الحياة كما قرئ ولا الليل سابق النهار
بنصب النهار بسابق على تقدير حذف التنوين
لسكونه وسكون اللام وتكون الحياة مخفوضة على
البدل من ما فى قوله الى ما متعنا به فيكون التقدير
ولا تمدن عينيك الى الحياة الدنيا زهرة اى فى حال
زهرتها ولا يحسن ان تكون زهرة بدلا من ما على
الموضع فى قوله الى ما متعنا لان لنفتنهم يتعلق
بمتعنا وزهرة الحياة الدنيا يعنى زينتها بالنبات
والزهرة بالفتح فى الزاى والهاء نور النبات والزهر
بضم الزاى وفتح الهاء النجم وبنو زهرة بسكون الهاء
قاله ابن عزيز وقرا عيسى بن عمر زهرة بفتح الهاء

مثل

مثل نهر ونهر ويقال سراج زاهر اى له بريق وزهر الاشجار
ما يروق من الوانها وفى الحديث كان النبى صلى الله
عليه وسلم ازهر اللون اى نير اللون يقال لكل شىء
مستنير زاهر وهو احسن الالوان لنفتنهم اى لنبتليهم
وقيل لنجعل ذلك فتنة لهم وضلالا ومعنى الاية
لا تجعل يا محمد لزهرة الحياة الدنيا وزنا فانه لا بقاء
لها ولا تمدن ابلغ من لا تنظرن لان الذى يمد بصره
انما يحمله على ذلك حرص مقترن والذى ينظر قد
لا يكون ذلك معه مسئلة قال بعض الناس
سبب هذه الاية ما رواه ابو رافع مولى رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال نزل ضيف برسول الله
صلى الله عليه وسلم فارسلنى عليه الصلاة والسلام
الى رجل من اليهود وقال قل له يقول لك محمد نزل
بنا ضيف ولم يكن عندنا بعض الذى يصلحه فبعنى
كذا وكذا من الدقيق او اسلفنى الى هلال رجب فقال
لا الا برهن قال فرجعت الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاخبرته فقال والله انى لامين فى السماء
امين فى الارض ولو اسلفنى او باعنى لاديت اليه
اذهب بدرعى اليه ونزلت الاية تعزية له عن الدنيا
قال ابن عطية وهذا معترض ان يكون سببا لان
السورة مكية والقصة المذكورة مدنية فى اخر
عمر النبى صلى الله عليه وسلم لانه مات ودرعه
مرهونة بهذه القصة التى ذكرت وانما الظاهر ان
الاية متناسقة مع ما قبلها وذلك ان الله تعالى
وبخهم على ترك الاعتبار بالامم السالفة ثم توعدهم
بالعذاب المؤجل ثم امر نبيه صلى الله عليه وسلم
بالاحتقار لشانهم والصبر على اقوالهم والاعراض
عن اموالهم وما فى ايديهم من الدنيا اذ ذاك منصرم
عنهم صاير الى خزى ولذلك ما روى عنه عليه
الصلاة والسلام انه مر بابل بنى المصطلق وقد
عبست بابوالها من السمن فتقنع بثوبه ثم مضى لقوله

وقد بيناه في كتاب التذكرة وبه احتج من قال ان الاطفال وغيرهم يمتحنون في الاخرة فنتبع نصب بجواب التخصيص اياتك يريد ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من قبل ان نذل اي في العذاب ونخزى في جهنم قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنه وقيل من قبل ان نذل في الدنيا بالعذاب ونخزى في الاخرة بعذابها قل كل متربص اي قل لهم يا محمد كل متربص اي كل المؤمنين والكافرين منتظر دوائر الزمان ولمن يكون النصر فتربصوا فستعلمون من اصحاب الصراط السوي ومن اهتدى يريد الدين المستقيم والهدى والمعنى فستعلمون بالنصر من اهتدى الى دين الحق وقيل فستعلمون يوم القيمة من اهتدى الى طريق الجنة وفي هذا ضرب من الوعيد والتخويف والتهديد ختم به السورة وقرا فستعلمون قال ابو رافع حفظته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره الزمخشري ومن في موضع رفع عند الزجاج وقال الفرا يجوز ان يكون في موضع نصب مثل والله يعلم المفسد من المصلح قال ابو اسحاق هذا خطا لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله ومن ها هنا استفهام في موضع رفع بالابتدا والمعنى فستعلمون من اصحاب الصراط السوي نحن ام انتم قال النحاس والفرا ذهب الى ان معنى من اصحاب الصراط السوي من يضل والى ان معنى ومن اهتدى من ضل ثم اهتدى وقرا يحيى بن يعمر وعاصم الجحدري فستعلمون من اصحاب الصراط السوى بتشديد الواو وبعدها الف التانيث على فعلى بغير همز وتانيث الصراط شاذ قليل قال الله تعالى اهدنا الصراط المستقيم فجاء مذكرا في هذا وفي غيره وقد رد هذا ابو حاتم قال ان كان من السوء وجب ان يقال السيا بكسر السين والاصل السويا قال الزمخشري وقرئ السواء بمعنى الوسط والعدل والمستوى النحاس وجواز قراءة يحيى بن يعمر والجحدري ان يكون الاصل السوءى

والساكن ليس بحاجز حصين فكانه قبل الهمزة ضمة فابدل منها واوا كما يبدل منها الفا اذا انفتح ما قبلها

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الانبياء عليهم الصلاة والسلام

مكية في قول الجميع وهي مائة واثنتا عشرة اية **قوله تعالى** اقترب للناس حسابهم قال عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه الكهف ومريم وطه والانبياء من ∴ الاول وهن تلادي يريد من قديم ما كسبت وحفظت من القران كالمال التلاد وروي ان رجلا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كان يبني جدارا فمر به اخر في يوم نزول هذه السورة فقال الذي يبني الجدار ماذا نزل اليوم من القران فقال الاخر اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون فنفض يده من البنيان وقال والله ما بنيت ابدا وقد اقترب الحساب اقترب قرب اي قرب الوقت الذي يحاسبون فيه على اعمالهم الناس قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه المراد بالناس هنا المشركون بدليل قوله الا استمعوه وهم يلعبون الى قوله افتاتون السحر وانتم تبصرون وقيل الناس عموم وان كان المشار اليه في ذلك الوقت كفار قريش يدل على ذلك ما بعده من الايات ومن علم اقتراب الساعة قصر امله وطابت نفسه بالتوبة ولم يركن الى الدنيا فكان ما كان لم يكن اذا ذهب وكل ات قريب والموت لا محالة ات وموت كل انسان قيام ساعته والقيامة ايضا قريبة بالاضافة الى ما مضى من الزمان فما بقي من الدنيا اقل مما مضى وقال الضحاك معنى اقترب للناس حسابهم اي عذابهم يعني اهل مكة لانهم استبطؤوا ما وعدوا به من العذاب تكذيبا وكان قتلهم يوم بدر النحاس ولا يجوز في الكلام اقترب حسابهم للناس لئلا يتقدم مضمر على مظهر لا يجوز ان ينوى به التاخير وهم في غفلة معرضون

ويوقف على الوجوه المتقدمة الثلاثة قبله فهذه
اربعة اقوال واجاز الاخفش الرفع على لغة من قال
اكلوني البراغيث وهو احسن قال الله تعالى ثم عموا
وصموا كثير منهم قال الشاعر
بك نال النضال دون المساعي فاهتدين النبال للاغراض
وقال اخر
ولكن ديافي ابوه وامه بحوران يعصرن السليط اقاربه
وقال الكسائي فيه تقديم وتاخير مجازه والذين ظلموا
اسروا النجوى ابو عبيدة اسروا هنا من الاضداد فيحتمل
ان يكونوا اخفوا كلامهم ويحتمل ان يكونوا اظهروه واعلنوه
قوله تعالى هل هذا الا بشر مثلكم اي تناجوا بينهم
وقالوا هل هذا الذكر الذي هو الرسول وهذا الذي
يدعوكم الا بشر مثلكم لا يتميز عنكم بشيء يأكل الطعام
ويمشي في الاسواق كما تفعلون وما علموا ان الله عز
وجل بين انه لا يجوز ان يرسل اليهم الا بشرا ليفهموا
ويعلمهم افتاتون السحر اي ان الذي جاء به محمد سحر
فكيف تجيبون اليه وتتبعونه فاطلع الله نبيه عليه الصلاة
والسلام على ما تناجوا به والسحر في اللغة كل مموه لا
حقيقة له ولا صحة وانتم تبصرون فيه قيل معناه وانتم
تبصرون انه انسان مثلكم مثل وانتم تعقلون لان
العقل البصر بالاشيا وقيل المعنى افتقبلون السحر
وانتم تعلمون انه سحر وقيل المعنى افتعدلون الى
الباطل وانتم تعرفون الحق ومعنى الكلام التوبيخ
قوله تعالى قل ربي يعلم القول في السماء والارض
اي لا يخفى عليه شيء مما يقال في السماء والارض وفي مصاحف
اهل الكوفة قال ربي اي قال محمد ربي يعلم القول
اي هو عالم بما تناجيتم به وقيل ان القراة الاولى اولى
لانهم اسروا هذا القول فاظهر الله عز وجل عليه
نبيه صلى الله عليه وسلم وامره ان يقول لهم هذا
قال النحاس والقرائتان صحيحتان وهما بمنزلة ايتين
وفيهما من الفائدة ان النبي صلى الله عليه وسلم

امر

امر وانه كما امر قوله تعالى بل قالوا اضغاث احلام قال
الزجاج اي قالوا الذي ياتي به اضغاث احلام وقال
غيره اي قالوا هو اخلاط كالاحلام المختلطة اي اهاويل
راها في المنام قال معناه مجاهد وقتادة ومنه
قول الشاعر
احاديث طسم او سراب بفدفد ترقرق للساري واضغاث حالم
وقال اليزيدي الاضغاث ما لم يكن له تاويل وقد
مضى هذا في تفسير سورة يوسف عليه الصلاة والسلام
فلما راوا ان الامر ليس كما قالوا انتقلوا عن ذلك فقالوا
بل افتراه ثم انتقلوا عن ذلك فقالوا بل هو شاعر
اي هم متحيرون لا يستقرون على شيء قالوا مرة سحر
ومرة اضغاث احلام ومرة انه شاعر والافترا الاختلاق
وقد تقدم فليأتنا باية كما ارسل الاولون اي كما
ارسل موسى بالعصا وغيرها من الايات ومثل ناقة
صالح وكانوا عالمين بان القران ليس بسحر ولا رويا
ولكن قالوا ينبغي ان ياتي باية نقترحها ولم يكن لهم
الاقتراح بعد ما راوا اية واحدة وايضا اذا لم يؤمنوا
باية هي من جنس ما هم اعلم الناس به ولا مقال
للشبهة فيها فكيف يؤمنون باية غيرها ولو ابرا الاكمه
والابرص لقالوا هذا من باب الطب وليس ذلك
من صناعتنا وانما كان سؤالهم تعنتا اذ كان الله تعالى
اعطاهم من الايات ما فيه كفاية وبين الله عز وجل
انهم لو كانوا يؤمنون لاعطاهم ما سالوه لقوله
جل وعز ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم
لتولوا وهم معرضون قوله تعالى ما امنت
قبلهم من قرية قال ابن عباس رضي الله تعالى
عنه يريد قوم صالح وقوم فرعون اهلكناها يريد كان
في علمنا هلاكها انهم يؤمنون يريد يصدقون اي
فما امنوا بالايات فاستؤصلوا فلو راى هؤلاء ما
اقترحوا لما امنوا لما سبق من القضاء بانهم لا يؤمنون
ايضا وانما تاخير عقابهم لعلمنا ان في اصلابهم من

وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة يريد مدة ابن كانت
باليمن وقال اهل التفسير والاخبار انه اراد حضور
وكان بعث اليهم نبي اسمه شعيب بن ذي مهدم وقبر شعيب
هذا باليمن بجبل كثير الثلج وليس شعيب صاحب
مدين لان قصة حضور قبل مدين عليه الصلاة
والسلام وبعد مئين من السنين من مدة سليمان
عليه الصلاة والسلام وانهم قتلوا نبيهم وقتل
اصحاب الرس في ذلك التاريخ نبيا لهم اسمه حنظلة
ابن صفوان وكانت حضور رياض الحجاز من ناحية
الشام فاوحى الله الى ارميا ان ايت بخت نصر فاعلمه
اني قد سلطته على ارض العرب واني منتقم بك
منهم واوحى الله تعالى الى ارميا ان احمل معد بن
عدنان على البراق الى ارض عدنان العراق كي لا
تصيبه النقمة والبلاء معهم فاني مستخرج من صلبه
نبيا في اخر الزمان اسمه محمد يحمل معدا وهو ابن اثنتي
عشرة سنة فكان مع بني اسرائيل الى ان كبر وتزوج
امراة اسمها معانة ثم ان بخت نصر ∴ بالجيوش
وكمن للعرب في مكان وهو اول من اتخذ المكامن فيما
ذكروا ثم شن الغارات على حضور فقتل وسبى
وخرب العامر ولم يترك بحضور اثرا ثم انصرف راجعا
الى السواد وكم في موضع نصب بقصمنا والقصم الكسر
يقال قصمت ظهر فلان وانقصمت سنه اذا انكسرت
والمعنى به هنا الاهلاك واما الفصم بالفاء فهو الصدع
في الشيء من غير بينونة قال الشاعر
كانه دملج من فضة نبه في ملعب من عذارى الحي مفصوم
ومنه الحديث فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد
عرقا وقوله كانت ظالمة اي كافرة يعني اهلها والظلم
وضع الشيء في غير موضعه وهم وضعوا الكفر موضع
الايمان وانشانا اي اوجدنا واحدثنا بعد اهلاكهم
قوما اخرين فلما احسوا اي راوا عذابنا يقال احسست
منه ضعفا وقال الاخفش احسوا خافوا وتوقعوا اذا

هم منها يركضون اي يهربون ويفرون والركض
العدو بشدة الوطء والركض تحريك الرجل ومنه
قوله تعالى اركض برجلك وركضت الفرس برجلي
استحثثته ليعدو ثم كثر حتى قيل ركض الفرس
اذا عدا وليس بالاصل والصواب ركض الفرس
على ما لم يسم فاعله فهو مركوض لا تركضوا اي لا
تفروا قيل ان الملائكة نادتهم لما انهزموا استهزاء
بهم وقالت لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه
اي الى نعمكم التي كانت سبب بطركم والمترف
المنعم يقال اترف على فلان اي وسع عليه في معاشه
وانما اترفهم الله عز وجل كما قال واترفناهم في
الحياة الدنيا لعلكم تسئلون لعلكم تسالون شيئا
من دنياكم قاله قتادة وقيل المعنى لعلكم تسالون
عما نزل بكم من العقوبة فتخبرون به وقيل
المعنى لعلكم تسئلون ان تؤمنوا كما كنتم تسئلون
ذلك قبل نزول الباس بكم قيل لهم ذلك استهزاء
وتقريعا وتوبيخا قالوا يا ويلنا لما قالت لهم الملائكة
لا تركضوا ونادت يا لثارات الانبياء ولم يروا شخصا
يكلمهم عرفوا ان الله تعالى هو الذي سلط عليهم
عدوهم بقتلهم النبي الذي بعث فيهم فعند ذلك
قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين حتى جعلناهم حصيدا
اي بالسيوف كما يحصد الزرع بالمنجل قاله مجاهد
وقال الحسن اي بالعذاب خامدين اي ميتين ۝
والخمود والهمود كخمود النار اذا طفيت فشبه خمود الحياة
بخمود النار كما يقال لمن مات قد طفي تشبيها باطفا
النار قوله تعالى وما خلقنا السماء والارض
وما بينهما لاعبين اي عبثا وباطلا بل للتنبيه على
ان لها خالقا قادرا يجب امتثال امره وانه يجازي
المسيء والمحسن اي ما خلقنا السموات والارض
ليظلم بعض الناس بعضا ويكفر بعضهم ويخالف
بعضهم ما امر به ثم يموتوا ولا يجازوا ولا يؤمروا في

من قال ان الملائكة افضل من بنى ادم وقد تقدم

قوله تعالى ام اتخذوا الهة من الارض هم ينشرون قال المفضل مقصود هذه الاستفهام الجحد اى لم يتخذوا الهة تقدر على الاحيا وقيل ام بمعنى هل اى هل اتخذ هؤلاء المشركون الهة من الارض يحيون الموتى ولا تكون ام هنا بمعنى بل لان ذلك يوجب لهم انشاء الموتى الا ان تقدر ام مع الاستفهام فتكون ام المنقطعة فيصح المعنى قاله المبرد وقيل ام عطف على المعنى اى افخلقنا السماء والارض لعبا ام هذه الذى اضافوه الينا من عندنا فيكون لهم موضع شبهة او هل ما اتخذوه من الالهة فى الارض يحيى الموتى فيكون موضع شبهة وقيل لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم افلا تعقلون ثم عطف عليه بالمعاتبة وعلى هذين التاويلين تكون ام متصلة وقرا الجمهور ينشرون بضم الياء وبكسر الشين من انشر الله الميت فنشر اى احياه فحيى وقرا الحسن بفتح الياء اى يحيون ولا يموتون

قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا اى لو كان فى السموات والارضين الهة غير الله معبودون لفسدتا قال الكسائى وسيبويه الا بمعنى غير فلما جعلت الا فى موضع غير اعرب الاسم الذى بعدها باعراب غير كما قال

وكل اخ مفارقه اخوه لعمر ابيك الا الفرقدان

وحكى سيبويه لو كان معنا رجل الا زيد لهلكنا وقال الفراء الا هنا فى موضع سوى والمعنى لو كان فيهما الهة سوى الله لفسد اهلها وقال غيره اى لو كان فيهما الهان لفسد التدبير لان احدهما ان اراد شيئا واراد الاخر ضده كان احدهما عاجزا وقيل معنى لفسدتا اى لخربتا وهلك من فيهما بوقوع التنازع والاختلاف الواقع بين الشركا فسبحان الله رب العرش عما يصفون نزه نفسه وامر عباده ان ينزهوه عن ان يكون له شريك او ولد

قوله تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون قاصمة

للقدرية وغيرهم قال ابن جريج المعنى لا يسئله الخلق عن قضائه فى خلقه وهو يسئل الخلق عن عملهم لانهم عبيد بين بهذا ان من يسئل غدا عن اعماله كالمسيح والملائكة لا يصلح للالهية وقيل لا يواخذ على افعاله وهم يواخذون وروى عن على رضى الله تعالى عنه ان رجلا قال له يا امير المؤمنين ايحب ربنا ان يعصى قال ايعصى ربنا قهرا قال ارايت ان منعنى الهدى ومنحنى الردى احسن الى ام اسا قال ان منعك حقك فقد اسا وان منعك فضله فهو فضله يوتيه من يشا ثم تلى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه قال لما بعث الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام وكلمه وانزل عليه التوراة فقال اللهم انك رب عظيم لو شئت ان تطاع لاطعت ولو شئت ان لا تعصى ما عصيت وانت تحب ان تطاع وانت فى ذلك تعصى فكيف هذا يا رب فاوحى الله سبحانه وتعالى اليه انى لا اسئل عما افعل وهم يسئلون

قوله تعالى ام اتخذوا من دونه الهة اعاد التعجيب فى اتخاذ الالهة من دون الله مبالغة فى التوبيخ اى صفتهم كما تقدم فى الانشا والاحيا فتكون ام بمعنى هل على ما تقدم فليأتوا بالبرهان على ذلك وقيل الاول احتجاج من حيث المعقول لانه قال هم ينشرون ويحيون الموتى هيهات والثانى احتجاج بالمنقول اى هاتوا برهانكم من هذه الجهة ففى اى كتاب نزل هذا فى القران ام فى الكتب المنزلة على سائر الانبيا هذا ذكر من معى باخلاص التوحيد من معى باخلاص التوحيد فى القران وذكر من قبلى فى التورية والانجيل وما انزل الله من الكتب فانظروا هل فى كتاب من هذه الكتب ان الله امر باتخاذ الهة سواه فالشرايع لم تختلف فيما يتعلق بالتوحيد وانما اختلف فى الاوامر والنواهى وقال قتادة

الاشارة الى القرآن المعنى هذا ذكر من معي بما يلزمهم من الحلال والحرام وذكر من قبلي من الامم ممن نجا بالايمان وهلك بالشرك وقيل ذكر من معي بما لهم من الثواب على الايمان والعقاب على الكفر وذكر من قبلي من الامم السالفة فيما يفعل بهم في الدنيا وما يفعل بهم في الآخرة وقيل معنى الكلام الوعيد والتهديد اي افعلوا ما شئتم فعن قريب ينكشف الغطا وحكى ابو حاتم ان يحيى ابن يعمر وطلحة بن مصرف قرا هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بالتنوين وكسر الميم وزعم انه لا وجه لهذا وقال ابو اسحاق الزجاج في هذه القراة المعنى هذا ذكر مما انزل الله تعالى الي ومما هو معي وذكر من قبلي وقيل ذكر كاين من قبلي اي جيت بما جات به الانبيا من قبلي بل اكثرهم لا يعلمون الحق وقرا ابن محيصن والحسن الحق بالرفع بمعنى هو الحق او هذا الحق وعلى هذا يوقف على لا يعلمون ولا يوقف عليه على قراة النصب فهم معرضون اي عن الحق وهو القرآن فلا يتاملون حجة التوحيد **قوله تعالى** وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه وقرا حفص وحمزة والكسائي نوحي اليه بالنون لقوله ارسلنا انه لا اله الا انا فاعبدون اي قلنا للجميع لا اله الا الله فادلة العقل شاهدة بانه لا شريك له والنقل عن جميع الانبيا موجود والدليل اما معقول واما منقول وقال قتادة لم يرسل نبي الا بالتوحيد والشرايع مختلفة في التورية والانجيل والقرآن كل ذلك على الاخلاص والتوحيد **قوله تعالى** وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه نزلت في خزاعة قالوا الملائكة بنات الله وكانوا يعبدونهم طمعا في شفاعتهم لهم وروى معمر عن قتادة قال قالت اليهود قال معمر في رواية او طوايف من الناس خاتن الى الجن والملائكة من الجن فقال الله جل وعز سبحانه تنزيها له بل عباد اي بل هم عباد مكرمون اي ليس كما زعم هولا الكفار ويجوز النصب عند الزجاج على معنى بل اتخذ عبادا

مكرمين

مكرمين واجاز الفرا ان يرده على ولد اي بل لم نتخذهم ولدا بل اتخذناهم عبادا مكرمين والولد هاهنا للجمع وقد يكون الواحد والجمع اولادا ويجوز ان يكون لفظ الواحد للجنس كما يقال لفلان مال لا يسبقونه بالقول اي لا يقولون حتى يقول ولا يتكلمون الا بما يامرهم وهم بامره يعملون اي بطاعته واوامره يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم اي يعلم ما عملوا وما هم عاملون قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنه وعنه ايضا ما بين ايديهم الآخرة وما خلفهم الدنيا ذكر الاول الثعلبي والثاني القشيري ولا يشفعون الا لمن ارتضى قال ابن عباس هم اهل شهادة ان لا اله الا الله وقال مجاهد هم كل من رضي الله تعالى عنه والملائكة يشفعون غدا في الآخرة كما في صحيح مسلم وغيره وفي الدنيا ايضا فانهم يستغفرون للمومنين ولمن في الارض كما نص عليه التنزيل على ما ياتي وهم يعني الملائكة من خشيته يعني من خوفه مشفقون اي خايفون لا يامنون مكره **قوله تعالى** ومن يقل منهم اني اله من دونه قال قتادة والضحاك وغيرهما عني بهذه الاية ابليس حيث ادعى الشركة ودعا الى عبادة نفسه وكان من الملائكة ولم يقل احد من الملائكة اني اله غيره وقيل الاشارة الى جميع الملائكة فذلك القايل نجزيه جهنم فهذا دليل على انهم وان اكرموا بالعصمة وهم متعبدون وليسوا مضطرين الى العبادة كما ظنه بعض الجهال وقد استدل ابن عباس رضي الله تعالى عنه بهذه الاية على ان محمدا صلى الله عليه وسلم افضل اهل السما وقد تقدم في البقرة كذلك نجزي الظالمين اي كما جزينا هذا بالنار فكذلك نجزي الظالمين الواضعين الالهية والعبادة في غير موضعها **قوله تعالى** اولم ير الذين كفروا قراة العامة اولم بالواو وقراة ابن كثير وابن محيصن وحميد وشبل بن عباد الم ير بغير واو وكذلك

هو في مصحف مكة وبه يعني يعلم الذين كفروا ان السموات
والارض كانتا رتقا قال الاخفش قال كانتا لانهما صنفان
كما تقول العرب هما لقاحان اسودان وكما قال الله
عز وجل ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا قال
ابو اسحاق كانتا لانه يعبر عن السموات بلفظ الواحد
سما لان السموات كانتا سماء واحدا وكذلك الارضون
وقال رتقا ولم يقل رتقين لانه مصدر والمعنى كانتا
ذواتي رتق وقرا الحسن رتقا بفتح التاء قال عيسى بن
عمر هو صواب وهي لغة والرتق الشد ضد الفتق وقد
رتقت الفتق فارتتق والرتق اي التام ومنه
الرتقا للمنضمة الفرج قال ابن عباس والحسن وعطا
والضحاك وقتادة يعني انها كانت شيا واحدا ملتزقين
ففصل الله بينهما بالهوا ولذلك قال كعب خلق الله
السموات والارض بعضها على بعض ثم خلق ريحا
توسطتها ففتحها بها وجعل السموات سبعا وقول ثاني
قاله مجاهد والسدي وابو صالح كانت السموات موتلفة
طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع سموات وكذلك الارضين
كانت مرتتقة واحدة ففتقها فجعلها سبعا وحكاه القتبي
في عيون الاخبار له عن اسمعيل بن ابي خالد قال في قول
الله عز وجل اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض
كانتا رتقا ففتقناهما قال كانت السما مخلوقة وحدها
والارض مخلوقة وحدها ففتق من هذه سبع سموات
ومن هذه سبع ارضين خلق الارض العليا فجعل سكانها
الجن والانس وشق فيها الانهار وانبت فيها الثمار وجعل
فيها البحار وسماها رعا عرضها مسيرة خمسماية عام ثم
خلق الثانية مثلها في العرض والغلظ وجعل فيها اقواما
افواههم كافواه الكلاب وايديهم كايدي الناس واذانهم
اذان البقر وشعورهم شعور الغنم فاذا كان عند
اقتراب الساعة القتهم الارض الى ياجوج وماجوج واسم
تلك الارض الركما ثم خلق الارض الثالثة غلظها
مسيرة خمسماية عام ومنها هوا الى الارض الرابعة خلق

الله فيها ظلمة وعقارب لاهل النار مثل البغال السود
ولها اذناب مثل اذناب الخيل الطوال ياكل بعضها
بعضا فتسلط على بني ادم ثم خلق الخامسة في الغلظ
والطول والعرض فيها سلاسل واغلال وقيود لاهل
النار ثم خلق الله الارض السادسة واسمها ماد فيها
حجارة سود دهم ومنها خلقت تربة ادم عليه الصلاة
والسلام تبعث تلك الحجارة يوم القيامة وكل حجر
منها كالطود العظيم وهي من كبريت تعلق في اعناق
الكفار فتشتعل حتى تحرق وجوههم وايديهم فذلك
قوله عز وجل وقودها الناس والحجارة ثم خلق
الله الارض السابعة واسمها عربه وفيها جهنم وفيها
بابان اسم الواحد سجين واسم الاخر الفلق فاما
سجين فهو مفتوح واليه ينتهي كتاب الكفار وعليه
يعرض اصحاب المايدة وقوم فرعون واما الفلق فهو
مغلق لا يفتح الى يوم القيامة وقد مضى في تفسير سورة
البقرة انها سبع ارضين بين كل ارضين مسيرة خمسماية
عام وسياتي له في اخر سورة الطلاق زيادة بيان ان
شاء الله تعالى وقول ثالث قاله عكرمة وعطية
وابن عباس ايضا ان السموات فيما ذكر المهدوي ان
السموات كانتا رتقا لا تمطر والارض كانت رتقا
لا تنبت ففتق السما بالمطر والارض بالنبات نظيره
قوله جل وعز والسما ذات الرجع والارض ذات
الصدع واختار هذا القول الطبري لان بعده
وجعلنا من الما كل شي حي افلا يومنون قلت
وبه يقع الاعتبار مشاهدة ومعاينة ولذلك اخبر
بذلك في غير ما اية ليدل على كمال قدرته وعلى
البعث والجزا وقيل رتق الفتق وفتق الرتوق ونقض الامور
وابرامها وفي قوله جعلنا من الما كل شي حي ثلاث
ثلاث تاويلات احدها انه خلق كل شي من الما قاله
قتادة الثاني حفظ حياة كل شي بالما الثالث
وجعلنا من ما الصلب كل شي حي قاله قطرب

بالنجوم مع ثبوت السما وقال مجاهد الفلك كهيئة حديدة الرحا وهو قطبها
وقال الضحاك فلكها مجراها وسرعة سيرها وقيل الفلك موج مكفوف
ومجري الشمس والقمر فيه والله اعلم **قوله تعالى** وما جعلنا لبشر من
قبلك الخلد اي دوام البقاء في الدنيا نزلت حين قالوا نتربص بمحمد ريب
المنون وذلك ان المشركين كانوا يدفعون نبوته ويقولون شاعر
نتربص به ريب المنون ولعله يموت كما مات شاعر بني فلان فقال الله
قد مات الانبيا من قبلك وتولى الله دينه بالنصر والحياطة فهكذا
يحفظ دينك وشرعك افان مت فهم الخالدون اي افهم مثل قول الشاعر
رفوني وقالوا يا خويلد لم ترع • فقلت وانكرت الوجوه هم هم •
اي اهم فهو استفهام انكار وقال الفرا جا بالفا ليدل على الشرط لانه جواب
قولهم سيموت ويجوز ان يكون جي بها لان التقدير فيما افهم الخالدون
ان مت قال الفرا ويجوز حذف الفا واضمارها لان هم لا يتبين فيها
الاعراب اي ان مت فهم يموتون ايضا فلا شماتة في الاماتة وقوله كل
نفس ذايقة الموت تقدم في ال عمران ونبلوكم بالشر والخير فتنة
فتنة مصدر على غير اللفظ اي نختبركم بالشدة والرخا والحرام والحلال
لننظر كيف شكركم وصبركم والينا ترجعون اي للجزا بالاعمال **قوله تعالى**
واذا راك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا اي ما يتخذونك والهزو
السخرية وقد تقدم وهم المستهزئون المتقدم ذكره في اخر سورة الحجر في
قوله انا كفيناك المستهزئين كانوا يعيبون من جحد الالهية اصنامهم
وهم جاحدون لالهية الرحمن وهذا غاية الجهل اهذا الذي اي يقولون
اهذا الذي فاضمر القول وهو جواب اذا وقوله ان يتخذونك الا
هزوا كلام معترض بين اذا وجوابه يذكر الهتكم اي بالسوء ومنه قول عنترة
لا تذكري مهري وما اطعمته • فيكون جلدك مثل جلد الاجرب •
اي لا تعيبي مهري وهم بذكر الرحمن اي القران هم كافرون هم الثانية
توكيد كفرهم اي هم الكافرون مبالغة في وصفهم بالكفر **قوله تعالى**
خلق الانسان من عجل اي ركب على العجلة فخلق عجولا كما قال الله تعالى
الذي خلقكم من ضعف اي خلق الانسان ضعيفا ويقال خلق الانسان
من الشر اي شريرا اذا بالغت في وصفه به ويقال انما انت ذهاب ومجي
اي ذاهب جاي اي طبع الانسان العجلة فيستعجل كثيرا من الاشيا وان
كانت مضرة وقيل المراد بالانسان ادم قال سعيد بن جبير والسدي
لما دخل الروح في عيني ادم عليه السلام نظر في ثمار الجنة فلما دخل جوفه

اشتهى

اشتهى الطعام فوثب من قبل ان يبلغ الروح رجليه عجلان الى ثمار الجنة
فذلك قوله خلق الانسان من عجل وقيل خلق يوم الجمعة في اخر النهار فلما
احيا الله راسه استعجل وطلب تتميم نفخ الروح فيه قبل غروب الشمس
قاله الكلبي ومجاهد وغيرهما وقال ابو عبيدة وكثير من اهل المعاني العجل
الطين بلغة حمير وانشدوا • والنخل ينبت بين الماء والعجل •
وقيل المراد بالانسان الناس كلهم وقيل المراد النضر بن الحرث بن علقمة
ابن كلدة بن عبد الدار في تفسير ابن عباس اي لا ينبغي لمن خلق من الطين
الحقير ان يستهزي بايات الله ورسله وقيل انه من المقلوب اي خلق
العجل من الانسان وهو مذهب ابو عبيدة النحاس وهذا القول لا ينبغي
ان يجاب به في كتاب الله لان القلب انما يقع في الشعر اضطرارا
كما قال • كما كان الزنا فريضة الرجم •
ونظيره هذه الاية وكان الانسان عجولا وقد مضى في سبحان ساريكم
اياتي فلا تستعجلون هذا يقوي القول الاول وان طبع الانسان العجلة
وانه خلق خلقة لا يتمالك كما قال عليه السلام حسب ما تقدم في
سبحان والمراد بالايات ما دل على صدق محمد عليه السلام من المعجزات وما
جعله له من العاقبة المحمودة وقيل ما طلبوه من العذاب فارادوا الاستعجال
وقالوا متى هذا الوعد وما علموا ان لكل شي اجلا مضروبا نزلت في النضر
ابن الحارث وقوله ان كان هذا هو الحق وقال الاخفش سعيد معنى
خلق الانسان من عجل اي من قيل له كن فيكون لا يعجزه اظهار ما
استعجلوه من الايات ويعني لو كان معنى فلا يستعجلون على هذا القول
انه من يقول للشي كن فيكون لا يعجزه اظهار ما استعجلوه من الايات
ويقولون متى هذا الوعد اي الموعد كما يقال الله رجانا اي مرجونا
وقيل معنى الوعد هنا الوعيد الذي يعدنا من العذاب وقيل القيامة
ان كنتم صادقين يا معشر المومنين **قوله تعالى** لو يعلم
الذين كفروا العلم هنا بمعنى المعرفة فلا تقتضي مفعولا ثانيا مثل لا
تعلمونهم الله يعلمهم وجواب لو محذوف اي لو علموا الوقت الذي لا يكفون
عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون وعرفوه لما استعجلوا
الوعيد وقال الزجاج اي لعلموا صدق الوعد وقيل المعنى لو علموه
لما اقاموا على الكفر ولامنوا وقال الكسائي هو تنبيه على تحقيق
وقوع الساعة اي لو علموه علم يقين لعلموا ان الساعة اتية ودل
عليه بل تاتيهم بغتة اي فجاة يعني القيامة وقيل العقوبة وقيل النار

ابو القسم في سننه عن انس رفعه ان ملكا موكل بالميزان فيوتى بابن
ادم فيوقف بين كفتي الميزان فان رجح نادى الملك بصوت يسمع الخلايق
سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها ابدا وان خف نادى الملك شقي فلان
شقاوة لا يسعد بعدها ابدا وخرج عن حذيفة قال صاحب الميزان
يوم القيامة جبريل عليه السلام وقيل للميزان كفتان وخيوط
ولسان والشاهين فالجمع يرجع اليها وقال مجاهد وقتادة والضحاك
وذكر الميزان مثل وليس ثم ميزان وانما هو العدل والذي وردت به
الاخبار وعليه السواد الاعظم القول الاول وقد مضى في الاعراف بيان
هذا وفي الكهف ايضا وذكرناه في كتاب التذكرة مستوفى والحمد لله
والقسط العدل اي ليس فيها بخس ولا ظلم كما يكون في وزن الدنيا
والقسط صفة الميزان ووحد لانه مصدر يقال ميزان قسط وميزانان
قسط وموازين قسط مثل رجال عدل ورضى وقرات فرقة القصط
بالصاد ليوم القيامة اي لاهل يوم القيامة وقيل المعنى في يوم القيامة
فلا تظلم نفس شيا اي لا ينقص من احسان محسن ولا يزاد في اساة
مسي وان كان مثقال حبة من خردل قرا نافع وشيبة وابو جعفر مثقال
بالرفع هنا وفي لقمن على معنى ان وقع او حضر فيكون كان تامة ولا
يحتاج الى خبر الباقون مثقال بالنصب على معنى وان كان العمل او ذلك
الشي مثقال ومثقال الشي ميزانه من مثله اتينا بها مقصورة الالف
قراة الجمهور اي احضرناها وجينا بها للمجازات عليها ولها اي بالجنة
ولو قال به اي بالمثقال لجاز وقيل مثقال الحبة ليس شيا غير الحبة فلهذا
قال اتينا بها وقرا مجاهد وعكرمة اتينا بالمد على معنى جازينا بها
يقال اتى يواتي مواتاة وكفى بنا حاسبين اي محاسبين على ما قدموه من
خير وشر وقيل حاسبين اذ لا احد اسرع حسابا منا والحساب
العد روى الترمذي عن عايشة ان رجلا قعد بين يدي النبي صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله ان لي مملوكين يكذبونني ويخونونني ويعصونني
واشتمهم واضربهم فكيف انا منهم قال يحسب ما خانوك وعصوك
وكذبوك وعقابك اياهم فان كان عقابك اياهم بقدر ذنوبهم كان
كفافا لا لك ولا عليك وان كان عقابك اياهم فوق ذنوبهم كان فضلا لك
وان كان عقابك اياهم دون ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل قال فتنحى
الرجل وجعل يبكي ويهتف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما تقرا
كتاب الله ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيا

الاية

الاية فقال الرجل والله يا رسول الله ما اجد لي ولهولا شيا خيرا من
مفارقتهم اشهدك انهم احرار كلهم قال حديث غريب **قوله تعالى**
ولقد اتينا موسى وهارون الفرقان وضيا وحكى عن ابن عباس وعكرمة
الفرقان ضيا بغير واو على الحال وزعم الفرا ان حذف الواو والمجي بها واحد كما
قال عز وجل انا زينا السما الدنيا بزينة الكواكب وحفظا اي حفظا ورد
عليه هذا القول الزجاج قال لان الواو تجي لمعنى فلا تزاد قال وتفسير
الفرقان التوراة لان فيها الفرق بين الحلال والحرام قال وضيا مثل فيه
هدى ونور وقال ابن زيد الفرقان هنا هو النصر على الاعداد دليله قوله
وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يعني يوم بدر قال الثعلبي وهذا
اشبه بظاهر الاية لدخول الواو في الضيا فيكون معنى الاية ولقد اتينا
موسى وهارون النصر والتوراة التي هي الضيا والذكر للمتقين الذين يخشون
ربهم بالغيب اي غايبين لانهم لم يروا الله تعالى بل عرفوا بالنظر و
الاستدلال ان لهم ربا قادرا يجازي على الاعمال فهم يخشونه في سرايرهم
وخلواتهم التي يغيبون فيها عن الناس وهم من الساعة اي من قيامها
قبل التوبة مشفقون اي خايفون وجلون وهذا ذكر مبارك انزلناه
يعني القران فانتم له يا معشر العرب منكرون وهو معجز لا تقدرون
على الاتيان بمثله واجاز الفرا وهذا ذكر مباركا انزلناه بمعنى انزلناه
مباركا **قوله تعالى** ولقد اتينا ابراهيم رشده قال الفرا اي
اعطيناه هداه من قبل النبوة اي وفقناه للنظر والاستدلال لما
جن عليه الليل وراي النجم والشمس والقمر وقيل من قبل اي من قبل موسى
وهرون والرشد على هذا النبوة وعلى الاول اكثر اهل التفسير كما
قال ليحيى واتيناه الحكم صبيا وقال القرطبي رشده صلاحه وكنا به
عالمين اي انه اهل لايتا الرشد وصالح للنبوة **قوله تعالى** اذ قال
لابيه قيل المعنى اي اذكر حين قال فيكون الكلام قد تم عند قوله وكنا
به عالمين اذ قال فيكون الكلام متصلا ولا يوقف على قوله عالمين لابيه
وهو ازر وقومه نمرود ومن اتبعه ما هذه التماثيل اي الاصنام
والتمثال اسم موضوع للشي المصنوع مشبها بخلق من خلق الله تعالى
يقال مثلت الشي بالشي اي شبهته به واسم ذلك الممثل تمثال التي انتم
لها عاكفون اي مقيمون على عبادتها قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين
اي نعبدها تقليدا لاسلافنا قال لقد كنتم انتم واباوكم في ضلال
مبين اي في خسران بعبادتها اذ هي جمادات لا تنفع ولا تضر ولا تعلم

فيما يشهدون عليه بما قال ليكون ذلك حجة عليه بانهم راوه يكسر
الاصنام او لعلهم يشهدون طعنه على الهتهم ليعلموا انه يستحق العقاب
قلت وفي هذا دليل على انه كان لا يواخذ احد بدعوي احد فيما تقدم لقوله
فاتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون وهكذا الامر في شرعنا ولا
خلاف فيه **قوله تعالى** قالوا انت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم
فيه اربع مسايل **الاولي** لما لم يكن السماع عاملا ولا تثبت الشهادة
استفهموه هل فعل ام لا وفي الكلام حذف فجا ابراهيم حين اتي به فقالوا
انت فعلت هذا بالالهة فقال لهم ابراهيم على جهة الاحتجاج عليهم بل
فعله كبيرهم هذا اي انه غار وغضب من ان يعبد هو وتعبد الصغار
معه ففعل هذا بها لذلك ان كانوا ينطقون فسلوهم فعلق فعل الكبير
بنطق الاخرين تنبيها لهم على فساد اعتقادهم كانه قال بل هو الفاعل
ان نطق هولاء وفي الكلام تقديم على هذا التاويل في قوله فسلوهم
وقيل اراد بل فعله كبيرهم ان كانوا ينطقون فبين ان من لا يتكلم ولا يعلم
ولا يستحق ان يعبد فكان قوله من المعاريض وفي المعاريض مندوحة
عن الكذب اي سلوهم ان نطقوا فانهم يصدقون وان لم يكونوا ينطقون
فليس هو الفاعل وفي ضمن هذا الكلام اعتراف بانه الفاعل وهذا هو
الصحيح لانه عدده على نفسه فدل انه خرج مخرج التعريض وذلك انهم
كانوا يعبدونهم ويتخذونهم الهة من دون الله فقال ابراهيم لا بيه
بل فعله كبيرهم هذا ليقولوا انهم لا ينطقون ولا ينفعون ولا يضرون
فيقول لهم فلم تعبدونهم فتقوم عليه الحجة منهم ولهذا يجوز عند الايمة
فرض الباطل مع الخصوم حتى يرجع الى الحق من ذات نفسه فانه اقرب
في الحجة واقطع للشبهة كما قال لقومه هذا ربي وهذه اختي واني
سقيم وبل فعله كبيرهم هذا وقرا ابن السميقع بل فعله بتشديد اللام
بمعنى فلعل الفاعل كبيرهم وقال الكسائي الوقف عند قوله بل فعله
اي فعله من فعله ثم يبتدي كبيرهم هذا وقيل اي لم تنكرون ان يكون
فعله كبيرهم فهذا الزام بلفظ الخبر اي من اعتقد عبادتها يلزمه
ان يثبت لها فعلا والمعنى بل فعله كبيرهم فيما يلزمكم **مسيلة**
روى البخاري ومسلم والترمذي عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم يكذب ابراهيم النبي في شي قط الا في ثلاث قوله
اني سقيم وقوله لسارة اختي وقوله بل فعله كبيرهم لفظ الترمذي
وقال هذا حديث حسن صحيح ووقع في الاسرى في صحيح مسلم من حديث

ابي

ابي هريرة في قصة ابراهيم قال وذكر قوله في الكواكب هذا ربي فعلى
هذا تكون الكذبات اربع الا ان الرسول عليه السلام قد نفي تلك بقوله
لم يكذب ابراهيم النبي قط الا ثلاث كذبات ثنتين في ذات الله وقوله
اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وواحدة في شان سارة الحديث لفظ
مسلم وانما لم يعد عليه قوله في الكواكب هذا ربي كذبة وهي داخلة في الكذب
لانه والله اعلم كان حين قال ذلك في حال الطفولية وليست حال تكليف
او قاله لقومه مستفهما لهم على جهة التوبيخ والانكار وحذفت همزة الاستفهام
او على طريق الاحتجاج على قومه تنبيها على ان ما يتغير لا يصلح للربوبية
وقد تقدمت هذه الوجوه كلها في الانعام مبينة والحمد لله **مسيلة**
قال القاضي ابو بكر بن العربي في هذا الحديث نكتة عظمى تقصم الظهر
وهي انه عليه السلام قال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات ثنتين
ماحل بهما عن دين الله وهما قوله اني سقيم وبل فعله كبيرهم ولم يعد
هذه اختي في ذات الله تعالى وان كان دافع بها مكروها ولكنه لما كان
لابراهيم عليه السلام فيها حظ من صيانة فراشه وحماية اهله لم
يجعلها في ذات الله وذلك انه لا يجعل في جنب الله وذاته الا العمل الخالص
من شوايب الدنيا والمعاريض التي ترجع الى النفس اذا خلصت للدين
كانت لله سبحانه كما قال الا لله الدين الخالص وهذا لو صدر منا لكان
لله ولكن منزلة ابراهيم اقتضت هذا والله اعلم **مسيلة** قال
علماونا الكذب هو الاخبار عن الشي بخلاف ما هو عليه والاظهر ان قول
ابراهيم فيما اخبر عنه عليه كان من المعاريض وان كانت معاريض وحسنات
وحججا في الخلق ودلالات لكنها اثرت في الرتبة وخفضت عن محمد
المنزلة واستحيي منها قايلها على ما ورد في حديث الشفاعة فان الانبيا
يشفقون مما لا يشفق منه غيرهم اجلالا لله فان الذي كان يليق
بمرتبته في النبوة والخلة ان يصدع بالحق ويصرح بالامر كيف ما
كان ولكنه رخص له فقبل الرخصة فكان ما كان من القصة ولهذا
جا في حديث الشفاعة انما اتخذت خليلا من ورا وراء فنصبهما على البنا
كخمسة عشر وكما قالوا جاري بيت بيت ووقع في بعض نسخ مسلم من
ورا ورا باعادة من وحينيذ لا يجوز البنا على الفتح وانما يبني كل
واحد منهما على الضم لانه قطع عن الاضافة ونوي المضاف كقبل وبعد
وان لم ينو المضاف اعرب ونون غير ان وراء لا ينصرف لان الفه للتانيث
لانهم قالوا في تصغيرها وريية قال الجوهري وهي شاذة فعلى هذا

دماغه وكان اكره الناس عليه الذي يضرب راسه بمرزبة من
حديد فاقام بهذا نحوا من اربع مائة سنة قوله تعالى
ونجيناه ولوطا الى الارض باركنا فيها للعالمين يريد نجينا ابراهيم
ولوطا الى الشام وكانا بالعراق وكان لوطا عليه السلام عمه قاله
ابن عباس وقيل لها مباركة لكثرة خصبها وثمارها وانهارها ولانها
معادن الانبيا والبركة ثبوت الخير ومنه برك البعير اذا لزم مكانه
فلم يبرح وقال بن عباس الارض المباركة مكة وقيل بيت المقدس
لان منها بعث الله اكثر الانبيا وهي ايضا كثيرة الخصب والنمو عذبة
الما ومنها يتفرق في الارض قال ابو العالية ليس ما عذب الا يهبط
من السما الى الصخرة التي ببيت المقدس ثم يتفرق في الارض ونحوه
عن كعب الاحبار وقيل الارض المباركة مصر قوله تعالى ووهبنا
له اسحق ويعقوب نافلة اي زيادة لانه دعا في اسحق وزيد
يعقوب من غير دعا فكان ذلك نافلة اي زيادة على ما ساله اذ
قال رب هب لي من الصالحين ويقال لولد الولد نافلة لانه زيادة
على الولد وكلا جعلنا صالحين اي وكلا من ابراهيم واسحق ويعقوب
جعلناه صالحا عاملا بطاعة الله وجعلهم صالحين انما يتحقق
بخلق الصلاح والطاعة لهم وبخلق القدرة على الطاعة ما يكتسبه
العبد فهو مخلوق لله تعالى قوله تعالى وجعلناهم ايمة يهدون
بامرنا اي روسا يقتدي بهم في الخيرات واعمال الطاعات ومعنى
بامرنا اي بما انزلنا عليهم من الوحي والامر والنهي فكانه قال يهدون
بكتابنا وقيل المعنى يهدون الناس الى ديننا بامرنا اياهم بارشاد
الخلق ودعايهم التوحيد واوحينا اليهم فعل الخيرات اي ان يفعلوا
الطاعات واقام الصلاة وايتا الزكاة وكانوا لنا عابدين اي مطيعين
قوله تعالى ولوطا اتيناه حكما وعلما لوطا منصوب بفعل مضمر
دل عليه الثاني اي واتينا لوطا اتيناه وقيل اي واذكر لوطا والحكم
النبوة والعلم المعرفة بامر الدين وما يقع به الحكم بين الخصوم
وقيل علما فهما والمعنى واحد ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبايث
يريد سدوم بن عباس وكانت سبع قرى قلب جبريل عليه السلام ستة
وابقى واحدة للوط وعياله وهي زغر التي فيها الثمر من كورة فلسطين
الى حد الشراة ولها قرى كثيرة الى حد بحر الحجاز وفي الخبايث التي
كانوا يعملونها قولان احدهما اللواط على ما تقدم والثاني الضراط اي

كانوا يتضارطون في ناديهم ومجالسهم وقيل الضراط وحذف الحصى
وسيأتي انهم كانوا قوم سوء فاسقين اي خارجين عن طاعة الله
والفسوق الخروج وقد تقدم وادخلناه في رحمتنا اي في النبوة وقيل
في الاسلام وقيل الجنة وقيل عنا بالرحمة انجاه من قومه انه من الصالحين
قوله تعالى ونوحا اذ نادى من قبل اي واذكر نوحا اذ نادى اي
دعا من قبل اي من قبل ابراهيم ولوط على قومه وهو قوله رب لا تذر
على الارض من الكافرين ديارا قاله ولما كذبوه اني مغلوب فانتصر
فاستجبنا له فنجيناه واهله من الكرب العظيم اي من الغرق والكرب
الغم الشديد واهله اي المومنين منهم ونصرناه من القوم الذين كذبوا
باياتنا قال ابو عبيدة من بمعنى على وقيل المعنى فانتقمنا له من القوم
الذين كذبوا باياتنا فاغرقناهم اجمعين اي الصغير منهم والكبير
قوله تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث الى قوله وعلما
فيه ست وعشرون مسيلة الاولى قوله تعالى وداود وسليمان اذ
يحكمان اي واذكرهما اذ يحكمان ولم يرد بقوله اذ يحكمان الاجتماع في
الحكم وان جمعهما في القول فان حكمين على حكم واحد لا يجوز وانما حكم
كل واحد منهما على انفراده وكان سليمان الفاهم لها بفهم الله تعالى اياه في
الحرث اختلف فيه على قولين فقيل كان زرعا قاله قتادة وقيل كرما
نبتت عناقيده قاله بن مسعود وشريح والحارث يقال فيهما وهو
في الزرع ابعد من الاستعارة الثانية قوله تعالى اذ نفشت فيه غنم
القوم اي رعت فيه ليلا والنفش الرعي بالليل يقال نفشت بالليل
وهملت بالنهار اذا رعت بلا راع وانفشها صاحبها وابل نفاش
وفي حديث عبد الله بن عمرو الحبة من الجنة كمثل كرش البعير يبيت
نافشا اي راعيا حكاه الهروي وقال بن سيدة لا يقال الهمل في الغنم
وانما هو في الابل الثالثة قوله تعالى وكنا لحكمهم شاهدين دليل
على ان اقل الجمع اثنان وقيل اراد الحاكمين والمحكوم عليه فلذلك قال
لحكمهم الرابعة قوله تعالى ففهمناها سليمان اي فهمناه القضية
والحكومة فكنى عنها اذ سبق ما يدل عليها وفضل حكم سليمان حكم ابيه
في انه احرز ان يبقى ملك كل واحد منهما على متاعه وتبقى نفسه طيبة
بذلك وذلك ان داود عليه السلام راى ان يدفع الغنم الى صاحب
الحرث وقالت فرقة بل دفع الغنم الى صاحب الحرث والحرث الى
صاحب الغنم قال بن عطية فيشبه على القول الواحد انه راى الغنم

حتى يلد **السابعة** قال الحسن لولا هذه الاية لرايت
القضاة هلكوا ولكنه سبحانه وتعالى اثنى على سليمان عليه
الصلاة والسلام بصوابه وعذر داود عليه الصلاة
والسلام باجتهاده وقد اختلف الناس في المجتهدين
في الفروع اذا اختلفوا فقالت فرقة الحق في طرف واحد
عند الله تعالى وقد نصب على ذلك ادلة وحمل المجتهدين
على البحث عنها والنظر فيها فمن صادف العين المطلوبة
في المسئلة فهو المصيب على الاطلاق وله اجران اجر
في الاجتهاد واجر في الاصابة ومن لم يصادفها فهو
مصيب في اجتهاده مخطئ في ان لم يصب العين فله اجر
فهو غير معذور وهذا سليمان صلوات الله وسلامه
عليه قد صادف العين المطلوبة وهي التي فهم وراث
فرقة ان العالم المخطئ لا اثم عليه في خطائه وان كان
غير معذور وقالت فرقة في طرف واحد ولم ينصب الله
سبحانه وتعالى عليه دليلا بل وكل الامر الى نظر
المجتهدين فمن اصاب اصاب ومن اخطأ فهو معذور
ماجور ولم يتعبدنا باصابة العين بل تعبدنا بالاجتهاد
فقط وقال جمهور اهل السنة رحمهم الله تعالى وهو
المحفوظ عن مالك واصحابه ان الحق في مسائل الفروع
في الطرفين وكل مجتهد مصيب والمطلوب انما هو الافضل
في ظنه فكل مجتهد قد اداه نظره الى الافضل في ظنه
والدليل على هذه المقالة ان الصحابة رضي الله
تعالى عنهم فمن بعدهم قرر بعضهم خلاف بعض
ولم ير احد منهم ان يقع الانتقال على قوله دون قول
مخالفه ومنه رد مالك رحمه الله تعالى للمنصور ابى
جعفر على حمل الناس على الموطا فاذا قال عالم في
امر حلال فذلك هو الحق فيما يختص بذلك العالم
عند الله تعالى وبكل من اخذ بقوله وكذا في العكس
قالوا وان كان سليمان عليه الصلاة والسلام فهم
القضية المثلى والتي هي ارجح فالاولى ليست بخطا وعلى
هذا يحملون قوله عليه الصلاة والسلام اذا اجتهد

العالم فاخطا اى اخطا الافضل **الثامنة** روى مسلم وغيره
عن عمرو بن العاصى رضي الله تعالى عنه انه سمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اذا حكم الحاكم فاجتهد
ثم اصاب فله اجران واذا حكم فاجتهد ثم اخطا
فله اجر هكذا لفظ الحديث في كتاب مسلم اذا حكم فاجتهد
فبدا بالحكم قبل الاجتهاد والامر بالعكس فان الاجتهاد
متقدم على الحكم فلا يجوز الحكم قبل الاجتهاد بالاجماع
وانما معنى هذا الحديث اذا اراد ان يحكم كما قال
فاذا قرات القران فاستعذ بالله فعند ذلك يجتهد
في النازلة ويفيد هذا صحة ما قاله الاصوليون ان
المجتهد يجب عليه ان يجدد نظرا عند وقوع النازلة ولا
يعتمد على اجتهاده المتقدم لامكان ان يظهر له ثانيا
خلاف ما ظهر له اولا اللهم الا ان يكون ذاكرا لاركان
اجتهاده مائلا اليه فلا يحتاج الى استيناف نظر في امارة
اخرى **التاسعة** انما يكون الاجر للحاكم المخطئ اذا
كان عالما بالاجتهاد والسنن والقياس وقضاء من مضى
لان اجتهاده عبادة ولا يؤجر على الخطا بل يوضع عنه
الاثم فقط فاما من لم يكن محلا للاجتهاد فهو متكلف
لا يعذر بالخطا في الحكم بل يخاف عليه اعظم الوزر يدل
على ذلك حديثه الاخر رواه ابو داود القضاة ثلاثة
الحديث قال ابن المنذر انما يؤجر على اجتهاده في طلب
الصواب لا على الخطا ومما يؤيد هذا قوله تعالى
ففهمناها سليمان الاية قال الحسن اثنى على سليمان
ولم يذم داود عليهما الصلاة والسلام **العاشرة**
ذكر ابو التمام المالكي ان مذهب مالك رضي الله
تعالى عنه ان الحق في واحد من اقاويل المجتهدين
وليس ذلك في اقاويل المختلفين وبه قال اكثر الفقهاء
قال وحكى ابن القاسم انه سال مالكا رحمه الله
تعالى عن اختلاف الصحابة رضي الله تعالى عنهم
فقال مخطئ ومصيب وليس الحق في جميع اقاويلهم
وهذا القول قبله هو المشهور عن مالك رحمه الله

الدعاوى كالطول والقصر والسواد والبياض وذلك لا يوجب
ترجيح احد المتداعيين حتى يحكم له او عليه لاجل ذلك ٥
وهذا مما يقطع به من فهم ما جاءت به الشرايع والذى
ينبغى ان يقال ان داود عليه الصلاة والسلام انما قضى
به للكبرى لسبب اقتضى عنده ترجيح قولها ولم يذكر
فى الحديث تعيينه اذ لم تدع حاجة اليه فيمكن ان
الولد كان بيدها وعلم عجز الاخرى عن اقامة البينة
فقضى به لها ابقاء لما كان على ما كان وهذا التاويل
احسن ما قيل فى هذا الحديث وهو الذى تشهد
له قاعدة الدعاوى الشرعية التى يبعد اختلاف
الشرايع فيها لا يقال فان كان داود عليه الصلاة
والسلام قضى بسبب شرعى فكيف ساغ لسليمان
عليه الصلاة والسلام نقض حكمه فالجواب ان سليمان
لم يتعرض لحكم ابيه بالنقض وانما احتال حيلة ٥
لطيفة ظهر له بسببها صدق الصغرى وهى انه
لما قال هات السكين اشقه بينكما قالت الصغرى
لا فظهر له من قرينة الشفقة فى الصغرى وعدم
ذلك فى الكبرى مع ما عساه انضاف الى ذلك من ٥
القراين ما حصل له العلم بصدقها فحكم لها ولعله
كان ممن سوغ له ان يحكم بعلمه وقد ترجم النساى
على هذا الحديث حكم الحاكم بعلمه وترجم له ايضا
التوسعة للحاكم ان يقول للشى الذى لا يفعله افعل
ليستبين الحق وترجم له ايضا نقض الحاكم ما يحكم
به غيره ممن هو مثله او اجل منه ولعل الكبرى اعترفت
بان الولد للصغرى عندما رات من سليمان عليه
الصلاة والسلام الحزم والجد فى ذلك فقضى بالولد
للصغرى ويكون هذا كما اذا حكم الحاكم باليمين ٥
فلما مضى ليحلف حضر من استخرج من المنكر ما اوجب
اقراره فانه يحكم عليه بذلك الاقرار قبل اليمين
وبعدها ولا يكون ذلك من باب نقض الحكم الاول
لكن من باب تبدل الاحكام بحسب تبدل الاسباب

والله اعلم وفى هذا الحديث من الفقه ان الانبيا
عليهم الصلاة والسلام مسوغ لهم الحكم بالاجتهاد
وقد ذكرناه وفيه من الفقه استعمال الحكام الحيل
التى يستخرج بها الحقوق وذلك يكون عن قوة الذكا
والفطنة وممارسة احوال الخلق وقد يكون فى اهل
التقوى فراسة دينية وتوسمات نورية وذلك فضل
الله يؤتيه من يشا وفيه حجة لمن يقول ان الام
تستلحق وليس مشهور مذهب مالك رحمه الله
تعالى وليس هذا موضع ذكره وعلى الجملة فقضا
سليمان عليه الصلاة والسلام فى هذه القصة فضيلة
مدحه تعالى له بقوله ففهمناها سليمان الثالثة
عشرة تقدم القول فى الحرث والحكم فى هذه
الواقعة فى شرعنا ان على اصحاب الماشية حفظها
بالليل وعلى اصحاب الحوايط حفظ حيطانهم وزرعهم
بالنهار ثم الضمان فى المثل بالمثليات وبالقيمة فى ذوات
القيم والاصل فى هذه المسئلة فى شرعنا ما حكم به
محمد نبينا صلى الله عليه وسلم فى ناقة البرا بن
عازب رواه مالك عن ابن شهاب عن حرام بن سعد
عن محيصة ان ناقة للبرا دخلت حايط رجل ٥
فافسدت فيه فقضى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان على اهل الحوايط حفظها بالليل وان ما
افسدت المواشى بالليل ضامن على اهلها هكذا
رواه جميع الرواة مرسلا وكذلك رواه اصحاب ابن
شهاب عن ابن شهاب الا ابن عيينة فانه رواه عن
الزهرى عن سعيد وحرام بن سعد بن محيصة ان
ناقة البرا دخلت حايط قوم مثل حديث مالك ٥
سواء الا انه لم يذكر حرام بن سعد بن محيصة
ولا غيره قال ابن عمر ولم يصنع ابن ابى ذيب شيا
لانه افسد اسناده ورواه عبد الرزاق عن معمر عن
الزهرى عن حرام بن محيصة عن ابيه عن النبى صلى
الله عليه وسلم ولم ينازع عبد الرزاق على ذلك

من طرق لا تصح السادسة عشرة قال مالك
رضى الله تعالى عنه ويقوم الزرع الذى افسدت
المواشى بالليل على الرجا والخوف قال والحوايط
التى تحرس والتى لا تحرس والمخطر عليها وغير
المخطر سواء يغرم اهلها ما اصابت بالليل
بالغا ما بلغ وان كان اكثر من قيمتها قال فاذا
انفلتت دابة بالليل فوطيت على رجل نايم
لم يغرم صاحبها شىء وانما هذا فى الحايط والزرع
والحرث ذكره عنه ابو عبد الحكم وقال ابن
القاسم ما افسدت الماشية بالليل فهو فى
مال ربها وان كان ⁝ ثمنها لان الجناية
من قبله اذ لم يربطها وليست الماشية
كالعبيد حكاه سحنون واصبغ وابو زيد عن
ابن القاسم السابعة عشرة ولا ⁝ فى
الزرع ان ينبت كما يفعل فى سن الصغير وقال
عيسى عن ابن القاسم قيمته لو حل بيعه
وقال اشهب وابن نافع فى المجموعة عنه وان
لم يبد صلاحه ابن العربى والاول اقوى
لانها صفته الثامنة عشرة لو لم يقض
للمفسد له بشىء حتى نبت وانجبر فان كان فيه
قبل ذلك منفعة رعى او شىء ضمن تلك المنفعة
وان لم يكن فيه منفعة فلا ضمان وقال اصبغ
يضمن لان التلف قد تحقق والجبر ليس من
جهته فلا يعتد له بشىء التاسعة عشرة
وقع فى كتاب ابن سحنون ان الحديث انما جاء
فى امثال المدينة التى هى حيطان محدقة
واما البلاد التى هى زروع متصلة غير محظرة
وبساتين كذلك فيضمن ارباب النعم ما
افسدت من ليل او نهار كانه ذهب الى ان
ترك تثقيف الحيوان فى مثل هذه البلاد تعد لانها
ولا بد تفسد وهذا جنوح الى قول الليث رحمه

الله

الله تعالى الموفية عشرون قال اصبغ فى المدينة
ليس لاهل المواشى ان يخرجوا مواشيهم الى قرى
الزرع بغير ذواد فركب العلماء رحمهم الله تعالى
على هذا ان البقعة لا تخلو ان تكون بقعة زرع
او بقعة سرح فان كانت بقعة سرح فان كانت بقعة
زرع فلا تدخلها ماشية الا ماشية تحتاج وعلى
اربابها حفظها وما افسدت فصاحبها ضامن ليلا
او نهارا وان كانت بقعة سرح فعلى صاحب الذى حرثه
فيها حفظه ولا شىء على ارباب المواشى الحادية
والعشرون المواشى على قسمين ضوارى
وحريسة وعليها قسمها مالك فالضوارى هى
المعتادة للزرع والثمار فقال مالك رحمه الله
تعالى تطرد وتباع فى بلد لا زرع فيه رواه ابن
القاسم فى الكتاب وغيره قال ابن حبيب
وان كره ذلك ربها ولذلك قال مالك فى الدابة
التى ضريت افساد الزرع تغرب وتباع واما ما
يستطاع الاحتراس منه فلا يؤمر صاحبه باخراجه
الثانية والعشرون قال اصبغ النحل
والحمام والاوز والدجاج كالماشية لا يمنع صاحبها
من اتخاذها وان اضرت وعلى اهل القرية حفظ
زروعهم قال ابن العربى وهذه رواية ضعيفة
لا يلتفت اليها من اراد ان يتخذ ما ينتفع به مما
لا يضر بغيره مكن منه واما انتفاعه بما يتخذه
باضراره باحد فلا سبيل اليه قال عليه الصلاة
والسلام لا ضرر ولا ضرار وهذه الضوارى
عن ابن القاسم فى المدينة لا ضمان على اربابها
الا بعد التقدم ابن العربى وارى الضمان عليهم
قبل التقدم اذا كانت ضوارى الثالثة والعشرون
ذكر عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن الشعبى
ان شاة وقعت فى غزل حايك فاختصموا الى شريح
فقال الشعبى انظروه فانه ⁝ ابلا وقعت

امرها بالتسبيح وقيل ان سيرها معه تسبيحها
والتسبيح ماخوذ من السباحة دليله قوله
سبحانه وتعالى يا جبال اوبي معه وقال قتادة
يسبحن يصلين معه اذا صلى والتسبيح الصلاة
وكل محتمل وذلك فعل الله سبحانه وتعالى بها
ذلك لان الجبال لا تعقل فتسبيحها دلالة على
تنزيه الله سبحانه وتعالى عن صفات العاجزين
والمحدثين **قوله تعالى** وعلمناه صنعة لبوس
لكم فيه ثلاث مسايل **المسيلة الاولى**
قوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم يعني اتخاذ
الدروع بالانة الحديد واللبوس عند العرب
السلاح كله درعا كان او جوشنا او سيفا او رمحا
قال الهذلي يصف رمحا •
• وعند لبوس في اللباس كانه • روق بجبهة ذي نعاج محمل •
واللبوس كلما يلبس وانشد ابن السكيت •
• البس لكل حالة لبوسها • اما نعيمها واما بوسها •
واراد الله سبحانه وتعالى هنا الدرع وهو بمعنى
الملبوس نحو الركوب والحلوب قال قتادة اول
من صنع الدروع داود عليه الصلاة والسلام و
انما كانت صفايح فهو اول من سردها وحلقها **المسيلة
الثانية** قوله تعالى لتحصنكم لتحرزكم من
باسكم اى من حربكم وقيل من السيف والسهم
والرمح اى من آلة باسكم فحذف المضاف ابن
عباس رضي الله تعالى عنه من سلاحكم ه
الضحاك من حرب اعدائكم والمعنى واحد وقرى
الحسن وابو جعفر وابن عامر وحفص وروح ع
لتحصنكم بالتاء ردا على الصنعة وقيل على
اللبوس والمنعة التي هي الدروع وقرا شيبة
وابو بكر والمفضل ورويس وابن اسحق لنحصنكم
بالنون لقوله وعلمناه وقرا الباقون بالياء جعلوا
الفعل للبوس او يكون الفعل المعنى ليحصنكم الله

فهل

فهل انتم شاكرون بان تطيعوا رسولي **المسيلة
الثالثة** هذه الاية اصل في اتخاذ الصنايع والاسباب
وهو قول اهل العقول والالباب لا قول الجهلة الاغبيا
القايلون بان ذلك انما شرع للضعفا فالتسبب
سنة الله تعالى في خلقه فمن طعن في ذلك فقد
طعن في الكتاب والسنة ونسب من ذكرنا الى الضعف
وعدم المنة وقد اخبر الله سبحانه وتعالى عن نبيه
داود عليه الصلاة والسلام انه كان يصنع الدروع
وكان ايضا يصنع الخوص وكان ياكل من عمل يده
وكان ادم عليه الصلاة والسلام حراثا ونوح نجارا
ولقمان خياطا وطالوت دباغا وقيل سقا فالصنعة
يكف بها الانسان نفسه عن الناس ويدفع بها عن
نفسه الضرر والباس وفي الحديث ان الله يحب
المومن المحترف الضعيف المتعفف ويبغض السايل
الملحف وسياتي لهذا مزيد بيان في تفسير سورة
الفرقان ان شاء الله تعالى وقد تقدم في غير ما اية
ما فيه كفاية والحمد لله رب العالمين **قوله
تعالى** ولسليمان الريح عاصفة اى شديدة الهبوب
يقال منه عصفت الريح اى اشتدت فهي ريح
عاصف وعصوف وفي لغة بني اسد اعصفت الريح
لانها تعصف بشدة تطيرها وقرا عبد الرحمن
الاعرج والسلمي وابو بكر ولسليمن الريح برفع
الحاء على القطع مما قبله والمعنى ولسليمان تسخير
الريح ابتدا او خبر تجري بامره الى الارض التي باركنا
فيها يعني الشام يروى انها كانت تجري به وباصحابه
الى حيث اراد ثم تردّه الى الشام وقال وهب
كان سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام
اذا خرج الى مجلسه عكفت عليه الطير وقام له
الجن والانس حتى يجلس على سريره وكان
امرا غزاء لا يقعد عن الغزو فاذا اراد ان يغزو
امر بخشب فمدت ورفع عليها الناس والدواب واله

ان الدود كان يتناول بدنه فصبر حتى تناولت دودة
قلبه واخرى لسانه فقال مسني الضر لاشتغاله
عن ذكر الله تعالى قال ابن العربي وما احسن هذا
لو كان له سندا ولم يكن دعوى عريضة التاسع
انه ابهم عليه جهة اخذ البلا له هل هو تاديب
او تعذيب او تخصيص او تمحيص او ذخر او طهر فقال
مسني الضر اي ضر الاشكال في جهة اخذ البلا
قال ابن العربي وهذا اغلو لا يحتاج اليه العاشرة
انه قيل له سل الله العافية فقال اقمت في
النعيم سبعين سنة فاقيم في البلا سبعين
سنة وحينئذ اساله فقال مسني الضر قال
ابن العربي وهذا ممكن ولكنه لم يصح في اقامته
مدة ولا في هذه القصة الحادي عشر ان ضره
قول ابليس لزوجه اسجدي لي فخاف ذهاب الايمان
عنها فيهلك وتبقى بغير كافل الثاني عشر لما ظهر به
البلا قال قومه قد اضر بنا كونه معنا وقذره
فليخرج عنا فاخرجته امراته الى ظاهر البلده
فكانوا اذا خرجوا راوه فتطيروا به وتشاموا برؤيته
فقالوا ليبعد بحيث لا نراه فخرج الى بعد من القرية
فكانت امراته تقوم عليه وتحمل قوته اليه فقالوا
انها تتناوله وتخالطنا فيعود بسببه ضره الينا
فارادوا قطعها عنه فقال مسني الضر الثالث
عشر قال عبد الله بن عبيد بن عمير كان لايوب
عليه الصلاة والسلام اخوان فاتياه فقاما من
بعيد لا يقدران ان يدنوا منه من نتن ريحه فقال
احدهما للاخر لو علم الله تعالى في ايوب خيرا ما
ابتلاه بهذا البلا فلم يسمع شيئا اشد عليه من
هذه الكلمة فعند ذلك قال مسني الضر ثم
قال اللهم ان كنت تعلم اني لم ابت شبعان قط
وانا اعلم مكان جائع فصدقني فنادى مناد من
السماء ان صدق عبدي وهما يسمعان فخرا ساجدين

الرابع عشر ان معنى مسني الضر من شماتة الاعدا
قال ابن العربي وهذا ممكن فان الكليم قد سال
اخوه العافية من ذلك فقال ان القوم استضعفوني
وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعدا الخامس عشر
ان امراته كانت ذات ذوايب فعدمت حين منعت
ان تتصرف لاحد بسببه ما تعود به عليه فقطعت
ذوايبها واشترت بها ممن يصلها قوتا وجاءت به
اليه وكان يستعين بذوايبها في تصرفه وتنقله
فلما عدمه واراد الحركة في تنقله قال مسني الضر
وقيل انما اشترت القوت لما اشترت القوت بذوا
بيبها
جاءه ابليس في صفة رجل وقال له ان اهلك بغت
فاخذت وحلق شعرها فحلف ايوب عليه الصلاة
والسلام ان يجلدها فكانت المحنة على قلب المراة
اشد من المحنة على قلب ايوب قلت وقول سادس
عشر ذكره ابن المبارك حدثنا يونس بن يزيد
عن عقيل عن ابن شهاب ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم ذكر يوما ايوب النبي عليه
الصلاة والسلام وما اصابه من البلا الحديث
وفيه ان بعض اخوانه ممن صابره ولازمه قال
يا نبي الله لقد اعجبني امرك وذكرته الى اخيك
وصاحبك انه قد ابتلاك بذهاب الاهل والمال
وفي جسدك منذ ثمانية عشرة سنة حتى
بلغت من امرك ما ترى لا يرحمك فيكشف عنك
لقد اذنبت ذنبا ما اظن احدا ابلغه فقال ايوب
عليه الصلاة والسلام ما ادري ما تقولان غير ان
ربي عز وجل يعلم اني كنت امر على الرجلين
يتزاعمان فكل يحلف بالله تعالى او على النفر
يتزاعمون فانقلب الى اهلي فاكفر عن ايمانهم
ارادة ان لا ياثم احد ذكره ولا يذكره احد الا بحق
فنادى ربه اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين
وانما كان دعاؤه عرضا عرض على الله تبارك

على شدة ابدا الدنيا نحو ما فعل ايوب عليه الصلاة
والسلام فيكون هذا نبيها لهم على ادامة العبادة
واحتمال الضرر واختلف في مدة اقامته في البلا
فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه كانت مدة
البلا سبع سنين وسبعة اشهر وسبعة ايام
وسبع ليال وهب ثلاثين سنة الحسن سبع
سنين وستة اشهر قلت واصح من هذا
والله اعلم ثمان عشرة سنة رواه ابن شهاب
عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم ذكره
ابن المبارك وقد تقدم قوله تعالى واسمعيل
وادريس وهو خنوخ وقد تقدم وذا الكفل اى
واذكرهم وخرج الترمذي الحكيم في نوادر
الاصول وغيره من حديث ابن عمر رضي الله
تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال كان في بني اسرائيل رجل يقال له ذو الكفل
لا ينزع عن ذنب عمله فاتبع امراة فاعطاها
ستين دينارا فلما قعد منها مقعد الرجل من امراته
ارتعدت وبكت فقال ما يبكيك قالت من هذا
العمل والله ما عملته قط اكرهتك قالت لا ولكن
حملني عليه الحاجة قال اذهبي فهو لك والله لا
اعصى الله ابدا ثم مات من ليلته فوجدوا على
باب داره مكتوبا ان الله قد غفر لذي الكفل وخرجه
ابو عيسى الترمذي ايضا ولفظه عن ابن عمر
قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يحدث
حديثا لو لم اسمعه الا مرة او مرتين حتى عد سبع
مرات ولكني سمعته اكثر من ذلك سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول كان ذو الكفل
من بني اسرائيل لا يتورع من ذنب عمله فاتته
امراة فاعطاها ستين دينارا على ان يطاها فلما
قعد منها مقعد الرجل من امراته ارعدت
وبكت فقال ما يبكيك اكرهتك قالت لا ولكنه

عمل ما عملته قط وما حملني عليه الا الحاجة فقال
تفعلين انت هذا وما افعله انا اذهبي فهي لك
وقال والله لا اعصى الله بعدها ابدا فمات من
ليلته فاصبح مكتوبا على بابه ان الله غفر لذي الكفل
قال حديث حسن وقيل ان اليسع لما كبر قال
لو استخلفت رجلا على الناس حتى انظر كيف
يعمل فقال من يتكفل لي بثلاث بصيام النهار
وقيام الليل وان لا يغضب ويقضي فقال رجل
من ذرية العيص انا فرده ثم قال مثلها من
الغد فقال الرجل انا فاستخلفه فوفى فاثنى الله
سبحانه وتعالى عليه فسمي ذا الكفل لانه تكفل
بامر قاله ابو موسى ومجاهد وقتادة وقال عمرو
ابن عبد الله بن الحرث وقال ابو موسى عن
النبي صلى الله عليه وسلم ان ذا الكفل لم
يكن نبيا ولكنه كان عبدا صالحا فتكفل بعمل
رجل صالح عند موته وكان يصلي لله كل يوم مائة
صلاة فاحسن الله سبحانه وتعالى عليه الثنا عليه
وقال كعب كان في بني اسرائيل ملك كافر فمر
ببلاده رجل صالح فقال والله ان خرجت من هذه
البلاد حتى اعرض على هذا الملك الاسلام فعرض
عليه فقال ما جزاي قال الجنة ووصفها له قال
من يتكفل لي بذلك قال انا فاسلم الملك وتخلى
عن المملكة واقبل على طاعة ربه حتى مات
ندفن فاصبحوا فوجدوا يده خارجة من القبر وفيها
رقعة خضرا مكتوب فيها بنور ابيض ان الله قد
غفر لي وادخلني الجنة ووفى كفالة فلان
فاسرع الناس الى ذلك الرجل بان ياخذ عليهم
الايمان ويتكفل لهم بما تكفل به للملك ففعل
ذلك فامنوا كلهم وسمي ذا الكفل وكان رجلا
عفيفا يتكفل بشان كل انسان وقع في بلاد او تهمة
او مطالبة فينجيه الله سبحانه وتعالى على يديه

الله سبحانه وتعالى الى شعيا ان قل لحزقيل الملك
ان يختار نبيا قويا امينا من بني اسرائيل فيبعثه
الى اهل نينوى فيامرهم بالتخلية عن بني اسرائيل
فاني ملق في قلوب ملوكهم وجبابرتهم التخلية
عنهم فقال يونس عليه الصلاة والسلام لشعيا
هل امرك الله باخراجي قال لا قال فهل سماني
لك قال لا قال فها هنا انبيا امنا اقويا فالحوا عليه
فخرج مغاضبا للنبي والملك وقومه فاتى بحر الروم
فكان من قصته ما كان فابتلي ببطن الحوت لتركه
امر شعيا ولهذا قال تعالى فالتقمه الحوت وهو
مليم والمليم من فعل ما يلام عليه وكان ما فعله
اما صغيرة او ترك الاولى وقيل خرج ولم يكن نبيا
في ذلك الوقت ولكن امره ملك من ملوك بني اسرائيل
ان ياتي نينوى ليدعوا اهلها بامر شعيا فانف ان يكون
ذهابه اليهم بامر احد غير الله تعالى فخرج مغاضبا
للملك فلما نجا من بطن الحوت بعثه الله سبحانه
وتعالى الى قومه فدعاهم وامنوا به قال القشيري
والاظهر ان هذه المغاضبة كانت بعد ارسال
الله تعالى اياه وبعد رفع العذاب عن القوم بعد
ما اظلهم فانه كره رفع العذاب عنهم قلت
هذا احسن ما قيل فيه على ما ياتي بيانه في تفسير
سورة والصافات ان شاء الله تعالى وقيل انه
كان من اخلاق قومه قتل من جربوا عليه الكذب
فخشي ان يقتل فغضب وخرج فارا على وجهه حتى
ركب في سفينة فسكنت ولم تجر فقال اهلها افيكم
ابق فقال انا هو وكان من قصته ما كان وابتلي
ببطن الحوت تمحيصا له من الصغيرة كما قال الله
سبحانه وتعالى في اهل احد حتى اذا فشلتم الى قوله
وليمحص الله الذين امنوا فمعاصي الانبيا عليهم
الصلاة والسلام مغفورة قد يجري تمحيص وتتضمن
ذلك زجرا عن المعاودة وقول رابع انه لم يغاضب

ربه ولا قومه ولا الملك وانه من قولهم غضب اذا انف
وفاعل قد يكون من واحد فالمعنى انه لما وعد قومه
بالعذاب وخرج عليهم تابوا وكشف عنهم العذاب
فلما رجع وعلم انهم لم يهلكوا انف من ذلك فخرج انفا
وينشد هذا البيت

• وأغضب أن تهجى تميم بدارم •

اي انف وهذا فيه نظر فانه يقال لصاحب هذا القول
ان تلك المغاضبة وان كانت من الانفة لا بد ان يخالطها
الغضب وذلك الغضب وان دق على من كان وانت
تقول لم يغضب على ربه ولا على قومه فذلك
الغضب الذي يخالط الانفة على من كان **قوله تعالى**
فظن ان لن نقدر عليه قيل معناه استزله ابليس
ووقع في ظنه امكان ان لا يقدر الله عليه بمعاقبته
وهذا قول مردود مرغوب عنه لانه كفر روي عن
سعيد بن جبير رضي الله تعالى عنه حكاه عنه المهدوي
والثعلبي عن الحسن وذكر الثعلبي وقال عطا
وسعيد بن جبير وكثير من العلما رحمهم الله تعالى
معناه فظن ان لن نضيق عليه قال الحسن من
قوله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اي يضيق
وقوله تعالى ومن قدر عليه رزقه قلت وهذا
الاشبه بقول سعيد والحسن وقدر وقدر وقتر
وقتر بمعنى اي ضيق وهو قول ابن عباس رضي
الله تعالى عنه فيما ذكره المهدوي والماوردي
والمهدوي وقيل هو من القدر الذي هو القضا
والحكم اي فظن ان لن نقدر عليه العقوبة قاله
مجاهد والفرا ماخوذ من القدر وهو الحكم
دون القدرة والاستطاعة وروي عن ابي العباس
احمد بن يحيى ثعلب انه قال في قول الله عز
وجل فظن ان لن نقدر عليه قال هو من
التقدير ليس من القدرة يقال منه قدر
الله لك الخير يقدره قدرا بمعنى قدر الله لك

لك مسجدا حيث لم يتخذه احد وقال ابو المعالى قوله صلى الله عليه وسلم لا تفضلونى على يونس بن متى المعنى فانى لم اكن وانا فى سدرة المنتهى باقرب الى الله سبحانه وتعالى منه وهو فى قعر البحر فى بطن الحوت وهذا يدل على ان البارى سبحانه وتعالى ليس فى جهة وقد تقدم هذا المعنى فى تفسير سورة البقرة وسورة الاعراف ان لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين يريد فيما خالف فيه من ترك مداومة قومه والصبر عليهم وقيل فى الخروج من غير ان يوذن له ولم يكن ذلك من الله سبحانه وتعالى عقوبة لان الانبيا عليهم الصلاة والسلام لا يجوز ان يعاقبوا وانما كان تمحيصا وقد يودب من لا يستحق العقاب كالصبيان ذكره الماوردى وقيل من الظالمين فى دعائى على قومى بالعذاب وقد دعا نوح عليه الصلاة والسلام على قومه فلم يواخذ وقال الواسطى فى معناه نزه ربه سبحانه وتعالى عن الظلم واضاف الظلم الى نفسه اعترافا واستحقاقا ومثل هذا قول ادم وحوى عليهما الصلاة والسلام ربنا ظلمنا انفسنا اذ كانا السبب فى وضعهما انفسهما غير الموضع الذى انزلا فيه

المسئلة الثانية روى ابو داود عن سعيد بن ابى وقاص رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال دعاء ذى النون فى بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين لم يدع به رجل مسلم الا استجيب له وقد قيل انه اسم الله الاعظم ورواه سعد عن النبى صلى الله عليه وسلم وفى الخبر فى هذه الاية شرط الله لمن دعاه ان يجيبه كما اجابه وينجيه كما انجاه وهو قوله وكذلك ننجى المومنين وليس هنا صريح دعاء وانما هو مضمون قوله انى كنت من الظالمين فاعترف بالظلم فكان تلويحا

قوله

قوله تعالى وكذلك ننجى المومنين اى نخلصهم من همهم بما سبق من عملهم وذلك قوله فلولا انه كان من المسبحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون وهذا حفظ من الله سبحانه وتعالى لعبده يونس عليه الصلاة والسلام رعى له حق تعبده وحفظ ذمام ما سلف له من طاعته وقال الاستاذ ابو اسحق صحب ذا النون الحوت اياما قلائل فالى يوم القيامة يقال له ذو النون فما ظنك بعبد عبده سبعين سنة يبطل هذا عنده لا يظن به ذلك من الغم اى من بطن الحوت **قوله تعالى** وكذلك ننجى قراة العامة بنونين من انجى ينجى وقرا ابن عامر نجى بنون واحدة وجيم مشددة وتسكين الياء على الفعل الماضى واضمار المصدر وكذلك نجى النجا المومنين كما تقول ضرب زيدا بمعنى ضرب الضرب زيدا وانشد

ولو ولدت قفيرة جرو كلب   لسب بذلك الجرو الكلابا

اراد لسب السب بذلك الجرو وسكنت ياؤه على لغة من يقول بقى ورضى فلا يحرك الياء وقرا الحسن وذروا ما بقى من الربا استثقالا لتحريك ياء قبلها وانشد

خمر الشيب لمتى تخميرا   وحدا بى الى القبور البعيرا

ليت شعرى اذا القيامة قامت   ودعى بالحساب اين المصيرا

سكن الياء فى دعى استثقالا لتحريكها وقبلها كسرة وفاعل حدى المشيب اى وحدى المشيب البعير ليت شعرى المصير اين هو هذا تاويل الفرا وابو عبيد وثعلب فى تصويب هذه القراة وخطاها ابو حاتم والزجاج وقالوا هو لحن لانه نصب اسم ما لم يسم فاعله وانما يقال نجى المومنون كما يقال كرم الصالحون ولا يجوز ضرب زيدا بمعنى ضرب الضرب زيدا لانه لا فائدة اذ كان ضرب يدل على الضرب ولا يجوز ان يحتج بمثل ذلك البيت على كتاب الله

باصبع واحد فهو الاخلاص واذا رفع يديه حذو صدره
فهو الدعا واذا رفعهما حتى يجاوز بهما راسه وظاهرهما
مما يلي وجهه فهو الابتهال قال الطبري وقد روي
قتادة عن انس رضي الله تعالى عنه قال رايت
النبي صلى الله عليه وسلم يدعو بظهر كفيه وباطنهما
ورغبا ورهبا منصوبان على المصدر اي يرغبون
رغبا ويرهبون رهبا او على المفعول من اجله اي
للرغب والرهب او على الحال وقرا طلحة بن مصرف
ويدعونا بنون واحدة وقرا الاعمش بضم الراء
واسكان الغين والهاء مثل السقم والبخل والعدم
والضر لغتان وابن وثاب والاعمش ايضا رغبا ورهبا
بالفتح في الراء والتخفيف في الغين والهاء وهما لغتان
مثل نهر ونهر وصخر وصخر ورويت هذه القراءة
عن ابي عمرو وكانوا لنا خاشعين اي متواضعين
خاضعين والتي احصنت فرجها
اي واذكر مريم عليها الصلاة والسلام التي احصنت
فرجها وانما ذكرها وليست من الانبيا عليهم الصلاة
والسلام لتتميم ذكر عيسى عليه الصلاة والسلام
ولهذا قال وجعلناها وابنها اية للعالمين لان معنى
الكلام وجعلنا شانهما وامرهما وقصتهما اية للعالمين
وقال الزجاج ان الاية فيهما واحدة لانها ولدته من
غير فحل وعلى مذهب سيبويه التقدير وجعلناها
اية للعالمين وابنها مثل قوله جل ثناؤه والله
ورسوله احق ان يرضوه وقيل ان من اياتهما انها اول
امراة قبلت في النذر في المتعبد ومنها ان الله
سبحانه وتعالى غذاها برزق من عنده لم يجر على
يد عبد من عبيده وقيل انها لم تلقم ثديا قط واحصنت
معناه عفت فامتنعت من الفاحشة وقيل ان المراد
بالفرج فرج القميص اي لم يعلق بثوبها ريبة اي انها
طاهرة الاثواب وفروج القميص اربعة الكمان والاعلا
والاسفل قال السهيلي فلا يذهبن وهمك الى غير

هذا

هذا فانه من لطيف الكناية فان القران انزه معنى
واوزن لفظا والطف اشارة واحسن عبارة من ان
يريد ما يذهب اليه وهم الجاهل لا سيما والنفخ من
روح القدس بامر القدوس فاضيف القدس الى
القدوس ونزهت المقدسة المطهرة عن الظن
الكاذب والحدس فنفخنا فيها من روحنا يعني امرنا
جبريل حتى نفخ في درعها فاحدثنا بذلك النفخ المسيح
في بطنها وقد مضى هذا في تفسير سورة النسا وسورة
مريم فلا معنى للاعادة اية اي علامة واعجوبة
للخلق وعلما لنبوة عيسى عليه الصلاة والسلام
ودلالة على نفوذ قدرتنا فيما نشا
ان هذه امتكم امة واحدة لما ذكر الانبيا عليهم الصلاة
والسلام قال هؤلاء كلهم مجتمعون على التوحيد
فالامة هنا بمعنى الدين الذي هو الاسلام قاله ابن
عباس ومجاهد وغيرهما فاما المشركون فقد خالفوا
الكل وانا ربكم اي الهكم وحدي فاعبدون اي
افردوني بالعبادة وقرا عيسى بن عمر وابن ابي اسحق
ان هذه امتكم امة واحدة ورواها حسين عن
ابي عمرو والباقون امة واحدة بالنصب على القطع
لمجي النكرة بعد تمام الكلام قاله الفرا الزجاج انتصب
امة على الحال اي في حال اجتماعها على الحق اي ه
هذه امتكم ما دامت امة واحدة واجتمعتم على
التوحيد فاذا خالفتم وتفرقتم فليس من خالف
الحق من جملة اهل الدين الحق وهما كما تقول فلان
صديقي عفيفا اي ما دام عفيفا فاذا خالف العفة
لم يكن صديقي واما الرفع فيجوز ان يكون على
البدل من امتكم او على اضمار مبتدا اي ان
هذه امتكم هذه امة واحدة او تكون خبرا بعد
خبر ولو نصبت امتكم على البدل من هذه
لجاز وتكون امة واحدة خبر ان
وتقطعوا امرهم بينهم اي تفرقوا في الدين قاله

كل حدب ينسلون قال ابن عباس رضى الله تعالى
عنه من كل شرف يقبلون اى لكثرتهم ينسلون من كل
ناحية والحدب ما ارتفع من الارض والجمع الحداب ماخوذ
من حدب الظهر قال عنترة

فما رعشت يداى ولا ازدهانى تواترهم الى من الحداب

وتنسل ينسلون اى يخرجون ومنه قول امرء القيس

غسل ثيابى من ثيابك تنسلى

وقيل يسرعون ومنه قول النابغة

عسلان الذيب امسى قاربا برد الليل عليه فنسل

يقال عسل الذيب يعسل عسلا وعسلانا اذا اعنق
واسرع وفى الحديث كذب عليك العسل اى عليك
بسرعة المشى وقال الزجاج والنسلان مشية
الذيب اذا اسرع يقال نسل فلان فى العدو ينسل
وينسل بالكسر والضم نسلا ونسولا ونسلانا اى
اسرع ثم قال فى الذين ينسلون من كل حدب انهم
ياجوج وماجوج وهو الاظهر وهو قول ابن مسعود
وابن عباس رضى الله تعالى عنهما وقيل جميع
الخلق فانهم يحشرون الى ارض الموقف وهم يسرعون
من كل صوب وقرئ فى الشواذ وهم من كل جدث ينسلون
اخذا من قوله فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون
وحكى هذه القراءة المهدوى عن ابن مسعود
والثعلبى عن مجاهد وابى الصهبا
واقترب الوعد الحق يعنى القيامة وقال الفرا
والكسائى وغيرهما الواو زائدة مقحمة والمعنى
حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج اقترب الوعد الحق
فاقترب جواب اذا وانشد الفرا

فلما اجزنا ساحة الحى وانتحى

اى انتحى والواو زائدة ومنه قوله تعالى وتله
للجبين وناديناه اى للجبين ناديناه واجاز
الكسائى ان يكون جواب اذا فاذا هى شاخصة
ابصار الذين كفروا ويكون قوله واقترب الوعد

معطوفا على الفعل الذى هو شرط وقال البصريون
الجواب محذوف والتقدير قالوا يا ويلنا وهو قول
الزجاج وهو قول حسن قال الله سبحانه وتعالى والذين
اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى
الله زلفى المعنى قالوا ما نعبدهم وحذف القول
كثير فاذا هى شاخصة هى ضمير
الابصار والابصار المذكورة بعدها تفسير لها كانه
قال فاذا ابصار الذين كفروا شخصت عند مجى
الوعد وقال الشاعر

لعمر ابيها لا تقول ظعينتى الا فر عنها مالك بن ابى كعب

تكنى عن الظعينة فى ابيها ثم اظهرها وقال الفرا
هى عماد مثل فانها لا تعمى الابصار وقيل ان
الكلام تم عند قوله هى التقدير فاذا هى يعنى
القيامة بارزة واقعة من قربها اى من قربها كانها
اتية حاضرة ثم ابتدأ فقال شاخصة ابصار الذين
كفروا على تقديم الخبر على الابتدا اى ابصار الذين
كفروا شاخصة من هذا اليوم اى من هوله لا تكاد
تطرف يا ويلنا قد كنا فى غفلة من هذا بل كنا ظالمين
بمعصيتنا ووضعنا العبادة فى غير موضعها
انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم فيه اربع
مسائل الاولى المسئلة الاولى قوله تعالى انكم وما تعبدون
قال ابن عباس رضى الله تعالى عنه اية لا يسئلنى
الناس عنها لا ادرى اعرفوها فلم يسئلوا عنها او جهلوا
فلا يسئلون عنها فقيل وما هى قال انكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون لما انزلت
شق على كفار مكة قريش وقالوا شتم الهتنا واتوا
ابن الزبعرى واخبروه فقال لو حضرته لرددت عليه
قالوا وما كنت تقول له قال كنت اقول له هذا المسيح
تعبده النصارى واليهود تعبد عزيرا افهما من
حصب جهنم فعجبت قريش من مقالته وراوا
ان محمدا قد خصم فانزل الله سبحانه وتعالى

فلا يسمعون شيئا ولا يرى احد منهم انه في النار
من يعذب غيره **قوله تعالى** ان الذين ۝
سبقت لهم منا الحسنى اى الجنة اولئك عنها
اى عن النار مبعدون فمعنى الكلام الاستثنا
ولهذا قال بعض العلماء ان هاهنا بمعنى الا وليس
في القرآن غيره • وقال محمد بن حاطب سمعت
علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه يقرأ
هذه الآية على المنبر ان الذين سبقت لهم
منا الحسنى فقال سمعت النبي صلى الله
عليه وسلم يقول ان عثمان منهم **قوله
تعالى** لا يسمعون حسيسها اى حس النار
وحركة لهبها والحسيس والحس الحركة ۝
وروى ابن جريج عن عطا قال قال ابو راشد
الحروري لابن عباس رضي الله تعالى عنه
لا يسمعون حسيسها فقال ابن عباس امجنون
انت فاين قوله تعالى وان منكم الا واردها ۝
وقوله تعالى فاوردهم النار وقوله تعالى
الى جهنم وردا ولقد كان من دعا من مضى ۝
اللهم اخرجني من النار سالما وادخلني الجنة
فائزا وقال عثمان النهدي على الصراط حيات
تلسع اهل الارض فيقولون حس حس وقيل
اذا دخل اهل الجنة الجنة لم يسمعوا حس ۝
النار وقبل ذلك يسمعون فالله اعلم وهم
في ما اشتهت انفسهم خالدون اى دايمون وفيها
ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وقال تعالى ولكم
فيها ما تشتهي انفسكم ولكم فيها ما تدعون
قوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر وقرا
ابو جعفر وابن محيصن لا يحزنهم بضم الياء
وكسر الزاى الباقون بفتح الياء وضم الزاى
قال اليزيدي حزنه لغة قريش واحزنه لغة تميم
وقد قرئ بهما والفزع الاكبر اهوال يوم القيامة

والبعث

والبعث عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ۝
وقال الحسن هو وقت يومر بالعباد الى النار وقال
ابن جريج وسعيد بن جبير والضحاك هو اذا اطبقت
النار على اهلها وذبح الموت بين الجنة والنار وقال
ذو النون المصري رحمه الله تعالى هو القطيعة والفراق
وعن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة يوم
القيامة في كثيب المسك الاذفر لا يحزنهم الفزع
الاكبر رجل ام قوما محتسبا وهم له راضون
ورجل اذن لقوم محتسبا ورجل ابتلى برق في
الدنيا فلم يشغله عن طاعة ربه وقال سلمة بن
عبد الرحمن مررت برجل يضرب غلاما له فاشار
الي الغلام فكلمت مولاه حتى عفى عنه فلقيت ابا
سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه فاخبرته
فقال يا ابن اخي من اغاث مكروبا اعتقه الله
من النار يوم الفزع الاكبر سمعت ذلك من رسول
الله صلى الله عليه وسلم وتتلقاهم الملايكة اى
تستقبلهم الملايكة على ابواب الجنة يهنوهم
ويقولون لهم هذا يومكم الذي كنتم توعدون وقيل
تستقبلهم ملايكة الرحمة عند خروجهم
من القبور عن ابن عباس رضي الله تعالى هذا يومكم
اى ويقولون لهم فحذف الذي كنتم توعدون فيه
الكرامة **قوله تعالى** يوم نطوي السماء قرا ابو
جعفر بن القعقاع وشيبة بن نصاح والاعرج والزهري
تطوى على معنى يطوي الله السماء الباقون
نطوي بنون العظمة وانتصاب يوم على البدل
من الهاء المحذوفة في الصلة التقدير الذي كنتم
توعدونه يوم نطوي السماء او يكون منصوبا
بنعيده من قوله كما بدانا اول خلق نعيده اى بقوله
لا يحزنهم اى لا يحزنهم الفزع الاكبر في اليوم الذي
نطوي فيه السماء او على اضمار واذكر واراد بالسماء
الجنس دليله قوله سبحانه وتعالى والسموات

على المصدر اى وعدنا وعدا علينا انجازه والوفا
به اى من البعث والاعادة ففى الكلام حذف ثم
اكد ذلك بقوله جل ثناؤه انا كنا فاعلين انا
كنا قادرين على ما نشاء وقيل انا كنا فاعلين
اى ما وعدناكم وهو كما قال الله تعالى وكان
وعده مفعولا وقيل كان للاخبار بما سبق من
قضائه وقيل صلة قوله تعالى ولقد
كتبنا فى الزبور من بعد الذكر الزبور والكتاب
واحد ولذلك جاز ان يقال التورية والانجيل
زبور زبرت اى كتبت وجمعه زبر قال سعيد
ابن جبير رضى الله تعالى عنه الزبور التورية
والانجيل والقران من بعد الذكر الذى فى
السماء ان الارض ارض الجنة يرثها عبادى
الصالحون رواه سفيان عن الاعمش عن
سعيد بن جبير الشعبى الزبور زبور داود
عليه الصلاة والسلام والذكر توراة موسى
عليه الصلاة والسلام مجاهد وابن زيد
الزبور كتب الانبيا عليهم الصلاة والسلام
والذكر ام الكتاب الذى عند الله تعالى فى السما
وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنه الزبور
الكتب التى انزلها الله سبحانه وتعالى على موسى
من بعد موسى عليه الصلاة والسلام على انبيائه
عليهم الصلاة والسلام والذكر التوراة المنزلة
على موسى وقرا حمزة فى الزبور جمع زبر ان
الارض يرثها عبادى الصالحون احسن ما قيل
فيه انه يراد بها ارض الجنة كما قال سعيد بن
جبير رضى الله تعالى عنه لان الارض فى الدنيا
قد يرثها الصالحون وغيرهم وهو قول ابن
عباس ومجاهد وغيرهما قال مجاهد وابو العالية
ودليل هذا التاويل قوله تعالى وقالوا الحمد لله
الذى صدقنا وعده واورثنا الارض وعن ابن

عباس رضى الله تعالى عنه انها الارض المقدسة
وعنه ايضا انها ارض الامم الكافرة يرثها امة
محمد صلى الله عليه وسلم بالفتوح وقيل ان
المراد بذلك بنو اسرائيل بدليل قوله تعالى
واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق
الارض ومغاربها التى باركنا فيها واكثر المفسرين
على ان المراد بالعباد الصالحين امة محمد صلى الله
عليه وسلم وقرا حمزة عبادى بتسكين اليا ان
فى هذا اى فيما جرى ذكره فى هذه السورة من الوعظ
والتنبيه وقيل اى فى القران لبلاغا لقوم
عابدين قال ابو هريرة وسفيان الثورى هم
اهل الصلوات الخمس وقال ابن عباس رضى
الله تعالى عنه عابدين مطيعين والعابد
المتذلل الخاضع قال القشيرى ولا يبعد ان
يدخل فيه كل عاقل لانه من حيث الفطرة متذلل
للخالق وهو يجب لو تامل القران واستعمله
لاوصله ذلك الى الجنة وقال ابن عباس ايضا
هم امة محمد صلى الله عليه وسلم الذين يصلون
الصلوات الخمس ويصوم شهر رمضان وهذا
هو القول الاول بعينه قوله تعالى وما
ارسلناك الا رحمة للعالمين قال سعيد بن
جبير عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه قال
كان محمد صلى الله عليه وسلم رحمة لجميع الناس
فمن امن به وصدق به سعد ومن لم يؤمن به
سلم مما لحق الامم من الخسف والغرق وقال ابن
زيد اراد بالعالمين المؤمنين خاصة قوله تعالى
قل انما يوحى الى انما الهكم اله واحد لا يجوز الاشراك
به فهل انتم مسلمون اى منقادون لتوحيد الله
تعالى اى فاسلموا كقوله تعالى فهل انتم منتهون
اى انتهوا قوله تعالى فان تولوا اى ان اعرضوا عن
الاسلام فقل اذنتكم على سواء اى اعلمتكم على

وابوداود والدارقطنى عن عقبة بن عامر رضى
الله تعالى عنه قال قلت يا رسول الله فضلت
سورة الحج بان فيها سجدتين قال نعم ومن
لم يسجدهما فلا يقراهما لفظ الترمذى وقال
هذا حديث حسن ليس اسناده بالقوى واختلف
اهل العلم رحمهم الله تعالى فى هذا فروى عن
عمر بن الخطاب وابن عمر رضى الله تعالى عنهما
انهما قالا فضلت سورة الحج بان فيها سجدتين
وبه يقول ابن المبارك والشافعى واحمد واسحق
وراى بعضهم ان فيها سجدة واحدة وهو قول
سفيان الثورى وروى الدارقطنى عن عبد
الله بن ثعلبة قال رايت عمر بن الخطاب رضى
الله تعالى عنه سجد فى الحج سجدتين قلت فى الصحيح
قال فى الصحيح ،

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم ان ٥
زلزلة الساعة شئ عظيم روى الترمذى عن
عمران بن حصين رضى الله تعالى عنه ان النبى
صلى الله عليه وسلم قال لما نزلت يا ايها
الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ
عظيم الى قوله ولكن عذاب الله شديد قال
انزلت عليه هذه الاية وهو فى سفر قال ٥
اتدرون اى يوم ذلك فقالوا الله ورسوله اعلم
قال ذلك يوم يقول الله لادم ابعث بعث النار
قال يا رب وما بعث النار قال تسعمائة وتسع
وتسعون الى النار وواحد الى الجنة فانشا ٥
المسلمون يبكون فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم قاربوا وسددوا فانه لم تكن نبوة
قط الا كان بين يديها جاهلية قال فيوخذ العدد
من الجاهلية فان تمت والا كملت من المنافقين
وما مثلكم والامم الا كمثل الرقمة فى ذراع الدابة

اوكالشامه

اوكالشامة فى جنب البعير ثم قال انى لارجو ان
تكونوا ربع اهل الجنة فكبروا ثم قال انى لارجو
ان تكونوا ثلث اهل الجنة فكبروا لا ادرى قال
الثلثين ام لا قال هذا حديث حسن صحيح وقد
روى من غير وجه عن الحسن عن عمران بن حصين
رضى الله تعالى عنه وفيه فيئس القوم حتى ما
ابدوا بضاحكة فلما راى رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اعملوا وابشروا فوالذى نفسى
بيده انكم لمع خليقتين ما كانتا مع شئ الا كثرتاه
ياجوج وماجوج ومن مات من بنى ادم وبنى ابليس
قال فسرى عن القوم بعض الذى يجدون فقال
اعملوا وابشروا فوالذى نفس محمد بيده ما انتم
فى الناس الا كالشامة فى جنب البعير او كالرقمة
فى ذراع الدابة قال هذا حديث حسن صحيح
وفى صحيح مسلم عن ابى سعيد الخدرى رضى
الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول الله يا ادم فيقول لبيك وسعديك
والخير فى يديك قال يقول اخرج بعث النار قال
وما بعث النار قال من كل الف تسعمائة وتسعة
وتسعين قال فذلك حين يشيب الصغير وتضع
كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم
بسكارى ولكن عذاب الله شديد قال فاشتد
ذلك عليهم فقالوا يا رسول الله اينا ذلك الرجل
فقال ابشروا فان من ياجوج وماجوج الفا ومنكم
رجل وذكر الحديث بنحو ما تقدم فى حديث عمران
ابن حصين رضى الله تعالى عنه وذكر ابو جعفر
النحاس قال حدثنا احمد بن محمد بن نافع قال حدثنا
مسلمة قال حدثنا عبد الرزاق قال اخبرنا
معمر عن قتادة عن انس بن مالك رضى الله ٥
تعالى عنه قال يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة
الساعة شئ عظيم الى قوله تعالى ولكن عذاب

والذهول الغفلة عن الشيء بطريان ما يشغل عنه
من همّ او وجع او غيره قال ابن زيد المعنى تترك ولدها
للكرب الذي نزل بها **قوله تعالى** ومن الناس
من يجادل في الله بغير علم قيل المراد النضر
ابن الحارث قال ان الله عز وجل غير قادر على
احياء من قد بلي وعاد ترابا ويتبع اي في قوله ذلك
كل شيطان مريد متمرد كتب عليه انه من تولاه
قال قتادة ومجاهد من تولى الشيطان فانه
يضله ويهديه الى عذاب السعير **قوله تعالى**
يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث الى قوله
تعالى مسمى فيه اثنتى عشرة مسئلة **المسئلة
الاولى** قوله تعالى ان كنتم في ريب من البعث
هذا احتجاج على العالم بالبداءة الاولى وقوله
تعالى ان كنتم في ريب متضمنة التوقيف وقرا
الحسن بن ابي الحسن البعث بفتح العين وهي لغة
في البعث عند البصريين وهي عند الكوفيين
تخفيف بعث والمعنى يا ايها الناس ان كنتم في شك
من الاعادة فانا خلقناكم اي خلقنا اباكم الذي
هو اصل البشر يعني ادم عليه الصلاة والسلام
من تراب ثم خلقنا ذريته من نطفة وهو المني
سمي نطفة لقلته وهو القليل من الماء وقد
يقع على الكثير منه ومنه الحديث حتى يسير
الراكب بين النطفتين لا يخشى جورا اراد بحر
المشرق وبحر المغرب والنطف القطر نطف ينطف
وينطف وليلة نطوفة دائمة القطر ثم من علقة
وهو الدم الجامد والعلق الدم العبيط اي الطري
وقيل الشديد الحمرة ثم من مضغة وهي لحمة
قليلة قدر ما يمضغ ومنه الحديث الا وان في الجسد
مضغة وهي الاطوار اربعة اشهر قال ابن عباس
رضي الله تعالى عنه وفي العشر بعد الاشهر الاربعة
ينفخ فيه الروح فذلك عدة المتوفى عنها زوجها

اربعة اشهر وعشرا **المسئلة الثانية** روى يحيى
ابن زكريا بن ابي زائدة حدثنا داود عن عامر عن
علقمة عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وعن
ابن عمر رضي الله تعالى عنه ان النطفة اذا استقرت
في الرحم اخذها الملك بكفه وقال يا رب ذكر ام انثى
شقي ام سعيد ما الاجل والاثر باي ارض تموت
فيقال له انطلق الى ام الكتاب فانك تجد فيها
قصة هذه النطفة فينطلق فيجد فيها قصتها
في ام الكتاب فتخلق فتاكل رزقها وتطا اثرها
فاذا جاء اجلها قبضت فدفنت في المكان الذي
قدر لها ثم قرا عامر يا ايها الناس ان كنتم
في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب
وفي الصحيح عن انس بن مالك رضي الله تعالى
عنه ورفع الحديث قال ان الله قد وكل بالرحم
ملكا فيقول اي رب نطفة اي رب علقة اي
رب مضغة فاذا اراد الله سبحانه وتعالى
ان يقضي خلقها قال الملك اي رب ذكر
ام انثى شقي ام سعيد فما الرزق فما الاجل
فيكتب كذلك في بطن امه وفي الصحيح ايضا عن
حذيفة بن اسيد الغفاري رضي الله تعالى عنه
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول اذا مر بالنطفة ثنتان واربعون ليلة بعث
الله سبحانه وتعالى اليها ملكا فصورها وخلق
سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم يقول
اي رب اذكر ام انثى وذكر الحديث وفي الصحيح عن
عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنه قال حدثنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق
المصدوق ان احدكم يجمع خلقه في بطن امه اربعين
يوما ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون
مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه
الروح ويؤمر باربع كلمات بكتب رزقه واجله وعمله

قد بدا خلقه وغير مخلقة لم تتصور بعد ابن زيد
المخلقة التي خلق الله سبحانه وتعالى فيها الراس
واليدين والرجلين وغير مخلقة التي لم يخلق فيها
شيء قال ابن العربي اذا رجعنا الى اصل الاشتقاق
فان النطفة مخلقة والعلقة والمضغة لان الكل
خلق الله سبحانه وتعالى ان رجعنا الى التصوير
الذي هو منتهى الخلقة كما قال الله تعالى ثم
انشاناه خلقا اخر فذلك ما قال ابن زيد
قلت التخليق من الخلق وفيه معنى الكثرة
فما تتابع عليه الاطوار فقد خلق خلقا بعد خلق
واذا كان نطفة فهو مخلوق ولهذا قال تعالى ثم انشاناه
خلقا اخر والله سبحانه وتعالى اعلم وقد قيل
ان قوله مخلقة وغير مخلقة يرجع الى الولد بنفسه
لا الى السقط اي منهم من يتم الرب سبحانه وتعالى
مضغته فيخلق له الاعضا اجمع ومنهم من يكون
خديجا ناقصا غير تام وقيل المخلقة ان تلد
المراة لتمام الوقت ابن عباس رضي الله تعالى
عنه المخلقة ما كان حيا وغير المخلقة السقط قال
افي غير المخلقة البكا فاين الحزم ويحك والحيا
المسئلة السابعة اجمع العلما رحمهم الله
تعالى على ان الامة تكون ام ولد بما تسقطه من
ولد تام الخلق وعند مالك والاوزاعي وغيرهما
بالمضغة كانت مخلقة او غير مخلقة قال مالك رحمه
الله تعالى اذا علم انها مضغة وقال الشافعي
وابو حنيفة رحمهما الله تعالى ان كان قد تبين له
شيء من خلق بني ادم اصبع او عين او غير ذلك فهي
له ام ولد واجمعوا على ان المولود اذا استهل صارخا
يصلى عليه فان لم يستهل صارخا لم يصل عليه
عند مالك وابو حنيفة والشافعي وغيرهم وروي
عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه انه يصلى عليه
وقاله ابن المسيب وابن سيرين وغيرهما وروي عن

المغيرة بن شعبة انه كان يامر بالصلاة على السقط
ويقول سموهم واغسلوهم وكفنوهم وحنطوهم فان
الله سبحانه وتعالى اكرم بالاسلام كبيرهم وصغيرهم
ويتلو هذه الاية انا خلقناكم من تراب الى قوله
وغير مخلقة قال ابن العربي لعل المغيرة بن
شعبة اراد بالسقط ما تبين خلقه فهو الذي يسمى
وما لم يتبين خلقه فلا وجود له وقال بعض السلف
يصلى عليه متى نفخ فيه الروح وتمت له اربعة
اشهر روى ابو داود عن ابي هريرة رضي الله
تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
اذا استهل المولود ورث الاستهلال رفع الصوت
فكل مولود كان ذلك منه او حركة او عطاس او
تنفس فانه يورث لوجود ما فيه من دلالة
الحياة والى هذا ذهب سفيان الثوري والاوزاعي
والشافعي رحمهم الله تعالى قال الخطابي واحسبه
قول اصحاب الراي وقال مالك رحمه الله تعالى
لا ميراث له وان تحرك او عطس ما لم يستهل
صارخا وروي عن محمد بن سيرين والشعبي والزهري
المسئلة الثامنة قال مالك رحمه الله
تعالى ما طرحته المراة من مضغة او علقة او مما
يعلم انه ولد اذا ضرب بطنها ففيه الغرة
وقال الشافعي رضي الله تعالى عنه لا شيء فيه
حتى يتبين من خلقه شيء قال مالك رحمه الله
تعالى اذا اسقط الجنين فلم يستهل صارخا ففيه
الغرة وسواء تحرك او عطس ففيه الغرة ابدا
حتى يستهل صارخا ففيه الدية كاملة وقال
الشافعي رحمه الله تعالى وسائر فقهاء الامصار
اذا علمت حياته بحركة او باستهلال او بغير ذلك
مما تستيقن به حياته ففيه الدية **المسئلة**
المسئلة التاسعة ذكر القاضي اسمعيل
ان عدة المراة تنقضي بالسقط الموضوع واحتج

وادونه وهو الهرم والخرف حتى لا يعقل ولهذا
قال الله سبحانه وتعالى لكيلا يعلم من بعد
علم شيئا كما قال تعالى فى سورة يس عليه
الصلاة والسلام ومن نعمره ننكسه فى الخلق
وكان النبى صلى الله عليه وسلم يدعو يقول
اللهم انى اعوذ بك من البخل واعوذ بك من
الجبن واعوذ بك ان ارد الى ارذل العمر
واعوذ بك من فتنة الدنيا وعذاب القبر اخرجه
النسائى عن سعد وقال كان يعلمهن بنيه
كما يعلم المكتب الغلمان وقد مضى فى تفسير
سورة النحل هذا المعنى **قوله تعالى**
وترى الارض هامدة ذكر دلالة اخرى على
البعث فقال فى الاول انا خلقناكم من تراب
فخاطب جمعا وقال فى الثانى وترى الارض
فخاطب واحدا فانفصل اللفظ ولكن المعنى
متصل من حيث الاحتجاج على منكرى البعث
هامدة يابسة لا تنبت شيئا قاله ابن جريج
وقيل دارسة والهمود الدروس قال الاعشى
قالت قتيلة ما لجسمك شاحبا وارى ثيابك باليات همدا
الهروى هامدة اى جافة ذات تراب وقال
شمر يقال همد شجر الارض اذا بلى وهمدت
اصواتهم اذا سكنت وهمود الارض ان لا يكون
فيها حياة ولا نبت ولا عود ولم يصبها مطر
وفى الحديث حتى كاد يهمد من الجوع اى يهلك
يقال همد الثوب يهمد اذا اهلك بلى وهمدت
النار تهمد **قوله تعالى** فاذا انزلنا عليها الماء
اهتزت اى تحركت والاهتزاز شدة الحركة
يقال هززت الشى فاهتز اى حركته فتحرك
وهز الحادى الابل هزيزا فاهتزت هى اذا
تحركت فى سيرها بحدائه واهتز الكوكب فى
انقضاضه وكوكب هاز فالارض تهتز بالنبات

لان

لان النبات لا يخرج منها حتى يزيل بعضها من بعض
ازالة خفية فسماه اهتزازا مجازا وقيل اهتز نباتها
فحذف المضاف قاله المبرد واهتزازه شدة حركته
كما قال الشاعر
تثنى اذا قامت وتهتز مشيها كما اهتز غصن البان فى ورق خضر
والاهتزاز فى النبات اظهر منه فى الارض وربت
اى ارتفعت وزادت وقيل انتفخت والمعنى واحد
واصله الزيادة ربا الشى يربو اى زاد ومنه
الزيادة والربوة وقرا يزيد بن القعقاع وخالد
ابن الياس وربات اى ارتفعت حتى صارت
بمنزلة الربيئة وهو الذى يحفظ القوم على شى
مشرف فهو رابى وربيئة على المبالغة قال
امرؤ القيس
بعثنا ربيئا قبل ذلك مخملا كذئب الغضا يمشى الضراء ويتقى
وانبتت اى اخرجت من كل زوج اى لون بهيج اى
حسن عن قتادة اى يبهج من يراه والبهجة الحسن
يقال رجل ذو بهجة وقد بهج بالضم بهاجة وبهجة
فهو بهيج وابهجنى اعجبنى بحسنه ولما وصف
الارض بالنبات دل على ان قوله اهتزت وربت
يرجع الى الارض لا الى النبات والله سبحانه اعلم
قوله تعالى ذلك بان الله هو الحق لما ذكر
افتقار الموجودات اليه وتسخيرها على وفق
اقتداره واختياره فى قوله تعالى يا ايها الناس
ان كنتم فى ريب من البعث الى قوله بهيج قال
بعد ذلك ذلك بان الله هو الحق وانه يحيى
الموتى وانه على كل شى قدير وان الساعة
آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من فى القبور
فنبه سبحانه وتعالى بهذا على ان كل ما سواه
وان كان موجودا حقا فانه لا حقيقة له من
نفسه لانه مسخر مصرف والحق الحقيقى
هو الموجود المطلق الغنى المطلق وان وجوده

بربهم يشركون ليكفروا له في الدنيا خزي اي ۝
هوان وذل بما يجري له من الذكر القبيح على السنة
المؤمنين الى يوم القيامة كما قال تعالى ولا تطع
كل حلاف مهين الاية وقوله تعالى تبت يدا ابي
لهب وتب وقيل الخزي ها هنا القتل فان النبي
صلى الله عليه وسلم قتل النضر بن الحارث
يوم بدر صبرا كما تقدم في اخر تفسير سورة
الانفال ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق اي
نار جهنم ذلك بما قدمت يداك اي من المعاصي
والكفر وعبر باليد عن الجملة لان اليد الذي
تفعل وتبطش للجملة وذلك بمعنى هذا كما تقدم
في اول سورة البقرة **قوله تعالى** ومن الناس
من يعبد الله على حرف من في موضع رفع ۝
بالابتدا او التمام انقلب على وجهه على قراة
الجمهور حسن وهذه الاية خبر عن المنافقين
قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه يريد شيبة
ابن ربيعة كان قد اسلم قبل ان يظهر رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما اوحي اليه
ارتد شيبة بن ربيعة وقال ابو سعيد الخدري
رضي الله تعالى عنه اسلم رجل من اليهود
فذهب بصره وماله وتشام بالاسلام فاتى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال اقلني فقال
ان الاسلام لا يقال فقال اني لم اصب في ديني
هذا خيرا ذهب بصري ومالي وولدي فقال
يا يهودي ان الاسلام يسبك الرجال كما يسبك
النار خبث الحديد والفضة والذهب فانزل
الله تعالى ومن الناس من يعبد الله على
حرف وروى اسرائيل عن ابي حصين عن سعيد
ابن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه
قال ومن الناس من يعبد الله على حرف
قال كان الرجل يقدم المدينة فان ولدت امراته

غلاما

غلاما ونتجت خيله قال هذا دين صالح فان لم تلد
امراته ولم تنتج خيله قال هذا دين سوء وقال
المفسرون نزلت في اعراب كانوا يقدمون على ۝
النبي صلى الله عليه وسلم فيسلمون فان نالوا
رخاء اقاموا وان نالتهم شدة ارتدوا وقيل نزلت
في النضر بن الحرث وقال ابن زيد وغيره نزلت
في المنافقين ومعنى على حرف على شك قاله ۝
مجاهد وغيره وحقيقته انه على ضعف في عبادته
كضعف القائم على حرف جبل مضطرب فيه
وحرف كل شيء طرفه وشفيره وحده ومنه حرف
الجبل وهو اعلاه المحدد وقيل على حرف اي
على وجه واحد وهو ان يعبده على السراء دون
الضراء ولو عبدوا الله على الشكر في السراء
والصبر على الضراء لما عبدوا الله على حرف
وقيل على حرف على شرط وذلك ان شيبة ۝
ابن ربيعة قال للنبي صلى الله عليه وسلم
قبل ان يظهر امره ادع لي ربك ان يرزقني
مالا وابلا وخيلا وولدا حتى او من بك واعدل الى
دينك فدعا له فرزقه الله جل وعز ما تمنى ثم
اراد الله جل وعز فتنته واختباره وهو اعلم
به فاخذ منه ما كان رزقه بعد ان اسلم فارتد
عن الاسلام فانزل الله تبارك وتعالى فيه
ومن الناس من يعبد الله على حرف يريد شرط
وقال الحسن هو المنافق يعبد الله بلسانه
دون قلبه وبالجملة فهذا الذي يعبد الله
على حرف ليس داخلا بكليته وبين هذا بقوله
فان اصابه خير صحة جسم ورخاء معيشة رضي
واقام على دينه وان اصابته فتنة اي خلاف
ذلك مما يختبر به انقلب على وجهه اي ارتد
فرجع الى وجهه الذي كان عليه من الكفر خسر
الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين قرا

عدمن ما العباد عليك امارة بجوت وهذا احملين طليق
اى والذى وقال الزجاج ايضا والفرا يجوز ان
يكون يدعو مكررة على ما قبلهما على جهة تكثير
هذا الفعل الذى هو الدعا ولا تعديه اذ قد عديته
اولا اى يدعو من دون الله ما لا ينفعه ولا يضره
يدعو مثل ضربت زيدا ضربت ثم حذف يدعو
الاخرة اكتفاء بالاولى قال الفرا ويجوز لمن ضره
بكسر اللام اى يدعو الى من ضره اقرب من نفعه
قال الله عز وجل بان ربك اوحى لها اى اليها
وقال الفرا ايضا والقفال اللام صلة اى يدعو
من ضره اقرب من نفعه اى يعبده وكذلك
هو فى قراءة عبد الله بن مسعود رضى الله
تعالى عنه لبيس المولى اى فى الناصر ولبيس
العشير اى المعاشر والصاحب والخليل مجاهد
يعنى الوثن **قوله تعالى** ان الله يدخل الذين
امنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها
الانهار لما ذكر حال المشركين وحال المنافقين
والشياطين ذكر حال المؤمنين فى الاخرة ايضا ان
الله يفعل ما يريد اى يثيب من يشاء ويعذب
من يشاء فللمؤمنين الجنة بحكم وعده الصدق
وبفضله والكافرين النار بما سبق من عدله
لان فعل الرب معلل بفعل العبيد **قوله تعالى**
من كان يظن ان لن ينصره الله فى الدنيا والاخرة
فليمدد بسبب الى السماء قال ابو جعفر النحاس
من احسن ما قيل فيها ان المعنى من كان يظن
ان لن ينصر الله محمدا صلى الله عليه وسلم
وانه يتهيا له ان يقطع النصر الذى اوتيه فليمدد
بسبب الى السماء اى فليطلب حيلة يصل بها
الى السماء ثم ليقطع اى ثم ليقطع النصر ان
تهيا له فلينظرن هل يذهبن كيده وحيلته
ما يغيظ من نصر النبى صلى الله عليه وسلم

والفايدة

والفايدة فى الكلام انه اذا لم يتهيا له الكيد والحيلة
بان يفعل مثل هذا لم يصل الى قطع النصر وكذا
قال ابن عباس رضى الله تعالى عنه ان الكناية
فى ينصره الله ترجع الى محمد صلى الله عليه وسلم
وهو وان لم يجر ذكره فجميع الكلام دال عليه لان الايمان
هو الايمان بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم والانقلاب
عن الدين انقلاب عن الدين الذى اتى به محمد صلى
الله عليه وسلم اى من كان يظن ممن يعادى محمدا
صلى الله عليه وسلم ومن يعبد الله على حرف
انا لا ننصر محمدا فليفعل كذا وكذا وقال ابن عباس
رضى الله تعالى عنه ايضا ان الها تعود على من
والمعنى من كان يظن ان الله لا يرزقه فليختنق
فليقتل نفسه اذ لا خير فى حياة تخلو من عون
الله والنصر على هذا القول الرزق تقول العرب
من ينصرنى نصره الله اى من اعطانى اعطاه ومن
ذلك قول العرب ارض منصورة اى ممطورة
قال الفقعسى

وانك لا تعطى امرأ فوق حقه ولا تملك الشق الذى الغيث ناصره

وكذا روى ابن ابى نجيح عن مجاهد قال من كان يظن
ان لن ينصره الله اى لن يرزقه وهو قول ابى عبيدة
وقيل ان الهاء تعود على الدين والمعنى من كان
يظن ان لن ينصر الله دينه فليمدد بسبب
اى بحبل والسبب ما يتوصل به الى الشى الى
السماء الى سقف البيت ابن زيد هى السماء
المعروفة وقرا الكوفيون ثم ليقطع باسكان
اللام قال النحاس وهذا بعيد فى العربية لان ثم
ليست مثل الواو والفا لانها يوقف عليها وتنفرد وفى قراءة
عبد الله فليقطعه ثم لينظر هل يذهبن كيده ما
يغيظ قيل ما بمعنى الذى اى هل يذهبن
كيده الذى يغيظه فحذف الهاء ليكون اخف وقيل
بمعنى المصدر اى هل يذهبن كيده غيظه **قوله**

تجرى لمستقر لها وقد تقدم فى تفسير سورة البقرة
معنى السجود لغة ومعنى **قوله تعالى** ومن
يهن الله فما له من مكرم اى من اهانه بالشقا
والكفر لا يقدر احد على دفع الهوان عنه وقال
ابن عباس رضى الله تعالى عنه ان من تهاون
بعبادة الله عز وجل صار الى النار ان الله
يفعل ما يشاء يريد ان مصيرهم الى النار
فلا اعتراض لاحد عليه وحكى الاخفش
والكسائى والفرا ومن يهن الله فما له من مكرم
اى اكرام **قوله تعالى** هذان خصمان اختصموا
فى ربهم خرج مسلم عن قيس بن عباد قال
سمعت ابا ذر رضى الله تعالى عنه يقسم
قسما ان هذان خصمان اختصموا فى ربهم انها
نزلت فى الذين برزوا يوم بدر حمزة وعلى
وعبيدة بن الحرث رضى الله تعالى عنهم
وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة
وبهذا الحديث ختم مسلم رحمه الله تعالى
كتابه وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنه
نزلت هذه الايات الثلاث على النبى صلى الله
عليه وسلم بالمدينة فى ثلاثة نفر من المومنين
وثلاثة نفر كافرين وسماهم كما يذكرا بو ذر
وقال على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه
انى لاول من يجثو للخصومة بين يدى الله تعالى
يوم القيامة يريد قصته فى مبارزته هو
وصاحباه ذكره البخارى والى هذا القول ذهب
هلال بن يساف وعطا بن يسار وغيرهما وقال
عكرمة المراد بالخصمين الجنة والنار اختصمتا
فقالت النار خلقنى لعقوبته وقالت الجنة خلقنى
لرحمته قلت وقد ورد بتخاصم الجنة والنار
حديث ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجت

النار

النار والجنة فقالت هذه يدخلنى الجبارون
والمتكبرون وقالت هذه يدخلنى الضعفا والمسا كين
فقال الله سبحانه وتعالى لهذه انت عذابى اعذب
بك من اشاء وقال لهذه انت رحمتى ارحم بك
من اشاء ولكل واحدة منكما ملوها اخرجه البخارى
ومسلم والترمذى وقال حديث حسن صحيح
وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنه ايضا هم
اهل الكتاب قالوا للمومنين نحن اولى بالله منكم
واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقالت
المومنون نحن احق بالله انا امنا بمحمد صلى الله
عليه وسلم وامنا بنبيكم وبما انزل اليه من
كتاب وانتم تعرفون نبينا وتركتموه وكفرتم به
حسدا فكانت هذه خصومتهم وانزلت فيهم
هذه الاية وهذا قول قتادة والقول الاول اصح
رواه البخارى عن حجاج بن منهال عن هشيم بن
ابى هاشم عن ابى مجلز عن قيس بن عباد عن
ابى ذر ومسلم عن عمرو بن زرارة عن على قال
فينا نزلت هذه الاية وفى مبارزتنا يوم بدر
هذان خصمان اختصموا فى ربهم الى قوله
عذاب الحريق وقرا ابن كثير هذان خصمان
بتشديد النون من هذان وتاول الفرا الخصمين
على انهما فريقان اهل دينين وزعم ان الخصم
الواحد المسلمون والاخر اليهود والنصارى
اختصموا فى دين ربهم قال فقال اختصموا لانهم
جمع قال ولو قال اختصما لجاز قال النحاس
وهذا تاويل من لا دراية له بالحديث ولا بكتب
اهل التفسير لان الحديث فى هذه الاية
مشهور رواه سفيان الثورى وغيره عن ابى
هاشم عن ابى مجلز عن قيس بن عباد قال سمعت
ابا ذر رضى الله تعالى عنه يقسم قسما ان هذه
الاية نزلت فى حمزة وعلى وعبيدة بن الحرث بن

يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من
تحتها الانهار لما ذكر حكم احد الخصمين وهو الكافر
ذكر حال الخصم الاخر وهو المومن يحلون فيها من
اساور من ذهب من صلة والاساورة جمع اسورة
واسورة واحدها سوار وفيها ثلاث لغات ضم
السين وكسرها واسوار قال المفسرون لما
كانت الملوك تلبس في الدنيا الاساور والتيجان
جعل الله سبحانه وتعالى ذلك لاهل الجنة
وليس احد من اهل الجنة الا وفي يده ثلاثة
اسورة سوار من ذهب وسوار من فضة وسوار
من لؤلؤ قال هنا وفي سورة فاطر من اساور
من ذهب ولؤلؤا وقال في سورة الانسان وحلوا
اساور من فضة وفي صحيح مسلم من حديث
ابي هريرة رضي الله تعالى عنه سمعت خليلي
صلى الله عليه وسلم يقول تبلغ الحلية
من المومن حيث يبلغ الوضوء وقيل تحلى النسا
بالذهب والرجال بالفضة وفيه نظر والقران
يرده ولؤلؤا قرا نافع وابن يعقوب القعقاع وشيبة
وعاصم هنا بالف ولذلك قرا هنا يعقوب والجحدري
وعيسى بن عمر بالنصب هنا والخفض في سورة
فاطر اتباعا للمصحف ولانها كتبت هنا وهناك
بغير الف الباقون بالخفض في الموضعين وكان
ابو بكر لا يهمز اللولو في كل القران وهو ما يستخرج
من البحر من جوف الصدف قال القشيري والمراد
ترصيع السوار باللولو ولا يبعد ان يكون في
الجنة سوار من لولو مصمت قلت وهو ظاهر
القران بل نصه وقال ابن الانباري من قرا ولؤلؤ
بالخفض وقف عليه ولم يقف على الذهب وقال
السجستاني من نصب اللولو فالوقف الكافي من
ذهب لان المعنى ويحلون لولوا قال ابن الانباري
وليس كما قال لانا اذا خفضنا اللولو نسقناه على

لفظ

لفظ الاساور واذا نصبناه نسقناه على تاويل الاساور
كانا قلنا يحلون فيها اساور ولولوا انه في النصب
بمنزلته في الخفض فلا معنى لقطعه من الاول **قوله
تعالى** ولباسهم فيها حرير اي جميع ما يلبسونه من
فرشهم ولباسهم وستورهم حرير وهو اعلى مما
في الدنيا بكثير روى النسائي عن ابي هريرة رضي
الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الاخرة ومن
ومن شرب الخمر في الدنيا لم يشربه في الاخرة ثم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لباس اهل الجنة
وشراب اهل الجنة وانية اهل الجنة فان قيل
قد سوى النبي صلى الله عليه وسلم بين هذه
الاشياء الثلاثة وانه يحرمها في الاخرة فهل يحرمها
اذا دخل الجنة قلنا نعم اذا لم يتب منها حرمها في
الاخرة وان دخل الجنة لاستعجاله ما حرم الله عليه
في الدنيا لا يقال انما حرم ذلك في الوقت الذي يعذب
في النار ويطول مقامه في الموقف فاذا دخل الجنة
فلا لان حرمان شيء من لذات الجنة نوع عقوبة
ومواخذة والجنة ليست بدار عقوبة ولا مواخذة
فيها بوجه فانا نقول ما ذكرتموه محتمل لولا ما جا يدفع
هذا الاحتمال ويرده من ظاهر الحديث الذي ذكرناه
وما رواه الايمة من حديث ابن عمر رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم من شرب الخمر في
الدنيا ثم لم يتب منها حرمها في الاخرة والاصل
التمسك بالظاهر حتى يرد نص يدفعه بل قد ورد
نص على صحة ما ذكرناه وهو ما رواه ابو داود
الطيالسي في مسنده حدثنا هشام عن قتادة عن
داود السراج عن ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الاخرة
وان دخل الجنة لبسه اهل الجنة ولم يلبسه

هو وهذا النص صريح واسناده صحيح فان كان وان
دخل الجنة لبسه ولم يلبسه هو من قول النبي
صلى الله عليه وسلم فهو الغاية فى البيان وان
كان من كلام الراوى على ما ذكر فهو اعلم بالمقال
واقعد بالحال ومثله لا يقال بالراى والله تعالى اعلم
وكذلك من شرب الخمر ولم يتب ومن استعمل انية
الذهب والفضة وكما لا يشتهى منزله من هو ارفع منه
وليس ذلك بعقوبة لذلك لا يشتهى خمر الجنة
ولا حريرها ولا يكون ذلك عقوبة ولا يكون هذا كله
فى كتاب التذكرة مستوفى والحمد لله رب العالمين
وذكرنا فيها ان شجر الجنة وثمارها تتفتق عن ثياب
الجنة وقد ذكرناه فى تفسير سورة الكهف **قوله**
تعالى وهدوا الى الطيب من القول اى ارشدوا الى
ذلك قال ابن عباس رضى الله تعالى عنه يريد
لا اله الا الله والحمد لله وقيل القران قال
هذا فى الدنيا هدوا الى الشهادة وقراءة القران وهدوا
الى صراط الحميد الى صراط الله وصراط الله دينه
وهو الاسلام وقيل هدوا فى الاخرة الى الطيب
من القول وهو الحمد لله لانهم يقولون غدا الحمد
لله الذى هدانا لهذا الحمد لله الذى اذهب عنا
الحزن فليس فى الجنة لغو ولا كذب فما يقولونه فهو
طيب القول وقد هدوا فى الجنة الى صراط الله اذ
ليس فى الجنة شئ من مخالفة امر الله وقيل
الطيب من القول ما ياتيهم من الله من البشارة
الحسنة وهدوا الى صراط الحميد اى الى طريق الجنة
قوله تعالى ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل
الله الى قوله اليم فيه سبع مسائل **المسئلة**
قوله تعالى ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل
الله اعاد الكلام الى مشركى العرب حين صدوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الحرام
عام الحديبية وذلك انه لم يعلم لهم صد قبل

ذلك

ذلك الجمع الا ان يريد صدهم لافراد من الناس فقد
وقع ذلك فى صدر المبعث والصد المنع اى وهم
يصدون وبهذا احسن العطف المستقبل على
الماضى وقيل الواو زائدة ويصدون خبر ان
وهذا مفسد للمعنى المقصود واما الخبر محذوف
مقدر عند قوله تعالى والبادى نصه تقديره
خسروا اذ هلكوا وجاء ويصدون مستقبلا اذ هو
فعل يديمونه كما جاء قوله الذين امنوا وتطمئن
قلوبهم بذكر الله فكانه قال ان الذين كفروا من
شانهم الصد ولو قال ان الذين كفروا وصدوا
لجاز قال النحاس وفى كتابى عن ابى اسحاق قال
وجائز ان يكون وهو الوجه الخبر نذقه من عذاب
اليم قال ابو جعفر وهذا غلط ولست اعرف ما الوجه
فيه لانه جاء بخبر ان جزما وايضا فانه جواب الشرط
ولو كان خبر ان لبقى الشرط بلا جواب ولا سيما والفعل
الذى فى الشرط مستقبل فلا بد له من جواب
المسئلة الثانية قوله تعالى والمسجد الحرام
قيل انه المسجد نفسه وهو ظاهر القران لانه
لم يذكر غيره وقيل الحرم كله لان المشركين
صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
عنه عام الحديبية فنزل خارجا عنه قال الله تعالى
وصدوكم عن المسجد الحرام وقال تعالى سبحان الذى
اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام وهذا صحيح لكنه
قصد هنا بالذكر المهم المقصود من ذلك **المسئلة**
الثالثة قوله تعالى الذى جعلناه للناس اى
للصلاة والطواف والعبادة وهو كقوله سبحانه
وتعالى ان اول بيت وضع للناس سواء العاكف فيه
والبادى العاكف المقيم والملازم والبادى اهل
البادية ومن يقدم عليهم يقول سواء فى تعظيم حرمته
وقضاء النسك فيه الحاضر والذى ياتيه من البلاد
فليس اهل مكة احق من النازع اليه وقيل

المساواة البادي في دوره ومنازله ليس المقيم فيها
اولى من الطارئ عليها وهذا على ان المسجد الحرام
الحرم كله وهذا على قول مجاهد ومالك رواه عنه
ابن القاسم وروي عن عمر وابن عباس وجماعة
الى ان القادم له النزول حيث وجد وعلى رب
المنزل ان يؤويه شاء او ابى وقال ذلك سفيان الثوري
وغيره وكذلك كان الامر في الصدر الاول كانت
دورهم بغير ابواب حتى كثرت السرقة فاتخذ
رجل بابا فانكر عليه عمر رضي الله تعالى عنه
وقال اتغلق بابا في وجه حاج بيت الله تعالى فقال
انما اردت حفظ متاعهم من السرقة فتركه فاتخذ
الناس الابواب وروي عن عمر بن الخطاب رضي
الله تعالى عنه ايضا انه كان يامر في الموسم
بقلع ابواب دور مكة حتى يدخلها الذي يقدم
فينزل حيث شاء وكانت الفساطيط تضرب في
الدور وروي عن مالك رحمه الله تعالى ان
الدور ليست كالمسجد ولاهلها الامتناع منها
والاستبداد وهذا هو العمل اليوم وقال بهذا
جمهور الامة وهذا الخلاف ينبني على اصلين
احدهما ان دور مكة هل هي ملك لاربابها ام للناس
وللخلاف سببان احدهما هل فتح مكة كان عنوة
فتكون مغنومة لكن النبي صلى الله عليه وسلم
لم يقسمها واقرها لاهلها ولمن جاء بعدهم كما
فعل عمر رضي الله تعالى عنهم بارض السواد
وعفى لهم عن الخراج كما عفى عن سبيهم واسترقاقهم
احسانا اليهم دون سائر الكفار فتبقى على ذلك
لا تباع ولا تكرى ومن سبق الى موضع كان اولى
به وبهذا قال مالك وابو حنيفة والاوزاعي رحمهم
الله تعالى او كان فتحها صلحا واليه ذهب الشافعي
رضي الله تعالى عنه فتبقى ديارهم بايديهم وفي
املاكهم يتصرفون كيف شاؤا وروي عن عمر رضي

الله

الله تعالى عنه انه اشترى دار صفوان بن امية
باربعة آلاف وجعلها سجنا وهو اول من حبس في
السجن في الاسلام ومر هذا على ما تقدم بيانه في
آية المحاربين من تفسير سورة المائدة وقد
روي ان النبي صلى الله عليه وسلم حبس في
تهمة وكان طاوس يكره السجن بمكة ويقول لا ينبغي
لبيت عذاب ان يكون في بيت رحمة قلت الصحيح
ما قاله مالك رحمه الله تعالى وعليه تدل ظواهر
الاخبار الثابتة وانها فتحت عنوة قال ابو عبيد
وما نعلم مكة يشبهها شيء من البلاد روى الدارقطني
عن علقمة بن نضلة قال توفي رسول الله صلى
الله عليه وسلم وابو بكر وعمر رضي الله تعالى
عنهما وما تدعى رباع مكة الا السوائب من احتاج
سكن ومن استغنى اسكن وزاد في رواية وعثمان
وروى ايضا عن علقمة بن نضلة الكناني قال كانت
تدعى بيوت مكة على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وابي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما
السوائب لا تباع من احتاج سكن ومن استغنى
اسكن وروى ايضا عن عبد الله بن عمرو عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى حرم مكة
فحرام بيع رباعها واكل ثمنها وقال من اكل من اجر
بيوت مكة شيئا فانما ياكل نارا قال الدارقطني
كذا رواه ابو حنيفة مرفوعا ووهم فيه ووهم ايضا
في قوله عبيد الله بن ابي يزيد وانما هو ابن ابي
زياد القداح والصحيح انه موقوف واسند الدارقطني
عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم مكة مناخ لا تباع رباعها ولا تؤاجر
بيوتها وروى ابو داود عن عائشة رضي الله تعالى
عنها قالت قلت يا رسول الله الا نبني لك بمنى
بيتا او بناء يظلك من الشمس فقال لا انما هو مناخ
من سبق اليه وتمسك الشافعي رضي الله تعالى

اى ما لاقت والباء زايدة وهى كثير وقال الفرا سمعت
اعرابيا وسالته عن شئ فقال ارجو بذلك اى ارجو
ذلك وقال الشاعر

بواد يمان ينبت السث صدره * واسفله بالرخ والسهمان

اى الرخ وهو قول الاخفش والمعنى عنده ومن يرد فيه
بالحاد بظلم وقالت الكوفيون دخلت الباء لان المعنى
بان يلحد والباء مع ان تدخل وتحذف ويجوز ان يكون
التقدير ومن يرد الناس فيه بالحاد وهذا الالحاد
والظلم يجمع جميع المعاصى من الكفر الى الصغاير
فلعظم حرمة المكان توعد الله تعالى على حرمة
السيئة فيه ومن نوى فيه سيئة ولم يعملها لم
يحاسب عليها الا فى مكة هذا قول ابن مسعود وجماعة
من الصحابة وغيرهم رضى الله تعالى عنهم ولذ
ذكرناه انفا قوله تعالى واذ بوانا لابراهيم مكان
البيت الى قوله والسجود فيه مسئلتان المسئلة
الاولى قوله تعالى واذ بوانا لابراهيم مكان البيت
اى واذكر اذ بوانا يقال بواته منزلا وبوات له كما يقال
مكنتك ومكنت لك فاللام فى قوله لابراهيم صلة
للتاكيد كقوله ردف لكم وهذا قول الفراء وقيل
بوانا لابراهيم مكان البيت اى اريناه اصله
ليبنيه وكان قد درس بالطوفان وغيره فلما
جاءت مدة ابراهيم عليه الصلاة والسلام امره الله
سبحانه وتعالى ببنائه فجاء الى موضعه وجعل يطلب
اثرا فبعث الله ريحا فكشف عن اساس ادم عليه
الصلاة والسلام فرتب قواعده حسب ما تقدم
بيانه فى تفسير سورة البقرة وقيل بوانا نازلة
منزلة فعل يتعدى باللام كنحو جعلنا اى جعلنا
لابراهيم مكان البيت مبوءا وقال الشاعر

كم من اخ لى ماجد * بوانه بيدى لحدا

المسئلة الثانية ان لا تشرك بى هى مخاطبة
لابراهيم عليه الصلاة والسلام فى قول الجمهور

وقرا

وقرا عكرمة بالياء على نقل معنى القول الذى
قيل له قال ابو حاتم ولا بد من نصب الكاف
على هذه القراءة بمعنى ان لا يشرك وقيل ان
ان مخففة من الثقيلة وقيل مفسرة وزائدة
مثل فلما ان جاء البشير وفى الاية طعن على من
اشرك من قطان البيت اى هذا كان الشرط على
ابيكم فمن بعده وانتم فلم تفوا بل اشركتم
وقالت فرقة الخطاب من قوله ان لا تشرك لمحمد
صلى الله عليه وسلم وامر بتطهير البيت والاذان
بالحج والجمهور على ان ذلك لابراهيم عليه الصلاة
والسلام وهو الاصح وتطهير البيت عام فى الكفر
والبدع وجميع الانجاس والدماء وقيل عنى به
التطهير عن الاوثان كما قال تعالى فاجتنبوا
الرجس من الاوثان وذلك ان جرهما والعمالقة
كانت لهم اصنام فى محل البيت وحوله قبل ان يبنيه
ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقيل المعنى
نزه عن ان يعبد فيه صنم وهذا امر باظهار
التوحيد فيه وقد مضى ما للعلماء رحمهم الله تعالى
فى تنزيه المسجد الحرام وغيره وهذا امر باظهار
التوحيد فيه كفاية فى تفسير سورة براءة والقائمون
هم المصلون وذكر تعالى من اركان الصلاة اعظمها
وهو القيام والركوع والسجود قوله تعالى
واذن فى الناس بالحج الى قوله عميق فيه سبع
مسائل المسئلة الاولى قوله تعالى واذن
فى الناس بالحج قرا جمهور الناس واذن بتشديد
الذال وقرا الحسن ابن ابى الحسن وابن محيصن
واذن بتخفيف الذال ومد الالف ابن عطية وتصحف
هذا على ابن عطية جنى فانه حكى عنهما واذن
على انه فعل ماض واعرب عن ذلك بان جعله
عطفا على بوانا والاذان الاعلام وقد تقدم فى
تفسير سورة براءة المسئلة الثانية

ضيعا في خيل الجهاد تكرمة لها حين سعت في سبيل
الله عز وجل **المسئلة الثانية** قال بعضهم
انما قال رجالا لان الغالب خروج الرجال للحج دون
الاناث فقوله رجالا من قولك هذا رجل وهذا
فيه بعد لقوله وعلى كل ضامر يعني الركبان ه
فدخل فيه الرجال والنساء ولما قال الله تعالى
رجالا وبدأ بهم دل على ان حج الراجل افضل من
حج الراكب قال ابن عباس رضي الله تعالى
عنه ما اسى على شئ فاتني الا ان اكون حججت
ماشيا فاني سمعت الله عز وجل يقول يأتوك
رجالا وقال ابن ابي نجيح حج ابراهيم واسماعيل
عليهما الصلاة والسلام ماشيين وقرا اصحاب
ابن مسعود رضي الله تعالى عنه يأتون وهي
قراءة ابن ابي عبلة والضحاك والضمير للناس
المسئلة الخامسة لا خلاف في جواز الركوب
والمشي واختلفوا في الافضل منهما فذهب مالك
والشافعي رحمهما الله تعالى في الى ان ه
الركوب افضل اقتداء بالنبي صلى الله عليه
وسلم ولكثرة النفقة ولتعظيم شعائر الحج
بابهة الركوب وذهب غيرهم الى ان المشي
افضل لما فيه من المشقة على النفس ولحديث
ابي سعيد رضي الله تعالى عنه قال حج النبي
صلى الله عليه وسلم واصحابه مشاة من المدينة
الى مكة وقال اربطوا اوساطكم بازركم ومشيا
خلط الهرولة خرجه ابن ماجه في سننه ولا
خلاف في ان الركوب في الوقوف بعرفة افضل
واختلفوا في الطواف والسعي والركوب عند مالك
في المناسك كلها افضل للاقتدا بالنبي صلى الله
عليه وسلم **المسئلة السادسة** استدل بعض
العلما رحمهم الله تعالى بسقوط ذكر البحر من هذه
الاية على ان فرض الحج بالبحر ساقط قال مالك

رحمه

رحمه الله تعالى في الموازية لا اسمع للبحر ذكرا وهذا
تأنيس لا انه يلزم من سقوط ذكره الفرض منه وذلك ان
مكة ليست في صفة بحر فياتيها الناس في السفن ولا بد
لمن ركب البحر ان يصير في اتيان مكة اما راجلا واما على
ضامر فانما ذكرت حالتا الوصول واسقاط فرض الحج بمجرد
البحر ليس بالكثير ولا بالقوي فاما اذا اقترن به عدو وخوف
او هول شديد او مرض يلحق شخصا فمالك والشافعي
وجمهور الناس على سقوط الوجوب بهذه الاعذار
وانه ليس بسبيل يستطاع قال ابن عطية وذكر
صاحب الاستظهار في هذا المعنى كلاما ظاهره ان ه
الوجوب لا يسقط بشئ من هذه الاعذار وهذا ضعيف
قلت واضعف من ضعيف وقد مضى في البقرة بيانه
والفج الطريق الواسعة والجمع فجاج وقد مضى في الانبيا
والعميق معناه البعيد وقراءة الجماعة يأتين وقرا اصحاب
عبد الله يأتون وهذا للركبان ويأتين للجمال كانه قال
وعلى ابل ضامرة يأتين من كل فج عميق اي بعيد ومنه
بئر عميقة اي بعيدة القعر ومنه

وقاتم الاعماق خاوي المخترق

السابعة واختلفوا في الواصل الى البيت هل يرفع يديه
عند رؤيته ام لا فروى ابو داود قال سئل جابر بن
عبد الله عن الرجل يرى البيت ويرفع يديه فقال ما كنت
ارى ان احدا يفعل هذا الا اليهود وقد حججنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن يفعله وروى ابن
عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ترفع
الايدي في سبع مواطن افتتاح الصلاة واستقبال
البيت والصفا والمروة والموقفين والجمرتين وبحديث
ابن عباس هذا ذهب الثوري وابن المبارك واحمد
واسحاق وضعفوا حديث جابر لان مهاجرا المكي
راويه مجهول وكان ابن عمر رضي الله تعالى عنه يرفع
يديه عند رؤية البيت وعن ابن عباس مثله **قوله
تعالى** ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله الى قوله

من غير اختلاف عنهما وقال الشافعي اربعة يوم النحر وثلاثة
بعده وبه قال الاوزاعي وروى ذلك عن علي رضي الله
عنه تعالى عنه وابن عباس وابن عمر وروى عنهم ايضا
مثل قول مالك واحمد وقيل هو يوم النحر خاصة وهو
العاشر من ذى الحجة روى عن ابن سيرين وعن سعيد
ابن جبير وجابر بن زيد انهما قالا النحر في الامصار يوم
واحد وفي منى ثلاثة ايام وعن الحسن البصرى في ذلك
ثلاث روايات احدها كما قال مالك رحمه الله تعالى
والثاني كما قال مالك والشافعي والثالث الى اخر
يوم من ذى الحجة فاذا اهل هلال المحرم فلا اضحى قلت
وهو قول سليمان بن يسار وابى سلمة بن عبد الرحمن
ورويا حديثا مرسلا مرفوعا خرجه الدارقطني الضحايا
الى هلال ذى الحجة ولم يصح ودليلنا قوله تعالى في ايام
معلومات الاية وهذا جمع قلة لكن المتيقن منه الثلاثة
وما بعد الثلاثة غير متيقن فلا يعمل به قال ابو عمر
ابن عبد البر اجمع العلما رحمهم الله تعالى على ان يوم
النحر يوم اضحى واجمعوا ان لا اضحى بعد انسلاخ ذى
الحجة ولا يصح عندى في هذه الاقوال احدهما قول
مالك والكوفيين والاخر قول الشافعي والبصريين
والشاميين وهذان القولان مرويان عن الصحابة
رضي الله تعالى عنهم فلا معنى للاشتغال بما خالفهما
لان ما خالفهما لا اصل له في السنة ولا في قول الصحابة
وما خرج عن هذين فمتروك لهما وقد روى عن قتادة
قول سادس وهو ان الاضحى يوم النحر وستة ايام بعده
وهذا ايضا خارج عن قول الصحابة فلا معنى له السادسة
واختلف في ليالي النحر هل تدخل مع الايام فيجوز فيها
الذبح او لا فروى عن مالك في المشهور انها لا تدخل فلا
يجوز الذبح بالليل وعليه جمهور اصحابه واصحاب الراى
لقوله تعالى ويذكروا اسم الله في ايام وذكر الايام دليل
على ان الذبح في الليل لا يجوز وقال ابو حنيفة والشافعي
واحمد واسحق وابو ثور الليالي داخلة في الايام ويجزئ

الذبح

الذبح فيها وروى عن مالك واشهب نحوه ولا شهب
تفريق بين الهدى والضحية فاجاز الهدى ليلا ولم يجز
الضحية ليلا السابعة قوله تعالى على ما رزقهم
اى على ذبح ما رزقهم من بهيمة الانعام الانعام هنا
الابل والبقر والغنم وبهيمة الانعام هي الانعام فهو
كقولك صلاة الاولى ومسجد الجامع الثامنة فكلوا
منها امر معناه الندب عند الجمهور ويستحب للرجل
ان ياكل من هديه واضحيته وان يتصدق بالاكثر مع
تجويزهم الصدقة بالكل واكل الكل وشذت طايفة
فاوجبت الاكل والاطعام بظاهر الامر ولقوله عليه
الصلاة والسلام فكلوا وادخروا وتصدقوا قال الكيا
قوله فكلوا منها واطعموا يدل على انه لا يجوز بيع جميعه
ولا التصدق بجميعه التاسعة دما الكفارات لا ياكل
منها اصحابها ومشهور مذهب مالك انه لا ياكل من ثلاث
جزا الصيد ونذر المساكين وفدية الاذى وياكل مما سوى
ذلك اذا بلغ محله واجبا كان او تطوعا ووافقه على
ذلك جماعة من السلف وفقهاء الامصار رحمهم
الله العاشرة فان اكل منها مما منع منه فهل
يغرم قدر ما اكل او يغرم هديا كاملا قولان في م
مذهبنا وبالاول قال ابن الماجشون قال
ابن العربي وهو الحق لا شئ عليه غيره
وكذلك لو نذر هديا للمساكين فياكل منه
بعد ان بلغ محله لا يغرم الا ما اكل خلافا للمدونة
لان النحر قد وقع والتعدى انما هو على اللحم
فيغرم قدر ما تعدى فيه قوله تعالى وليوفوا
نذورهم يدل على وجوب اخراج النذر لا يجوز
ان ياكل منه وفا بالنذر وكذلك جزاء الصيد وفدية
الاذى لان المطلوب ان ياتي به كاملا من غير نقص
لحم ولا غيره فان اكل من ذلك كان عليه هدى
كامل والله سبحانه وتعالى اعلم الحادية
عشرة هل يغرم قيمة اللحم او يغرم طعاما فيه

ويلغ وكذلك فعل حين اهدى واحرم صلى الله
عليه وسلم فكلوا منها قال بعض العلماء رحمهم
الله تعالى قوله سبحانه وتعالى فكلوا منها ٥
ناسخ لفعلهم لانهم كانوا يحرمون لحم الضحايا
على انفسهم ولا ياكلون منها كما قلناه في الهدايا
فنسخ الله سبحانه وتعالى ذلك بقوله تعالى
فكلوا منها وبقول النبي صلى الله عليه وسلم ع
من ضحى فليأكل من ضحيته ولانه عليه الصلاة
والسلام اكل من ضحيته وهديه وقال الزهري
من السنة ان ياكل اولا من الكبد المسئلة
الرابعة عشرة ذهب اكثر العلماء رحمهم
الله تعالى الى انه يستحب ان يتصدق بالثلث
ويطعم الثلث وياكل هو واهله الثلث وقال
ابن القاسم عن مالك رحمه الله تعالى ليس
عندنا في الضحايا شيء معلوم موصوف قال
مالك في حديثه وبلغني عن ابن مسعود
رضي الله تعالى عنه وليس عليه العمل وروى
الصحيح وابو داود قال ضحى رسول الله صلى الله
عليه وسلم بشاة ثم قال يا ثوبان اصلح لحم هذه
الشاة فما زلت اطعمه منها حتى قدم المدينة ٥
وهذا نص في الغرض واختلف في قول الشافعي
رضي الله تعالى عنه مرة قال ياكل النصف
ويتصدق بالنصف لقوله سبحانه وتعالى ع
فكلوا منها واطعموا البائس الفقير فذكر شخصين
وقال مرة ياكل ثلثا ويهدي ثلثا ويطعم
ثلثا لقوله سبحانه وتعالى فكلوا منها واطعموا ٥
القانع والمعتر فذكر ثلاثة المسئلة الخامسة
عشرة المسافر يخاطب بالاضحية كما يخاطب
بها الحاضر اذ الاصل عموم الخطاب بها وهو
قول كافة العلماء رحمهم الله تعالى وخالف
في ذلك ابو حنيفة والنخعي وروي عن علي رضي

الله

الله تعالى عنه والحديث حجة عليهم واستثنى
مالك رحمه الله تعالى من المسافرين الحاج
بمنى فلم ير عليه اضحية وبه قال النخعي
وروي ذلك عن الخليفتين ابي بكر وعمر رضي
الله تعالى عنهما وجماعة من السلف رحمهم الله
تعالى لان الحاج انما هو مخاطب في الاصل بالهدي
فاذا اراد ان يضحي جعله هديا والناس غير
الحاج انما امروا بالاضحية ليتشبهوا باهل منى
فيحصل لهم حظ من اجرهم والله تعالى اعلم
المسئلة السادسة عشرة اختلف
العلماء رحمهم الله تعالى في الادخار على اربعة
اقوال روي عن علي وابن عمر رضي الله
تعالى عنهما من وجه صحيح انه لا يدخر من ٥
الضحايا بعد ثلاث ورواه عن النبي صلى
الله عليه وسلم وتسايانى وقالت جماعة ع
ما روي من النهي عن الادخار منسوخ فيدخر
الى اي وقت احب وبه قال ابو سعيد الخدري
رضي الله تعالى عنه وبريدة الاسلمي وقالت
فرقة يجوز الاكل منها مطلقا وقالت طايفة
ان كانت بالناس حاجة اليها فلا يدخر لان النهي
انما كان لعلة وهي قوله عليه الصلاة والسلام
انما نهيتكم من اجل الدافة التي دفت ولما ارتفعت
ارتفع المنع المتقدم لارتفاع موجبه لا لانه منسوخ
وهنا مسئلة اصولية وهي المسئلة
السابعة عشرة وهي الفرق بين رفع الحكم
بالنسخ ورفعه لارتفاع علته اعلم ان المرفوع
بالنسخ لا يحكم به ابدا والمرفوع لارتفاع علته يعود الحكم
لعود العلة فلو قدم على اهل بلدة ناس محتاجون في
زمن الاضحى ولم يكن عند اهل ذلك البلد سعة
يسدون بها فاقتهم الا الضحايا لتعين عليهم الا يدخروها
فوق ثلاث كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم

والحلق والتقصير والذبح وقص الاظفار والشارب والابط وذكر الزجاج والفرا نحوه ولا اراه اخذه الا من قول العلما وقال قطرب تفث الرجل اذا كثر وسخه قال امية ابن ابي الصلت حفوا روسهم لم يحلقوا تفثا ولم يسلوا لهم قملا وصيبانا وما اشار اليه قطرب هو الذي قاله ابن وهب عن مالك وهو الصحيح في التفث وهذه صورة القاء التفث لغة واما حقيقته الشرعية فاذا نحر الحاج والمعتمر هديه وحلق راسه وازال وسخه وتطهر وتنقى ولبس فقد ازال تفثه ووفى نذره والنذر ما لزم الانسان والتزمه قلت ما حكاه عن قطرب وذكر من الشعر قد ذكرناه في تفسير الماوردي وذكر بيتا اخر فقال

قضوا تفثا ونحبا ثم ساروا الى نجد وما انتظروا عليا

وقال الثعلبي واصل التفث في اللغة الوسخ تقول العرب للرجل تستقذره ما اتفثك اي ما اوسخك واقذرك قال امية بن ابي الصلت

ساخين اباطهم لم يقذفوا تفثا وينزعوا عنهم قملا وصيبانا

الماوردي قيل لبعض الصلحا ما المعنى في شعث المحرم قال ليشهد الله منك الاعراض عن العناية بنفسك فيعلم صدقك في بذلها لطاعته الحادية والعشرون وليوفوا نذورهم امر بوفاء النذر مطلقا الا ما كان معصية لقوله عليه الصلاة والسلام لا وفاء لنذر في معصية الله وقوله من نذر ان يطيع الله فليطعه ومن نذر ان يعصيه فلا يعصه وليطوفوا بالبيت العتيق الطواف الطواف المذكور في هذه الاية طواف الافاضة الذي هو من واجبات الحج قال الطبري لا خلاف بين المتاولين في ذلك الثانية والعشرون للحج ثلاثة اطوفة طواف القدوم وطواف الافاضة وطواف الوداع قال اسماعيل بن اسحاق طواف القدوم سنة وهو ساقط عن المراهق وعن المكي وعن كل من يحرم بالحج من مكة قال والطواف الواجب الذي لا يسقط بوجه من الوجوه هو طواف الافاضة الذي يكون بعد عرفة قال تعالى ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق قال فهذا هو الطواف المفترض في كتاب الله عز وجل وهو الذي يحل به الحاج من احرامه كله قال الحافظ ابو عمر

ما ذكره

ما ذكره اسماعيل في طواف الافاضة هو قول مالك عند اهل المدينة وهي رواية ابن وهب وابن نافع واشهب عنه وهو قول جمهور اهل العلم من فقها اهل الحجاز والعراق وقد روى ابن القاسم وابن عبد الحكم عن مالك ان طواف القدوم واجب وقال ابن القاسم في غير موضع من المدونة ورواه ايضا عن مالك الطواف الواجب طواف القادم مكة قال ومن نسي الطواف في حين دخوله مكة او نسي شوطا منه او نسي السعي او شوطا منه حتى رجع الى بلده ثم ذكر فان لم يكن اصاب النسا رجع الى مكة حتى يطوف بالبيت ويركع ويسعى بين الصفا والمروة ثم يهدي وان اصاب النسا رجع فطاف وسعى ثم اعتمر واهدى وهذا كقوله فيمن نسي طواف الافاضة سوا فعلى هذه الرواية الطوافان جميعا واجبان والسعي ايضا واما طواف الصدر وهو المسمى بطواف الوداع فروى ابن القاسم وغيره عن مالك فيمن طاف طواف الافاضة على غير وضوء انه يرجع من بلده فيفيض الا ان يكون تطوع بعد ذلك وهذا مما اجمع عليه مالك واصحابه وانه يجزيه تطوعه عن الواجب المفترض عليه من طوافه وكذلك اجمعوا ان من فعل في حجه شيئا تطوع به من عمل الحج وذلك الشي واجب في الحج قد جاز وقته فان تطوعه ذلك يصير للواجب لا للتطوع بخلاف الصلاة فاذا كان التطوع ينوب عن الفرض في الحج كان الطواف لدخول مكة احرى ان ينوب عن طواف الافاضة الا ان اسماعيل وغيره وهو من مذهب ابن القاسم لا ينوب عندهم عن طواف الافاضة الا ما كان من الطواف بعد رمي جمرة العقبة يوم النحر او بعده للوداع ورواية ابن عبد الحكم عن مالك بخلاف ذلك لان فيها ان طواف الدخول مع السعي ينوب عن طواف الافاضة لمن رجع الى بلده مع الهدي كما ينوب طواف الافاضة مع السعي لمن لم يطف ولم يسع حين دخوله مكة مع الهدي ايضا عن طواف القدوم ومن قال هذا انما قيل لطواف الدخول واجب ولطواف الافاضة واجب لان بعضها ينوب عن بعض ولانه قد روي عن مالك انه يرجع من نسي احدهما من بلده على ما ذكرناه ولان الله عز وجل لم يفترض على الحاج الا طوافا واحدا بقوله واذن في الناس

من قوله من الاوثان قيل انها لبيان الجنس فيقع نهيه عن
رجس الاوثان فقط ويبقى بساير الارجاس نهيا في غير هذا
الموضع ويحتمل ان يكون لابتدا الغاية فكانه نهاهم عن الرجس
عاما ثم عين لهم مبداه الذي منه يلحقهم اذ عبادة الوثن جامعة
لكل فساد ورجس ومن قال ان من للتبعيض قلب معنى
الاية وافسده الخامسة قوله تعالى واجتنبوا قول الزور
الزور الباطل والكذب وسمي زورا لانه اميل عن الحق ومنه تزاور
عن كهفهم ومدينة زوراء اي مايلة وكل ما عدا الحق فهو كذب
وباطل وزور وفي الخبر انه عليه الصلاة والسلام قام خطيبا
فقال عدلت شهادة الزور بالشرك بالله قالها مرتين او
ثلاثا يعني انها قد جمعت مع عبادة الوثن في النهي عنهما
السادسة هذه الاية تضمنت الوعيد على الشهادة بالزور
وينبغي للحاكم اذا عثر على الشاهد بالزور ان يعزره وينادي
عليه ليعرف لئلا يغتر بشهادته احد ويختلف الحكم في شهادته
اذا تاب فان كان من اهل العدالة المشهور بها المبرز فيها
لا تقبل لانه لا سبيل الى علم حاله في التوبة اذ لا يستطيع ان
يفعل من القربات اكثر مما هو عليه وان كان دون ذلك فشمر
في العبادة وزادت حاله في التقى قبلت شهادته وفي الصحيح عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان من اكبر الكباير الاشراك بالله
وعقوق الوالدين وشهادة الزور او قول الزور وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم الله تعالى من اكبر الكباير متكيا فجلس
فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت السابعة حنفاء لله
معناه مستقيمين او مسلمين مايلين الى الحق ولفظة حنفا من
الاضداد تقع على الاستقامة وتقع على الميل وحنفا نصب على
الحال وقيل حنفا حجاجا وهذا تخصيص لا حجة معه الثامنة
قوله تعالى ومن يشرك بالله فكانما خر من السما اي هو يوم
القيامة بمنزلة من لا يملك لنفسه نفعا ولا يدفع عن نفسه
ومعنى فتخطفه الطير اي تقطعه بمخالبها وقيل هذا عند خروج
روحه وصعود الملايكة بها الى السما الدنيا فلا يفتح لها فيرمى
بها الى الارض كما في حديث البرا وقد ذكرناه في والسحيق
البعيد ومنه قوله تعالى فسحقا لاصحاب السعير وقوله عليه

الصلاة

الصلاة والسلام فسحقا فسحقا قوله تعالى ذلك ومن يعظم شعاير
الله الاية فيه سبع مسايل الاولى قوله تعالى ذلك فيه ثلاثة
اوجه قيل يكون في موضع رفع على خبر ابتدا اي ذلك امر
الله ويجوز ان يكون في موضع رفع على خبر ابتدا محذوف
ويجوز ان يكون في موضع نصب اي اتبعوا ذلك الثانية
قوله تعالى ومن يعظم شعاير الله جمع شعيرة وهو
كل شي لله تعالى فيه اشعر ومنه شعار
القوم في الحرب اي علامتهم التي يتعارفون بها ومنه
اشعار البدنة وهو الطعن في جانبها الايمن حتى يسيل
الدم فيكون علامة فهي بمعنى شعيرة بمعنى المشعورة
فشعاير الله اعلام دينه لاسيما ما يتعلق بالمناسك
وقال قوم المراد هنا تسمين البدن والاهتبال
بامرها والمغالاة بها قاله ابن عباس ومجاهد وجماعة
وفيه اشارة لطيفة وذلك ان اصل شرا البدن ربما يحمل
على فعل ما لا بد منه فلا يدل على الاخلاص فاذا عظمها
مع حصول الاجزا بما دونه فلا يظهر له عمل الا تعظيم
الشرع وهو من تقوى والله سبحانه وتعالى اعلم
الثالثة الضمير في انها عايد على الفعلة التي
يتضمنها الكلام ولو قال فانه لجاز وقيل انها
راجعة الى الشعاير اي فان تعظيم الشعاير
فحذف المضاف لدلالة الكلام عليه فرجعت
الكناية الى الشعاير الرابعة قوله تعالى
فانها من تقوى القلوب قرئ القلوب بالرفع على
انها فاعلة بالمصدر الذي هو تقوى واضاف الى
القلب لان حقيقة التقوى في القلب ولهذا قال عليه
الصلاة والسلام في صحيح الحديث التقوى ههنا واشار
الى صدره الخامسة قوله تعالى لكم فيها
منافع يعني البدن من الركوب والدر والنسل والصوف
وغير ذلك اذا لم يبعثها ربها هديا فاذا بعثها
فهو المسمى قاله ابن عباس فاذا صارت بدنا او
هديا فالمنافع فيها ايضا ركوبها عند الحاجة وشرب

لبنها بعد ري فصيلها وفي الصحيح عن ابي هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم راى رجلا يسوق
بدنة فقال اركبها فقال انها بدنة قال اركبها قال
انها بدنة قال اركبها ويلك في الثانية او في الثالثة
او في الثالثة وروى عن جابر بن عبد الله وسئل عن
ركوب الهدي فقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول اركبها بالمعروف اذا الجئت اليها حتى تجد ظهرا
والهدي المسمى على هذا القول تخويفا قاله عطاء
ابن ابي رباح **السادسة** ذهب بعض العلماء
الى وجوب ركوب البدنة لقوله عليه الصلاة والسلام
اركبها وممن اخذ بظاهره احمد واسحاق واهل الظاهر
وروى ابن ابي نافع عن مالك لا باس بركوب البدنة
ركوبا غير فادح والمشهور انه لا يركبها الا ان اضطر اليها
لحديث جابر فانه مقيد والمقيد يقضي على المطلق وبنحو
ذلك قال الشافعي وابو حنيفة ثم اذا ركبها عند الحاجة
قاله اسمعيل القاضي وهو الذي يدل عليه مذهب
مالك وهو خلاف ما ذكره ابو القاسم انه لا يلزمه النزول
وحجة اباحة النبي صلى الله عليه وسلم له الركوب فجاز له
استصحابه وقوله اذا الجئت اليها حتى تجد ظهرا
يدل على صحة ما قاله الشافعي وابو حنيفة رضي الله
تعالى عنهما وما حكاه اسمعيل عن مذهب مالك وقد
جاء صريحا ان النبي صلى الله عليه وسلم راى رجلا
يسوق بدنة وقد جهد فقال اركبها وقال ابو حنيفة
والشافعي رضي الله تعالى عنهما ان نقصها الركوب
المباح فعليه قيمة ذلك ويتصدق به **السابعة**
قوله تعالى ثم محلها الى البيت العتيق يريد
انها تنتهي الى البيت وهو الطواف فقوله محلها
ماخوذ من احلال المحرم والمعنى ان شعائر الحج
كلها من الوقوف بعرفة ورمي الجمار والسعي
ينتهي الى طواف الافاضة بالبيت العتيق
فالبيت على هذا التاويل يراد بنفسه قاله

مالك

مالك رضي الله تعالى عنه في الموطا وقال عطاء ينتهي
الى مكة وقال الشافعي رضي الله تعالى عنه ينتهي
الى الحرم وهذا بناء على ان الشعائر هي البدن ولا
وجه لتخصيص الشعائر مع عمومها ثم ذكر
البيت والله سبحانه وتعالى اعلم قوله تعالى
ولكل امة جعلنا منسكا الاية لما ذكر تعالى الذبائح
بين انه لم يخل منها امة والامة القوم المجتمعون
على مذهب واحد اي ولكل جماعة مؤمنة جعلنا
منسكا والنسك الذبح واراقة الدم قاله مجاهد يقال
نسك ومنه قوله اذا ذبح ينسك نسكا والذبيحة تسمى
نسيكة وجمعها نسك ومنه قوله او صدقة او نسك
والنسك ايضا الطاعة وقال الازهري في قوله تعالى
ولكل امة جعلنا منسكا انه يدل على موضع النحر
في هذا الموضع اراد مكان نسك ويقال منسك
ومنسك لغتان وقرئ بهما قرا الكوفيون الا عاصما
رضي الله تعالى عنهم اجمعين الا عاصما بكسر السين
والباقون بفتحها وقال الفراء المنسك في كلام العرب
الموضع المعتاد في خير او شر وقيل مناسك الحج لترداد
الناس اليها وقال ابن عرفة في قوله ولكل امة
جعلنا منسكا اي مذهبا من طاعة الله يقال نسك
نسك قومه اذا سلك مذهبهم وقيل منسكا عيدا قاله
الفراء وقيل حجا قاله قتادة والقول الاول اظهر
لقوله تعالى ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة
الانعام اي على ذبح ما رزقهم من بهيمة الانعام فامر
تعالى عند الذبح بذكره وان يكون الذبح له لانه رازق
ذلك ثم رجع اللفظ من الخبر عن الامم الى
اخبار الحاضرين بما معناه فالاله واحد لجميعكم ف
كذلك الامر في الذبيحة انما ينبغي ان تخلص له **قوله
تعالى** فله اسلموا معناه لحقه ولوجهه ولانعامه
امنوا واسلموا ويحتمل ان يريد الاستسلام اي اطيعوا
وانقادوا **قوله تعالى** وبشر المخبتين المخبت

المتواضع الخاشع من المومنين والخبت ما انخفض من الارض
اي بشرهم بالثواب الجزيل قال عمرو بن اوس المخبتين
الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا وقال مجاهد فيما روي عنه سفيان
عن ابن ابي نجيح المخبتون المطمئنون بامر الله عز وجل قوله تعالى
الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى
وجلت اي خافت وحذرت مخالفته فوصفهم بالخوف والوجل عند ذكره
وذلك لقوة يقينهم ومراعاتهم لربهم وكانهم بين يديه ووصفهم بالصبر
واقامة الصلاة وادامتها وروي ان هذه الاية قوله تعالى
وبشر المخبتين نزلت في ابي بكر وعمر وعلي رضوان الله عليهم وقرا
الجمهور الصلاة بالخفض على الاضافة وقرا ابو عمرو الصلاة
بالنصب على توهم النون وان حذفها للتخفيف لطول الاسم وانشد
سيبويه الحافظو عورة العشيرة بالنصب الثانية هذه الاية
نظير قوله تعالى انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا
تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون وقوله الله نزل
احسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون
ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الي ذكر الله هذه حالة العارفين بالله
الخائفين من سطوته وعقوبته لا كما يفعله جهال العوام والمبتدعة
الطغام من الزعيق والزئير ومن النهاق الذي يشبه نهاق الحمير فيقال
لمن تعاطى ذلك وزعم ان ذلك وجد وخشوع لم تبلغ ان تساوي
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حال اصحابه في المعرفة بالله تعالى والخوف
منه والتعظيم لجلاله ومع ذلك فكانت حالهم عند المواعظ الفهم عن الله
والبكا خوفا من الله وكذلك وصف الله تعالى احوال اهل المعرفة عند
سماع ذكره وتلاوة كتابه ومن لم يكن كذلك فليس على طريقتهم قال تعالى واذا
ما انزل على الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون
ربنا امنا فاكتبنا مع الشاهدين فهذا وصف حالهم وحكاية مقالهم فمن كان
مستنا ومن تعاطى احوال المجانين والجنون فهو من اخسهم حالا والجنون فنون
روى الصحيح عن انس بن مالك ان الناس سالوا النبي حتى احفوه في المسألة فخرج
ذات يوم فصعد المنبر فقال سلوني لا تسالوني عن شي الا بينته لكم ما دمت في مقامي
هذا فلما سمع ذلك ارموا ورهبوا ان يكون بين يدي امر قد حضر قال انس فجعلت
التفت يمينا وشمالا فاذا كل انسان لاف راسه في ثوبه يبكي وذكر الحديث
وقد مضى القول في هذه المسئلة باشبع من هذا في الانفال والحمد لله

قوله تعالى والبدن جعلناها لكم من شعائر الله فيها عشر مسائل
الاولى قوله تعالى والبدن وقرا ابن اسحاق والبدن لغتان واحدها بدنة
كما يقال ثمرة وثمر وثمر وخشبة وخشب وخشب وفي التنزيل وكان له ثمر
وقرئ ثمر لغتان وسميت بدنة لانها تبدن والبدانة السمن وقيل ان هذا
الاسم خاص بالابل وقيل البدن جمع بدن بفتح الباء والدال ويقال بدن الرجل
بضم الدال اذا سمن وبدن بتشديدها اذا كبر واسن وفي الحديث اني قد
بدنت اي كبرت واسننت وروي بدنت وليس له معنى لانه خلاف صفته
صلى الله عليه وسلم ومعناه كثرة اللحم يقال بدن الرجل يبدن بدنا
وبدانة فهو بادن اي ضخم الثانية اختلف العلما في البدن هل تطلق
على غير الابل من البقر ام لا فعلى مذهب مالك وابو حنيفة نعم وفائدة
الخلاف فيمن نذر بدنة فلم يجد البدنة او لم يقدر عليها وقدر على
البقرة فهل تجزيه ام لا فعلى مذهب مالك تجزيه والصحيح ما ذهب اليه
الشافعي وعطا لقوله عليه السلام في الحديث الصحيح في يوم الجمعة من
راح في الساعة الاولى فكانما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكانما
قرب بقرة الحديث فتفريقه عليه السلام بين البدنة والبقرة يدل على
ان البقرة لا يقال عليها بدن والله اعلم وايضا قوله تعالى فاذا وجبت
جنوبها يدل على ذلك فان هذا الوصف خاص بالابل والبقر تضجع
وتذبح كالغنم على ما ياتي ودليلنا ان البدنة ماخوذة من البدانة وهو
الضخامة والضخامة توجد فيهما جميعا والله اعلم وايضا فان البقرة في
التقرب الى الله تعالى باراقة الدم بمنزلة الابل حتى يجوز البقرة في الضحايا
عن سبعة كالابل وهذا حجة لابي حنيفة حيث وافقه الشافعي على ذلك
وليس ذلك في مذهبنا وحكى ابن شجرة انه يقال في الغنم بدنة وهو قول شاذ
والبدن هي الابل التي تهدى الى الكعبة والهدي عام في الابل والبقر والغنم الثالثة
قوله تعالى من شعائر الله نص في انها بعض الشعائر وقوله لكم فيها خير يريد
به المنافع التي تقدم ذكرها والصواب عمومه في خير الدنيا والاخرة الرابعة
قوله تعالى فاذكروا اسم الله عليها صواف اي انحروها على اسم الله وصواف
اي قد صفت قوايمها والابل تنحر قياما معقولة واصل هذا الوصف
في الخيل يقال صفن الفرس فهو صافن اذا قام على ثلاث قوايم وثنى
سنبك الرابعة والسنبك طرف الحافر والبعير اذا ارادوا نحره تعقل احدى
يديه فيقوم على ثلاث قوايم وقرا الحسن والاعرج ومجاهد وزيد بن اسلم
وابو موسى الاشعري صوافي اي خوالص لله عز وجل لا تشركون به في ه

التسمية على نحرها احدا وعن الحسن ايضا صوافي بكسر الفا وتنوينها
مخففة وهي بمعنى التي قبلها لكن حذفت اليا تخفيفا على غير قياس وصواف
قراة الجمهور بفتح الفا وشدها من صف يصف وواحد صواف صافة
وواحد صوافي صافية وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وابو جعفر محمد بن
علي صوافن بالنون جمع صافنة ولا يكون واحدها صافنا لانه فاعل
لا يجمع على فواعل الا في حروف مختصة لا يقاس عليها وهي فارس وفوارس
وهالك وهوالك وخالف وخوالف والصافنة هي التي قد رفعت احدى يديها
بالعقل ليلا تضطرب ومنه قوله تعالى الصافنات الجياد وقال عمرو بن كلثوم

تركنا الخيل عاكفة عليه مقلدة اعنتها صفونا

وقال اخر

الف الصفون فما يزال كانه مما يقوم على الثلاث كسيرا

وقال ابو عمرو الجرمي الصافن عرق في مقدم الرجل فاذا ضرب على
الفرس رفع رجله وقال الاعشى

وكل كميت كجذع السحوق يزين الفنا اذا ما صفن

الخامسة قال ابن وهب اخبرني ابن ابي ذيب انه سال ابن شهاب عن
الصواف فقال يقيدها ثم يصفها وقال لي مالك بن انس مثله وكافة
العلما على استحباب ذلك الا ابا حنيفة والثوري فانهما اجازا ان ينحرها
باركة وقياما وشذ عطا فخالف واستحب نحرها باركة والصحيح ما عليه
الجمهور لقوله تعالى فاذا وجبت جنوبها معناه سقطت بعد نحرها ومنه
وجبت الشمس وفي صحيح مسلم عن زياد بن جبير ان ابن عمر اتى على رجل
وهو ينحر بدنته باركة فقال ابعثها قايمة مقيدة سنة نبيكم صلى الله
عليه وسلم وروى ابو داود عن ابي الزبير عن جابر واخبرني عبد الرحمن ابن
سابط ان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا ينحرون البدنة معقولة
اليسرى قايمة على ما بقي من قوايمها **السادسة** قال مالك فان
ضعف انسان او تخوف ان تنفلت بدنته فلا ارى باسا ان ينحرها
معقولة ولا احب ان ينحر الابل الا قايمة غير معقولة الا ان يتعذر ذلك
فيعقل ولا تعرقب الا ان يخاف ان يضعف عنها ولا يقوى عليها ونحرها
باركة افضل من ان تعرقب وكان ابن عمر ياخذ الحربة بيده من عنفوان
بدنه فينحرها في صدرها ويخرجها من سنامها فلما اسن كان ينحرها
باركة لضعفه ويمسك معه الحربة رجل اخر واخر بخطامها **السابعة**
ويذبح البقر والغنم ولا يجوز النحر قبل الفجر من يوم النحر باجماع وكذلك

الاضحية لا تجوز قبل الفجر فاذا طلع الفجر حل النحر بمنى وليس عليهم انتظار
نحر امامهم بخلاف الاضحية في ساير البلاد والمنحر منى لكل حاج ومكة لكل
معتمر ولو نحر الحاج بمكة والمعتمر بمنى لم يحرج واحد منهما ان شا الله تعالى
الثامنة فاذا وجبت جنوبها يقال وجبت الشمس اذا سقطت ووجب
الحايط اذا سقط قال قيس بن الخطيم

اطاعت بنو عوف اميرا نهاها عن السلم حتى كان اول واجب

وقال ابن حجر

الم تكسف الشمس والبدر والكواكب للجبل الواجب

قوله تعالى فاذا وجبت جنوبها يريد اذا سقطت على جنوبها ميتة كنى
عن الموت بالسقوط على الجنب كما كنى عن النحر والذبح بقوله تعالى فاذكروا
اسم الله عليها والكنايات في اكثر المواضع ابلغ من التصريح قال الشاعر

فتركته جزر السباع ينشنه ما بين قلة راسه والمعصم

وقال وضربت قرني كبشها فتجدلا وسقط لقوته الى الجدالة وهي
الارض ومثله كثير والوجوب للجنب بعد النحر علامة نزف الدم وخروج
الروح منها وهو وقت الاكل اي وقت قرب الاكل لانه انما يبتدا بالسلخ وقطع
شي من الذبيحة بعد ولا يسلخ حتى تبرد لان ذلك من باب التعذيب ولهذا
قال عمر رضي الله عنه لا تعجلوا الانفس ان تزهق **التاسعة** قوله تعالى
فكلوا منها امر معناه الندب وكل العلما يستحب ان ياكل الانسان من هديه
وفيه اجر وامتثال اذ كان اهل الجاهلية لا ياكلون من هديهم كما تقدم
وقال ابو العباس ابن شريح الاكل والاطعام مستحبان وله الاقتصار على
ايهما شا وقال الشافعي الاكل مستحب والاطعام واجب فان اطعم جميعها
اجزاه وان اكل جميعها لم يجزه وهذا فيما كان تطوعا فاما واجبات
الدما فلا يجوز ان ياكل منها شيا حسب ما تقدم بيانه **العاشرة**
قوله تعالى واطعموا القانع والمعتر قال مجاهد وابراهيم والطبري قوله
واطعموا امر اباحة والقانع السايل يقال قنع الرجل يقنع
قنوعا اذا سال بفتح النون في الماضي وكسرها في المستقبل يقنع قناعة
فهو قنع اذا تعفف واستغنى ببلغته ولم يسال مثل حمد يحمد قناعة
وقنعا وقنعانا قاله الخليل ومن الاول قول الشماخ

لمال المرء يصلحه فيغني مفاقره اعف من القنوع

وقال ابن السكيت من العرب من ذكر القنوع بمعنى القناعة وهي الرضى
والتعفف وترك المسالة وروى عن ابي رجا انه قرا واطعموا القنع

ومعنى هذا يخالف الاول يقال قنع الرجل فهو قنيع اذا رضي واما المعتر
فهو الذي يطيف بك يطلب ما عندك سايلا كان او ساكتا وقال محمد بن
كعب القرظي ومجاهد وابراهيم والكلبي والحسن بن ابي الحسن المعتر
المعترض من غير سوال قال زهير

على مكثريهم رزق من يعتريهم وعند المقلين السماحة والبذل

وقال مالك احسن ما سمعت ان القانع الفقير والمعتر الزاير وروي
عن الحسن انه قرا والمعتري ومعناه كمعنى المعتر يقال اعتره واعتراه وعره
وعراه اذا تعرض لما عنده او طلبه ذكره النحاس قوله تعالى لن ينال
الله لحومها ولا دماوها فيه خمس مسايل الاولى قوله تعالى لن ينال الله
قال ابن عباس كان اهل الجاهلية يضرجون البيت بدما البدن
فاراد المسلمون ان يفعلوا ذلك فنزلت الاية والنيل لا يتعلق بالباري
تعالى ولكنه عبر عنه تعبيرا مجازيا عن القبول المعنى لن يصل اليه
وقال ابن عباس لن يصعد اليه ابن عيسى لن يقبل لحومها ولا دماوها
ولكن يصل اليه التقوى منكم اي ما اريد به وجهه فذلك الذي يقبله
ويرفع اليه ويسمعه ويثيب عليه ومنه الحديث انما الاعمال بالنيات
والقراءة لن ينال الله لحومها بالياء فيهما وعن يعقوب بالتاء فيهما نظرا
الى اللحوم الثانية قوله تعالى كذلك سخرها لكم من احسانه علينا
بتذليلها وتمكيننا من تصريفها وهي اعظم منا ابدانا واقوى منا
اعضاء ذلك ليعلم العبد ان الامور ليست على ما يظهر الى العبد من
التدبير وانما هي بحسب ما يريدها العزيز القدير فيغلب الصغير
الكبير ليعلم الخلق ان الغالب هو الله الواحد القهار فوق عباده
الثالثة قوله تعالى لتكبروا الله على ما هداكم ذكر سبحانه اسمه
عليها في الاية قبلها فقال فاذكروا اسم الله عليها وذكر هنا التكبير وكان
ابن عمر يجمع بينهما اذا نحر هديه فيقول باسم الله والله اكبر وهذا
من فقهه رضي الله عنه وفي الصحيح عن انس قال ضحى رسول الله صلى
الله عليه وسلم بكبشين املحين اقرنين قال ورايته يذبحهما بيده
ورايته واضعا قدمه على صفاحهما وسمى وكبر وقد اختلف العلماء
في هذا فقال ابو ثور التسمية متعينة كالتكبير في الصلاة وكافة
العلماء على استحباب ذلك فلو قال ذكرا اخر فيه اسم من اسماء الله واراد
به التسمية جاز وكذلك لو قال الله اكبر فقط او لا اله الا الله قاله
ابن حبيب فلو لم يرد التسمية لم يجز عن التسمية ولا تؤكل قاله

الشافعي ومحمد ابن الحسن وكره كافة العلماء من اصحابنا وغيرهم
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند التسمية في الذبح او ذكره وقالوا
لا يذكر هنا الا الله وحده واجاز الشافعي الصلاة على النبي صلى الله
عليه وسلم عند الذبح الرابعة ذهب الجمهور الى ان قول المضحي اللهم
تقبل مني جايز وكره ذلك ابو حنيفة والحجة عليه ما رواه الصحيح عن
عايشة وفيه ثم قال بسم الله اللهم تقبل من محمد وال محمد ومن امة
محمد ثم ضحى به واستحب بعضهم ان يقول ذلك بنص الاية ربنا تقبل
منا انك انت السميع العليم وكره مالك قولهم اللهم منك واليك وقال
هذه بدعة واجاز ذلك ابن حبيب من اصحابنا والحسن والحجة لهما
ما رواه ابو داود عن جابر بن عبد الله قال ذبح النبي صلى الله عليه
وسلم يوم الذبح كبشين اقرنين موجيين املحين فلما وجههما قال
اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وقرا الى قوله
وانا اول المسلمين اللهم منك واليك عن محمد وامته بسم الله والله اكبر
ثم ذبح فلعل مالكا لم يبلغه هذا الخبر او لم يصح عنده او راى العمل
يخالفه وعلى هذا يدل قوله انه بدعة والله اعلم الخامسة قوله
تعالى وبشر المحسنين روي انها نزلت في الخلفاء الاربعة حسب ما
تقدم في الاية التي قبلها فاما ظاهر اللفظ فيقتضي العموم في كل محسن
قوله تعالى ان الله يدافع عن الذين امنوا الاية انها نزلت بسبب
المومنين لما كثروا بمكة واذاهم الكفار وهاجر من هاجر الى ارض
الحبشة اراد بعض مومني مكة ان يقتل من امكنه من الكفار ويغتال
ويغدر ويحتال فنزلت هذه الاية الى قوله كفور فوعد فيها سبحانه
بالمدافعة ونهى افصح نهي عن الخيانة والغدر وقد مضى في الانفال
التشديد في الغدر وانه ينصب للغادر لوا عند استه بقدر غدرته
فيقال هذه غدرة فلان وقيل المعنى يدفع عن المومنين بان يديم توفيقهم
حتى يتمكن الايمان من قلوبهم فلا يقدر الكفار على امالتهم عن دينهم وان
جرى اكراه فيعصمهم حتى لا يرتدوا بقلوبهم وقيل يدفع عن المومنين
باعلايهم بالحجة ثم قتل كافر مومنا نادر وان يدفع الله عن ذلك
المومن بان قبضه الى رحمته وقرا نافع يدافع ولولا دفاع وقرا ابو
عمرو وابن كثير يدفع ولولا دفع وقرا عاصم وحمزة والكسايي
يدافع ولولا دفع ويدافع بمعنى يدفع مثل عاقبت اللص وعافاه
الله والمصدر دفعا وحكى الزهراوي ان دفاعا مصدر دفع كحسب

حسابا **قوله تعالى** اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا فيه مسئلتان
الاولى قوله تعالى اذن للذين يقاتلون قيل هذا بيان قوله
ان الله يدفع عن الذين امنوا اي يدفع عنهم غوايل الكفار بان
يبيح لهم القتال وينصرهم وفيه اضمار اي اذن للذين يصلحون
للقتال في القتال فحذف لدلالة الكلام على المحذوف وقال الضحاك
استاذن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتال الكفار
اذ اذوهم بمكة فانزل الله ان الله لا يحب كل خوان كفور فلما هاجر
نزلت اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وهذا ناسخ لكل ما في
القران من اعراض وترك صفح وهي اول اية نزلت في القتال قال ابن
عباس وابن جبير نزلت عند هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
المدينة وروى النسائي والترمذي عن ابن عباس قال لما خرج
النبي صلى الله عليه وسلم من مكة قال ابو بكر اخرجوا نبيهم ليهلكن
فانزل الله اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم
لقدير فقال ابو بكر لقد علمت انه سيكون قتال هذا حديث حسن
وقد روى غير واحد عن سفيان عن الاعمش عن مسلم البطين عن سعيد
ابن جبير مرسل وليس فيه عن ابن عباس **الثانية** في هذه الاية دليل
على ان الاباحة من الشرع خلافا للمعتزلة لان قوله اذن معناه
ابيح وهو لفظ موضوع في اللغة لاباحة كل ممنوع وقد تقدم هذا
المعنى في البقرة وغير موضع وقرئ اذن بفتح الهمزة اي اذن الله يقاتلون
بكسر التاء اي يقاتلون عدوهم وقرئ يقاتلون بفتح التاء اي
يقاتلهم المشركون وهم المومنون ولهذا قال بانهم ظلموا اي اخرجوا
من ديارهم **قوله تعالى** الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق
فيه سبع مسايل **الاولى** قوله تعالى الذين اخرجوا هذا احد ما ظلموا
به وانما اخرجوا لقولهم ربنا الله وحده فقوله الا ان يقولوا ربنا
الله استثنا منقطع اي لكن لقولهم ربنا الله قاله سيبويه وقال الفرا
يجوز ان يكون في موضع خفض يقدرها مردودة على البا وهو قول
ابي اسحق الزجاج والمعنى عنده الذين اخرجوا من ديارهم بلا حق الا
بان يقولوا ربنا الله اي اخرجوا بتوحيدهم اخرجهم اهل الاوثان
والذين اخرجوا في موضع خفض بدلا من قوله للذين يقاتلون
قال ابن العربي قال علماونا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل
بيعة العقبة لم يوذن له في الحرب ولم تحل له الدما انما يومر

بالدعا

بالدعا الى الله والصبر على الاذى والصفح عن الجاهل مدة من عشرة
اعوام لاقامة حجة الله تعالى عليهم ووفا بوعده الذي امتن به بفضله
في قوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فاستمر الناس في الطغيان
وما استدلوا بواضح البرهان وكانت قريش قد اضطهدت
من اتبعه من قومه من المهاجرين حتى فتنوهم عن دينهم ونفوهم عن
بلادهم فمنهم من فر الى ارض الحبشة ومنهم من خرج الى المدينة ومنهم من
خرج صبر على الاذى فلما عتت قريش على الله تعالى وردوا امره وكذبوا
نبيه عليه السلام وعذبوا من امن به وعبده ووحده وصدق نبيه
عليه السلام واعتصم بدينه اذن الله لرسوله في القتال والامتناع
والانتصار ممن ظلمهم وانزل اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا الى قوله
الامور **الثانية** في هذه الاية دليل على ان نسبة الفعل الموجود من
الملجا المكره منسوب الى الذي الجاه واكرهه لان الله تعالى نسب
الاخراج الى الكفار لان الكلام في معنى تقرير الذنب والزامه وهذه
الاية مثل قوله تعالى اذ اخرجه الذين كفروا والكلام فيهما واحد
وقد تقدم في براة والحمد لله **الثالثة** ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض
اي لولا ما شرعه الله للانبيا والمومنين من قتال الاعدا لاستولى اهل
الشرك وعطلوا ما بينته ارباب الديانات من مواضع العبادات
ولكنه دفع بان اوجب القتال ليتفرغ اهل الدين للعبادة فالجهاد امر
متقدم في الامم وبه صلحت الشرايع واجتمعت المتعبدات فكانه قال
اذن في القتال فليقاتل المومنون ثم قوي هذا الامر في القتال بقوله
ولولا دفع الله الناس الاية اي لولا القتال والجهاد لتغلب على
الحق في كل امة فمن استبشع من النصارى والصابيين الجهاد فهو
مناقض لمذهبه اذ لولا القتال لما بقي الدين الذي يذب عنه وايضا
هذه المواضع التي اتخذت قبل تحريفهم وتبديلهم وقبل نسخ تلك
الملل بالاسلام انما ذكرت لهذا المعنى اي لولا هذا الدفع لهدم
في زمان موسى الكنايس وفي زمن عيسى الصوامع والبيع وفي زمن
محمد عليه السلام المساجد لهدمت من هدم البنا اي نقضته فانهدم
قال ابن عطية هذا اصوب ما قيل في تاويل الاية وروي عن علي
ابن ابي طالب رضي الله عنه انه قال ولولا دفع الله باصحاب محمد
الكفار عن التابعين فمن بعدهم وهذا وان كان فيه دفع قوم
بقوم الا ان معنى القتال اليق كما تقدم وقال مجاهد لولا

دفع الله ظلم قوم بشهادة العدول وقالت فرقة ولولا دفع الله ظلم
الظلمة بعدل الولاة وقال ابو الدرداء لولا ان الله عز وجل يدفع بمن في
المساجد عمن ليس في المساجد وبمن يغزوا عمن لا يغزوا لاتاهم
العذاب وقالت فرقة ولولا دفع الله العذاب بدعاء الفضلاء والاخيار
الى غير ذلك من التفصيل المفسد لمعنى الاية وذلك ان الاية ولا بد
تقتضي مدفوعا من الناس ومدفوعا عنه فتامله **الرابعة** قال
ابن خويز منداد تضمنت هذه الاية المنع من هدم كنايس اهل الذمة
وبيعهم وبيوت نيرانهم وان يتركون ان يحدثوا ما لم يكن ولا يزيدوا
في البنيان لا سعة ولا ارتفاعا ولا ينبغي للمسلمين ان يدخلوها
ولا يصلوا فيها ومتى احدثوا زيادة وجب نقضها وينقض ما وجد
في بلاد الحرب من البيع والكنايس وانما لم ينقض ما في بلاد الاسلام
لاهل الذمة لانها جرت مجرى بيوتهم واموالهم التي عاهدوا عليها
في الصيانة ولا يجوز ان يمكنوا من الزيادة لان في ذلك اظهار اسباب
الكفر وجائز ان ينقض المسجد ليعاد بنيانه وقد فعل ذلك عثمان
بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم **الخامسة** قرئ لهدمت بتخفيف الدال
وتشديدها صوامع جمع صومعة وزنها فوعلة وهي بناء مرتفع
حديد الاعلى يقال صمع الثريدة اي رفع راسها وحدده ورجل
اصمع القلب اي حاد الفطنة والاصمع من الرجال الحديد القول وقيل
هو الصغير الاذن من الناس وغيرهم وكانت قبل الاسلام مختصة
برهبان النصارى وبعباد الصابئين قاله قتادة ثم استعمل في
مئذنة المسلمين والبيع جمع بيعة وهي كنيسة النصارى وقال الطبري
وقيل هي كنايس اليهود ثم ادخل عن مجاهد ما لا يقتضي ذلك وصلوات
قال الزجاج والحسن هي كنايس اليهود وهي بالعبرانية صلوتا وقال
ابو عبيدة الصلوات بيوت تبنى للنصارى في البراري يصلون فيها
في اسفارهم تسمى صلوتا فعربت فقيل صلوات وفي صلوات تسع قراءات
ذكرها ابن عطية صلوات صلوات صلوات على وزن فعول صلوب
بالباء واحدة جمع صليب صلوث بالثاء المثلثة على وزن فعول صلوات
بضم الصاد واللام والف بعد الواو صلوتا بضم الصاد واللام وقصر
الالف بعد التاء المثلثة صلويثا بكسر الصاد والثاء المثلثة وذكر
النحاس وروي عن عاصم الجحدري انه قرا وصلوث بالثاء معجمة
بثلاث ولا ادري افتح الصاد ام ضمها قلت فعلى هذا يجي ثنتا

عشرة

عشرة قراءة وقال ابن عباس الصلوات الكنايس ابو العالية الصلوات
مساجد الصابئين ابن زيد هي صلوات المسلمين تنقطع اذا دخل عليهم
العدو وتهدم المساجد فعلى هذا استعير الهدم للصلوات من حيث
تعطل او اراد موضع صلوات فحذف المضاف وعلى قول ابن عباس هو
والزجاج وغيرهم يكون الهدم حقيقة وقال الحسن هدم الصلوات
تركها قطرب هي الصوامع الصغار لم يسمع لها واحد وذهب خصيف
الى ان القصد بهذه الاسماء تقسيم متعبدات الامم فالصوامع للرهبان
والبيع للنصارى والصلوات لليهود والمساجد للمسلمين قال ابن
عطية والاظهر قصد بها المبالغة في ذكر المتعبدات وهذه الاسماء
تشترك الامم في مسمياتها الا البيعة فانها مختصة بالنصارى في
لغة العرب ومعاني هذه الاسماء هي في الامم التي لهم كتاب على قديم الدهر
ولم يذكر في هذه الاية المجوس ولا اهل الاشراك لان هؤلاء ليس لهم ما
تجب حمايته ولا يوجد ذكر الله الا عند اهل الشرايع وقال النحاس
يذكر فيها اسم الله عايد على المساجد الذي يجب في كلام العرب على حقيقة
النظر ان يكون يذكر فيها اسم الله عايدا على المساجد لا على غيرها لان
الضمير يليها ويجوز ان يعود على صوامع وما بعدها ويكون المعنى
وقت شرايعهم واقامتهم الحق **السادسة** فان قيل لم قدمت مساجد
اهل الذمة ومصلياتهم على مساجد المسلمين قيل لانها اقدم بناء وقيل
لقربها من الهدم وقرب المساجد من الذكر كما اخر السابق في قوله
فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات **السابعة** قوله
تعالى ولينصرن الله من ينصره اي من ينصر دينه ونبيه ان الله لقوي
عزيز اي قادر وقال الخطابي القوي يكون بمعنى القادر ومن قوي على
شيء فقد قدر عليه عزيز اي جليل شريف قاله الزجاج وقيل الممتنع
الذي لا يرام وقد بيناهما في الكتاب الاسنى في شرح اسماء الله الحسنى
قوله تعالى الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة قال الزجاج
الذين في موضع نصب ردا على من يعني في قوله ولينصرن الله من ينصره
وقال غيره الذين في موضع خفض ردا على قوله اذن للذين يقاتلون
ويكون الذين ان مكناهم في الارض اربعة من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم يكن في الارض غيرهم وقال ابن عباس المراد المهاجرون
والانصار والتابعون باحسان وقال قتادة هم اصحاب محمد صلى
الله عليه وسلم وقال عكرمة هم اهل الصلوات الخمس وقال الحسن وقال

وابو العالية هم هذه الامة اذا فتح الله عليهم اقاموا الصلاة وقال ابن
ابي نجيح يعني الولاة وقال الضحاك هو شرط شرطه جل وعز على من اتاه
الملك وهذا حسن قال سهل بن عبد الله الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
واجب على السلطان وعلى العلما الذين ياتونه وليس على الناس ان يامروا
السلطان لان ذلك لازم له واجب عليه ولا يامروا العلما فان الحجة قد
وجبت عليهم قوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد
وثمود هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتعزية اي كان قبلك انبيا
كذبوا فصبروا الى ان اهلك الله المكذبين فاقتد بهم واصبر وكذب
موسى اي كذبه فرعون وقومه فاما بنو اسرايل فما كذبوه فلهذا لم
يعطفه على ما قبله فيكون وقوم موسى فامليت للكافرين اي اخرت عنهم
العقوبة ثم اخذتهم فعاقبتهم فكيف كان نكير استفهام بمعنى التغيير
اي فانظر كيف كان تغييري ما كانوا فيه من النعم بالعذاب والهلاك
فكذلك افعل بالمكذبين من قريش قال الجوهري النكير والانكار تغيير
المنكر والمنكر واحد المناكير قوله تعالى وكاين من قرية اهلكناها اي
اهلكنا اهلها وقد مضى في ال عمران الكلام في كاين وهي ظالمة اي بالكفر فهي
خاوية على عروشها تقدم في الكهف وبير معطلة وقصر مشيد قال الزجاج
وبير معطلة معطوف على من قرية اي ومن اهل قرية ومن اهل بير والفرا يذهب
الى ان وبير معطوف على عروشها وقال الاصمعي سالت نافع بن ابي نعيم اتهمز
البير والذيب فقال ان كانت العرب تهمزهما فاهمزهما واكثر الرواة عن نافع
بهمزهما الا ورشا فان روايته عنه بغير همز فيهما والاصل الهمز ومعنى معطلة
متروكة قاله الضحاك وقيل خالية من اهلها لهلاكهم وقيل غايرة الما وقيل
معطلة من دلايها وارشيتها والمعنى متقارب وقصر مشيد قال قتادة
والضحاك ومقاتل رفيع طويل قال عدي بن زيد شاده مرمرا وجلله كلسا
فللطير في ذراه وكور اي رفعه وقال سعيد بن جبير وعطا وعكرمة ومجاهد
مخصص من الشيد وهو الجص قال الراجز

لا تحسبني وان كنت امرا غمرا ... كحية الما بين الطين والشيد

وقال امرؤ القيس ... ولا اطما الا مشيدا بجندل

وقال ابن عباس مشيد اي حصين وقاله الكلبي وهو مفعل بمعنى مفعول كمبيع
بمعنى مبيوع وقال الجوهري والمشيد المعمول بالشيد والشيد بالكسر كل
شي طليت به الحايط من جص او بلاط وبالفتح المصدر تقول شاده يشيده
شيدا جصصه والمشيد بالتشديد المطول وقال الكسايي المشيد للواحد

من

من قوله تعالى وقصر مشيد والمشيد للجمع من قوله في بروج مشيدة
وفي الكلام مضمر محذوف تقديره وقصر مشيد مثلها معطل ويقال
ان هذه البير والقصر بحضرموت معروفان فالقصر مشرف على قلة جبل
لا يرتقى اليه بحال والبير في سفحه لا تقر الريح شيا سقط فيه الا اخرجته
واصحاب القصور ملوك الحضر واصحاب الابار ملوك البدو اي فاهلكنا
هولا وهولا وذكر الضحاك وغيره فيما ذكر الثعلبي وابو بكر محمد بن الحسن
المقري وغيرهما ان البير الرس وكانت بعدن باليمن بحضرموت في بلد
يقال له حضورا نزل بها اربعة الاف ممن امن بصالح ونجوا من العذاب
ومعهم صالح فمات صالح فسمي المكان حضرموت لان صالحا حضره مات
فبنوا حضورا وقعدوا على هذه البير وامروا عليهم رجلا يقال له
العلس بن جلاس بن سويد فيما ذكر الغزنوي الثعلبي جلهس بن جلاس
وكان حسن السيرة فيهم عادلا وجعلوا وزيره سنحاريب بن سوادة
فاقاموا دهرا وتناسلوا حتى كثروا وكانت البير تسقي المدينة كلها
باديتها وجميع ما فيها من الدواب والغنم والبقر وغير ذلك لانها
كانت لها بكرات كثيرة منصوبة عليها ورجال كثيرون موكلون بها وابازن
بالنون من رخام وهي شبه الحياض كثيرة تملا للناس واخر للدواب واخر للبقر
واخر للغنم والهوام يستقون عليها بالليل والنهار يتداولون ولم يكن لهم ما غيرها
وطال عمر الملك الذي امروه فلما جاه الموت طلي بدهن لتبقى صورته لا تتغير وكذلك
كانوا يفعلون اذا مات منهم الميت وكان ممن يكرم عليهم فلما مات شق ذلك
عليهم وراوا ان امرهم قد فسد وضجوا جميعا بالبكا واغتنمها الشيطان منهم
فدخل في جثة الملك بعد موته بايام كثيرة فكلمهم وقال اني لم امت ولكن
تغيبت عنكم حتى ارى صنيعكم ففرحوا اشد الفرح وامروا خاصته ان
يضربوا له حجابا بينه وبينهم ويكلمهم من ورايه كيلا يعرف الموت في صورته
فنصبوه صنما من ورا الحجاب لا ياكل ولا يشرب واخبرهم انه لا يموت ابدا
وانه الاههم وذلك كله يتكلم به الشيطان على لسانه فصدق كثير منهم وارتاب
بعضهم وكان المومن المكذب منهم اقل من المصدق له فكلما تكلم ناصح لهم زجر
وقهر فاصفقوا على عبادته فبعث الله اليهم نبيا كان الوحي ينزل عليه
في النوم دون اليقظة كان اسمه حنظلة بن صفوان فاعلمهم ان الصورة
صنم لا روح له وان الشيطان قد اضلهم وان الله لا يتمثل بالخلق وان الملك
لا يجوز ان يكون شريكا لله واوعظهم ونصحهم وحذرهم سطوة ربهم
ونقمته فاذوه وعادوه وهو يتعهدهم بالموعظة ولا يغبهم بالنصيحة

سادية وما نتكلم به من البراهين العالية قلت وقد ذكر هذا الخبر ابو بكر
الانباري في كتاب الرد له وقد حدثني ابي رحمه الله ثنا علي بن حرب ثنا
سفيان بن عيينة عن عمرو عن ابن عباس انه قرا وما ارسلنا من قبلك
من رسول ولا نبي ولا محدث قال ابو بكر فهذا حديث لا يؤخذ به على
ان ذلك قراة والمحدث هو الذي يوحى اليه في نومه لان رؤيا الانبيا
وحي **الثانية** قال العلما هذه الاية مشكلة من جهتين احداهما ان
قوما يرون ان الانبيا صلى الله عليهم فيهم مرسلون ومنهم غير مرسلين
وغيرهم يذهب الى انه لا يجوز ان يقال نبي حتى يكون مرسلا والدليل
على صحة هذا قوله عز وجل وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي
فاوجب للنبي صلى الله عليه وسلم الرسالة وان معنى نبي انبا عن الله
عز وجل ومعنى انبا عن الله جل وعز الارسال بعينه وقال الفرا الرسول
الذي ارسل الى الخلق بارسال جبريل عليه السلام اليه عيانا والنبي الذي
تكون نبوته الهاما او مناما فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا قال المهدوي وهذا
هو الصحيح ان كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا وكذلك ذكر القاضي
عياض في كتاب الشفا قال والصحيح والذي عليه الجما الغفير ان كل
رسول نبي وليس كل نبي رسولا واحتج بحديث ابي ذر وان الرسل من الانبيا
ثلاث مائة وثلاثة عشر اولهم ادم واخرهم محمد صلى الله عليه وسلم والجهة
الاخرى التي فيها الاشكال وهي الثالثة الاحاديث المروية في نزول هذه الاية
وليس منها شي يصح مما موه به الكفار على عوامهم توهم حق الانبيا لا يجوزوا
عن نبي فلم لا ياتينا محمد بالعذاب وقد بالغنا في عداوته وكانوا يقولون
ايضا ينبغي ان لا يجري عليهم سهو وغلط فبين الرب سبحانه انهم بشر والاتي
بالعذاب هو الله على ما يريد ويجوز على البشر السهو والنسيان والغلط الى
ان يحكم الله اياته وينسخ حيل الشيطان روى الليث عن يونس عن الزهري
عن ابي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام قال قرا رسول الله صلى الله عليه
وسلم والنجم اذا هوى فلما بلغ افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى
سها فقال ان شفاعتهم فلقيه المشركون والذين في قلوبهم مرض فسلموا
عليه وفرحوا فقال ان ذلك من الشيطان فانزل الله وما ارسلنا من
قبلك من رسول ولا نبي الاية قال النحاس وهذا حديث منقطع وفيه هذا
الامر العظيم وكذا حديث قتادة وزاد فيه وانهن لهن الغرانيق العلى
واقطع من هذا ما ذكره الواقدي عن كثير بن زيد عن المطلب ابن عبد
الله قال سجد المشركون كلهم الا الوليد بن المغيرة فانه اخذ ترابا

من

من الارض فرفعه الى جبهته وسجد عليه وكان شيخا كبيرا ويقال انه ابو
احيحة سعيد بن العاصي حتى نزل جبريل عليه السلام فقرا عليه النبي صلى
الله عليه وسلم فقال له جيتك به وانزل الله لقد كدت تركن اليهم شيا قليلا
قال النحاس وهذا حديث منكر منقطع ولا سيما من حديث الواقدي وفي
البخاري ان الذي اخذ قبضة من تراب ورفعها الى جبهته هو امية بن خلف
وسياتي تمام كلام النحاس على الحديث ان شا الله اخر الباب قال ابن عطية
وهذا الحديث الذي فيه هي الغرانيق العلى وقع في كتب التفسير ونحوها
ولم يدخله البخاري ولا مسلم ولا ذكره في علمي مصنف مشهور بل يقتضي مذهب
اهل الحديث ان الشيطان القى ولا يعنون هذا السبب ولا غيره ولا خلاف
ان القا الشيطان انما هو لالفاظ مسموعة وقعت الفتنة ثم اختلف الناس في
صورة هذه الالقا فالذي في التفاسير وهو مشهور القول ان النبي صلى
الله عليه وسلم تكلم بتلك الالفاظ على لسانه وحدثني ابي رضي الله عنه انه
لقي بالمشرق من شيوخ العلما والمتكلمين من قال هذا لا يجوز على النبي صلى الله
عليه وسلم وهو المعصوم في التبليغ وانما الامر ان الشيطان نطق بلفظ
اسمعه الكفار عند قول النبي صلى الله عليه وسلم افرايتم اللات والعزى ومناة
الثالثة الاخرى وقرب صوته من صوت النبي صلى الله عليه وسلم حتى
التبس الامر على المشركين وقالوا محمد قراها وقد روي نحو هذا التاويل
عن الامام ابي المعالي وقيل الذي القى شيطان الانس كقوله عز وجل والغوا فيه
قتادة هو ما تلاه ناعسا وقال القاضي عياض في كتاب الشفا بعد
ان ذكر الدليل على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وان الامة اجمعت فيما طريقه
البلاغ انه معصوم فيه من الاخبار عن شي بخلاف ما هو عليه لا قصدا ولا
عمدا ولا سهوا وغلطا اعلم اكرمك الله ان لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث
ماخذين احدهما توهين اصله والثاني على تسليمه اما الماخذ الاول فيكفيك
ان هذا حديث لم يخرجه احد من اهل الصحة ولا رواه بسند سليم متصل ثقة
وانما اولع به وبمثله المفسرون والمورخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف
كل صحيح وسقيم قال ابو بكر البزار هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله
باسناد متصل يجوز ذكره الا ما رواه شعبة بن جبير عن ابن عباس فيما
احسب الشك في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة وذكر القصة
ولم يسنده عن شعبة الا امية بن خالد وغيره يرسله عن سعيد بن جبير
وانما يعرف عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس فقد بين لك ابو بكر رحمه
الله انه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا وفيه من الضعف ما نبه عليه

مع وضوع الشك فيه الذي ذكرناه الذي لا يوثق به ولا حقيقة معه واما
حديث الكلبي فلا يجوز الرواية عنه ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه كما
اشار اليه البزار رحمه الله والذي منه في الصحيح ان النبي صلى الله عليه
وسلم قرا والنجم بمكة فسجد وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس
هذا توهينه من طريق النقل واما الماخذ الثاني فهو مبني على تسليم
الحديث لو صح وقد اعاذنا الله من صحته ولكن على كل حال فقد
اجاب ائمة المسلمين عنه باجوبة منها الغث والسمين والذي يظهر
ويترجح في تاويله على تسليمه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان كما امره ربه
يرتل القران ترتيلا ويفصل الاي تفصيلا في قراته كما رواه الثقات عنه
فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات ودسه فيها ما اختلقه من
تلك الكلمات محاكيا نغمة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث يسمعه من دنا
اليه من الكفار فظنوها من قول النبي صلى الله عليه وسلم واشاعوها
ولم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظ السورة قبل ذلك كما انزلها الله وتحققهم
من حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذم الاوثان وعيبها ما عرف منه فيكون
ما روي من حزن النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الاشاعة والشبهة وسبب
هذه الفتنة وقد قال الله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي الاية قلت وهذا التاويل احسن ما قيل في هذا وقد قال سليمان
ابن حرب ان في بمعنى عند اي القى الشيطان في قلوب الكفار عند تلاوة
النبي صلى الله عليه وسلم كقوله عز وجل ولبثت فينا اي عندنا وهذا هو معنى
ما حكاه ابن عطية عن ابيه عن علماء الشرق واليه اشار القاضي ابو بكر
ابن العربي وقال قبله ان هذه الاية نص في غرضنا دليل على صحة
مذهبنا اصل في براءة النبي صلى الله عليه وسلم من ينسب اليه انه قاله
وذلك ان الله تعالى قال وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا
تمنى القى الشيطان في امنيته اي في تلاوته فاخبر تعالى ان من سنته في
رسله وسيرته في انبيائه اذا قالوا عن الله تعالى قولا زاد الشيطان
فيه من قبل نفسه كما يفعل سائر المعاصي تقول القيت في الدار كذا
والقيت في الكيس كذا فهذا نص في الشيطان انه زاد في الذي قاله النبي
صلى الله عليه وسلم لا ان النبي صلى الله عليه وسلم تكلم به ثم ذكر معنى كلام عياض
انه قال وما هدي لهذا الا الطبري لجلالة قدره وصفاء فكره وسعة
باعه في العلم وشدة ساعده في النظر فكانه اشار الى هذا الغرض
وصوب على هذا المرمى وقرطس بعدما ذكر في ذلك روايات كثيرة كلها

باطل

باطل لا اصل لها ولو شاء ربك لما رواها احد ولا سطرها ولكنه فعال
لما يريد واما غيره من التاويلات مما حكاه قوم ان الشيطان اكرهه حتى
قال كذا فهو محال اذ ليس للشيطان قدرة على سلب الانسان الاختيار
قال الله تعالى مخبرا عنه وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم
فاستجبتم لي ولو كان للشيطان هذه القدرة فهو قول الثنوية والمجوس
في ان الخير من الله والشر من الشيطان ومن قال جرى ذلك على لسانه
سهوا قال لا يبعد انه كان سمع الكلمتين من المشركين وكانتا على حفظه
سهوا وعلى هذا يجوز السهو عليهم ولا يقرون عليه وانزل الله هذه الاية
تمهيدا لعذره وتسلية له لئلا يقال رجع عن بعض قراته ويبين
ان مثل هذا جرى على الانبياء سهوا والسهو انما ينتفي عن الله تعالى وقد
قال ابن عباس ان شيطانا يقال له الابيض كان قد اتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم في صورة جبريل عليه السلام والقى في قراءة النبي تلك الغرانيق العلى
وان شفاعتهن لترتجى وهذا التاويل وان كان اشبه مما قبله فالتاويل
الاول عليه المعول فلا يعدل عنه الى غيره لاختيار العلماء المحققين اياه
وضعف الحديث مغن عن كل تاويل والحمد لله ومما يدل على ضعفه ايضا وتوهينه
من الكتاب قوله تعالى وان كادوا ليفتنونك الايتين فانهما تردان الخبر
الذي رووه لان الله تعالى ذكر انهم كادوا يفتنونه حتى يفتري وانه لولا
ان ثبته حتى لم يركن اليهم قليلا فكيف كثيرا وهم يروون في اخبارهم الواهية
انه زاد على الركون والافتراء بمدح الهتهم وانه قال عليه السلام افتريت على
الله وقلت ما لم يقل وهذا ضد مفهوم الاية وهي تضعف الحديث لو صح فكيف
ولا صحة له وهذا مثل قوله تعالى ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت
طائفة منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء قال
القشيري ولقد طالبته قريش وثقيف اذ مر بالهتهم ان يقبل بوجهه اليها
ووعدوه بالايمان به ان يفعل ذلك فما فعل ولا كان ليفعل قال ابن
الانباري ما قارب الرسول ولا ركن وقال الزجاج اي كادوا ودخلت
ان واللام للتاكيد وقد قيل ان معنى تمنى حدث لا تلا روي عن ابن ابي
طلحة عن ابن عباس في قوله عز وجل الا اذا تمنى قال الا اذا حدث القى
الشيطان في امنيته قال في حديثه فينسخ الله ما يلقي الشيطان قال
فيبطل الله ما يلقي الشيطان قال النحاس وهذا من احسن ما قيل في
الاية واعلاه واجله وقد قال احمد بن محمد بن حنبل بمصر صحيفة في
التفسير رواها علي بن ابي طلحة لو رحل رجل فيها الى مصر قاصدا ما كان

كثيرا والمعنى عليه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا احدث نفسه القى
الشيطان في حديثه على جهة الحيلة فيقول لو سالت الله عز وجل ان
يغنمك ليتسع المسلمون ويعلم الله عز وجل ان الصلاح في غير ذلك
فيبطل ما يلقي الشيطان كما قال ابن عباس وحكى الكسائي والفراء جميعا
تمنى اذا احدث نفسه وهذا هو المعروف في اللغة وحكيا ايضا تمنى اذا
تلى روي عن ابن عباس ايضا وقاله مجاهد والضحاك وغيرهما وقال
ابو الحسن ابن مهدي ليس هذا التمني من القران والوحي في شي وانما كان
النبي صلى الله عليه وسلم اذا اصفرت يداه من المال ورأى ما باصحابه
من سوء الحال تمنى الدنيا بقلبه ووسوسة الشيطان وذكر المهدوي
عن ابن عباس ان المعنى اذا احدث القى الشيطان في حديثه وهو
اختيار الطبري قلت قوله ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة الاية
يرد حديث النفس وقد قال ابن عطية لا خلاف ان القاء الشيطان
انما هو لالفاظ مسموعة بها وقعت الفتنة فالله اعلم قال النحاس
ولو صح الحديث واتصل اسناده لكان المعنى فيه صحيحا ويكون
معنى سهي اسقط ويكون تقديره افرايتم اللات والعزى وتم الكلام
ثم اسقط والغرانيق العلى الملائكة فان شفاعتهم يعود الضمير على
الملائكة واما من روى فانهن الغرانيق العلى ففي روايته اجوبة
منها ان يكون القول محذوفا كما تستعمل العرب في اشيا كثيرة ويجوز
ان يكون بغير حذف ويكون توبيخا لان قبله افرايتم ويكون هذا احتجاجا
عليهم فان كان في الصلاة فقد كان الكلام مباحا في الصلاة وقد روي
في هذه القصة انه كان مما يقرا افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة
الاخرى والغرانقة العلى وان شفاعتهن لترتجى روي معناه عن مجاهد
وقال الحسن اراد بالغرانيق العلى الملائكة وبهذا فسر الكلبي الغرانقة انها
الملائكة وذلك ان الكفار كانوا يعتقدون الاوثان والملائكة بنات
الله كما حكى الله عنهم ورد عليهم في هذه السورة بقوله الكم الذكر وله
الانثى فانكر الله كل هذا من قولهم ورجاء الشفاعة من الملائكة صحيح فلما
تاوله المشركون على ان المراد بهذا الذكر الهتهم ولبس عليهم الشيطان بذلك نسخ
الله ما القى الشيطان واحكم اياته ورفع تلاوة تلك اللفظتين اللتين
وجد الشيطان بهما سبيلا للتلبيس كما نسخ كثير من القران ورفعت تلاوته
قال القشيري وهذا غير سديد لقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي
يبطله وشفاعة الملائكة غير باطلة والله عليم حكيم بما اوحى الى نبيه

حكيم

حكيم في خلقه **قوله تعالى** ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة اي ضلالة
للذين في قلوبهم مرض اي شرك ونفاق والقاسية قلوبهم فلا تلين لامر
الله قال الثعلبي وفي الاية دليل على ان الانبيا يجوز عليهم السهو والنسيان
والغلط بوسواس الشيطان او عند شغل القلب حتى يغلط ثم ينبه ويرجع
الى الصحيح وهو معنى قوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته
ولكن انما يكون الغلط على حسب ما يغلط احدنا فاما ما يضاف اليه من قولهم
تلك الغرانيق العلى فكذب على النبي صلى الله عليه وسلم لان فيه تعظيم الاصنام
ولا يجوز ذلك على الانبيا كما لا يجوز ان يقرا بعض القران ثم ينشد شعرا
غلط وظننت قرانا وان الظالمين لفي شقاق بعيد اي الكافرين لفي خلاف
وعصيان ومشاقة لله ولرسوله وقد تقدم في البقرة **قوله تعالى**
وليعلم الذين اوتوا العلم اي من المومنين وقيل اهل الكتاب انه اي الذي احكم
من ايات القران هو الحق من ربك فيومنوا به فتخبت له قلوبهم اي تخشع
وتسكن وقيل تخلص وان الله لهاد الذين امنوا قرا ابو حيوة وان الله
لهاد الذين امنوا بالتنوين الى صراط مستقيم اي يثبتهم على الهداية **قوله
تعالى** ولا يزال الذين كفروا في مرية منه يعني في شك من القران قاله
ابن جريج وغيره من الدين وهو الصراط المستقيم وقيل مما القى الشيطان
على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ويقولون ما باله ذكر الاصنام بخير ثم ارتد
عنها وقرا ابو عبد الرحمن السلمي في مرية بضم الميم والكسر اعرف ذكره النحاس
حتى تاتيهم الساعة اي القيامة بغتة اي فجاة او ياتيهم عذاب يوم عقيم قال
الضحاك عذاب يوم لا ليلة وهو يوم القيامة النحاس سمي يوم القيامة عقيما
لانه ليس يعقب بعده يوما مثله وهو معنى قول الضحاك والعقيم في اللغة
عبارة عن من لا يكون له ولد ولما كان الولد يكون بين الابوين وكانت
الايام تتوالى قبل وبعد جعل الاتباع فيها بالبعدية كهيئة الولادة ولما لم يكن
بعد ذلك اليوم يوم وصف بالعقيم وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة المراد
عذاب يوم بدر ومعنى عقيم لا مثل له في عظمه لان الملائكة قاتلت فيه ابن جريج
لانهم لم ينظروا فيه الى الليل بل قتلوا قبل المساء فصار يوما لا ليلة له وقيل لانه
لم يكن فيه رافة ولا رحمة وكان عقيما من كل خير ومنه قوله تعالى اذ ارسلنا عليهم
الريح العقيم اي التي لا خير فيها ولا تاتي بمطر ولا رحمة **قوله تعالى** الملك يومئذ
يحكم بينهم يعني يوم القيامة هو لله وحده لا منازع له فيه ولا مدافع والملك
هو اتساع المقدور لمن له تدبير الامور ثم بين حكمه فقال فالذين امنوا وعملوا
الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا باياتنا فاولئك لهم عذاب مهين

قلت وقد يحتمل ان تكون الاشارة بيوميذ ليوم بدر وقد حكم فيه باهلاك
الكافر وسعادة المومن وقد قال عليه السلام لعمر وما يدريك لعل الله اطلع
على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم قوله تعالى والذين
هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا او ماتوا الاية فرد ذكر المهاجرين الذين ماتوا وقتلوا
تفضيلا لهم وتشريفا لهم على ساير الموتى وسبب نزول هذه الاية انه لما مات
بالمدينة عثمان بن مظعون وابو سلمة بن عبد الاسد قال بعض الناس من قتل في
سبيل الله افضل من مات حتف انفه فنزلت هذه الاية سوية بينهم وان الله يرزق
جميعهم رزقا حسنا وظاهر الشريعة يدل على ان المقتول في سبيل الله والميت في
سبيل الله شهيد ولكن للمقتول مزية ما اصابه في ذات الله وقال بعضهم هما
سوا واحتج بالاية وبقوله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم
يدركه الموت فقد وقع اجره على الله وبحديث ام حرام فانها صرعت في دابتها فماتت
ولم تقتل وقال لها النبي صلى الله عليه وسلم انت من الاولين وبقول النبي صلى الله عليه
وسلم في حديث عبد الله بن عتيك من خرج من بيته مجاهدا في سبيل الله فخر عن دابته
فمات او لدغته حية فمات او مات حتف انفه فقد وقع اجره على الله ومن مات
قعصا فقد استوجب الماب وذكر بن المبارك عن فضالة بن عبيد في حديث ذكر فيه
رجلين احدهما اصيب في غزاة بمنجنيق والاخر مات هناك فجلس فضالة عند الميت
فقيل له تركت الشهيد ولم تجلس عنده فقال ما ابالي من اي حفرتيهما بعثت ثم تلى
قوله تعالى والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا او ماتوا الاية كلها وقال سليمان
ابن عامر كان فضالة برودس اميرا على الارباع فخرج بجنازة رجلين احدهما
قتيل والاخر متوفي فراى ميل الناس مع جنازة القتيل الى حفرته فقال اراكم ايها الناس
تميلون مع القتيل فوالذي نفسي بيده ما ابالي من اي حفرتيهما بعثت اقروا قوله تعالى
والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا وماتوا هكذا ذكره الثعلبي في تفسيره وهو
معنى ما ذكره ابن المبارك واحتج من قال ان للمقتول زيادة فضل بما ثبت عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه سيل اي الجهاد افضل قال من اهريق دمه وعقر جواده
واذا كان من اهريق دمه وعقر جواده افضل الشهدا علم انه من لم يكن بتلك الصفة
مفضول قرا ابن عامر واهل الشام قتلوا بالتشديد على التكثير والباقون بالتخفيف
ليدخلنهم مدخلا يرضونه اي الجنات قرا اهل المدينة مدخلا بفتح الميم اي دخولا وضمها
الباقون وقد مضى في سبحان وان الله لعليم حليم قال ابن عباس عليم بنياتهم حليم عن عقابهم
قوله تعالى ذلك ومن عاقب ذلك في موضع رفع اي ذلك الامر الذي قصصنا عليك
قال مقاتل نزلت في قوم من مشركي مكة لقوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم
فقالوا ان اصحاب محمد يكرهون القتال في الشهر الحرام فاحملوا عليهم فناشدهم المسلمون

ان لا يقاتلوهم في الشهر الحرام فابى المشركون الا القتال فحملوا
عليهم فثبت المسلمون ونصرهم الله على المشركين وحصل في
انفس المسلمين من القتال في الشهر الحرام شي فنزلت
هذه وقيل نزلت في قوم من المشركين مثلوا بقوم من المسلمين
قتلوهم يوم احد فعاقبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
بمثله فمعنى من عاقب بمثل ما عوقب به اي من جازى الظالم
بمثل ما ظلمه فسمي جزا العقوبة عقوبة لاستوا الفعلين
في الصورة فهو مثل وجزا سيئة سيئة مثلها ومثل فمن
اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وقد تقدم
ثم بغي عليه اي بالكلام والازعاج من وطنه وذلك ان المشركين
كذبوا نبيهم واذوا من امن به فاخرجوهم من مكة وظاهروا على
اخراجهم لينصرنه الله اي لينصرن الله محمدا عليه السلام واصحابه
فان الكفار بغوا عليهم ان الله لعفو غفور اي عفا عن المومنين
ذنوبهم وقتالهم في الشهر الحرام وستر قوله تعالى ذلك بان
الله يولج الليل في النهار اي ذلك الذي قصصت عليك من نصر
المظلوم هو باني انا الذي اولج الليل في النهار فلا يقدر احد
ما قدر عليه اي من قدر على هذا قدر على ان ينصر عبده وقد
مضى في ال عمران معنى يولج الليل في النهار وان الله سميع بصير سميع
الاقوال وبصير بالاعمال فلا يعزب عنه مثقال ذرة ولا دبيب
نملة الا يعلمها ويسمعها ويبصرها قوله تعالى ذلك بان الله هو
الحق اي ذو الحق فدينه الحق وعبادته حق والمومنون
يستحقون منه النصر بحكم وعده الحق وان ما تدعون من
دونه هو الباطل اي الاصنام التي لا استحقاق لها في العبادة
وقرا نافع وابن كثير وابن عامر وابو بكر وان ما تدعون بالتا
على الخطاب واختاره ابو حاتم الباقون بالياء على الخبر هنا
وفي لقمان واختاره ابو عبيد وان الله هو العلي اي العالي على
كل شي بقدرته والعالي على الاشباه والاضداد المتقدس
عما يقول الظالمون من الصفات التي لا تليق بجلاله الكبير
اي الموصوف بالعظمة والجلال وكبر الشان وقيل الكبير
ذو الكبريا والكبريا عبارة عن كمال الذات اي له الوجود
المطلق ابدا وازلا فهو الاول القديم والاخر الباقي بعد فنا

فما خلقنه **قوله تعالى** الم تر ان الله انزل من السما ما فتصبح الارض مخضرة
دليل على كمال قدرته اي من قدر على هذا قدر على اعادة الحياة
بعد الموت كما قال فاذا انزلنا عليها الما اهتزت وربت ومثله
كثير وتصبح ليس بجواب فيكون منصوبا وانما هو خبر عند الخليل
وسيبويه قال الخليل المعنى انتبه ان الله انزل من السما ما فكان كذا وكذا
كما قال • الم تسل الربع القوا فينطق • وهل تخبرك اليوم بيدا سملق •
معناه قد سالته فنطق وقال الفرا الم تر خبر كما تقول في الكلام
اعلم ان الله عز وجل ينزل من السما ما فتصبح الارض مخضرة اي ذات
خضرة كما تقول مبقلة ومسبعة اي ذات بقل وسباع وهو عبارة
عن استعجالها اثر نزول الما بالنبات واستمرارها كذلك عادة قال
ابن عطية وروي عن عكرمة انه قال هذا لا يكون الا بمكة وتهامة
ومعنى هذا انه اخذ قوله فتصبح مقصودا به صباح ليلة المطر
وذهب الى ان ذلك الاخضرار يتاخر في ساير البلاد وقد شاهدت
هذا في السوس الاقصى نزل المطر ليلا بعد قحط اصبحت تلك الارض
الرملة التي تسفيها الرياح قد اخضرت بنبات رقيق ان الله لطيف
خبير قال ابن عباس خبير بما ينطوي عليه العبد من القنوط
عند تاخير المطر لطيف بارزاق عباده وقيل لطيف باستخراج النبات
من الارض خبير بحاجتهم وفاقتهم **قوله تعالى** له ما في السموات
وما في الارض خلقا وملكا وكل محتاج الى تدبيره واتقانه وان
الله لهو الغني الحميد فلا يحتاج الى شي وهو المحمود في كل حال **قوله
تعالى** الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض ذكر نعمة اخرى فاخبر
انه سخر لعباده ما يحتاجون اليه من الدواب والشجر والانهار
والفلك اي وسخر لكم الفلك في حال جريها وقرا عبد الرحمن الاعرج
والفلك رفعا على الابتدا وما بعده خبره والباقون بالنصب نسقا
على قوله ما في الارض ويمسك السما ان تقع على الارض اي كراهية
ان تقع وقال الكوفيون لئلا يقع وامساكه لها خلقه السكون فيها
حالا الا باذنه اي الا باذن الله بالوقوع فتقع باذنه اي بارادته
وتخليته ان الله بالناس لروف رحيم اي في هذه الاشيا التي
سخرها لكم **قوله تعالى** وهو الذي احياكم اي بعد ان كنتم نطفا
ثم يميتكم عند انقضا اجالكم ثم يحييكم اي للحساب والثواب والعقاب
ان الانسان لكفور اي جحود لما ظهر اي من الايات الدالة عليه

قدرته ووحدانيته قال ابن عباس يريد الاسود بن عبد الاسد
وابا جهل بن هشام والعاص بن هشام وجماعة من المشركين وقيل
انما قال ذلك لان الغالب على الانسان كفر النعم كما قال وقليل من
عبادي الشكور **قوله تعالى** ولكل امة جعلنا منسكا اي شرعا هم ناسكوه
اي عاملون به فلا ينازعنك في الامر اي لا ينازعنك احد منهم فيما يشرع
لامتك فقد كانت الشرايع في كل عصر وروت فرقة ان هذه الاية
نزلت بسبب جدال الكفار في امر الذبايح وقولهم للمومنين تاكلون
ما ذبحتم ولا تاكلون ما ذبح الله من الميتة فكان ما قتل الله احق ان
تاكلوه مما قتلتم انتم بسكاكينكم فنزلت هذه الاية بسبب هذه المنازعة
وقد مضى هذا في الانعام والحمد لله وقد تقدم في هذه السورة ما للعلما
في قوله تعالى منسكا وقوله هم ناسكوه يعطي ان المنسك المصدر ولو
كان الموضع لقال هم ناسكون فيه وقال الزجاج فلا ينازعنك في الامر
اي فلا يجادلنك ودل على هذا وان جادلوك ويقال قد نازعوه فكيف
قال ولا ينازعنك فالجواب ان المعنى فلا تنازعهم انت نزلت الاية
قبل الامر بالقتال تقول لا يضاربنك فلان فلا تضاربه انت
يجري هذا في باب المفاعلة ولا يقال لا يضربنك زيد وانت تريد
لا تضربه بدا وقرا السلمي وابو العالية ويعقوب يدعون بالبا
على الخبر والمراد الاوثان الذي عبدوهم من دون الله وكانت
حول الكعبة وهي ثلثماية وستون صنما وقيل السادة الذين
صرفوهم عن طاعة الله تعالى وقيل الشياطين الذين حملوهم
على معصية الله تعالى والاول اصوب لن يخلقوا ذبابا الذباب
اسم واحد للذكر والانثى والجمع القليل اذبة والكثير ذبان على
مثل غراب واغربة وغربان وسمي به لكثرة حركته الجوهري في الذباب
معروف الواحدة ذبابة ولا تقل ذبانة والمذبة ما يذب به الذباب
وذباب اسنان الابل حدها وذباب السيف طرفه الذي يضرب به
وذباب العين انسانها والذبابة البقية من الدين وذبب النهار
اذا لم يبق منه الا بقية والتذبذب التحرك والذبذبة نوس الشي
المعلق في الهوا والذبذب الذكر لتردده وفي الحديث من وقي
شر ذبذبه وهذا ما لم يذكره اعني قوله ومن الحديث وان يسلبهم
الذباب شيا لا يستنقذوه منه الاستنقاذ والانقاذ التخليص قال
ابن عباس كانوا يطلون اصنامهم بالزعفران فيجف فياتي فيختلسه

وقال السدي كانوا يجعلون للاصنام طعاما فيقع عليه الذباب فياكل
كل ضعف الطالب والمطلوب قيل الطالب الالهة والمطلوب الذباب
وقيل بالعكس وقيل الطالب عابد الصنم والمطلوب الصنم فالطالب
يطلب الي هذا الصنم بالتقرب اليه والصنم المطلوب اليه وقد قيل
لا يسلم الذباب شيا راجع الي الله في فرض ايمانهم حتى يسلم
الصبر لها والوقار منهم وخص الذباب لاربعة امور تخصه لها
لاهانته وضعفه ولاستقذاره وكثرته فاذا كان هذا الذي هو
اضعف الحيوان واحقره لا يقدر من عبدوه من دون الله علي
خلق مثله ودفع اذيته فكيف يجوز ان يكونوا الهة معبودين هـ
وارباب مطاعين وهذا من اقوى حجة واوضح برهان قوله تعالى
ما قدروا الله حق قدره اي ما عظموه حق عظمته حيث جعلوا
هذه الاصنام شركا له وقد مضى في الانعام ان الله لقوي عزيز
قوله تعالى الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ختم
السورة بان الله اصطفى محمدا لتبليغ الرسالة اي ليس بعثة
محمد امرا بدعيا وقيل ان الوليد بن المغيرة قال ا انزل عليه
الذكر من بيننا فنزلت الاية واخبر ان الاختيار اليه سبحانه ان
الله سميع لاقوال عباده بصير بمن يختاره من خلقه لرسالته
يعلم ما بين ايديهم يريد ما قدموا وما خلفهم يريد ما خلفوا هـ
مثل قوله انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا يريد
بين ايديهم واثارهم يريد ما خلفوا والى الله ترجع الامور قوله
تعالى يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا تقدم في اول السورة ان
الحج فضلت بسجدتين وهذه السجدة الثانية لم يرها مالك وابو
حنيفة من العزايم لانه قرن الركوع بالسجود وان المراد بها الصلاة
المفروضة وخص الركوع والسجود تشريفا للصلاة وقد مضى
القول في الركوع والسجود مبينا في البقرة والحمد لله قوله تعالى
واعبدوا ربكم اي امتثلوا امره وافعلوا الخير ندب فيما عدا
الواجبات التي صح وجوبها من غير هذا الموضع قوله تعالى وجاهدوا
في الله حق جهاده قيل عنا به جهاد الكفار وقيل هو اشارة الي
امتثال جميع ما امره الله به وانتها عن كل ما نهى عنه اي جاهدوا
انفسكم في طاعة الله وردها عن الهوى وجاهدوا الشيطان
في رد وسوسته والظلمة في رد ظلمهم والكافرين علي كفرهم

قال ابن عطية

قال ابن عطية وقال مقاتل هذه الاية منسوخة بقوله فاتقوا الله
ما استطعتم وكذا قال هبة الله ان قوله حق جهاده وقوله في الاية
الاخرى حق تقاته منسوخ بالتخفيف الي الاستطاعة في هذه
الاوامر ولا حاجة الي تقدير النسخ روى سعيد بن المسيب قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم خير دينكم اليسرة وقال ابو جعفر
النحاس وهذا مما لا يجوز ان يقع فيه نسخ لانه واجب على الانسان
كما روى حيوة بن شريح يرفعه الي النبي صلى الله عليه وسلم
قال المجاهد من جاهد نفسه لله عز وجل وكما روى ابو غالب عن
ابي امامة ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم اي الجهاد افضل
عند الجمرة الاولى فلم يجبه ثم ساله عند الجمرة الثانية فلم يجبه ثم
ساله عند الجمرة الثالثة وهي جمرة العقبة فقال صلى الله عليه وسلم
اين السايل فقال انا ذا فقال عليه السلام كلمة عدل عند سلطان جاير
قوله تعالى هو اجتباكم للذب عن دينه والتزام امره وهذا تاكيد
للامر بالمجاهدة اي وجب عليكم ان تجاهدوا لان الله اختاركم له
قوله تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج فيه ثلاث مسايل
الاولى قوله تعالى من حرج اي من ضيق وقد تقدم في الانعام
وهذه الاية تدخل في كثير من الاحكام وهي مما خص الله بها
هذه الامة بهذه الامة ثلاثا لم يعطها الا نبي كان يقال للنبي
اذهب فلا حرج عليك وقيل لهذه الامة وما جعل عليكم في الدين من
حرج والنبي شهيد علي امته وقيل لهذه الامة لتكونوا شهدا علي
الناس ويقال للنبي سل تعطه وقيل لهذه الامة ادعوني استجب لكم
الثانية واختلف العلما في هذا الحرج الذي رفعه الله تعالى فقال
عكرمة هو ما احل من النسا مثنى وثلاث ورباع وما ملكت يمينك وقيل
المراد قصر الصلاة والافطار للمسافر وصلاة الايما لمن لم يقدر علي
غيره وحط الجهاد عن الاعمى والاعرج والمريض والعديم الذي لا يجد
ما ينفق في غزوه والغريم ومن له والدان وحط الاصر الذي كان
علي بني اسرايل وقد مضى تفصيل اكثر هذه الاشيا وروي عن
ابن عباس والحسن البصري ان هذا في تقديم الاهلة وتاخيرها في
الفطر والاضحى والصوم فاذا اخطات الجماعة هلال ذي الحجة فوقفوا
قبل عرفة بيوم او وقفوا يوم النحر اجزاهم علي خلاف فيه بيناه في
كتاب المقتبس في شرح موطا مالك بن انس وما ذكرناه في الصحيح

في الباب وكذلك الفطر والاضحى لما رواه حماد بن زيد عن ايوب عن محمد ابن المنكدر عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فطركم يوم تفطرون واضحاكم يوم تضحون خرجه ابو داود والدارقطني ولفظه ما ذكرناه والمعنى ما اجتهدتم من غير حرج يلحقكم وقد روى الايمة انه عليه السلام سئل يوم النحر عن اشيا فما سئل عن امر مما ينبغي ان يؤخر يجهل من تقديم الامور بعضها قبل بعض واشباهها الا قال فيها افعل ولا حرج الثالثة قال العلما رفع الحرج انما هو لمن استقام على منهاج الشرع واما السلابة والسراق واصحاب الحدود فعليهم الحرج وهم جاعلوه على انفسهم بمفارقتهم الدين وليس في الشرع اعظم حرجا من الزام ثبوت رجل لاثنين في سبيل الله ومع صحة اليقين وجودة العزم ليس بحرج قوله تعالى ملة ابيكم قال الزجاج المعنى اتبعوا ملة ابيكم الفرا انتصب على تقدير حذف الكاف كانه قال كملة وقيل المعنى وافعلوا الخير فعل ابيكم فاقام الفعل مقام الملة وابراهيم هو ابو العرب قاطبة وقيل الخطاب لجميع المسلمين وان لم يكن الكل من ولده لان حرمة ابراهيم على المسلمين كحرمة الوالد على الولد هو سماكم المسلمين من قبل قال ابن زيد والحسن هو راجع الى ابراهيم والمعنى هو سماكم المسلمين من قبل النبي صلى الله عليه وسلم وفي هذا اي في حكمه ان من اتبع محمدا فهو مسلم قال ابن زيد وهو معنى قوله ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك قال النحاس وهذا القول مخالف لقول علما الايمة روى علي بن ابي طلحة عن ابن عباس قال سماكم الله عز وجل المسلمين من قبل اي في الكتب المتقدمة وفي هذا القرآن قاله مجاهد وغيره ليكون الرسول شهيدا عليكم اي بتبليغه اياكم وتكونوا شهدا على الناس ان رسلهم قد بلغتهم كما تقدم في البقرة فاقيموا الصلاة واتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير تقدم مستوفى والحمد لله

سورة المومنين مكية كلها في قول الجميع

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى قد افلح المومنون الى قوله خالدون فيه تسع مسايل الاولى قوله تعالى قد افلح المومنون وروى البيهقي من حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لما خلق الله جنة عدن وغرس اشجارها بيده قال لها تكلمي فقالت قد افلح المومنون وروى النسائي عن عبد الله ابن السايب قال حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فصلى في

قبل

قبل الكعبة فخلع نعليه فوضعهما عن يساره فافتتح سورة المومنين فلما جاء ذكر موسى او عيسى عليهما السلام اخذته سعلة فركع خرجه مسلم بمعناه وفي الترمذي عن عمر بن الخطاب قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي يسمع عند وجهه كدوي النحل وانزل عليه يوما فمكثنا ساعة فسري عنه فاستقبل القبلة فرفع يديه فقال اللهم زدنا ولا تنقصنا وارضنا وارض عنا ثم قال انزل علي عشر ايات من اقامهن دخل الجنة ثم قرا قد افلح المومنون حتى ختم عشر ايات صححه ابن العربي وقال النحاس معنى من اقامهن من قام عليهن ولم يخالف ما فيهن كما تقول فلان يقوم بعمله ثم نزل بعد هذه الايات فرض الوضو والحج فدخل معهن وقرا طلحة ابن مصرف قد افلح المومنون بضم الالف على الفعل المجهول اي ابقوا في الثواب والخير الثانية قوله تعالى خاشعون روى المعتمر عن خالد عن محمد بن سيرين قال كان النبي صلى الله عليه وسلم ينظر الى السما في الصلاة فانزل الله هذه الاية الذين هم في صلاتهم خاشعون فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر حيث يسجد وفي رواية هشيم كان المسلمون يلتفتون في الصلاة وينظرون حتى انزل الله قد افلح المومنون الذين هم في صلاتهم خاشعون فاقبلوا على صلاتهم ونظروا امامهم وقد تقدم ما للعلما في حكم المصلي الى حيث ينظر في البقرة عند قوله فول وجهك شطر المسجد الحرام وتقدم ايضا معنى الخشوع لغة ومعنى في البقرة ايضا عند قوله تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين والخشوع محله القلب فاذا خشع خشعت الجوارح لخشوعه اذ هو ملكها حسب ما بيناه اول البقرة وكان الرجل من العلما اذا قام الى الصلاة واقام اليها يهاب الرحمن ان يمد بصره الى شي وان يحدث نفسه بشي من الدنيا وقال عطا هو ان لا يعبث بشي من جسده في الصلاة وابصر النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه وقال ابو ذر قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام احدكم الى الصلاة فان الرحمة تواجهه فلا يحركن الحصا رواه الترمذي وقال الشاعر

واول فرض من شريعة ديننا ○ واخرها يبقى اذا الدين يرفع
فمن قام للتكبير لاقته رحمة ○ وكان كعبد باب مولاه يقرع
وصار لرب العرش حين صلاته ○ نجيا فيا طوباه لو كان يخشع

وروى ابو عمران الجوني قال قيل لعايشة ما كان خلق رسول الله صلى الله

واسلم زمن خيبر ثم حللها في غزاة الفتح ثم حرمها بعده قال
ابن خويز منداد من اصحابنا وغيره والى هذا اشار ابن العربي
وقد مضى في النسا القول فيهما مستوفي والحمد لله السابعة قوله
تعالى فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون سمى من نكح
ما لا يحل عاديا واوجب عليه الحد لعدوانه واللائط عاد قرانا
واخذ بدليل لقوله بل انتم قوم عادون كما تقدم في الاعراف
فوجب ان يقام الحد عليهم وهذا ظاهر لا غبار عليه قلت
فيه نظر ما لم يكن جاهلا او متاولا وان كان الاجماع منعقدا على
ان قوله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم
او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين خص به الرجال دون النسا
فقد روى معمر عن قتادة قال تسررت امراة غلاما فذكر
ذلك لعمر فسالها ما حملك على هذا قالت كنت اراه يحل لي بملك
يميني كما يحل للرجال المراة بملك اليمين فاستشار عمر في رجمها
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا تاولت كتاب الله
على غير تاويله لا رجم عليها فقال عمر لاجرم والله لا احلك لحر
بعده ابدا عاقبها بذلك ودرا الحد عنها وامر العبد الا يقربها
وعن ابي بكر ابن عبد الله انه سمع اباه يقول انا حضرت
عمر بن عبد العزيز جاءته امراة بغلام لها وضي فقالت اني
استسررته فمنعني بنو عمي عن ذلك وانما انا بمنزلة الرجل تكون
له الوليدة فيطاها فانه عني بنو عمي فقال عمر اتزوجت قبله
قالت نعم قال اما والله لولا منزلتك من الجهالة لرجمتك بالحجارة
ولكن اذهبوا به فبيعوه الى من يخرج به الى غير بلدها ووراء يعني
سوا وهو مفعول بابتغى اي من طلب سوى الازواج والولايد
المملوكة له وقال الزجاج اي من ابتغى بعد ذلك فمفعول الابتغا
محذوف ووراء ظرف وذلك يشار به الى كل مذكور مؤنثا كان
او مذكرا فاولئك هم العادون اي المجاوزون الحد من عدا اي جاوز
الحد وجازه الثامنة قوله تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم
راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون قرا الجمهور لاماناتهم
بالجمع وابن كثير بالافراد والامانة والعهد يجمع كل ما يحمله الانسان
من امر دينه ودنياه قولا وفعلا وهذا يعم معاشرة الناس والمواعيد
وغير ذلك وغاية ذلك حفظه والقيام به والامانة اعم من العهد

وكل عهد

وكل عهد فهو امانة فيما تقدم فيه قول او فعل او معتقد ه
التاسعة قرا الجمهور صلواتهم وحمزة والكسائي على صلاتهم
بالافراد وهذا الافراد اسم جنس فهو في معنى الجمع والمحافظة
على الصلوات اقامتها والمبادرة اليها اوائل اوقاتها واتمام
ركوعها وسجودها وقد تقدم في البقرة مستوفي ثم قال اولئك
هم الوارثون اي من عمل بما ذكر في هذه الايات فهم الوارثون
اي يرثون منازل اهل النار من الجنة وفي الخبر عن ابي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى جعل لكل
انسان مسكنا في الجنة ومسكنا في النار فاما المؤمنون
فياخذون منازلهم ويرثون منازل الكفار ويجعل الكفار في
منازلهم في النار خرجه ابن ماجة بمعناه عن ابي هريرة ايضا
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا له
منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فاذا مات فدخل النار
ورث اهل الجنة منزله فذلك قوله تعالى اولئك هم الوارثون
اسناده صحيح ويحتمل ان يسمى الحصول على الجنة وراثة من
حيث حصولها دون غيرهم فهو اسم مستعار على الوجهين والفردوس
ربوة الجنة واوسطها وافضلها خرجه الترمذي من حديث الربيع
بنت النضر ام حارثة وقال حديث حسن صحيح وفي صحيح مسلم فاذا
سالتم الله فاسالوه الفردوس فانه اوسط الجنة واعلى الجنة ومنه
تفجر انهار الجنة قال ابو حاتم محمد بن حبان قوله صلى الله عليه وسلم
فانه اوسط يريد ان الفردوس في وسط الجنان في العرض وهو
اعلى الجنة يريد في الارتفاع وهذا كله يصحح قول ابي هريرة
ان الفردوس جبل الجنة التي تتفجر منه انهار الجنة واللفظة فيما
قال مجاهد رومية عربت وقيل هي فارسية عربت وقيل حبشية
فالعرب تقول الكروم فراديس هم فيها خالدون فانث على معنى
الجنة قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى
قوله احسن الخالقين فيه خمس مسايل الاولى قوله تعالى ولقد
خلقنا الانسان هنا ادم عليه السلام قاله قتادة وغيره لانه استل
من الطين ويجي الضمير في قوله ثم جعلناه عايدا على ابن ادم وان كان لم
يذكر لشهرة الامر فان المعنى لا يصلح الا له نظير ذلك حتى توارت بالحجاب
وقيل المراد بالسلالة ابن ادم قاله ابن عباس وغيره والسلالة على هذا

صفوة الما يعني المني والسلالة فعالة من السل وهو استخراج
الشي من الشي يقال سللت الشعر من العجين والسيف من الغمد فانسل
ومنه قوله • فسلي ثيابي من ثيابك تنسل • فالنطفة سلالة
والولد سليل وسلالة حتى به الما يسيل من الظهر سلا قال الشاعر
• فجات به عضب الاديم غضنفرا • سلالة فرج كان غير حصين •
وقال اخر وهل هند الا مهرة عربية سليلة افراس تجلله بغل •
وقوله من طين اي ان الاصل ادم وهو من طين قلت اي من طين
خالص فاما ولده فهو من طين ومني حسب ما بيناه في اول سورة
الانعام وقال الكلبي السلالة الطين اذا عصرته انسل من بين
اصابعك فالذي يخرج هو السلالة الثانية قوله تعالى من نطفة
قد مضى القول في النطفة والعلقة والمضغة وما في ذلك من
الاحكام في اول الحج والحمد لله علي ذلك الثالثة قوله تعالى ثم انشاناه
خلقا اخر اختلف الناس في الخلق الاخر فقال ابن عباس
والشعبي وابو العالية والضحاك وابن زيد هو نفخ الروح فيه
بعد ان كان جمادا وعن ابن عباس خروجه الي الدنيا
وقال قتادة عن فرقة نبات شعره الضحاك خروج الاسنان
ونبات الشعر مجاهد كمال شبابه وروي عن ابن عمر والصحيح
انه عام في هذا وفي غيره من النطق والادراك وحسن المحاولة
وتحصيل المعقولات الي ان يموت الرابعة قوله تعالى فتبارك
الله احسن الخالقين يروي ان عمر بن الخطاب لما سمع صدر
الاية الي قوله خلقا اخر فتبارك الله احسن الخالقين
فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم هكذا انزلت وفي مسند
الطيالسي ونزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين
الاية فلما نزلت قلت انا تبارك الله احسن الخالقين فنزلت
فتبارك الله احسن الخالقين ويروي ان قايل ذلك معاذ
ابن جبل ويروي ان قايل ذلك عبد الله بن ابي سرح وبهذا
السبب ارتد وقال اتي بمثل ما يأتي محمد وفيه نزلت ومن
اظلم ممن افتري علي الله كذبا او قال اوحي الي ولم يوح اليه
شي ومن قال سانزل مثل ما انزل الله علي ما تقدم في الانعام
بيانه وقوله تعالى تبارك تفاعل من البركة احسن الخالقين
اتقن الصانعين يقال لمن صنع شيا خلقه ومنه قول الشاعر

ولانت

• ولانت تفري ما خلقت • وبعض القوم يخلق ثم لا يفري •
وذهب بعض الناس الي نفي هذه اللفظة عن الناس فانما
يضاف الخلق الي الله تعالى وقال ابن جريج انما قال احسن الخالقين
لانه تعالى قد اذن لعيسي عليه السلام ان يخلق واضطرب بعضهم
في ذلك ولا تنفي اللفظة عن البشر في معني الصنع وانما هي منفية
بمعني الاختراع والايجاد من العدم مسلة عن هذه الاية قال
ابن عباس لعمر حين سال مشيخة الصحابة عن ليلة القدر فقالوا
الله اعلم قال عمر ما تقول يا ابن عباس فقال يا امير المومنين
ان الله خلق السموات سبعا والارضين سبعا وخلق ابن ادم من
سبع وجعل رزقه في سبع فاراها في ليلة سبع وعشرين فقال
عمر رضي الله عنه اعجزكم ان تاتوا بمثل ما اتي هذا الغلام لم يجتمع
شوون راسه فخلق ابن ادم من سبع بهذه الاية وبقوله جعل
رزقه في سبع قوله فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا
وحدايق غلبا وفاكهة وابا الاية السبع منها لابن ادم والاب للانعام
والقضب ياكله ابن ادم ويسمن به النسا هذا قول وقيل القضب
البقول لانها تقضب فهي رزق ابن ادم والسابعة هي الانعام
اذ هي من اعظم رزق ابن ادم قوله تعالى ثم انكم بعد ذلك لميتون
اي بعد الخلق والحياة الخامس ويقال في هذا المعني لمايتون
ثم اخبر بالبعث بعد الموت فقال ثم انكم يوم القيامة تبعثون
قوله تعالى ولقد خلقنا فوقكم سبع طرايق قال ابو عبيدة اي سبع
سموات وحكي عنه انه يقال طارقت الشي اي جعلت بعضه فوق
بعض فقيل للسموات طرايق لان بعضها فوق بعض والعرب تسمي
كل شي فوق شي طريقة وقيل لانها طرايق الملايكة وما كنا عن الخلق
غافلين قال بعض العلما اي عن خلق السما وقال اكثر المفسرين
اي عن الخلق كلهم من ان تسقط عليهم فتهلكهم قلت ويحتمل ان
يكون المعني وما كنا عن الخلق غافلين اي في القيام بمصالحهم
وحفظهم وهو معني الحي القيوم علي ما تقدم قوله تعالى
وانزلنا من السما ما بقدر فاسكناه في الارض علي ما تقدم
فيه اربع مسايل الاولي هذه الاية من نعم الله علي خلقه
ومما امتن الله به عليهم ومن اعظم المنن الما الذي هو حياة الابدان
ونما الحيوان والما المنزل من السما علي قسمين هذا الذي ذكره الله

سبحانه واخبر عنه بانه استودعه في الارض وجعله فيها مختزنا لسقي
الناس يجدونه عند الحاجة اليه وهو ما الانهار والعيون
وما يستخرج من الابار وروي عن ابن عباس وغيره انه انما اراد
الانهار الاربعة سيحان وجيحان والنيل والفرات وقال مجاهد
ليس في الارض ما الا وهو من السما وهذا ليس على اطلاقه والا دل
لا اجاج ثابت في الارض فيمكن ان يقيد قوله بالما العذب و
محالة ان الله قد جعل في الارض ما وانزل من السما ما وقد قيل
ان قوله وانزلنا من السما ما اشارة الي الما العذب وان اصله من
البحر رفعه تعالى بلطفه وحسن تقديره من البحر الي السما حتى
طاب بذلك الرفع والتصعيد ثم انزله الي الارض لينتفع به ولو كان
الامر الي ما البحر لم ينتفع به من ملوحته الثانية قوله تعالى
بقدر اي على مقدار مصلح لانه لو كثر اهلك ومنه قوله وان من شي
الا عندنا خزاينه وما ننزله الا بقدر معلوم وانا على ذهاب به لقادرون
يعني الما المختزن وهذا تهديد ووعيد اي في قدرتنا اذهابه
وتغويره ويهلك الناس بالعطش وتهلك مواشيهم وهذا كقوله
تعالى قل ارايتم ان اصبح ماوكم غورا اي غايرا فمن ياتيكم بما معين
الثالثة ذكر النحاس قرا على ابي يعقوب اسحاق بن ابراهيم
ابن يونس عن جامع بن سوادة قال حدثنا سعيد بن سابق قال
حدثنا مسلمة بن علي عن مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انزل الله جل وعز من الجنة الي الارض
خمسة انهار سيحون وهو نهر الهند وجيحون وهو نهر بلخ ودجلة
والفرات وهما نهرا العراق والنيل وهو نهر مصر انزلها الله تعالى
من عين واحدة من عيون الجنة في اسفل درجة من درجاتها
على جناحي جبريل عليه السلام فاستودعها الجبال واجراها
في الارض وجعل فيها منافع للناس في اصناف معايشهم وذلك
قوله جل ثناوه وانزلنا من السما ما بقدر فاسكناه في الارض فاذا
كان عند خروج ياجوج وماجوج ارسل الله جبريل عليه السلام فرفع من
الارض القران والعلم وجميع الانهار الخمسة فيرفع ذلك الي السما فذلك
قوله تعالى وانا على ذهاب به لقادرون فاذا رفعت هذه الاشيا
من الارض فقد اهلها خير الدين والدنيا الرابعة كل ما نزل من
السما مختزنا كان او غير مختزن فهو طاهر مطهر يغتسل به ويتوضا منه

على ما ياتي

على ما ياتي في الفرقان بيانه **قوله تعالى** فانشانا لكم به جنات
فيه مسيلتان الاولى قوله تعالى فانشانا اي جعلنا ذلك سبب
النبات واوجدناه به وخلقناه وذكر تعالى النخيل والاعناب
لانها ثمرة الحجاز بالطايف والمدينة وغيرهما قاله الطبري لانها
ايضا اشرف الثمار فذكرها تشريفا لهما وتنبيها عليها لكم فيها
اي في الجنات فواكه من غير الرطب والعنب ويحتمل ان تعود على
النخيل والاعناب خاصة اذ فيها مراتب وانواع والاول اعم لساير
الثمرات الثانية من حلف ان لا ياكل فاكهة ففي الرواية عندنا
يحنث بالباقلا الاخضر البنول لانه من الفاكهة وكذا الجوز واللوز
والفستق لان هذه الاشيا لا تعد من الفاكهة وان اكل تفاحا
او خوخا او مشمشا او تينا او اجاصا يحنث وكذلك البطيخ لان هذه
الاشيا توكل على جهة التفكه قبل الطعام وبعده فكانت
فاكهة وكذلك يابس هذه الاشيا الا البطيخ اليابس لان ذلك
لا يوكل الا في بعض البلدان ولا يحنث باكل البطيخ الهندي لانه
لا يعد من الفواكه وان اكل عنبا او رمانا او رطبا لا يحنث وخالفه
صاحباه فقالا يحنث لان هذه الاشيا من اعز الفواكه وتوكل على
وجه التنعم والافراد لها بالذكر في كتاب الله لكمال معانيها
كتخصيص جبريل وميكايل من الملايكة واحتج ابو حنيفة بان قال
عطف هذه الاشيا على الفاكهة مرة فقال فيهما فاكهة ونخل ورمان
ومرة عطف الفاكهة على هذه الاشيا فقال وفاكهة وابا والمعطوف
غير المعطوف عليه ولا يليق بالحكمة ذكر الشي الواحد بلفظين مختلفين
في موضع المنة والعنب والرمان يكتفى بهما في بعض البلدان
ولا يكون فاكهة فكذلك رطبها **قوله تعالى** وشجرة تخرج من طور
سينا تنبت بالدهن وصبغ للاكلين فيه ست مسايل **الاولى**
قوله تعالى وشجرة معطوفة على جنات واجاز الفرا الرفع لانه لم يظهر
الفعل بمعنى وثم شجرة ويريد بها شجرة الزيتون وافردها بالذكر
لعظيم منافعها في ارض الشام والحجاز وغيرهما من البلاد وقلة تعاهدها
بالسقي والحفر وغير ذلك من المراعاة في ساير الاشجار تخرج في موضع
الصفة من طور سينا انبتها الله في الاصل من هذا الجبل الذي
بارك فيها وطور سينا من ارض الشام وهو الجبل الذي كلم الله عليه
موسى عليه السلام قاله ابن عباس وغيره وقد تقدم في البقرة والاعراف

والطور الجبل في كلام العرب وقيل مما عرب من كلام العجم وقال ابن زيد
هو جبل بيت المقدس ممدود من مصر الى ايله واختلف في سينا فقال
قتادة معناه الحسن ويلزم على هذا التاويل ان ينون الطور على
النعت وقال مجاهد معناه مبارك وقال معمر عن فرقة معناه
شجر ويلزمهم ان ينونوا الطور وقال الجمهور هو اسم الجبل كما تقول
جبل احد وعن مجاهد ايضا سينا حجر بعينه اضيف الجبل اليه لوجوده
عنده وقال مقاتل كل جبل يحمل الثمار فهو سينا اي حسن وقرا
الكوفيون بفتح السين على وزن فعلا وفعلا في كلام العرب كثير يمنع
من الصرف في المعرفة والنكرة لان في اخرها الف التانيث والف
التانيث ملازمة لما هي فيه وليس في الكلام فعلا ولكن من قرا سينا
بكسر السين جعله فعلالا فالهمزة فيه كهمزة حربا ولم يصرف في
هذه الاية لانه جعل اسم بقعة وزعم الاخفش انه اسم اعجمي
الثانية قوله تعالى تنبت بالدهن قرا الجمهور تنبت بفتح التا
وضم البا والتقدير تنبت ومعها الدهن كما تقول خرج زيد
بسلاحه وقرا ابن كثير وابو عمرو بضم التا وكسر البا واختلف
في التقدير على هذه القراة فقال ابو علي الفارسي التقدير
تنبت جناها ومعه الدهن فالمفعول محذوف وقيل البا زايدة
مثل ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وهذا مذهب ابي عبيدة وقال
الشاعر • نضرب بالسيف ونرجوا بالفرج • وقال آخر
• هن الحراير لا ربات اخمره • سود المحاجر لا يقران بالسور • ونحو
هذا قاله ابو علي ايضا وقد تقدم وقيل نبت وانبت بمعنى فيكون
المعنى كما مضى في قراة الجمهور وهو مذهب الفرا وابي اسحاق ومنه
قول زهير • رايت ذوي الحاجات حول بيوتهم • قطينا بها حتى اذا انبت البقل •
وقرا الزهري والحسن والاعرج تنبت بالدهن برفع التا ونصب
البا قال ابن جني والزجاج هي با الحال اي تنبت ومعها دهنها
وفي قراة ابن مسعود تخرج بالدهن وهي با الحال ابن درستويه
الدهن الما اللين وتنبت من الانبات وقرا زر بن حبيش تنبت
بضم التا وكسر البا الدهن بحذف البا ونصبه وقرا سليمان بن
عبد الملك والاشهب بالدهان والمراد من الاية تعديد نعمة الزيت
على الانسان وهي من اركان النعم التي لا غنى بالصحة عنها ويدخل
في معنى الزيتونة شجر الزيت كله على اختلافه بحسب الاقطار

الثالثة

الثالثة قوله تعالى وصبغ للاكلين قراة الجمهور وقرات فرقة واصباغ
بالجمع وقرا عامر بن عبد قيس ومتاعا والمراد به الزيت الذي
يصطبغ به الاكل يقال صبغ وصباغ مثل دبغ ودباغ ولبس ولباس
وكل ادام يوتدم به فهو صبغ حكاه الهروي وغيره واصل
الصبغ ما يلون به الثوب وشبه الادام به لان الخبز يكون
بالصبغ اذا غمس فيه وقال مقاتل الادم الزيتون والدهن
الزيت وقد جعل الله في هذه الشجرة ادما ودهنا فالصبغ على
هذا الزيتون الرابعة لا خلاف ان كل ما يصطبغ فيه من المايعات
كالزيت والسمن والعسل والرب والخل وغير ذلك من الامراق
انه ادام وقد نص رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخل فقال
نعم الادام الخل رواه تسعة من الصحابة سبعة رجال وامراتان
وممن رواه في الصحيح جابر وعايشة وخارجة وعمر وابنه
عبيد الله وابن عباس وابو هريرة وسمرة بن جندب وانس وام
هاني الخامسة واختلف فيما كان جامدا كاللحم والتمر والزيتون
وغير ذلك من الجوامد فالجمهور ان ذلك كله ادام فمن حلف ان لا ياكل
اداما فاكل لحما او جبنا حنث وقال ابو حنيفة لا يحنث وخالفه
صاحباه وقد روي عن ابي يوسف مثل قول ابي حنيفة والبقل
ليس بادام في قولهم جميعا وعن الشافعي في التمر وجهان والمشهور
انه ليس بادام لقوله في التنبيه وقيل يحنث والصحيح ان هذا كله
ادام وقد روى ابو داود عن يوسف بن عبد الله بن سلام قال رايت
النبي صلى الله عليه وسلم اخذ كسرة من خبز شعير فوضع عليها
تمرة فقال هذه ادام هذه وقال صلى الله عليه وسلم سيد ادام
الدنيا والاخرة اللحم ذكره ابو عمر وترجم البخاري باب الادام وساق
حديث عايشة ولان الادام ماخوذ من المؤادمة وهي الموافقة وهذه
الاشيا توافق الخبز فكان اداما وفي الحديث عنه عليه السلام
ايتدموا ولو بالما ولابي حنيفة ان حقيقة الادام الموافقة في الاجتماع
على وجه لا يقبل الفصل كالخل والزيت ونحوهما واما اللحم والبيض
وغيرهما لا يوافق الخبز بل يجاوره كالبطيخ والتمر والعنب والحاصل
ان كل ما يحتاج ويوكل وحده لا يكون اداما والله اعلم السادسة
روى الترمذي من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة

مباركة هذا حديث لا يعرف الا من حديث عبد الرزاق وكان يضطرب
فيه فربما يذكر فيه عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم وربما رواه على
الشك فقال احسبه عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال مقاتل
خص الطور بالزيتون لان اول الزيتون نبت منها وقيل ان
الزيتون اول شجرة نبتت في الدنيا بعد الطوفان والله تعالى اعلم
قوله تعالى وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها الآيتان
الى آخرها تقدم القول فيهما في النحل والحمد لله وفي هود قصة
السفينة ونوح وركوب البحر في غير موضع **قوله تعالى** وعليها
اي وعلى الانعام في البر وعلى الفلك في البحر تحملون وانما يحمل في
البر على الابل فيجوز ان ترجع الكناية الى بعض الانعام وروي
ان رجلا ركب بقرة في الزمان الاول فانطقها الله معه فقالت
انا لم نخلق لهذا وانما خلقت للحراثة **قوله تعالى** ما لكم من اله غيره
قرئ بالخفض ردا على اللفظ وبالرفع ردا على المعنى وقد مضى في
الاعراف **قوله تعالى** ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم اي
يسودكم ويشرف عليكم بان يكون متبوعا ونحن له تبع ولو شاء الله
لانزل ملائكة اي لو شاء الله ان لا يعبد شيء سواه لجعل رسوله
ملكا ما سمعنا بهذا اي بمثل دعوته وقيل ما سمعنا بمثله بشرا اتى
برسالة ربه في آبائنا الاولين اي في الامم الماضية قال ابن عباس
والباء في بهذا زائدة اي ما سمعنا هذا كائنا في آبائنا ثم عطف بعضهم
على بعض فقالوا ان هو يعنون نوحا الا رجل به جنة اي جنون
لا يدري ما يقول فتربصوا به حتى حين اي انتظروا موته وقيل
حتى يستبين جنونه وقال الفراء ليس يراد بالحين هاهنا وقت
بعينه انما هو كقوله دعه الى يوم ما فقال حين تمادوا على
كفرهم رب انصرني بما كذبون اي انتقم ممن لم يطعني ولم يسمع رسالتي
فاوحينا اليه اي ارسلنا اليه رسولا من السماء ان اصنع الفلك
على ما تقدم بيانه **قوله تعالى** فاذا استويت اي علوت انت
ومن معك على الفلك راكبين فقل الحمد لله اي احمد الله على تخليصه
اياكم من القوم الظالمين من الغرق والحمد لله كلمة كل شاكر لله وقد مضى
في الفاتحة بيانه **قوله تعالى** فاسلك فيها اي ادخل فيها واجعل فيها
يقال سلكته في كذا واسلكته فيه اذا ادخلته قال عبد مناف بن
ربع الهذلي: حتى اذا اسلكوهم في قتائدة ... شلا كما تطرد الجمالة الشردا

من كل

من كل زوجين اثنين قرأ حفص من كل بالتنوين الباقون بالاضافة
وقد ذكر وقال الحسن لم يحمل نوح في السفينة الا ما يلد ويبيض فاما
البق والذباب والدود فلم يحمل شيئا منها وانما يخرج من الطين وقد
مضى القول في السفينة والكلام فيها مستوفى **قوله تعالى** وقل
رب انزلني منزلا مباركا قراءة العامة منزلا بضم الميم وفتح الزاي على
المصدر الذي هو الانزال اي انزلني انزالا مباركا وقرأ زر بن حبيش
وابو بكر عن عاصم والمفضل منزلا بفتح الميم وكسر الزاي على الموضع
اي انزلني موضعا مباركا الجوهري والمنزل بفتح الميم والزاي المنزل
وهو الحلول تقول نزلت نزولا ومنزلا وقال اان ذكرتك الدار منزلها
جمل بكيت فدمع العين منحدر سجل بنصب المنزل لانه مصدر
وانزله غيره واستنزله بمعنى ونزله تنزيلا والتنزيل ايضا
الترتيب قال ابن عباس ومجاهد هذا حين خرج من السفينة
مثل قوله اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك وقيل
حين دخلها فعلى هذا يكون قوله مباركا يعني بالسلامة والنجاة
قلت وبالجملة فالاية تعليم من الله جل وعز لعباده اذا ركبوا
واذا نزلوا ان يقولوا هذا بل واذا دخلوا بيوتهم وسلموا قالوا وروي
عن علي رضي الله عنه انه كان اذا دخل المسجد قال اللهم انزلني
منزلا مباركا وانت خير المنزلين **قوله تعالى** ان في ذلك لآيات
في امر نوح والسفينة واهلاك الكافرين لآيات اي دلالات على قدرة
الله تعالى وانه ينصر انبياءه ويهلك اعداءهم وان كنا لمبتلين اي ما كنا
الا مبتلين الامم قبلكم اي مختبرين لهم بارسال الرسل اليهم
ليظهر المطيع والعاصي فيتبين للملائكة حالهم لا ان يستجد الرب
علما وقيل اي عاملهم معاملة المختبرين وقد تقدم هذا المعنى
في البقرة وغيرها وقيل وان كنا اي وقد كنا **قوله تعالى** ثم
انشأنا من بعدهم اي من بعد هلاك قوم نوح قرنا آخرين قيل هم
قوم عاد فارسلنا فيهم رسولا منهم يعني هودا لانه ما كانت امة انشئت
في اثر قوم نوح الا عاد وقيل هم قوم ثمود فارسلنا فيهم رسولا يعني
صالحا قالوا والدليل عليه قوله تعالى آخر الآية فاخذتهم الصيحة
نظيرها واخذ الذين ظلموا الصيحة قلت وممن اخذ بالصيحة
ايضا اصحاب مدين قوم شعيب فلا يبعد ان يكونوا هم والله اعلم
منهم من عتبرتهم بين خوف مولده ومنشاه ليكون سكونهم الى قوله الخ

قوله تعالى وقال الملا اي الاشراف والقادة والروساء من قومه
الذين كفروا وكذبوا بلقاء الاخرة يريد بالبعث والحساب
واترفناهم في الحياة الدنيا اي وسعنا عليهم نعم الدنيا حتى
نظروا وصاروا ياتون بالترفه وهي مثل التحفة ما هذا الا
بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون فلا فضل
له عليكم لانه محتاج الى الطعام والشراب كانتم وزعم الفراء ان
معنى ويشرب مما تشربون على حذف من اي مما تشربون
منه وهذا لا يجوز عند البصريين ولا يحتاج الى حذف البتة لان
ما اذا كان مصدرا لم يحتج الى عايد فان جعلته بمعنى الذي
حذفت المفعول ولم يحتج الى اضمار من ولين اطعتم بشرا مثلكم
انكم اذا لخاسرون يريد لمغبونون بترككم الهتكم واتباعكم اياه من
غير فضيلة له عليكم ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون
اي مبعوثون من قبوركم وان الاولى في موضع نصب بوقوع
يعدكم عليها والثانية بدل منها هذا مذهب سيبويه والمعنى ايعدكم
انكم تخرجون اذا متم قال الفرا والجرمي وابو العباس المبرد الى
ان الثانية مكررة للتوكيد لما طال الكلام كان تكريرها حسنا
وقال الاخفش المعنى ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما
يحدث اخراجكم فان الثانية في موضع رفع بفعل مضمر كما تقول
اليوم القتال فالمعنى اليوم يحدث القتال وقال ابو اسحاق
ويجوز ايعدكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون لان معنى
ايعدكم ايقول لكم قوله تعالى هيهات هيهات لما توعدون
اي ان هذا لا يكون ما يذكر من البعث وقال ابو علي هو بمنزلة
الفعل اي بعد ما توعدون وقال ابن الانباري وفي هيهات
لك بخفض التا يروى عن ابي جعفر هو ابن القعقاع وهيهات
لك بالخفض والتنوين يروى عن عيسى بن عمر وهيهات لك برفع
التا الثقيلي وبها قرا نصر بن عاصم وابو العالية وهيهات لك
بالرفع والتنوين وبها قرا ابو حيوة الشامي ذكر الثعلبي ايضا
وهيهاتا لك بالنصب والتنوين قال الاحوص • • •
• تذكرت اياما مضين من الصبا • وهيهات هيهاتا اليك رجوعها •
واللغة السابعة ايها ايهات وانشد الفرا • • •
• فايهات ايهات العقيق ومن به وايهات اهل خل بالعقيق نواصله

قال المهدوي

المهدوي وقرا عيسى الهمداني هيهات هيهات بالاسكان قال ابن
الانباري ومن العرب من يقول ايهات بالنون ومنهم يقول ايهان بلا
نون وانشد الفرا • ومن دوني الاغبار والقنع كله • وكنان ايهان ما انشت وابعد
فهذه عشر لغات فمن قال هيهات بفتح التا جعله مثل اين وكيف وقيل
لانهما اداتان مركبتان مثل خمسة عشر وبعلبك ورام هرمز وتقف
على الثاني بالها كما تقول خمس عشرة وسبع عشرة وقال الفرا نصبها
كنصب ثمت وربت ويجوز ان يكون الفتح اتباعا للالف والفتحة التي
قبلها ومن كسره جعله مثل امس وهولا قال وهيهات هيهات اليك
رجوعها قال الكسايي ومن كسر التا وقف عليها بالها فيقول
هيهاه ومن نصبها وقف بالتا وان شا بالها ومن ضمه فعلى مثل
منذ وقط وحيث ومن قرا هيهات بالتنوين فهو جمع ذهب
به الى التنكير كانه قال بعدا بعدا وقيل خفض ونون تشبيها
بالاصوات بقولهم غاق وطاق وقال الاخفش يجوز في هيهات
ان يكون جماعة فيكون التا فيها التا الجمع التي للتانيث ومن
قرا هيهات جاز ان يكون اخلصها اسما معربا فيه معنى البعد
ولم يجعله اسما للفعل فيبنيه وقيل شبه التا بتا الجمع كقوله
فاذا افضتم من عرفات قال الفرا وكاني استحب الوقف على
التا لان من العرب من يخفض التا على كل حال فكانها مثل
عرفات وملكوت وما اشبه ذلك وكان مجاهد وعيسى ابن
عمر وابو عمرو بن العلا والكسايي وابن كثير يقفون عليه
هيهاه بالها وقد روي عن ابي عمرو ايضا انه كان يقف
على هيهات بالتا وعليه بقية القرا لانها حرف قال ابن الانباري
من جعلهما حرفا واحدا لا يفرد احدهما عن الاخر وقف على الثاني
بالها ولم يقف على الاول فيقول هيهات هيهاه كما تقول خمس
عشرة على ما تقدم ومن نوى افراد احدهما من الاخر وقف
فيهما جميعا بالها والتا لان اصل الها تا قوله تعالى ان هي
الا حياتنا الدنيا هي كناية عن الدنيا اي ما الحياة الا ما نحن
فيه لا الحياة الاخرة التي تعدنا بعد البعث نموت ونحيا يقول
كيف قالوا نموت ونحيي وهم لا يقرون بالبعث ففي هذا اجوبة
منها ان يكون المعنى نكون مواتا اي نطفا ثم نحيي في الدنيا
وقيل فيه تقديم وتاخير اي ان هي الا حياتنا الدنيا نحيي فيها

ويموت كما قال واسجدي واركعي وقيل نموت يعني الابا ونحيي يعني
الاولاد وما نحن بمبعوثين بعد الموت قوله تعالي ان هو الا رجل
يعنون الرسل الا رجل افترى اي اختلق علي الله كذبا وما
نحن له بمؤمنين قال رب انصرني بما كذبون قال عما
قليل اي بعد قليل وما زايدة موكدة ليصبحن نادمين
علي كفرهم واللام لام القسم اي والله ليصبحن فاخذتهم
الصيحة في التفاسير صاح بهم جبريل صيحة واحدة مع
الريح التي اهلكهم الله بها فماتوا عن اخرهم فجعلناهم غثا
اي هلكا هامدين كغثا السيل وهو ما يحمله من بالي الشجر
من الحشيش والقصب مما يبس وتفتت فبعدا للقوم الظالمين
اي هلاكا لهم وقيل بعدا لهم من رحمة الله وهو منصوب علي المصدر
ومثله سقيا له ورعيا قوله تعالي ثم انشانا من بعدهم اي من
بعد هلاك هولا قرونا اي امما اخرين قال ابن عباس يريد بني اسرايل
وفي الكلام حذف تقديره فكذبوا انبياهم فاهلكناهم ما تسبق من امة
اجلها من اصلة اي ما تسبق الذي الوقت لها ولا تتاخره
مثل قوله فاذا جا اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون وبعث
تترا فتتواتر ويتبع بعضهم بعضا ترغيبا وترهيبا قال الاصمعي
واترت الكتب عليه اتبعت بعضها بعضا الا ان بين كل واحد منها
وبين الاخر مهلة وقال غيره المتواتر المتتابع بغير مهلة
وقرا ابن كثير وابو عمرو تترا بالتنوين علي انه مصدر ادخل فيه
التنوين علي فتح الرا كقولك حمدا وشكرا فالوقف علي هذا علي
الالف المعوضة من التنوين ويجوز ان يكون ملحق بجعفر فيكون
مثل ارطي وعلقي كما قال يعني في علقي وفي مكور ط اذا وقف
علي هذا الوجه جازت الامالة علي ان تنوي الوقف علي الالف
الملحقة وقري بترك التنوين مثل سكري وغضبي وهو اسم جمع
مثل شتي واسري واصله وتري من المواترة والتواتر فقلبت الواو
تا مثل التقوي والتكلان وتجاه ونحوها وقيل هو من الوتر وهو
الفرد كالمعني ارسلناهم فردا فردا قاله النحاس وعلي هذا يجوز تترا
بكسر التا الاولي وموضعه نصب علي المصدر لان المعني ثم ارسلنا
واترنا ويجوز ان يكون في موضع الحال اي متواترين وسننا
فاتبعنا بعضهم بعضا بالهلاك وجعلناهم احاديث جمع احدوثة

وهي ما يتحدث

وهي ما يتحدث به كاعاجيب جمع اعجوبة وهي ما يتعجب منه قال
الاخفش انما يقال هذا في الشر جعلناهم احاديث ولا يقال في الخير
كما يقال صار فلان حديثا اي عبرة ومثلا كما قال في اية اخرى
فجعلناهم احاديث ومزقناهم كل ممزق قلت وقد يقال فلان
حديث حسن اذا كان مقيدا بذكر ذلك ومنه قول ابن دريد ٭
٭ وانما المرء حديث حسن ٭ فكن حديثا حسنا لمن وعي قوله تعالي
ثم ارسلنا موسي واخاه الي اخر الاية تقدم ومعني عالين متكبرين
قاهرين كبرهم بالظلم كما قال ان فرعون علا في الارض فقالوا
انومن لبشرين مثلنا الاية تقدم ايضا ومعني من المهلكين اي
بالغرق في البحر قوله تعالي ولقد اتينا موسي الكتاب يعني التوراه
وخص موسي بالذكر لان التوراه نزلت عليه في الطور وهارون
خليفة في قومه ولو قال اتيناهما جاز كما قال ولقد اتينا موسي وهارون
الفرقان قوله تعالي وجعلنا ابن مريم وامه اية تقدم في الانبيا
القول فيه واويناهما الي ربوة ذات قرار ومعين الربوة المكان المرتفع
وقد تقدم في البقرة والمراد بها هنا في قول ابي هريرة فلسطين وعنه
ايضا الرملة وروي عن النبي صلي الله عليه وسلم وقال ابن عباس
وابن المسيب وابن سلام دمشق وقال كعب وقتادة بيت المقدس
قال كعب وهي اقرب الارض الي السما بثمانية عشر ميلا قال وكنت
هميدا تحت رمس بربوة يعاودني ريح جنوب وشمال وقال ابن
زيد مصر وروي سالم الافطس عن سعيد بن جبير واويناهما الي
ربوة قال النشز من الارض ذات قرار اي مستوية يستقر عليها وقيل
ذات ثمار وليستقر فيها الساكنون ومعين ما جار ظاهر للعيون يقال
معين ومعن كما يقال رغيف ورغف قاله علي ابن سليمان وقال
الزجاج هو الما الجاري في العيون فالميم علي هذا زايدة كزيادتها في
مبيع وكذلك الميم زايدة في قول من قال انه الما الذي يري بالعين
وقيل انه فعيل بمعني مفعول قال علي بن سليمان يقال معن الما اذا
جرى فهو معين وممعون ابن الاعرابي معن الما يمعن معونا اذا جرى
فهو معين وسهل وامعن ايضا وامعنته ومياه معنان قوله تعالي
يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ثلاث مسايل الاولي روي
الصحيح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ايها
الناس ان الله طيب لا يقبل الا طيبا وان الله امر المومنين بما امر به المرسلين

فقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم وقال
يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر
اشعث اغبر يمد يده الى السما يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام
وملبسه حرام وغذي بالحرام فاني يستجاب لذلك الثانية قال بعض العلما
الخطاب في هذه الاية للنبي صلى الله عليه وسلم وانه اقامه مقام الرسل
كما قال الذين قال لهم الناس يعني نعيم ابن مسعود وقال الزجاج هذه
مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم على ان الرسل كلهم كذا امروا اي كلوا من
الحلال وقال الطبري الخطاب لعيسى روي انه كان ياكل من غزل امه والمشهور
عنه انه كان ياكل من بقل البرية ووجه خطابه لعيسى ما ذكرنا من تقديره
لمحمد صلى الله عليه وسلم تشريفا له وقيل ان هذه المقالة خوطبها كل نبي
لان هذه طريقتهم التي ينبغي لهم الكون عليها فيكون المعنى وقلنا يا ايها
الرسل كلوا من الطيبات كما تقول لتاجر يا تجار ينبغي ان تجتنبوا الربا
فانت تخاطبه بالمعنى وقد اقترنت بذلك ان هذه المقالة تصلح لجميع
صنفهم فلم يخاطبوا قط مجتمعين صلوات الله عليهم اجمعين وانما خوطب
كل واحد في عصره قال الفخر هو كما تقول للرجل الواحد كفوا عنا اذاكم
الثالثة سوى الله سبحانه وتعالى بين النبيين والمومنين في الخطاب
بوجوب اكل الحلال وتجنب الحرام ثم شمل الكل في الوعيد الذي تضمنه
قوله تعالى اني بما تعملون عليم صلى الله على رسله وانبيائه واذا كان
هذا معهم فما ظن كل الناس بانفسهم وقد مضى القول في الطيبات والرزق
في غير موضع والحمد لله وفي قوله عليه السلام يمد يديه دليل على مشروعية
مد اليدين عند الدعا الى السما وقد مضى الخلاف في هذا والكلام
فيه والحمد لله وقوله عليه السلام فاني يستجاب لذلك على جهة الاستبعاد
الاستبعاد اي انه ليس اهلا لاجابة دعائه لكن يجوز ان يستجيب
الله له تفضلا ولطفا وكرما **قوله تعالى** وان هذه امتكم امة واحدة الاية
فيه اربع مسائل الاولى قوله تعالى انا وجدنا اباءنا على امة وان هذه
امتكم امة واحدة المعنى هذا الذي تقدم ذكره هو دينكم وملتكم فالزموه
والامة هنا الدين وقد تقدم محامله ومنه قوله تعالى انا وجدنا اباءنا
على امة على دين وقال النابغة . حلفت فلم اترك لنفسك ريبة .
وهل ياثمن ذو امة وهو طائع **الثانية** قرئ وان هذه بكسر ان
على القطع وبفتحها وتشديد النون قال الخليل هي في موضع نصب
لما زال الخافض اي انا عالم بان هذا دينكم الذي امرتكم ان تومنوا به وقال

الفرا ان متعلقة بفعل مضمر تقديره واعلموا ان هذه امتكم وهي عند سيبويه
متعلقة بقوله فاتقون والتقدير فاتقون لان امتكم واحدة وهذا
كقوله تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا اي لان المساجد لله فلا
تدعوا معه غيره وكقوله لايلاف قريش اي فليعبدوا رب هذا البيت
لايلاف قريش الثالثة هذه الاية تقوي ان قوله تعالى يا ايها الرسل
انما هو مخاطبة لجميعهم وانه بتقدير حضورهم واذا قدرت يا ايها الرسل
مخاطبة لمحمد عليه السلام فقلق اتصال هذه واتصال قوله فتقطعوا
اما ان قوله وانا ربكم فاتقون وان كان قيل للانبيا فامهم داخلون فيه
بالمعنى فيحسن بعد ذلك اتصال فتقطعوا اي افترقوا يعني الامم اي
جعلوا دينهم اديانا بعد ما امروا بالاجتماع ثم ذكر تعالى ان كلا منهم معجب
برايه وضلالته وهذه غاية الضلال الرابعة هذه الاية تنظر الى
قوله صلى الله عليه وسلم الا ان من قبلكم من اهل الكتاب افترقوا على
ثنتين وسبعين ملة وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين
ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة الحديث
خرجه ابو داود ورواه الترمذي وزاد قالوا ومن هي يا رسول الله قال
ما انا عليه واصحابي خرجه من حديث عبد الله بن عمرو وهذا يبين ان هذه
الافتراق المحذر منه في الاية والحديث انما هو في اصول الدين وقواعده
لانه قد اطلق عليها مللا واخبر ان التمسك بشي من تلك الملل موجب لدخول
النار فاما مثل هذا الاختلاف في الفروع فانه لا يوجب تعديد الملل
ولا عذاب النار قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا **قوله تعالى**
زبرا يعني كتبا وضعوها وضلالات الفوها قاله ابن زيد وقيل انهم فرقوا
الكتب فاتبعت فرقة الصحف وفرقة التوراة وفرقة الزبور وفرقة
الانجيل ثم حرف الكل وبدل قاله قتادة وقيل اخذ كل فريق منهم كتابا
امن به وكفر بما سواه وزبرا بضم البا قراة نافع جمع زبور والاعمش وابو
عمرو بخلاف عنه زبرا بفتح البا اي قطعا كقطع الحديد كقوله اتوني زبر
الحديد كل حزب اي فريق وملة بما لديهم اي عندهم من الدين فرحون
اي معجبون به وهذه الاية مثال لقريش خاطب محمدا عليه السلام في
شانهم متصلا بقوله فذرهم في غمرتهم اي قدرها ولا الذين هم بمنزلة
من تقدم ولا يضيق صدرك بتاخر العذاب عنهم فلكل شي وقت والغمرة
في اللغة ما يغمرك ويعلوك واصله الستر ومنه الغمر الحقد لانه يغطي القلب
والغمر الما الكثير لانه يغطي الارض وغمر الردا الذي يشمل الناس بالعطا

قال غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال والمراد هنا
الحيرة والغفلة والضلال ودخل فلان في غمار الناس اي زحمتهم وقوله
حتى حين قال مجاهد حتى الموت فهو تهديد لا توقيت كاقبال سياق
تك يوم قوله تعالى ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين ما بمعنى الذي
اي ايحسبون يا محمد ان الذي نعطيهم في الدنيا من المال والاولاد هو ثواب
لهم انما هو استدراج واملا ليس اسراعا في الخيرات وفي خبر ان ثلاثة
اقوال منها انه محذوف وقال الزجاج المعنى نسارع لهم به في الخيرات
وحذفت به وقال هشام الضرير قولا دقيقا قال انما هي الخيرات فصار
المعنى نسارع لهم فيه ثم اظهر فقال في الخيرات ولا حذف فيه على هذا
التقدير ومذهب الكسائي ان انما حرف واحد ولا يحتاج الى تقدير
حرف ويجوز الوقف على قوله وبنين ومن قال انما حرفان فلابد من ضمير
يرجع من الخبر الى اسم ان ولم يتم الوقف على وبنين وقال السجستاني هو
لا يحسن الوقف على وبنين لان يحسبون يحتاج لان ان كافية من
اسم ان وخبرها ولا يجوز ان يوتى بعدها بمفعول ثان وقرا ابو
عبد الرحمن السلمي وعبد الرحمن ابن ابي بكرة يسارع بالياء على ان
يكون فاعله امدادنا وهذا يجوز على ان يكون على غير حذف اي
نسارع لهم الامداد ويجوز ان يكون فيه حذف ويكون المعنى يسارع
الله لهم وقرئ يسارع لهم في الخيرات وفيه ثلاثة اوجه احدها على حذف
به ويجوز ان يكون يسارع الامداد ويجوز ان يكون لهم اسم ما لم يسم
فاعله ذكره النحاس قال المهدوي وقرا الحر النحوي نسرع لهم في الخيرات
وهو معنى قراءة العامة لقوله عندهم بل لا يشعرون ان ذلك فتنة لهم
واستدراج قوله تعالى ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون لما فرغ
ذكر الكفرة وتوعدهم عقب ذلك بذكر المؤمنين المسارعين في الخيرات
ووعدهم وذكر ذلك بابلغ صفاتهم ومشفقون خائفون وجلون مما خوفهم
الله تعالى والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة قال الحسن يؤتون
الاخلاص ويخافون ان لا يقبل منهم وروى الترمذي عن عائشة زوج
النبي صلى الله عليه وسلم قالت سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن هذه الاية والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة قالت عائشة
اهم الذين يشربون الخمر ويسرقون قال لا يا بنت الصديق ولكنهم الذين
يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون ان لا يقبل منهم اولئك
يسارعون في الخيرات وقال الحسن لقد ادركت اقواما كانوا من حسناتهم

ان تردّ عليهم

ان ترد عليهم اشفق منكم على سيئاتكم ان تعذبوا عليها وقرات عائشة وابن
عباس والنخعي والذين يأتون ما اتوا مقصورا من الاتيان قال الفراء ولو
صحت هذه القراءة عن عائشة لم تخالف قراءة الجماعة لان الهمز من العرب من
يلزم فيه الالف في كل الحالات اذا كتب فيكتب سيل الرجل بالف بعد السين
ويستهزءون بالف بين الزاي والواو وشي بالف بعد الياء فغير مستنكر
في مذهب هولاء ان يكتب يؤتون بالف بعد الياء فيحتمل هذا اللفظ بالبنا
على هذا الخط قراءتين يؤتون ما اتوا ويأتون ما اتوا وينفرد ما عليه
الجماعة باحتمال تاويلين احدهما والذين يعطون ما اعطوا من الزكاة
والصدقة وقلوبهم خائفة والاخر والذين يؤتون الملائكة الذين يكتبون
الاعمال على العباد ما اتوا وقلوبهم وجلة فحذف مفعول في هذا الباب
لوضوح معناه كما حذف في قوله جل وعز فيه يغاث الناس وفيه يعصرون
والمعنى يعصرون السمسم والعنب فاختزل المفعول لوضوح تاويله
ويكون الاصل في الحرف على هجائه الموجود في الامام يأتون بالف
مبدلة من الهمزة فكتبت الالف واوا لتآخي حروف المد واللين
في الخفاء حكاه ابن الانباري قال النحاس المعروف من قراءة ابن عباس
والذين يأتون ما اتوا وهي القراءة المروية عن النبي صلى الله عليه
وسلم وعن عائشة رضي الله عنها ومعناها يعملون ما عملوا كما روي
في الحديث والوجل نحو الاشفاق والخوف فالتقي والتائب خوفه
الخاتمة وما يطلع عليه بعد الموت وفي قوله انهم الى ربهم راجعون
تنبيه على الخاتمة وفي صحيح البخاري وانما الاعمال بالخواتيم واما المخلط
فينبغي له ان يكون تحت خوف من ان ينفذ عليه الوعيد بتخليطه
وقال بعض اصحابنا الخواطر وجل العارف من طاعته اكثر وجلا
من وجله من مخالفته لان المخالفة تمحوها التوبة والطاعة تطلب
بتصحيح الغرض انهم اي لانهم او من اجل انهم الى ربهم راجعون
قوله تعالى يسارعون في الخيرات اي في عمل الخيرات اي في الطاعات
كي ينالوا بذلك اعلى الدرجات والغرفات وقرئ يسرعون في
الخيرات اي يكونوا سراعا اليها ويسارعون على معنى يسابقون
من سابقهم اليها فالمفعول محذوف قال الزجاج يسارعون ابلغ
من يسرعون وهم لها سابقون احسن ما قيل فيه انهم يسبقون الى
اوقاتها ودل بهذا ان الصلاة في اول الوقت افضل كما تقدم في البقرة
وكل من تقدم في شي فهو سابق اليه وكل من تاخر عنه فقد سبقه وفاته

ان اللام في لها على هذا القول بمعنى الى كما قال بان ربك اوحى لها
اي اوحى اليها وانشد سيبويه • • •
تجانف عن جو اليمامة ناقتي • وما قصدت من اهلها لسوائكا
وعن ابن عباس في معنى وهم لها سابقون سبقت لهم من الله
السعادة فلذلك يسارعون في الخيرات وقيل المعنى وهم من اهل
الخيرات سابقون قوله تعالى ولا نكلف نفسا الا وسعها قد مضى
في البقرة وانه لا يخرجهم ما ورد في الشرع من تكليف ما لا يطاق
ولدينا كتاب ينطق بالحق اظهر ما قيل فيه انه اراد كتاب احصاء
الاعمال الذي ترفعه الملائكة واضافه الى نفسه لان الملائكة كتبت
فيه اعمال العباد بامره فهو ينطق بالحق وفي هذا التهديد وتانيس
من الحيف والظلم ولفظ النطق يجوز في الكتاب والمراد النبيين ينطق
بما فيه والله اعلم وقيل عنى اللوح المحفوظ وقد اثبت فيه كل شيء
فهم لا يجاوزون ذلك وقيل الاشارة بقوله ولدينا كتاب القران
فالله اعلم وكل محتمل والاول اظهر قوله تعالى بل قلوبهم في غمرة
من هذا قال مجاهد اي في غطاء وغفلة وعماية من القران ويقال
غمره الماء اذا غطاه ونهر غمر يغطي من دخله ورجل غمر يغمره اراد
الناس وغمارهم اي فيما يغطيه من الجهل وقيل بل قلوبهم في غمرة
اي حيرة وعمى اي مما وصف من اعمال البر في الايات المتقدمة
قاله قتادة او من الكتاب الذي ينطق بالحق ولهم اعمال من دون
ذلك وهم لها عاملون قال قتادة ومجاهد اي لهم خطايا لا بد
ان يعملوها من دون الحق وقال الحسن وابن زيد المعنى ولهم
اعمال ردية لم يعملوها من دون ما هم عليه لا بد ان يعملوها
دون اعمال المؤمنين فيدخلون بها النار لما سبق لهم من الشقوة
ويحتمل ثالثا انه ظلم الخلق مع الكفر بالخالق ذكره الماوردي
والمعنى متقارب حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب يعني بالسيف
يوم بدر قاله ابن عباس وقال الضحاك يعني بالجوع حين قال النبي
صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطاتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين
كسني يوسف فابتلاهم الله بالقحط والجوع حتى اكلوا العظام والميتة
والكلاب والجيف وهلك الاموال والاولاد اذا هم يجارون اي يضجون
ويستغيثون واصل الجوار رفع الصوت بالتضرع كما يفعل الثور
الاعشى يصف بقرة فطافت ثلاثا يوما وليلة وكان النكير ان تطيف وتجارا

وقال الجوهري

وقال الجوهري الجوار مثل الخوار يقال جار الثور يجار اي صاح وقرا
بعضهم عجلا جسدا له جوار حكاه الاخفش وجار الرجل الى الله تضرع
بالدعا قتادة يجارون بالتوبة فلا يقبل منهم قال • • •
• يراوح من صلوات المليك فطورا • سجودا وطورا جوارا • •
وقال ابن جريج حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب هم الذين
قتلوا ببدر والذين يجارون هم الذين بمكة فجمع بين القولين المتقدمين
وهو حسن لا تجاروا اليوم انكم منا لا تنصرون اي من عذابنا لا تمنعون
ولا ينفعكم جزعكم وقال الحسن لا تنصرون بقبول التوبة وقيل معنى
هذا النهي الاخبار اي انكم ان تضرعتم لم ينفعكم قوله تعالى قد
كانت اياتي تتلى عليكم فكنتم على اعقابكم تنكصون الايات يريد
بها القران تتلى عليكم اي تقرا قال الضحاك قبل ان تعذبوا بالقتل
وتنكصون ترجعون وراءكم مجاهد تستاخرون واصله ان ترجع
القهقرى قال الشاعر • زعموا انهم على سبل الحق • وانا نكص على الاعقاب
وهو هنا استعارة للاعراض عن الحق وقرا علي بن
ابي طالب رضي الله عنه على ادباركم بدل على اعقابكم تنكصون
بضم الكاف مستكبرين حال والضمير في به قال الجمهور هو عائد
على الحرم او المسجد او البلد الذي هو مكة وان لم يتقدم له ذكر لشهرته
في الامر اي يقولون نحن اهل الحرم فلا نخاف وقيل المعنى انهم
يعتقدون في نفوسهم ان لهم بالمسجد والحرم اعظم الحقوق على
الناس والمنازل فيستكبرون لذلك وليس الاستكبار من الحق وقالت
فرقة الضمير عائد على القران من حيث ذكرت الايات والمعنى يحدث
لكم سماع اياتي كبرا وطغيانا فلا تؤمنوا به قال ابو عطية وهذا
قول جيد النحاس والقول الاول اولى والمعنى انهم يفتخرون
بالحرم ويقولون نحن اهل حرم الله قوله تعالى سامرا تهجرون
اربع مسايل الاولى قوله تعالى سامرا تهجرون سامرا نصب على الحال
ومعناه سمارا وهي الجماعة يتحدثون بالليل ماخوذ من السمر وهو
ظل القمر قاله الثوري يقال لظل القمر السمر ومنه السمرة في اللون
ويقال له الفخت ومنه قيل فاختة وقرا ابو رجاء سمارا وهو جمع سامر
كما قال الست ترى السمار والناس احوالي وفي حديث قيلة اذ جاء
زوجي من السامر يعني من القوم الذين يسمرون بالليل فهو اسم مفرد
بمعنى الجمع كالحاضر وهم القوم النازلون على الماء والباقر جمع البقر كبني

والحامل جمع الابل ذكورها واناثها ومنه قوله تعالى ثم يخرجكم طفلا اي اطفالا
يقال قوم سَمَرٌ وسُمَّرٌ وسامر ومعناه سهر الليل ماخوذ من السمر وهو
ما يقع عليه الاستمار من ضوء القمر قال الجوهري والسامر ايضا السمار وهم
القوم الذين يسمرون كما يقال للحجاج حجاج وقال الشاعر
من دونهم ان جئتهم سمرا عزف القيان ومجلس غمر فقال سمرا لان معناه
ان جئتهم ليلا وجدتهم وهم يسمرون وابنا سمير الليل والنهار لانه يسمر فيهما
يقال لا افعله ما سمر ابنا سمير ابدا ويقال السمير الدهر وابناه الليل والنهار
ولا افعله سمير الليالي قال الشنفري هنالك لا ارجوا حياة تسرني سمير
الليالي مبسلا بالجرائر والسمار بالفتح اللبن الرقيق وكانت العرب تجلس
للسمر تتحدث وهذا اوجب معرفتها بالنجوم لانها تجلس في الصحرا فترى
الطوالع من الغوارب وكانت قريش تسمر حول الكعبة مجالس في اباطيلها
وكفرها فعابهم الله بذلك وتهجرون قرئ بضم التا وكسر الجيم من اهجر
اذا نطق بالفحش وبنصب التا وضم الجيم من هجر المريض اذا هذى
ومعناه يتكلمون بهوس وسيء من القول في النبي صلى الله عليه وسلم
الثانية روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال انما كره السمر حين
نزلت هذه الاية مستكبرين به سامرا تهجرون يعني ان الله تعالى ذم
اقواما يسمرون في غير طاعة الله تعالى اما في هذيان واما في اذاية
وكان الاعمش يقول اذا رايت الشيخ ولم يكتب الحديث فاصفعه فانه من شيوخ
القمر يعني يجتمعون في ليالي القمر فيتحدثون بايام الخلفاء والامراء ولا
يحسن يتوضا للصلاة الثالثة روى مسلم عن ابي برزة قال يكره النوم
قبلها والحديث بعدها قال العلما اما الكراهية للنوم قبلها لئلا يعرضها
للفوات عن كل وقتها ولهذا قال عمر فمن نام فلا نامت عينه ثلاثا وممن
كره النوم قبلها عمر وابنه عبد الله وابن عباس وغيرهم وهو مذهب
مالك ورخص فيه بعضهم منهم علي وابو موسى وغيرهم وهو مذهب الكوفيين
وشرط بعضهم ان يجعل معه من يوقظه للصلاة وروي عن ابن عمر مثله
واليه ذهب الطحاوي واما كراهية الحديث بعدها فلان الصلاة قد كفرت
خطاياه فينام على سلامة وقد ختم الكتاب صحيفته بالعبادة فان هو
سمر وتحدث فيملوها بالهوس ويجعل خاتمها اللغو والباطل وليس هذا
من فعل المومنين وايضا فان السمر في الحديث مظنة غلبة النوم اخر الليل
فينام عن قيام اخر الليل وربما ينام عن صلاة الصبح وقد قيل انما يكره السمر
بعدها لما روى جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

اياكم والسمر

اياكم والسمر بعد هداة الرجل فان احدكم لا يدري ما يبث الله من خلقه اغلقوا
الابواب واوكيوا السقا وخمروا الانا واطفيوا المصابيح وروي عن عمر انه
كان يضرب الناس على الحديث بعد العشا ويقول اسمرا اول الليل ونوما اخره
اريحوا كتابكم حتى انه روي عن ابن عمر انه قال من قرض بيت شعر بعد العشا
لم يقبل له صلاة حتى يصبح واسنده شداد بن اوس الى النبي صلى الله عليه وسلم
وقد قيل ان الحكمة في كراهة الحديث بعدها انما هو لان الله تعالى جعل الليل
سكنا اي يسكن فيه فاذا تحدث الانسان فيه فقد جعله كالنهار الذي هو
متصرف المعاش فكانه قصد الى مخالفة حكمة الله التي اجرى عليها وجوده فقال
وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا الرابعة
هذه الكراهة انما تختص بما لا يكون من قبيل القرب والاذكار وتعليم العلم ومسامرة
الاهل وتعليم الصالح وما شابه ذلك فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن السلف
ما يدل على جواز ذلك بل على ندبيته وقد قال البخاري باب السمر في الفقه
والخير بعد العشا وذكر ان قرة بن خالد قال انتظرنا الحسن وراث علينا حتى جاء
قريبا من وقت قيامه فجا فقال دعانا جيراننا هولا ثم قال انس انتظرنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة حتى كان شطر الليل فجا فصلى ثم خطبنا
فقال ان الناس قد صلوا وانكم لم تزالوا في صلاة ما انتظرتم الصلاة قال
الحسن فان القوم لا يزالون في خير ما انتظروا الخير قال باب السمر
مع الضيف والاهل وذكر حديث ابي بكر بن عبد الرحمن ان اصحاب الصفة
كانوا فقرا الحديث اخرجه مسلم ايضا وقد جا في حراسة الثغور وحفظ العساكر
بالليل من الثواب الجزيل والاجر العظيم ما هو مشهور في الاخبار وقد مضى من
ذلك جملة في اخر ال عمران والحمد لله قوله تعالى افلم يدبروا القول يعني القران
وهو كقوله افلا يتدبرون القران وسمي القران قولا لانهم خوطبوا به ام جاهم ما لم
يات اباءهم الاولين فانكروه واعرضوا عنه وقيل ام بمعنى بل اي بل جاهم ما لا
عهد لهم ولا باباهم به فلذلك انكروه وتركوا التدبر له وقال ابن عباس وقيل
المعنى ام جاهم امان من العذاب وهو شي لم يات اباءهم الاولين فتركوا الامر
قوله تعالى ام لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون هذا تعنيف لهم والتوبيخ على سبيل
التوقيف والتقبيح فيقولون الخير احب اليك ام الشر اي قد اخبرت الشر فتجنبه
وقد عرفوا رسولهم وانه من اهل الصدق والامانة ففي اتباعه النجاة والخير
لولا العنت قال سفيان بلى قد عرفوه ولكنهم حسدوه قوله تعالى ام يقولون
به جنة اي ام يحتجون في ترك الايمان به بانه مجنون فليس هو هكذا لزوال اما
رات الخير عنه بل جاهم بالحق يعني القران والتوحيد الحق والدين الحق والكرام

اي كلهم كارهون حسدا وبغيا وتقليدا **قوله تعالى** ولو اتبع الحق
هو الله سبحانه قاله الاكثرون منهم مجاهد وابن جريج وابو صالح وغيرهم
وتقديره في العربية ولو اتبع صاحب الحق قاله النحاس وقد قيل هو مجاز
اي لو وافق الحق اهواءهم فجعل موافقته اتباعا مجازا اي لو كانوا يكفرون
بالرسل ويعصون الله جل وعز لما عوقبوا ولا جوزوا وهم في ذلك
اما عجزا واما جهلا لفسدت السموات والارض وقيل المعنى ولو كان الحق
ما يقولون من اتخاذ الهة مع الله جل وعز لتنافت الالهة واراد بعضهم
ما لا يريده بعض فاضطرب التدبير وفسدت السموات والارض واذا
فسدت فسد من فيهما وقيل لو اتبع الحق اهواءهم اي بما يهواه الناس
ويشتهونه لبطل نظام العالم لان شهوات الناس لا تنقاد للحق
وقيل الحق القران اي لو نزل القران بما يحبون لفسدت السموات
والارض ومن فيهن اشارة الي من يعقل من ملائكة السموات وانس
الارض وجنها الماوردي وقال الكلبي يعني وما بينهما من خلق وهي
قراءة ابن مسعود لفسدت السموات والارض وما بينهما من خلق وهي
قراءة ابن مسعود لفسدت السموات والارض وما بينهما فيكون على تاويل
الكلبي وقراءة ابن مسعود محمولا على فساد من يعقل وما لا يعقل
من حيوان وجماد وظاهر التنزيل في قراءة الجمهور يكون محمولا على
فساد ما يعقل من الحيوان لان ما لا يعقل تابع لما يعقل في الصلاح
والفساد فعلى هذا ما يكون من الفساد يعود على من في السموات من
الملائكة بان جعلت اربابا وهي مربوبة وعبدت وهي مستعبدة وفساد
الانس يكون على وجهين احدهما باتباع الهوى وذلك مهلك الثاني
بعبادة غير الله وذلك كفر واما فساد ما عدا ذلك فيكون على وجه
التبع لانهم مدبرون بذوي العقول فعاد فساد المدبرين عليهم
قوله تعالى بل اتيناهم بذكرهم اي بما فيه شرفهم وعزهم قاله
السدي وسفيان وقال قتادة اي بما لهم فيه ذكر ثوابهم وعقابهم
ابن عباس اي ببيان الحق وذكر ما لهم فيه حاجة من امر الدين فهم
عن ذكرهم معرضون **قوله تعالى** ام تسألهم خرجا اي اجرا على ما جئتهم
به قاله الحسن وغيره فخراج ربك خير وقرأ حمزة والكسائي والاعمش ويحيى بن
وثاب خراجا بالف الباقون بغير الف وكلهم قرأ فخراج بالالف الا ابن
عامر وابا حيوة فانهما قرآ بغير الف والمعنى ام تسألهم رزقا فرزق ربك
خير وهو خير الرازقين اي ليس يقدر احد ان يرزق مثل رزقه ذلك

ولا ينعم مثل انعامه وقيل اي ما يؤتيك الله من الاجر على طاعتك له
والدعاء اليه خير من عرض الدنيا وقد عرضوا عليك اموالهم حتى تكون
كاغنى رجل من قريش فلم تجبهم الى ذلك قال معناه الحسن والخرج والخراج
واحد الا ان اختلاف الكلام احسن قاله الاخفش وقال ابو حاتم الخرج الجعل
والخراج العطاء المبرد الخرج المصدر والخراج الاسم وقال النضر بن شميل
سالت ابا عمرو بن العلاء عن الفرق بين الخرج والخراج فقال الخراج ما لزمك
والخرج ما تبرعت وعنه ان الخرج من الرقاب والخراج من الارض ذكر
الاول الثعلبي والثاني الماوردي **قوله تعالى** وانك لتدعوهم الى
صراط مستقيم اي الى دين قويم والصراط في اللغة الطريق فسمي الدين
طريقا لانه يؤدي الى الجنة فهو طريق اليها وان الذين لا يؤمنون بالاخرة
اي بالبعث عن الصراط لناكبون قيل هو مثل الاول وقيل انهم عن
طريق الجنة لعادلون حتى يصيروا الى النار نكب عن الطريق ينكب
نكوبا اذا عدل عنه ومال الى غيره ومنه نكبت الريح اذا لم تستقم
على مجرى ومنه الريح النكباء **قوله تعالى** ولو رحمناهم وكشفنا ما
بهم من ضر اي لو رددناهم الى الدنيا ولم ندخلهم النار وامتحناهم
للجوا في طغيانهم قال السدي في معصيتهم يعمهون قال الاعمش
يترددون وقال ابن جريج ولو رحمناهم يعني في الدنيا وكشفنا ما بهم
من ضر اي من قحط وجوع للجوا اي لتمادوا في طغيانهم وضلالتهم وتجاوزهم
الحد يعمهون يتذبذبون ويخبطون ولقد اخذناهم بالعذاب
قال الضحاك بالجوع وقيل بالامراض والحاجة والجوع وقيل
بالقتل والجوع فما استكانوا لربهم اي ما خضعوا وما يتضرعون
اي ما يخشعون لله جل وعز في الشدائد تصيبهم قال ابن عباس
نزلت في قصة ثمامة بن اثال لما اسرته السرية واسلم وخلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيله حال بين مكة وبين الميرة
وقال والله لا ياتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى ياذن فيها رسول
الله صلى الله عليه وسلم واخذ الله قريشا بالقحط والجوع حتى اكلوا الميتة
والكلاب والعلهز قيل وما العلهز قال كانوا ياخذون الصوف
والوبر فيبلونه بالدم ثم يشوونه وياكلونه فقال له ابو سفيان
انشدك الله والرحم اليس تزعم ان الله بعثك رحمة للعالمين قال
بلى قال فوالله ما اراك الا قتلت الاباء بالسيف وقتلت الابناء بالجوع
فنزلت ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر الي قوله يعمهون **قوله تعالى**

حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد قال عكرمة هو باب من ابواب
جهنم عليه من الخزنة اربع مائة الف سود وجوههم كالحة انيابهم
قد قلعت الرحمة من قلوبهم اذا بلغوه فتحه الله عز وجل عليهم
وقال ابن عباس هو قتلهم بالسيف يوم بدر مجاهد هو القحط
الذي اصابهم حتى اكلوا العلهز من الجوع على ما تقدم وقيل فتح
مكة اذا هم فيه مبلسون اي يايسون متحيرون لا يدرون ما
يصنعون كالآيس من الفرج ومن كل خير وقد تقدم في الانعام
قوله تعالى وهو الذي انشا لكم السمع والابصار لكثرة نعمه وكمال
قدرته قليلا ما تشكرون اي ما تشكرون الا شكرا قليلا وقيل اي
لا تشكرون البتة **قوله تعالى** وهو الذي ذراكم في الارض اي نشركم
وبثكم وخلقكم واليه تحشرون اي تجمعون للجزا **قوله تعالى** وهو
الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار اي جعلهما مختلفين
كقولك لك الاجر والصلة اي انك توجر وتوصل قاله الفرا
وقيل اختلافهما نقصان احدهما وزيادة الاخر وقيل اختلافهما
النور والظلمة وقيل تكررهما يوم بعد ليلة وليلة بعد يوم ويحتمل
خامسا اختلاف ما مضى فيهما من سعادة وشقا وضلال وهدى
افلا تعقلون كنه قدرته وربوبيته ووحدانيته وانه لا يجوز
ان يكون له شريكا من خلقه وانه قادر على البعث ثم عيرهم بقولهم
واخبر عنهم انهم قالوا مثل ما قال الاولون قالوا ائذا متنا وكنا ترابا
وعظاما ائنا لمبعوثون هذا لا يكون ولا يتصور لقد وعدنا
نحن واباونا هذا من قبل اي من قبل مجي محمد صلى الله عليه وسلم
فلم نر له حقيقة ان هذا اي ما هذا الا اساطير الاولين اي اباطيلهم
وترهاتهم وقد تقدم هذا كله قال الله تعالى قل يا محمد لهم جوابا
عما قالوه لمن الارض ومن فيها مخبرا بربوبيته ووحدانيته وملكه
الذي لا يزول وقدرته التي لا تحول فسيقولون لله ولا بد لهم من
ذلك قل افلا تذكرون اي افلا تعقلون وتعلمون ان من قدر
على خلق ذلك ابتدا فهو على احيا الخلق بعد موتهم قادر قل من
رب السموات السبع ورب العرش العظيم فسيقولون الله قل افلا
تتقون يريد افلا تخافون حيث تجعلون لي ما تكرهون زعمتم
ان الملايكة بنات الله وكرهتم لانفسكم البنات قل من بيده ملكوت
كل شي يريد السموات وما فوقها وما بينهن والارضين وما تحتهن وما

بينهن

بينهن وما لا يعلمه احد الا هو وقال مجاهد ملكوت كل شي خزاين كل
شي الضحاك ملك كل شي والملكوت من صفات المبالغة كالجبروت
والرهبوت وقد مضى في الانعام وهو يجير ولا يجار عليه اي يمنع
ولا يمنع منه وقيل يجير يومن من شا ولا يجار عليه اي لا يومن
من اخافه ثم قيل هذا في الدنيا اي من اراد الله خوفه واهلاكه
لم يمنعه منه مانع ومن اراد نصره وامنه لم يدفعه من نصره وامنه
مانع وقيل هذا في الاخرة اي لا يمنعه من مستحق الثواب مانع
ولا يدفعه عن مستوجب العذاب دافع فانى تسحرون اي كيف
تخدعون وتصرفون عن طاعته وتوحيده او كيف يخيل اليكم
ان تشركوا به من لا يضر ولا ينفع والسحر هو التخييل وكل هذا احت
احتجاج على العرب المقرين بالصانع وقرا ابو عمرو سيقولون
الله في الموضعين الاخيرين وهي قراة اهل العراق الباقون لله
ولا خلاف في الاول انه لله لانه جواب هل لمن الارض ومن فيها
فلما تقدمت اللام في لمن رجعت في الجواب ولا خلاف انه مكتوب
في جميع المصاحف بغير الف واما من قرا سيقولون الله فلان السوال
بغير اللام واما من قراه باللام في الاخيرين وليس في السوال لام فلانه
معنى قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم قل لمن السموات
السبع ورب العرش العظيم فكان الجواب لله حين قدرت اللام في
السوال وعلة الثالثة كعلة الثانية قال الشاعر **قوله تعالى**
اذا قيل من رب المزالف والقرى ورب الجياد الجرد قيل لخالد
اي لمن المزالف ودلت هذه الايات على جواز جدال الكفار واقامة
الحجة عليهم وقد تقدم في البقرة وتنبيه على ان من ابتدا بالخلق
والاختراع والايجاد والابداع هو المستحق للالوهية والعبادة **قوله
تعالى** بل اتيناهم بالحق اي بالقول الصدق لا ما تقوله الكفار
من اثبات الشريك ونفي البعث وانهم لكاذبون ان الملايكة بنات الله
فقال تعالى ما اتخذ الله من ولد من صلة وما كان معه من اله من زايدة
والتقدير ما اتخذ الله ولدا كما زعمتم ولا كان معه اله فيما خلق وفي الكلام
حذف والمعنى لو كان معه الهة لانفرد كل اله بخلقه ولعلى بعضهم على
بعض اي ولغالب وطلب القوي الضعيف كالعادة بين الملوك وكان
الضعيف المغلوب لا يستحق الالهية وهو الذي يدل على نفي الشريك
يدل على نفي الولد ايضا لان الولد ينازع الاب في الملك منازعة

الشريك سبحان الله عما يصفون تنزيها له عن الولد والشريك
عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون تنزيه وتقديس وقرا
نافع وابو بكر وحمزة والكسائي عالم بالرفع على الاستئناف اي
هو عالم الغيب الباقون بالجر على الصفة لله وروى رويس عن
يعقوب عالم اذا وصل خفضا وعالم اذا ابتدا رفعا **قوله تعالى**
قل رب اما تريني ما يوعدون عليه ما يدعوا به اي قل ربه اي يارب
ان اريتني ما يوعدون من العذاب فلا تجعلني في القوم الظالمين اي
في نزول العذاب بهم بل اخرجني منهم وقيل النداء معترض وما في
اما زائدة وقيل ان اصل اما ان ما وان شرط وما شرط فجمع بين
الشرطين توكيدا والجواب فلا تجعلني في القوم الظالمين اي اذا
اردت بهم عقوبة فاخرجني منهم وكان عليه السلام يعلم ان الله تعالى
لا يجعله في القوم الظالمين اذا نزل بهم العذاب ومع هذا امره الرب
بهذا الدعاء والسؤال ليعظم اجره وليكون في كل الاوقات ذاكرا لربه
قوله تعالى وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون نبه على ان خلاف
المعلوم مقدور وقد اراد الله ذلك فيهم بالجوع والسيف ونجاه الله
ومن امن به من ذلك **قوله تعالى** ادفع بالتي هي احسن السيئة
امره بالصفح ومكارم الاخلاق فما كان منها لهذه فهو محكم باق
في الامة ابدا وما فيها من معنى موادعة الكفار وترك التعرض لهم
والصفح عن امورهم فمنسوخ بالقتال نحن اعلم بما يصفون
اي من الشرك والتكذيب وهذا يقتضي انها اية موادعة والله
اعلم **قوله تعالى** وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين فيه مسئلتان
الاولى قوله تعالى من همزات الهمزات جمع همزة والهمزة في
اللغة النخس والدفع يقال همزه ولمزه ونخسه دفعه قاله
الليث الهمز كلام من وراء القفا واللمز مواجهة والشيطان يوسوس
فيهمس في وسواسه في صدر ابن ادم وهو قوله اعوذ بك من
همزات الشياطين اي نزغات الشياطين الشاغلة عن ذكر الله
وفي الحديث كان يتعوذ من همز الشياطين ولمزه وهمسه قال ابو
الهيثم اذا اسر الكلام واخفاه فذلك الهمس من الكلام ويسمى الاسد
هموسا لانه يمشي بخفة فلا يسمع صوت وطيه وقد تقدم في طه
الثانية امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالتعوذ
من الشيطان في همزاته وهي سورات الغضب التي لا يملك الانسان
فيها نفسه

فيها نفسه وكانها هي التي كانت تصيب المؤمنين مع الكفار فتقع المحادة
فلذلك اتصلت بهذه الاية فالنزغات وسورات الغضب الواردة من
الشيطان هي المتعوذ منها في الاية وقد تقدم في اخر الاعراف بيانه
مستوفى وفي اول الكتاب ايضا وروى علي بن حرب بن محمد
الطائي ثنا سفيان عن ايوب عن محمد بن حبان ان خالدا كان
يؤرق من الليل فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فامره
ان يتعوذ بكلمات الله التامات من غضب الله وعقابه ومن
شر عباده ومن همزات الشياطين وان يحضرون وفي كتاب ابي
داود قال عمرو همزه الموتة وقال ابن ماجة الموتة يعني الجنون
والتعوذ ايضا من الجنون وكيد وفي قراءة ابي رب عائذا بك من
همزات الشياطين وعائذا بك ان يحضرون اي يكونوا معي في اموري
فانهم اذا حضروا الانسان كانوا معدين للهمز واذا لم يكن حضور فلا همز
وفي صحيح مسلم عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان الشيطان يحضر احدكم عند كل شي من شانه حتى يحضره عند
طعامه فاذا سقطت من احدكم اللقمة فليمط ما كان بها من اذى
ثم لياكلها ولا يدعها للشيطان فاذا فرغ فليلعق اصابعه فانه لا يدري
في اي طعامه البركة **قوله تعالى** حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب
ارجعون عاد الكلام الى ذكر المشركين اي قالوا ائذا متنا الى قوله ان
هذا الا اساطير الاولين ثم احتج عليهم وذكرهم قدرته على كل شي ثم
قال هم مصرون على ذلك حتى اذا جاء احدهم الموت تيقن ضلالته وعاين
الملائكة التي تقبض روحه كما قال ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة
قال رب ارجعون تمنى الرجعة كي يعمل صالحا فيما ترك وقد يكون القول في
النفس قال الله عز وجل ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول
فاما قوله ارجعون وهو مخاطب ربه عز وجل ولم يقل ارجعني فقيل هو
على تعظيم الذكر للمخاطب وقيل استغاثوا بالله جل وعز اولا فقالوا
رب ثم رجع الى مخاطبة الملائكة فقال ارجعون اي ارجعون الى الدنيا
قاله ابن جريج وقيل ان معنى ارجعون على جهة التكرير اي ارجعني ارجعني
وهكذا قال المازني في قوله القيا في جهنم قال معناه الق الق قال
الضحاك المراد به اهل الشرك قلت ليس سؤال الرجعة مختصا بالكافر فقد يسالها
المؤمن كما في اخر سورة المنافقين على ما ياتي ودلت الاية على ان احدا لا
يموت حتى يعرف اضطرارا اهو من اولياء الله ام من اعداء الله ولولا ذلك لما سال

الرجعة فيعملوا ذلك قبل نزول الموت ود واخذ لعلي اعمل صالحا قال ابن
عباس يريد اشهد ان لا اله الا الله فيما تركت اي فيما ضيعت وتركت العمل
به من الطاعات وقيل فيما تركت من المال فاتصدق ولعل تتضمن
ترددا وهذا الذي يسأل الرجعة قد استيقن العذاب وهو يوطن نفسه
على العمل قطعا من غير تردد فالتردد يرجع اما الى رده الى الدنيا واما
الى التوفيق اي اعمل صالحا ان وفقتني اذ ليس على قطع من وجود
القدرة والتوفيق لو رد الى الدنيا كلا هذه كلمة رد اي ليس الامر على
ما يظنه من ان يجاب الى الرجوع الى الدنيا بل هو كلام يطيح في ادراج
الريح وقيل لو اجيب الى ما يطلب لما وفى بما يقول كما قال ولو ردوا
لعادوا لما نهوا عنه وقيل كلا انها كلمة هو قائلها ترجع الى الله تعالى
اي لا خلف في خبره وقد اخبر انه لا يؤخر نفسا اذا جاء اجلها واخبر ان
هذا الكافر لا يؤمن وقيل انها كلمة هو قائلها عند الموت ولكن لا تنفع ومن
ورائهم برزخ اي ومن امامهم وبين ايديهم وقيل من خلفهم برزخ اي حاجز
بين الموت والبعث قال الضحاك ومجاهد وابن زيد وعن مجاهد ايضا ان
البرزخ هو الحاجز بين الميت والرجوع الى الدنيا وقال الضحاك هو ما بين
الدنيا والاخرة ابن عباس حجاب السدي اجل قتادة بقية الدنيا وقيل
الامهال الى يوم القيامة حكاه ابن عيسى الكلبي هو الاجل ما بين النفختين
وبينهما اربعون سنة وهذه الاقوال متقاربة وكل حاجز بين شيئين
فهو برزخ قال الجوهري البرزخ بين الشيئين والبرزخ ما بين الدنيا
والاخرة من وقت الموت الى البعث فمن مات فقد دخل في البرزخ
وقال رجل بحضرة الشعبي رحمه الله فلان قد صار من اهل الاخرة فقال
لم يصر من اهل الاخرة ولكنه صار من اهل البرزخ وليس من الدنيا ولا
من الاخرة واضيف يوما الى يبعثون لانه ظرف زمان والمراد بالاضافة
المصدر **قوله تعالى** فاذا نفخ في الصور المراد بهذا النفخ النفخة الثانية
فلا انساب بينهم يوميذ ولا يتساءلون قال ابن عباس لا يتفاخرون
بالانساب في الاخرة كما يتفاخرون بها في الدنيا ولا يتساءلون فيها كما يتساءلون
في الدنيا من اي قبيلة انت ولا من اي نسب ولا يتعارفون لهول ما اذهلهم
وعن ابن عباس ان ذلك في النفخة الاولى حين يصعق من في السموات ومن
في الارض الا من شاء الله فلا انساب بينهم يوميذ ولا يتساءلون ثم نفخ فيه
اخرى فاذا هم قيام ينظرون واقبل بعضهم على بعض يتساءلون فقال
لا يتساءلون في النفخة الاولى لانه لا يبقى على الارض حي فلا انساب

ولا انساب

ولا انساب واما قوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون فانهم اذا دخلوا الجنة
تساءلوا وقال ابن مسعود انما عنى في هذه النفخة الثانية وقال ابو عمر
زاذان دخلت على ابن مسعود فوجدت اصحاب الخيل اليمنية قد سبقوني
اليه فناديت باعلى صوتي يا عبد الله بن مسعود من اجل اني رجل
عجمي ادنيت هؤلاء واقصيتني فقال ادنه فدنوت حتى ما كان بيني وبينه
جليس فسمعته يقول يؤخذ بيد العبد والامة يوم القيامة فينصب على
رؤوس الاولين والاخرين ثم ينادي مناد هذا فلان بن فلان من كان له
حق قبله فليات الى حقه فتفرح المراة ان يدور لها الحق على ابيها او على زوجها
او على اخيها او على ابنها ثم قرا ابن مسعود فلا انساب بينهم يوميذ ولا يتساءلون
فيقول الرب سبحانه ات هؤلاء حقوقهم فيقول يا رب قد فنيت الدنيا
فمن اين اوتيهم فيقول الرب للملائكة خذوا من حسناته فاعطوا كل انسان
بقدر طلبته فان كان وليا لله فضلت من حسناته مثقال حبة من خردل
فضاعفها الله حتى يدخله بها الجنة ثم قرا ابن مسعود ان الله لا يظلم
مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها الاية وان كان شقيا قالت الملائكة
رب فنيت حسناته وبقي طالبون فيقول الله تعالى خذوا من اعمالهم
فاضيفوا الى سيئاته وصكوا له صكا الى جهنم **قوله تعالى** فمن ثقلت
موازينه الاية تقدم الكلام فيها **قوله تعالى** تلفح وجوههم النار
ويقال تنفح بمعناه ولئن مستهم نفحة الا ان تلفح ابلغ باسا يقال
لفحته النار والسموم بحرها احرقته ولفحته بالسيف لفحة اذا
ضربته به ضربة خفيفة وهم فيها كالحون قال ابن عباس عابسون
وقال اهل اللغة الكلوح تكشر في عبوس والكالح الذي قد تشمرت
شفتاه وبدت اسنانه قال الاعشى • وله المقدم لا مثل له ساعة • الشدق
عن الناب كالح • وقد كلح الرجل كلوحا وكلاحا وما اقبح كلحته يراد به الفم
وما حواليه ودهر كالح اي شديد وعن ابن عباس ايضا وهم فيها كالحون
يريد كالذي كلح وتقلصت شفتاه وسال صديده وقال ابن مسعود
الم تر الى الراس المشيط بالنار وقد بدت اسنانه وقلصت شفتاه
وفي الترمذي عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال وهم فيها كالحون قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى
تبلغ وسط راسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته قال
هذا حديث غريب **قوله تعالى** قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا
قراءة اهل المدينة وابي عمرو وعاصم شقوتنا وقرا الكوفيون الا عاصما

شقاوتنا بهذه القراءة مروية عن ابن مسعود والحسن وقيل شقاوتنا
بالمد والقصر واحسن ما قيل في معناه غلبت علينا لذاتنا واهوانا
فسمي اللذات والاهوا شقوة لانهما يوديان اليها كما قال عز وجل
ان الذين ياكلون اموال اليتامي ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا لان
ذلك يوديهم الي النار وقيل ما لقينا في علمك وكتب علينا في ام الكتاب
من الشقاوة وقيل حسن الظن بالنفس وسوء الظن بالخلق وكنا قوما
ضالين اي كنا في فعلنا ضالين عن الهدي وليس هذا اعتذارا منهم انما
هو اقرار ويدل علي ذلك قولهم ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون
طلبوا الرجعة الي الدنيا كما طلبوها عند الموت فان عدنا الي الكفر فانا
ظالمون لانفسنا بالعود اليه فيجابون بعد الف سنة اخسئوا فيها ولا
تكلمون اي ابعدوا في جهنم كما يقال للكلب اخسا اي ابعد خسات
الكلب خسئا طردته وخسا الكلب بنفسه خسوءا يتعدي ولا يتعدي
واخسا الكلب ايضا وذكر ابن المبارك قال ثنا سعيد بن ابي عروبة
عن قتادة يذكره عن ابي ايوب عن عبد الله بن عمرو بن العاصي
قال ان اهل جهنم يدعون مالكا فلا يجيبهم اربعين عاما ثم يرد عليهم
انكم ماكثون قال هانت والله دعوتهم علي مالك ورب مالك قال
ثم يدعون ربهم فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين
ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال فيسكت عنهم قدر الدنيا
مرتين قال ثم يرد عليهم اخسئوا فيها ولا تكلمون قال فوالله ما نبس
القوم بعدها بكلمة وما هو الا الزفير والشهيق في نار جهنم فشبه
اصواتهم بصوت الحمير اولها زفير واخرها شهيق خرجه الترمذي
مرفوعا بمعناه من حديث ابي الدرداء وقال قتادة صوت الكفار
في النار كصوت الحمار اوله زفير واخره شهيق وقال ابن عباس
يصير لهم نباح كنباح الكلاب وقال محمد بن كعب القرظي بلغني او
ذكر لي ان اهل النار استغاثوا بالخزنة بطوله ذكره ابن المبارك
وقد ذكرناه بكماله في التذكرة وفي اخره ثم مكث عنهم ما شاء الله
ثم ناداهم الم تكن اياتي تتلي عليكم فكنتم بها تكذبون قال فلما سمعوا
صوته قالوا الان يرحمنا فقالوا عند ذلك ربنا غلبت علينا شقوتنا
اي الكتاب الذي كتب علينا وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها فان
عدنا فانا ظالمون فقال عند ذلك اخسئوا فيها ولا تكلمون فانقطع عند
ذلك الدعا والرجا واقبل بعضهم علي بعض ينبح بعضهم في وجه بعض واطبقت

عليهم قوله تعالى

عليهم **قوله تعالى** انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا امنا الاية قال
مجاهد هم بلال وخباب وصهيب وفلان وفلان من ضعفا المسلمين
كان ابو جهل واصحابه يهزؤون بهم فاتخذتموهم سخريا بالضم قراءة نافع
وحمزة والكسائي هاهنا وفي ص وكسر الباقون وفرق ابو عمرو
بينهما فجعل المكسورة من جهة الهزء والمضمومة من جهة السخرة ولا يعرف
هذا التفريق الخليل ولا سيبويه ولا الكسائي ولا الفرا قال الكسائي
هما لغتان بمعني واحد كما يقال عصي وعصي ولجي ولجي وحكي
الثعلبي عن الكسائي والفرا الفرق الذي ذكره ابو عمرو وان الكسر
بمعني الاستهزا والسخرية بالقول والضم بمعني التسخير والاستعباد
بالفعل وقال المبرد انما يوخذ التفريق بين المعاني عن العرب واما
التاويل فلا يكون في سخري في المعنيين جميعا لان الضمة تستثقل
في مثل هذا حتي انسوكم ذكري اي حتي اشتغلتم بالاستهزا بهم عن
ذكري وكنتم منهم تضحكون استهزا بهم واضاف الانسا الي المومنين
لاشتغالهم عن ذكره وتعدي شوم استهزائهم بالمومنين الي استيلا
الكفر علي قلوبهم اني جزيتهم اليوم بما صبروا علي اذاكم وصبروا علي طاعتي
انهم هم الفائزون قرا حمزة والكسائي بكسر الهمزة علي ابتدا المدح من
الله تعالي لهم وفتح الباقون اي لانهم هم الفائزون ويجوز نصبه
بوقوع الجزا عليه تقديره اني جزيتهم الفوز بالجنة قلت وينظر الي
معني هذا قوله تعالي في اخر المطففين فاليوم الذين امنوا من الكفار
يضحكون الي اخر السورة علي ما ياتي بيانه هناك ان شا الله وليتعظ
من هذا المخبرين السخرية والاستهزا بالضعفا والمساكين والاحتقار
لهم والازرا عليهم والاشتغال بهم فيما لا يعنيه وان ذلك مبعد من
الله عز وجل **قوله تعالى** قال كم لبثتم في الارض قيل يعني في القبور
وقيل هو سوال لهم في مدة حياتهم في الدنيا وهذا السوال للمشركين
في عرصات القيامة او في النار عدد سنين بفتح النون علي انه
جمع مسلم ومن العرب من يخفضها وينونها قالوا لبثنا يوما او بعض يوم
انساهم شدة العذاب مدة مكثهم في القبور وقيل لان العذاب
رفع عنهم بين النفختين فنسوا ما كان عليهم من العذاب في قبورهم
قال ابن عباس انساهم الله ما كانوا فيه من العذاب من النفخة الاولي
الي الثانية وذلك انه ليس من احد قتله نبي او قتل نبيا او مات بحضرة
نبي الا عذب من ساعة يموت الي النفخة الاولي ثم يمسك عنه العذاب

ليكون كالماحتي انتح الثانية وقيل استقصروا مدة لبثهم في الدنيا
وفي القبور راوه يسيرا بالنسبة الى ما هم بصدده فاسال العادين
اي سل الحساب الذين يعرفون ذلك فانا قد نسيناه او فاسال الملائكة
الذين كانوا معنا في الدنيا الاول قول قتادة والثاني
قول مجاهد وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي قل كم لبثتم في الارض
على الامر ويحتمل ثلاثة معان احدها قولوا كم لبثتم فاخرج
الكلام مخرج الامر للواحد والمراد الجماعة اذ كان المعنى مفهوما الثاني
ان يكون امرا للملك ليسالهم يوم البعث عن قدر مكثهم في الدنيا او اراد
قل ايها الكافر كم لبثتم وهو الثالث الباقون قال كم على الخبر اي قال
الله لهم او قالت الملائكة لهم كم لبثتم وقرا حمزة والكسائي ايضا قل
ان لبثتم الا قليلا الباقون قال على الخبر على ما ذكرنا التاويل في الاول
اي ما لبثتم في الارض الا قليلا وذلك ان مكثكم في القبور وان طال كان متناهيا
وقيل هو قليل بالنسبة الى مكثكم في النار لانه لا نهاية لو انكم كنتم تعلمون
ذلك   افحسبتم انما خلقناكم عبثا اي مهملين كما خلقت البهائم
لا ثواب لها ولا عقاب عليها مثل قوله ايحسب الانسان ان يترك سدا
يريد كالبهائم مهملا لغير فائدة قال الترمذي الحكيم ابو عبد الله محمد
ابن علي ان الله تعالى خلق الخلق عبيدا ليعبدوه فيثيبهم على العبادة
ويعاقبهم على تركها فان عبدوه فهم اليوم له عبيد احرار كرام من رق
الدنيا ملوك في دار السلام وان رفضوا العبودية فهم اليوم عبيد اباق
سفلة لئام وغدا اعداء في السجون بين اطباق النيران وعبثا
نصب على الحال عند سيبويه وقطرب وقال ابو عبيدة هو نصب
على المصدر او لانه مفعول له وانكم الينا لا ترجعون فتجازون
باعمالكم وقرا حمزة والكسائي ترجعون بفتح التا وكسر الجيم من
الرجوع   فتعالى الله الملك الحق عن الاولاد والشركا
والانداد عن ان يخلق شيئا عبثا او سفها لانه الحكيم لا اله الا هو رب
العرش الكريم ليس في القرآن غيرها وقرا ابن محيصن وروي عن ابن
كثير الكريم بالرفع نعتا لله   ومن يدع مع الله الها اخر
لا برهان له به اي لا حجة له عليه فانما حسابه عند ربه اي هو يجازيه
ويحاسبه ان الهاصمين الامر والثاني لا يفلح الكافرون وقرا الحسن
وقتادة لا يفلح بالفتح من كذب وجحد ما جيته به وكفر نعمتي ثم
امر نبيه عليه السلام بالاستغفار لتقتدي به الامة وقيل امره بالاستغفار

لامته

لامته واسند الثعلبي من حديث ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة
عن حنش بن عبد الله الصنعاني عن عبد الله بن مسعود انه مر
بمصاب مبتلى فقرا في اذنه افحسبتم انما خلقناكم عبثا حتى ختم السورة
فبرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا قرات في اذنه فاخبره
قال والذي نفسي بيده لو ان رجلا موقنا قراها على جبل لزال انتهى
والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة النور

مدنية باجماع قوله تعالى سورة انزلناها
مقصود هذه السورة ذكر احكام العفاف والستر
وكتب عمر رضي الله تعالى عنه الى الكوفة علموا نساءكم
سورة النور وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها لا تنز لوا
النساء الغرف وعلموهن سورة النور والمغزل وفرضناها ها
قرئ مخفف الراء اي فرضنا عليكم وعلى من بعدكم
ما فيها من الاحكام وبالتشديد اي انزلنا فيها فرائض
مختلفة وقرا ابو عمرو وفرضناها بالتشديد اي
قطعناها في الانزال نجما نجما والفرض القطع ومنه فرضة
القوس وفرائض الميراث وفرائض النفقة وفرض
النفقة وعنه ايضا فرضناها فصلناها وبيناها
وقيل هو على التكثير لكثرة ما فيها من الفرائض
والسورة في اللغة اسم للمنزلة الشريفة
ولذلك سميت السورة من القرآن سورة قال
زهير
الم تر ان الله اعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب
وقد مضى في مقدمة الكتاب القول فيها وقرئ
سورة بالرفع على انها مبتدأ وخبرها انزلناها
قاله ابو عبيدة والاخفش وقال الزجاج والفراء والمبرد
سورة رفع لانها خبر الابتداء لانها نكرة ولا يبتدأ
بالنكرة في كل موضع اي هذه سورة ويحتمل ان
يكون قوله سورة ابتداء وما بعدها صفة لها اخرجها

عن حد النكرة المحضة فحسن الابتدا لذلك ويكون
الخبر في قوله تعالى الزانية والزاني وقرئ سورة
بالنصب على تقدير انزلنا سورة انزلناها وكقول
الشاعر

والذئب اخشاه ان مررت به وحدي واخشى الرياح والمطرا

او تكون منصوبة باضمار فعل اي اتلو سورة وقال
الفراء هي حال من الهاء والالف والحال من المكني
يجوز ان يتقدم عليه **قوله تعالى** الزانية
والزاني فاجلدوا كل واحد منهما ماية جلدة الى
قوله سبحانه وتعالى المؤمنين فيه احدى
وعشرون مسئلة **المسئلة الاولى** قوله
تعالى الزانية والزاني كان الزنا في اللغة معروفا
قبل الشرع مثل اسم السرقة والقتل وهو
اسم لوطء الرجل امراة في فرجها من غير
نكاح ولا شبهة نكاح بطاوعتها وان شئت قلت
هو ادخال فرج في فرج مشتهى طبعا محرم شرعا
فاذا كان ذلك وجب الحد وقد مضى الكلام في
حد الزنا وحقيقته وما للعلما رحمهم الله تعالى
في ذلك وهذه الاية ناسخة لاية الحبس واية
الاذى اللتين في تفسير سورة النساء والله اعلم
المسئلة الثانية قوله تعالى ماية
جلدة هذا حد الزاني الحر البالغ البكر
وكذلك الزانية البكر البالغة الحرة وثبت
بالسنة تغريب عام على الخلاف في ذلك واما
المملوكات فالواجب خمسون جلدة لقوله
سبحانه وتعالى فان اتين بفاحشة فعليهن
نصف ما على المحصنات من العذاب وهذا
في الامة ثم العبد في معناها واما المحصن في
في الاحرار فعليه الرجم دون الجلد ومن العلما
رحمهم الله تعالى من يقول يجلد ماية ثم يرجم
وقد مضى هذا كله ممهدا في النسا فاغنى عن اعادته والحمد لله

الثالثة قرا جمهور الناس الزانية والزاني بالرفع
وقرا عيسى بن عمر الثقفي الزانية بالنصب وهو اوجه
عند سيبويه لانه عنده كقولك زيدا اضرب ووجه
الرفع عنده خبر ابتداء تقديره فيما يتلى عليكم
الزانية والزاني واجمع الناس على الرفع وان كان
القياس عند سيبويه النصب واما الفرا والمبرد
والزجاج فان الرفع عندهم هو الاوجه والخبر في قوله
فاجلدوا لان المعنى الزانية والزاني مجلودان بحكم الله
تعالى وهو قول جيد وهو قول اكثر النحاة وان شئت
قدرت الخبر ينبغي ان يجلدا وقرا ابن مسعود رضي
الله تعالى عنه والزان بغير ياء **الرابعة** ذكر الله
سبحانه وتعالى الذكر والانثى والزاني كان يكفي منهما
فقيل ذكرهما للتاكيد كما قال والسارق والسارقة
فاقطعوا ايديهما ويحتمل ان يكون ذكرهما هنا لئلا يظن
ظان ان الرجل لما كان هو الواطي والمراة محل ليست
بواطئة فلا يجب عليها حد فذكرها رفعا لهذا الاشكال
الذي اوقع جماعة من العلما منهم الشافعي رضي الله
تعالى عنه فقالوا لا كفارة على المراة في الوطي في رمضان
لانه قال جامعت اهلي في نهار رمضان فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم كفر فامره بالكفارة والمراة
ليست بمجامعة **المسئلة الخامسة** قدمت المراة
في هذه الاية من حيث كان في ذلك الزمان زنا
النسا فاشيا وكان لاماء العرب وبغايا الوقت رايات
وكن مجاهرات بذلك وقيل لان الزنا في النسا اعر
وهو لاجل الحبل اضر وقيل لان الشهوة في المراة
اكثر وعليها اغلب فصدرها تغليظا لتردع شهوتها
وان كان قد ركب فيها حيا لكنها اذا زنت ذهب
الحيا كله وايضا فان العار بالنسا الحق اذ موضعهن
الحجب والصيانة فقدم ذكرهن تغليظا واهتماما
المسئلة السادسة الالف واللام في قوله الزانية
والزاني للجنس وذلك يعطي انها عامة في جميع الزناة

ومن قال بالجلد مع الرجم قال السنة جاءت
بزيادة حكم قيام مع الجلد وهو قول اسحاق بن
راهويه والحسن بن ابى الحسن ونقله على بن ابى
طالب رضى الله تعالى عنه وقد مضى
فى تفسير سورة النسا بيانه وقال الجمهور هى
خاصة فى البكرين واستدلوا على انها غير عامة
بخروج العبيد والاماء منها **المسئلة السابعة**
نص الله سبحانه وتعالى ما يجب على الزانيين اذا
شهد بذلك عليهما على ما ياتى واجمع العلماء رحمهم
الله تعالى على القول به واختلفوا فيما يجب على
الرجل يوجد مع المراة فى ثوب واحد فقال اسحاق
ابن راهويه يضرب كل واحد منهما مائة وروى
ذلك عن عمر وعلى رضى الله تعالى عنهما وليس
يثبت ذلك عنهما وقال عطا وسفيان الثورى
يودبان وبه قال مالك واحمد رحمهما الله تعالى على
قدر ما يراه الامام من الادب قال ابن المنذر والاكثر
ممن رايناه يرى على من وجد على هذه الحالة
الادب وقد مضى فى تفسير سورة هود اختيار
ما فى هذه المسئلة والحمد لله رب العالمين
المسئلة الثامنة قوله تعالى فاجلدوا
دخلت الفاء لانه موضع امر والامر مضارع للشرط
وقال المبرد فيه معنى الجزاء اى ان زنى وان فافعلوا
به كذا ولهذا دخلت الفاء وهكذا السارق والسارقة
فاقطعوا ايديهما **المسئلة التاسعة** لا خلاف
ان المخاطب بهذا الامر الامام ومن ناب منابه
وزاد مالك والشافعى رضى الله تعالى عنهما السادة
فى العبيد قال الشافعى رحمه الله تعالى فى كل جلد
وقطع وقال مالك رحمه الله تعالى فى الجلد دون
القطع وقيل الخطاب للمسلمين لان اقامة مراسم
الدين واجبة على المسلمين ثم الامام ينوب عنهم
اذ لم يمكنهم الاجتماع على اقامة الحدود **المسئلة**

العاشرة اجمع العلماء رحمهم الله تعالى على ان
الجلد بالسوط يجب والسوط الذى يجب ان يجلد به
يكون بسوط بين سوطين لا شديدا ولا لينا روى
مالك عن زيد بن اسلم رضى الله تعالى عنه
ان رجلا اعترف على نفسه بالزنا على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فدعا له رسول الله
صلى الله عليه وسلم بسوط فاتى بسوط مكسور
فقال فوق هذا فاتى بسوط جديد لم تقطع ثمرته
فقال دون هذا فاتى بسوط قد ركب به ولان
فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلد
الحديث قال ابو عمر هكذا روى هذا الحديث
مرسلا جميع رواة الموطاء ولا اعلمه يستند بهذا
اللفظ من وجه من الوجوه وقد روى معمر عن
يحيى بن ابى كثير عن النبى صلى الله عليه وسلم
مثله سواء وقد تقدم فى تفسير سورة المائدة
ضرب عمر الجارود فى الخمر بسوط تام يريد وسطا
المسئلة الحادية عشرة اختلف العلماء رحمهم
الله تعالى فى تجريد المجلود فى الزنا فقال مالك
وابو حنيفة رضى الله تعالى عنهما وغيرهما يجرد
ويترك على المراة ما يسترها دون ما يقيها الضرب
وقال الاوزاعى الامام يخير ان شاء جرد وان شاء
ترك وقال الشعبى والنخعى لا يجرد ولكن يترك
عليه قميص قال ابن مسعود رضى الله تعالى
عنه لا يحل فى هذه الامة تجريد ولا مد وبه قال
الثورى **المسئلة الثانية عشرة** اختلف العلماء
رحمهم الله تعالى فى كيفية ضرب الرجال والنساء
فقال مالك رحمه الله تعالى الرجل والمراة فى
الحدود كلها سواء لا يقام واحد منهما ولا يجزى عنده
الا فى الظهر واصحاب الراى والشافعى رحمه الله
تعالى يرون ان يجلد الرجل وهو واقف وهو قول
على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه وقال الليث

ابن سعد وابو حنيفة والشافعى الضرب فى الحدود
كلها وفى التعزير مجرد ا قايما غير ممدود الا حد القذف
فانه يضرب وعليه ثيابه وحكاه المهدوى فى التحصيل
عن مالك رحمه الله تعالى وينزع عنه الحشو والفرو
وقال الشافعى رحمه الله تعالى ان كان مده صلاحا
مد **المسئلة الثالثة عشرة** واختلفوا فى المواضع
التى تضرب من الانسان فى الحدود فقال مالك
رحمه الله تعالى الحدود كلها لا تضرب الا فى الظهر
وكذلك التعزير وقال الشافعى رحمه الله تعالى
واصحابه يتقى الوجه والفرج وتضرب ساير الاعضا
وروى عن على واشار ابن عمر رضى الله تعالى
عنه بالضرب الى رجلى امة جلدها فى الزنا قال
ابن عطية والاجماع فى تسليم الوجه والعورة والمقاتل
واختلفوا فى ضرب الراس فقال الجمهور يتقى الراس
وقال ابو يوسف يضرب الراس وروى عن عمر وابنه
رضى الله تعالى عنهما فقالا يضرب الراس وضرب عمر
صبيغا فى راسه وكان تعزيرا لا حدا ومن حجة مالك
رحمه الله تعالى ما ادرك عليه الناس وقوله عليه
الصلاة والسلام البينة والا حد فى ظهرك وسياتى
المسئلة الرابعة عشرة الضرب الذى يجب هو
ان يكون مولما لا يجرح ولا يبضع ولا يخرج الضارب يده
من تحت ابطه وبه قال الجمهور وهو قول على وابن
مسعود رضى الله تعالى عنهما واتى عمر رضى الله
تعالى عنه برجل فى حد فاتى بسوط بين سوطين
وقال للضارب اضرب ولا يرى ابطك واعط كل عضو
حقه واتى رضى الله تعالى عنه بشاب فقال لا بعثنك
الى رجل لا تاخذه فيك هواده فبعثه الى مطيع
ابن الاسود العدوى فقال اذا اصبحت الغد فاضربه
الحد فجاء عمر رضى الله تعالى عنه وهو يضربه
ضربا شديدا فقال فقلت الرجل كم ضربته قال
ستين قال اقص عنه بعشرين قال ابو عبيدة قوله

انض

اقص عنه بعشرين يقول اجعل شدة هذا الضرب
الذى ضربته قصاصا بالعشرين التى بقيت ولا تضربه
العشرين وفى هذا الحديث من الفقه ان ضرب الشارب
ضرب خفيف وقد اختلف العلماء رحمهم الله تعالى فى
اشد الحدود ضربا وهى **المسئلة الخامسة عشرة**
فقال مالك رحمه الله تعالى واصحابه والليث بن
سعد الضرب فى الحدود كلها سواء ضرب غير مبرح
ضرب بين ضربين وهو قول الشافعى رحمه الله تعالى
وقال ابو حنيفة واصحابه التعزير اشد الضرب وضرب
الزنى اشد من الضرب فى الخمر وضرب الشارب اشد
من ضرب القذف وقال الثورى ضرب الزنا اشد من
ضرب القذف وضرب القذف اشد من ضرب الخمر احتج
مالك رحمه الله تعالى بورود التوقيف على عدد الجلدات
ولم يرد فى شى منها تخفيف ولا تثقيل عمن يجب التسليم
له احتج ابو حنيفة رحمه الله تعالى بفعل عمر رضى الله
تعالى عنه فانه ضرب فى التعزير ضربا اشد منه
فى الزنا احتج الثورى بان الزنى لما كان اكثر عددا فى
الجلدات استحال ان يكون القذف ابلغ فى النكاية
وكذلك الخمر لانه لم يثبت فيه الحد الا بالاجتهاد
وسبيل مسايل الاجتهاد لا تقوى قوة مسايل التوقيف
المسئلة السادسة عشرة الحد الذى
اوجبه الله سبحانه وتعالى فى الزنا والخمر والقذف
وغير ذلك ينبغى ان يقام بين يدى الحكام ولا يقيمه
الا فضلاء الناس وخيارهم يختارهم الامام لذلك
وكذلك كانت الصحابة رضى الله تعالى عنهم تفعل
كلما وقع لهم شى من ذلك رضى الله تعالى عنهم
وسبب ذلك انه قيام بقاعدة شرعية وقربة تعبدية
يجب المحافظة على فعلها وقدرها ومحلها وحالها بحيث
لا يتعدى شى من شروطها ولا احكامها فان دم المسلم
وحرمته عظيمة فيجب مراعاته بكل ما امكن روى
الصحيح عن حصين بن المنذر ابى ساسان قال شهدت

عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه اتى بالوليد قد
صلى الصبح ركعتين قال فشهد عليه رجلان احدهما
حمران انه قد شرب الخمر وشهد اخر انه رآه يتقيا
فقال عثمان انه لم يتقيا حتى شربها فقال يا على قم
فاجلده فقال على رضى الله تعالى عنه قم يا حسن
فاجلده فقال الحسن ول حارها من تولى قارها فكانه
وجد عليه فقال يا عبد الله بن جعفر قم فاجلده
فجلده وعلى يعد الحديث وقد تقدم فى تفسير سورة
المائدة فانظر قول عثمان رضى الله تعالى عنه
للامام على رضى الله تعالى عنه قم فاجلده **المسئلة
السابعة عشرة** نص الله سبحانه وتعالى على
عدد الجلد فى الزنا والقذف وثبت التوقيف فى الخمر
على ثمانين من فعل عمر رضى الله تعالى عنه
فى جميع الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين
على ما تقدم فى تفسير سورة المائدة فلا يجوز
ان يتعدى الحد فى ذلك كله قال ابن العربى
وهذا ما لم يتتابع الناس فى الشر ولا احلولت لهم
المعاصى حتى يتخذوها ضراوة ويعطفون عليها
بالهوادة فلا يتناهوا من منكر فعلوه فحينئذ
تتعين الشدة ويزاد الجلد لاجل زيادة الذنب
وقد اتى عمر رضى الله تعالى عنه بسكران فى
شهر رمضان فضربه مائة ثمانين حد الخمر
وعشرين لهتك حرمة الشهر فهكذا يجب ان
العقوبات على تغليظ الجنايات وهتك الحرمات ∴
وقد لعب رجل بصبى فضربه الوالى ثلثمائة
سوط فلم يغير مالك حين بلغه فكيف لو رأى
زماننا هذا بهتك الحرمات والاستهتار بالمعاصى
والتظاهر بالمناكر وبيع الحدود واستيفاء العبيد
لها فى منصب القضاة لمات كمدا ولم يجالس احدا
وحسبنا الله ونعم الوكيل قلت ولهذا المعنى
والله اعلم زيد فى حد الخمر حتى انتهى الى ثمانين

روى

روى الدارقطنى قال حدثنا القاضى الحسين بن اسمعيل
حدثنا يعقوب بن ابراهيم الدورقى حدثنا صفوان
ابن عيسى حدثنا اسامة بن زيد عن الزهرى قال
اخبرنى عبد الرحمن بن ازهر رضى الله تعالى عنه قال
رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وهو
يتخلل الناس يسال عن منزل خالد بن الوليد فاتى
بسكران قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لمن عنده فضربوه بما فى ايديهم قال وحثا رسول
الله صلى الله عليه وسلم عليه التراب قال ثم اتى
ابو بكر رضى الله تعالى عنه بسكران قال فتوخى
الذى من ضربهم يومئذ فضرب اربعين قال الزهرى
ثم اخبرنى حميد بن عبد الرحمن عن ابن وبرة الكلبى
قال ارسلنى خالد بن الوليد الى عمر رضى الله تعالى
عنه قال فاتيته ومعه عثمان بن عفان وعبد الرحمن
ابن عوف وعلى وطلحة والزبير وهم معه ∴
فى المسجد فقلت ان خالد بن الوليد ارسلنى اليك
وهو يقرا عليك السلام ويقول ان الناس قد انهمكوا
فى الخمر وتحاقروا العقوبة فيه فقال عمر وهم هولاء
عندك فاسالهم فقال على نراه اذا سكر هذى واذا
هذى افترى وعلى المفترى ثمانون قال فقال عمر رضى
الله تعالى عنه ابلغ صاحبك ما قال قال فجلده
خالد ثمانين وعمر ثمانين قال وكان عمر اذا اتى بالرجل
الضعيف الذى كانت منه الزلة ضربه اربعين قال
وجلد عثمان رضى الله تعالى عنه ايضا ثمانين واربعين
ومن هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم لو تاخر
الهلال لزدتكم كالمنكل لهم حين ابوا ان ينتهوا فى رواية
لو مد لنا الشهر لواصلنا وصالا يدع المتعمقون تعمقهم
وروى حماد بن يحيى عن سفيان بن مسعر عن عطا بن ابى
مروان ان عليا رضى الله تعالى عنه ضرب النجاشى
فى الخمر مائة جلدة ذكره ابو عمر ولم يذكر سببا
المسئلة الثامنة عشرة قوله تعالى ولا تاخذكم

بهما رافة فى دين الله اى لا تمتنعوا عن اقامة الحدود
شفقة على المحدود ولا تخففوا الضرب من غير ايجاع
هذا قول جماعة اهل التفسير وقال الشعبى والنخعى
وسعيد بن جبير لا تاخذكم بهما رافة قالوا فى الضرب
والجلد وقال ابو هريرة رضى الله تعالى عنه اقامة
حد بارض خير لاهلها من مطر اربعين ليلة ثم قرا هذه
الاية والرافة ارق الرحمة وقرى رافة بفتح ... على
وزن فعله وقرى رافة على وزن فعاله ثلاث لغات
وهى كلها مصادر اشهرها الاولى من رف اذا رق
ورحم ويقال رافة ورافة مثل كابه وكابه وقد
رافت به ورفت به والروف من صفات الله سبحانه
وتعالى العطوف الرحيم **المسئلة التاسعة عشرة**
قوله تعالى فى دين الله اى فى حكم الله كما قال تعالى
ما كان لياخذ اخاه فى دين الملك اى فى حكمه وقيل
فى دين الله اى فى طاعة الله وشرعه فيما امركم به
من اقامة الحد ثم قررهم على معنى التثبيت
والحض بقوله سبحانه وتعالى ان كنتم ... بالله
اى وهذا كما تقول لرجل تحضه ان كنت رجلا فافعل كذا
اى هذه افعال الرجال **المسئلة الموفية عشرون**
قوله تعالى وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين
قيل لا يشهد التعذيب الا من لا يستحق التاديب
قال مجاهد رجل فما فوقه الى الف وقال ابن زيد
لا بد من حضور اربعة قياسا على الشهادة على
الزنا وان هذا باب منه وهو قول مالك والليث والشافعى
رضى الله تعالى عنهما وقال عكرمة وعطا لا بد من
اثنين وهذا مشهور قول مالك فراها موضع شهادة
وقال الزهرى ثلاثة لانه اقل الجمع الحسن واحدا
فصاعدا وعنه عشرة الربيع ما زاد على الثلاثة
وحجة مجاهد قوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم
طايفة وقوله سبحانه وتعالى وان طايفتان ونزلت
فى تقاتل رجلين فكذلك قوله وليشهد عذابهما

طايفة من المؤمنين والواحد يسمى طايفة الى الف
وقاله ابن عباس وابراهيم وامر ابو برزة الاسلمى
بجارية قد زنت وولدت فالقى عليها ثوبا وامره ان
يضربها خمسين ضربة غير مبرح ولا خفيف لكن مولم
ودعا جماعة ثم تلى وليشهد عذابهما طايفة من المومنين
المسئلة الحادية والعشرون اختلف فى المراد
بحضور الجماعة على المقصد بها الاغلاظ على الزناة
والتوبيخ بحضرة الناس وان ذلك يردع المحدود ومن
شهده وحضره يتعظ به ويزدجر لاجله ويشيع
حديثه فيعتبر به ... او الدعا لهما بالتوبة والرحمة
قولان للعلما رحمهم الله تعالى **المسئلة الثانية
والعشرون** روى حذيفة رضى الله تعالى عنه ان
النبى صلى الله عليه وسلم قال يا معشر الناس
اتقوا الزنا فان فيه ست خصال ثلاثا فى الدنيا وثلاثا
فى الاخرة فاما اللواتى فى الدنيا فيذهب البها ويورث
الفقر وينقص العمر واما اللواتى فى الاخرة فيوجب
السخط وسوء الحساب والخلود فى النار وعن انس
رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ان اعمال امتى تعرض على فى كل جمعة
مرتين فاشتد غضب الله على الزنا وعن النبى صلى
الله عليه وسلم قال اذا كان ليلة النصف من شعبان
اطلع الله على امتى فغفر لكل مومن لا يشرك بالله
شيا الا خمسة ساحرا او كاهنا او عاق لوالديه او مدمن
خمر او مصر على الزنا **قوله تعالى** الزانى لا ينكح
الا زانية او مشركة فيه سبع مسايل **المسئلة
الاولى** اختلف العلما رحمهم الله تعالى فى معنى
هذه الاية على ستة اوجه من التاويل الاول
ان يكون مقصد الاية تشنيع الزنا وتبشيع امره
وانه محرم على المؤمنين واتصال هذا المعنى بما قبل
حسن بليغ ويريد بقوله لا ينكح اى لا يطا فيكون النكاح
بمعنى الجماع وردد القصة مبالغة واخذا من كلا الطرفين

فله ان يتزوجها وهو قول ابن عمر وتبعا لهم وجابر بن
زيد وعطاء وطاوس ومالك بن انس وهو قول ابى
حنيفة واصحابه وقال الشافعى رحمه الله تعالى
القول فيها كما قال سعيد بن المسيب ان شاء الله
تعالى هى منسوخة قال ابن عطية وذكر الاشراك
فى الاية يضعف هذه المناحى قال ابن العربى
والذى عندى ان النكاح لا يخلو ان يراد به كما قال
ابن عباس رضى الله تعالى او العقد فان اريد به
الوطى فان معناه لا يكون زنى الا بزانية وذلك
عبارة عن الوطئين من الرجل والمراة زنى من
الجهتين ويكون تقدير الاية الوطى الزانية لا تقع
الا من زان او مشرك وهذا يوثر عن ابن عباس
رضى الله تعالى عنه وهو معنى صحيح فان قيل
فاذا زنى بالغ بصبية او عاقل بمجنونة او مستيقظ
بنائمة فان ذلك من جهة الرجل زنى فهذا زان
نكح غير زانية فيخرج المراد عن بابه الذى تقدم قلنا
هو زنى من كل جهة الا ان احدهما سقط فيه الحد
والاخر ثبت فيه وان اريد به العقد كان معناه ان
يتزوج الزانية التى قد زنت ودخل بها ولا يستبريها
يكون بمنزلة الزانى الا انه لا حد عليه لاختلاف ۵
العلماء رحمهم الله تعالى فى ذلك واما اذا اعتقد عليها
ولم يدخل بها حتى يستبريها فذلك جائز اجماعا
وقيل ليس المراد فى الاية ان الزانى لا ينكح قط
الا زانية اذ قد يتصور ان يتزوج غير زانية ولكن
المعنى ان من تزوج بزانية فهو زان فكانه قال
لا ينكح الزانية الا زان فقلب الكلام وذلك انه لا ينكح
الا زانية وهو راض بزناها وانما يرضى بذلك اذا كان
هو ايضا يزنى **المسئلة الثانية** فى هذه الاية
دليل على التزوج بالزانية صحيح واذا زنت زوجة
الرجل لم يفسد النكاح فاذا زنى الزوج لم يفسد
نكاحه مع زوجته وهذا على ان الاية منسوخة ۵

وقيل

وقيل انها منسوخة وسياتى **الثالثة** روى ان رجلا زنى
بامراة فى زمن ابى بكر الصديق رضى الله تعالى
عنه فجلدهما مائة جلدة ثم زوج احدهما من
الاخر مكانه ونفاهما سنة وروى مثل ذلك
عن عمر وابن مسعود وجابر وقال ابن عباس
رضى الله تعالى عنه اوله سفاح واخره نكاح
ومثل ذلك رجل سرق من حائط ثمرة فما
سرق حرام وما اشترى حلال وبهذا اخذ الامام
الشافعى والامام ابو حنيفة رحمهما الله تعالى ۵
وراوا ان الماء لا حرمة له وروى عن ابن مسعود
رضى الله تعالى عنه انه قال اذا زنى الرجل
بالمراة ثم نكحها بعد ذلك فهما زانيان ابدا
وبهذا اخذ الامام مالك رحمه الله تعالى فراى
انه لا ينكحها حتى يستبريها من مائه الفاسد
لان النكاح له حرمة ومن حرمته ان لا يصب على
ماء السفاح ليختلط الحرام بالحلال ويمتزج ماء
المهانة بماء العزة **المسئلة الرابعة** قال
ابن خواز منداد من كان معروفا بالزنا او بغيره
من الفسوق معلنا به فتزوج الى اهل بيت ستر
وغرهم من نفسه فلهم الخيار فى البقاء معه ۵
او فراقه وذلك لعيب من العيوب واحتج بقوله
عليه الصلاة والسلام لا ينكح الزانى المجلود الا
مثله قال ابن خواز منداد وانما ذكر المجلود
لاشتهاره بالفسق وهو الذى يجب ان يفرق
بينه وبين غيره واما من لم يشتهر بالفسق
فلا **المسئلة الخامسة** قالت قوم من
المتقدمين الاية محكمة غير منسوخة وعند
هؤلاء من زنى فسد النكاح بينه وبين زوجته
واذا زنت الزوجة فسد النكاح بينهما وبين
زوجها وقال قوم من هؤلاء لا يفسخ النكاح بذلك
ولكن يؤمر الرجل بطلاقها اذا زنت ولو امسكها

ثم اطلع صاحب البستان فاشترى منه ثمرته

والبلوغ كما شرطناهما في القاذف وان لم يكونا
من معاني الاحصان لاجل ان الحد انما وضع
للزجر عن الاذاية بالمضرة الداخلة على
المقذوف ولا مضرة على من عدم العقل
والبلوغ اذ لا يوصف الوطئ فيهما ولا منهما فانه
زنى والله سبحانه وتعالى اعلم **المسئلة
الخامسة** اتفق العلماء رحمهم الله تعالى على
انه اذا اصرح بالزنا كان قذفا ورميا موجبا
للحد فان عرض ولم يصرح فقال الامام
مالك رضي الله تعالى عنه هو قذف وقال
الامام الشافعي والامام ابو حنيفة رضي الله
تعالى عنهما لا يكون قذفا حتى يقول اردت
به القذف والدليل لما قاله الامام مالك
رحمة الله تعالى عليه هو ان موضوع الحد في
القذف انما هو لازالة المعرة التي اوقعها
القاذف بالمقذوف فاذا حصلت المعرة
بالتعريض وجب ان يكون قذفا كالصريح
والمعول على الفهم وقد قال الله سبحانه
وتعالى مخبرا عن شعيب عليه الصلاة والسلام
انك لانت الحليم الرشيد اي السفيه
الضال فعرضوا له بالسب بكلام ظاهره المدح
في احد التاويلات حسب ما تقدم بيانه في
تفسير سورة هود عليه الصلاة والسلام
وقال الله سبحانه وتعالى في ابي جهل ذق
انك انت العزيز الكريم وقال الله سبحانه
وتعالى حكاية عن مريم عليها الصلاة والسلام
يا اخت هارون ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت
امك بغيا فمدحوا اباها ونفوا عن امها البغا
اي الزنا وعرضوا لمريم عليها السلام بذلك
ولذلك قال الله سبحانه وتعالى وبكفرهم
وقولهم على مريم بهتانا عظيما وكفرهم

معروف

معروف والبهتان العظيم هو التعريض
لها اي ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك
بغيا اي انت بخلافهما وقد اتيت بهذا الولد
وقال الله سبحانه وتعالى قل من يرزقكم
من السماء والارض قل الله وانا او اياكم لعلى
هدى او في ضلال مبين فهذا اللفظ قد فهم
منه ان المراد به ان الكفار على غير هدى
وان الله ورسوله على الهدى ففهم من
هذا التعريض ما يفهم من صريحه وقد
حبس امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله
تعالى عنه الحطيئة لما قال

دع المكارم لا ترحل لبغيتها ... واقعد فانك انت الطاعم الكاسي

لانه شبهه بالنساء في انهن يطعمن ويسقين ويكسون
ولما سمع قول النجاشي

قبيلة لا يغدرون بذمة ... ولا يظلمون الناس حبة خردل

قال ليس الخطاب كذلك وانما اراد الشاعر
ضعف القبيلة ومثله كثير والله سبحانه وتعالى
اعلم **المسئلة السادسة** الجمهور من
العلماء رحمهم الله تعالى على انه لا حد على
من قذف رجلا من اهل الكتاب وامرأة منهم
وقال الزهري وسعيد بن المسيب رضي الله
تعالى عنه وابن ابي ليلى عليه الحد اذا كان لها
ولد من مسلم وفيها قول ثالث وهو انه اذا
قذف النصرانية تحت المسلم جلد الحد قال
ابن المنذر وجل العلماء رحمهم الله تعالى مجمعون
وقائلون بالقول الاول ولم ادرك احدا
ولا لقيته يخالف في ذلك واذا قذف النصراني
المسلم الحر فعليه ما على المسلم ثمانون جلدة
لا اعلم في ذلك اختلافا والله سبحانه وتعالى
اعلم **المسئلة السابعة** الجمهور من العلما
رحمهم الله تعالى على ان العبد اذا قذف حرا

فعليه الحد والجارية اذا جاوزت تسعًا مثل ذلك
قال ابن المنذر لا يحد من قذف من لم يبلغ لان ذلك
كذب ويعزر على الاذى قال ابو عبيد في حديث
على [illegible] ان امراة جاءته فذكرت ان زوجها
ياتي جاريتها فقال ان كنت صادقة رجمناه وان كنت
كاذبة جلدناك فقالت ردوني الى اهلي غيرى نغرة
قال ابو عبيد في هذا الحديث من الفقه ان على
الرجل اذا واقع جارية امراته الحد وفيه ايضا
اذا قذفه بذلك قاذف كان على قاذفه الجلد الا
تسمع قوله وان كنت كاذبة جلدناك ووجه هذا
كله اذا لم يكن الفاعل جاهلا بما ياتيه وبما يقول
فان كان جاهلا وادعى شبهة درئ عنه الحد في
ذلك كله وفيه ايضا ان رجلا لو قذف رجلا بحضرة
حاكم وليس المقذوف بحاضر انه ليس لا شيء على
القاذف حتى يجيء فيطلب حده لانه لا يدرى لعله يصدقه
الا ترى ان عليا عليه السلام لم يعرض لهما وفيه
ان الحاكم اذا قذف عنده رجل ثم جاء المقذوف
فطلب حقه اخذه الحاكم بالحد بسماعه الا تراه
يقول وان كنت كاذبة جلدناك وهذا لانه من حقوق
الناس قلت اختلف هل هو من حقوق الله تعالى
او حقوق الادميين وسياتي قال ابو عبيدة قال
الاصمعي سالني شعبة عن قوله غيرى نغرة فقلت
له هل هو ماخوذ من نغر القدر وهو غليانها
وفورها يقال منه نغرت تنغر ونغرت تنغر اذا
غلت فمعناه انها ارادت ان جوفها يغلي من الغيظ
والغيرة لما لم تجد عنده ما تريد قال ويقال منه
رايت فلانا يتنغر على فلان اى يغلي جوفه عليه
غيظا **المسئلة الثانية عشرة** من قذف
زوجة من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم حد
حدين قاله مسروق قال ابن العربي والصحيح
انه حد واحد لعموم قوله والذين يرمون المحصنات

الاية

الاية ولا يقتضي شرفهن زيادة في حد من قذفهن
لان شرف المنزلة لا يؤثر في الحدود ولا نقصها يؤثر
في الحد بتنقيص والله سبحانه وتعالى اعلم وسياتي
الكلام في قذف عائشة رضي الله تعالى عنها هل
يقتل ام لا **المسئلة الثالثة عشرة** قوله تعالى
ثم لم ياتوا باربعة شهداء الذي يفتقر الى اربعة
شهداء دون سائر الحقوق هو الزنا رحمة بعباده
وسترا لهم وقد تقدم في تفسير سورة النسا **المسئلة
الرابعة عشرة** من شرط اداء الشهود الشهادة
عند مالك رحمه الله تعالى ان يكون ذلك في مجلس
واحد فان افترقت لم تكن شهادة وقال عبد
الملك تقبل شهادتهم مجتمعين ومفترقين فراى
مالك رحمه الله تعالى ان اجتماعهم تعبد وبه قال
الحسن وراى عبد الملك ان المقصد اداء الشهادة
واجتماعا وقد حصلت وهو قول عثمان البتي وابو
ثور واختاره ابن المنذر لقوله سبحانه وتعالى
ثم لم ياتوا باربعة شهداء وقوله تعالى فان لم
ياتوا بالشهداء ولم يذكر مفترقين ولا مجتمعين
المسئلة الخامسة عشرة فان تمت الشهادة
الا انهم لم يعدلوا فكان الحسن البصري والشعبي
يريان لا حد على الشهود ولا على المشهود وبه قال
احمد والنعمان ومحمد بن الحسن ومالك اذا شهد
عليه اربعة بالزنا فان كان احدهم مسخوطا عليه
او عبدا يجلدون جميعا وقال سفيان الثوري واحمد
واسحاق في اربعة عميان يشهدون على امراة
بالزنا يضربون **المسئلة السادسة عشرة**
فان رجع احد الشهداء وقد رجم المشهود عليه
في الزنا فقالت طائفة يغرم ربع الدية ولا شيء
على الاخرين وكذلك قال قتادة وحماد وعكرمة
وابو هاشم ومالك واحمد واصحاب الراي وقال
الشافعي رحمه الله تعالى ان قال عمدت ليقتل فالاوليا

عمر بن الخطاب رضى الله عنه والشعبى وغيره ان توبته
لا تكون الا بان يكذب نفسه فى ذلك القذف الذى حد فيه
وهكذا فعل عمر رضى الله عنه فانه قال للذين
شهدوا على المغيرة من اكذب نفسه اجزت شهادته
فيما استقبل ومن لم يفعل لم اجز شهادته فاكذب
الشبل بن معبد ونافع بن الحارث بن كلدة انفسهما
وتابا وابى ابو بكرة ان يفعل فكان لا تقبل شهادته
وحكى هذا القول النحاس عن اهل المدينة وقالت
فرقة منها مالك رحمه الله تعالى وغيره توبته ان
يصلح ويحسن حاله وان لم يرجع عن قوله بتكذيب
وحسبه الندم على قذفه والاستغفار منه
وترك العود الى مثله وهو قول ابن جرير ويروى
عن الشعبى انه قال الاستثناء من الاحكام الثلاثة
اذا تاب وظهرت توبته لم يحد وقبلت شهادته
وزال عنه التفسيق لانه قد صار ممن يرضى من
الشهداء وقد قال الله عز وجل وانى لغفار لمن
تاب الاية **المسئلة الثانية والعشرون**
اختلف علماؤنا رحمهم الله تعالى متى تسقط شهادة
القاذف فقال ابن الماجشون بنفس قذفه وقال
ابن القاسم واشهب وسحنون لا تسقط حتى يجلد
فان منع من جلده مانع عفو او غيره لم ترد شهادته
وقال الشيخ ابو الحسن اللخمى شهادته فى مدة
الاجل موقوفة ورجح القول بان التوبة انما تكون
بالتكذيب فى القذف والا فاى رجوع لعدل ان قذف
واحد وبقى على عدالته **المسئلة الثالثة
والعشرون** واختلفوا ايضا فى القول بجواز شهادته
بعد التوبة فى اى شئ تجوز فقال مالك رحمه الله
تعالى تجوز فى كل شئ مطلقا وكذلك كل من حد
فى شئ من الاشياء رواه ابن نافع وابن عبد الحكم عن
مالك وهو قول ابن كنانة وذكر الوقار عن مالك
انه لا تقبل شهادته فيما حد فيه خاصة وتقبل

فيما

فيما سوى ذلك وهو قول مطرف وابن الماجشون وروى
العتبى عن اصبغ وسحنون مثله قال سحنون من حد
فى شئ من الاشياء فلا تجوز شهادته فى مثل ما حد فيه
وقال مطرف وابن الماجشون من حد فى قذف او زنا
فلا تجوز شهادته فى شئ من وجوه الزنا ولا فى قذف
ولا لعان وان كان عدلا وروياه عن مالك رحمه الله
تعالى واتفقوا على ولد الزنا ان شهادته لا تجوز فى الزنا
المسئلة الرابعة والعشرون الاستثناء اذا تعقب
جملا معطوفا عاد الى جميعها عند مالك والشافعى رحمهما
الله تعالى وعند ابى حنيفة وجل اصحابه يرجع الاستثناء
الى اقرب مذكور وهو الفسق ولهذا لا تقبل شهادته
فان الاستثناء راجع الى الفسق خاصة لا الى قبول
الشهادة وسبب الخلاف فى هذا الاصل سببان
احدهما هل هذه الجمل فى حكم الجملة الواحدة للعطف
الذى فيها او لكل جملة حكم نفسها فى الاستقلال
وحرف العطف محسن لا مشرك وهو الصحيح فى عطف
الجمل لجواز عطف الجمل المختلفة بعضها على بعض
على ما يعرف فى النحو السبب الثانى تشبيه الاستثناء
بالشرط فى عوده الى الجمل المتقدمة فانه يعود الى
جميعها عند الفقهاء او لا يشبه به لانه من باب
القياس فى اللغة وهو فاسد على ما يعرف فى اصول
الفقه والاصل ان كل ذلك محتمل ولا ترجيح فتعين
ما قاله القاضى من الوقف ويتأيد الاشكال بانه قد جاء
فى كتاب الله جل وعز كلا الامرين فان اية المحاربة
فيها عود الضمير الى الجميع باتفاق واية قتل المؤمن
خطا فيها رد الاستثناء الى الاخير باتفاق واية القذف
محتملة للوجهين فتعين الوقف من غير مين قال
علماؤنا رحمهم الله تعالى وهذا نظر كلى اصولى
ويترجح قول الامام مالك والامام الشافعى رحمهما الله
تعالى من جهة نظر الفقه الجزئى بان يقال الاستثناء
الاستثناء راجع الى الفسق والتوبة جميعا الا ان يفرق

فى سبب نزولها وهو ما رواه ابو داود عن ابن عباس
رضى الله تعالى عنه ان هلال بن امية قذف امراته
عند النبى صلى الله عليه وسلم بشريك بن سمحا
فقال النبى صلى الله عليه وسلم بشريك بن سمحا
فقال النبى صلى الله عليه وسلم البينة او حد فى
ظهرك قال يا رسول الله اذا راى احدنا رجلا على
امراته يلتمس البينة فجعل النبى صلى الله عليه
وسلم يقول البينة والا حد فى ظهرك فقال هلال
والذى بعثك بالحق انى لصادق ولينزل الله فى امرى
ما يبرى ظهرى من الحد فنزلت والذين يرمون ازواجهم
ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم فقرا حتى بلغ من
الصادقين الحديث بكماله وقيل لما نزلت الاية
المتقدمة فى الذين يرمون المحصنات وتناول ظاهرها
الازواج وغيرهم قال سعد بن معاذ يا رسول الله
ان وجدت مع امراتى رجلا امهله حتى اتى باربعة والله
لاضربنه بالسيف غير مصفح عنه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتعجبون من غيرة سعد لانا
اغير منه والله اغير منى وفى الفاظ سعد روايات مختلفة
هذا احد معناها ثم جاء من بعد ذلك هلال بن امية
الواقفى فرمى زوجته بشريك بن سمحا البلوى على
ما ذكرنا وعزم النبى صلى الله عليه وسلم على ضربه
حد القذف فنزلت هذه الاية عند ذلك فجمعهما
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد وتلاعنا
فتلكات المراة عند الخامسة لما وعظت وقيل انها
موجبة ثم قالت لا افضح قومى ساير اليوم فالتعنت
وفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وولدت
غلاما كانه جمل اورق على النعت المكروه ثم كان
الغلام بعد ذلك اميرا بمصر وهو لا يعرف لنفسه ابا
وجاء ايضا عويمر العجلانى فرمى امراته ولاعن
والمشهور ان نازلة هلال كانت قبل وانها سبب
الاية وقيل نازلة عويمر بن اشقر كانت قبل وهو

حديث

حديث صحيح ان القاذف لزوجته عويمر وهلال بن
امية خطا قال الطبرى يستنكر قوله فى الحديث
هلال بن امية وانما القاذف عويمر بن زيد بن الحرا
ابن العجلانى شهد احدا مع النبى صلى الله عليه وسلم
رماها بشريك ابن سمحا والسمحا امه قيل لها
ذلك لسوادها وهو ابن عبده بن الحر بن العجلانى
كذلك كان يقول اهل الاخبار وقيل قرا النبى
صلى الله عليه وسلم على الناس فى الخطبة يوم
الجمعة والذين يرمون المحصنات فقال عاصم بن
عدى الانصارى جعلنى الله فداك لو ان رجلا
تكلم فاخبره بما جرى جلد ثمانين وسماه المسلمون
فاسقا فلا تقبل شهادته فكيف لاحد لنا عنده
ذلك بار بعة شهود والى ان يلتمس اربعة شهود
فقد فرغ الرجل من حاجته فقال عليه الصلاة
والسلام كذلك انزلت يا عاصم بن عدى فخرج
عاصم سامعا مطيعا فاستقبله هلال بن امية
يسترجع فقال ما وراك قال وشر وجدت شر يك
ابن السمحا على بطن امراتى خولة يزنى بها وخولة
هذه بنت عاصم بن عدى كذا فى هذا الطريق
ان الذى وجد مع امراته شريكا هو هلال بن
امية والصحيح خلافه حسب ما تقدم بيانه
قال الكلبى والاظهر ان الذى وجد مع امراته
شريكا عويمر العجلانى لكثرة ما روى ان النبى
صلى الله عليه وسلم لاعن بين العجلانى وامراته
واتفقوا على ان هذا الزانى هو شريك بن عبده
وامه السمحا وكان عويمر وخولة بنت قيس وشريك
ابن عاصم عم عاصم وكانت هذه القصة فى شعبان
سنة تسع من الهجرة منصرف رسول الله صلى
الله عليه وسلم من تبوك الى المدينة قاله الطبرى
وروى الدارقطنى عن عبد الله بن جعفر قال حضرت
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين لاعن بين

ولد الامة عنه الا بيمين واحدة بخلاف اللعان وقد
قبلك انه اذا انفى ولد ام الولد لاعن والاول تحصيل
مذهب الامام مالك رحمه الله تعالى وهو الصواب
وقال الامام ابو حنيفة رضى الله تعالى عنه
لا يصح اللعان الا من زوجين حرين مسلمين وذلك
لان اللعان عنده شهادة وعندنا وعند الشافعى
رحمه الله تعالى يمين فكل من صحت يمينه صح
قذفه ولعانه واتفقوا على انه لا بد ان يكونا
مكلفين وفى قوله صلى الله عليه وسلم وجد مع
امراته رجلا دليل على ان الملاعنة تجب على
كل زوجين لانه لم يخص رجلا من رجل ولا امراة
من امراة ونزلت اية اللعان على هذا الجواب
فقال والذين يرمون ازواجهم لم يخص زوجا
من زوج والى هذا ذهب مالك واهل المدينة وهو
قول الشافعى واحمد واسحق وابى عبيد وابى ثور
وايضا فان اللعان يوجب فسخ النكاح فاشبه الطلاق
فكل من يجوز طلاقه يجوز لعانه واللعان ايمان هى
لا شهادات قال الله تعالى لشهادتنا احق من شهادتهما
اى ايماننا وقال اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك
لرسول الله ثم قال اتخذوا ايمانهم جنة وقال
عليه الصلاة والسلام لولا الايمان لكان لى ولها
شان واما ما احتج به الشافعى الثورى وابو حنيفة فهى
حجج لا تقوم على ساق منها حديث عمرو بن شعيب
عن ابيه عن جده عبد الله بن عمرو قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اربعة ليس بينهم لعان
ليس بين الحر والامة لعان وليس بين الحرة والعبد
لعان وليس بين المسلم واليهودية لعان وليس
بين المسلم والنصرانية لعان اخرجه الدارقطنى
من طرق ضعفها كلها وروى عن الاوزاعى وابن جريج
وهما امامان عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده
ولم يرفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم واحتجوا

من

من جملة المنظرات الازواج لما استثنوا من جملة
الشهداء بقوله تعالى ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم
وجب ان لا يلاعن الا من تجوز شهادته وايضا فلو كانت
يمينا ما رددت والحكمة فى ترديدها قيامها فى الاعداد
مقام الشهود فى الزنا قلنا هذا يبطل بيمين القسامة
فانها تكرر وليست بشهادة اجماعا والحكمة فى تكرارها
التغليظ فى الفروج والدية قال ابن العربى والفيصل
فى انها شهادة او يمين لا شهادة ان الزوج يحلف لنفسه
فى اثبات دعواها وتخليصه من العذاب وكيف يجوز
لاحد ان يدعى فى الشريعة ان شاهدا يشهد لنفسه
بما يوجب حكما على غيره هذا بعيد فى الاصل معدوم
فى النظر **المسئلة السادسة** اختلف العلما
رحمهم الله تعالى فى ملاعنة الاخرس فقال الامام
مالك والامام الشافعى رحمهما الله تعالى يلاعن لانه
ممن يصح طلاقه وظهاره وايلاؤه اذا افهم ذلك عنه
وقال ابو حنيفة رضى الله تعالى عنه لا يلاعن لانه
ليس من اهل الشهادة ولانه قد ينطلق لسانه
فينكر اللعان فلا يمكننا اقامة الحد عليه وقد تقدم
هذا المعنى فى تفسير سورة مريم عليها الصلاة
والسلام والدليل عليه والحمد لله رب العالمين
المسئلة السابعة قال ابن العربى راى ابو
حنيفة عموم الاية فقال ان الرجل اذا قذف زوجته
بالزنا قبل ان يتزوجها فانه يلاعن ونسى ان ذلك
قد تضمنه قوله تعالى والذين يرمون المحصنات
وهذا رماها محصنة غير زوجة وانما يكون اللعان
فى قذف يلحق فيه النسب وهذا قذف فلا يلحق فيه
نسب فلا يوجب لعانا كما لو قذف اجنبية **المسئلة
الثامنة** اذا قذفها بعد الطلاق نظرت فان كان
هنالك نسب فلا يوجب لعانا كما لو قذف اجنبية
اذا قذفها بعد الطلاق نظرت فان كان هنالك نسب
يريد ان ينفيه او حمل يتبرا منه لاعن والا لم

يلاعن ويحد الشهود الثلاثة وهو احد قولي الشافعي
رحمه الله تعالى والقول الثاني انهم لا يحدون وقال
ابو حنيفة اذا شهد الزوج والثلاثة ابتداء قبلت
شهادتهم وحدت المراة ودليلنا قوله تعالى والذين
يرمون المحصنات الاية فاخبر ان من قذف محصنا
ولم ياتي باربعة شهداء حد والزوج رام لزوجته
فخرج ان يكون احد الشهود والله اعلم **المسئلة
السادسة عشرة** اذا ظهر بامراة حمل
فترك ان ينفيه لم يكن له نفيه بعد سكوته
وقال شريح ومجاهد له ان ينفيه ابدا وهذا اخطا
لان سكوته بعد العلم به رضى كما لو اقر به ثم
ينفيه فانه لا يقبل منه والله اعلم **المسئلة
السابعة عشرة** فان اخر ذلك الى ان وضعت
وقال رجوت ان يكون ريحا ينفش او تسقطه
فاستريح من القذف فهل لنفيه بعد وضعه مدة
فاما اذا جاوزها لم يكن له ذلك فقد اختلف
في ذلك نحن نقول ان لم يكن له عذر في سكوته
حتى مضت ثلاثة ايام فهو راض به ليس له نفيه
على ما جرت به العادة من تمكنه من الحاكم فلم يفعل
لم يكن له نفيه من بعد ذلك وبهذا قال الامام
مالك رحمه الله تعالى انه ان ترك اليوم واليومين
لم يكن له نفيه وقال الامام ابو حنيفة رحمه
تعالى لا اعتبر مدة وقال ابو يوسف ومحمد يعتبر
فيه اربعون يوما مدة النفاس قال ابن القصار
والدليل لقولنا هو ان نفي ولده محرم عليه
واستلحاق ولد ليس منه محرم عليه فلا بد ان
يوسع عليه لكي ينظر فيه ويفكر هل يجوز له نفيه
اولا وانما جعلنا الحد ثلاثة لانه اول حد الكثرة واخر
حد القلة وقد جعلت ثلاثة ايام يختبر بها حال
المصراة فكذلك ينبغي ان تكون هنا واما ابو
يوسف ومحمد فليس اعتبارهم باولى من اعتبار مدة

الولادة والرضاع اذ لا شاهد لهم في الشريعة وقد ذكرنا
نحن شاهدا في الشريعة من مدة المصراة والله اعلم
المسئلة الثامنة عشرة قال ابن القصار اذا قالت
امراة لزوجها او لاجنبي يا زانيه بالهاء وكذلك الاجنبي
للاجنبي فلست اعرف فيه نصا لاصحابنا ولكنه عندي
يكون قذفا وعلى قائله الحد وقد ذكرناه وبه قال
الشافعي ومحمد بن الحسن وقال ابو حنيفة وابو يوسف
لا يكون قذفا واتفقوا انه اذا قال لامراته يا زان انه قذف
والدليل على انه يكون في الرجل قذفا هو ان الخطاب
اذا فهم منه معناه ثبت حكمه سواء كان بلفظ اعجمي
او عربي الا ترى انه اذا قال للمراة زنيت بفتح التاء
كان قذفا لان معناه يفهم منه ولابي حنيفة وابي
يوسف انه اجاز ان يخاطب المؤنث بخطاب المذكر
كقوله تعالى وقال نسوة صلح ان يكون قوله يا زان
للمؤنث قذفا ولم يجز ان يؤنث فعل المذكر اذ اتفقتم
عليه لم يكن خطابه بالمؤنث حكم والله تعالى اعلم
المسئلة التاسعة عشرة يلاعن في النكاح
الفاسد زوجته لانها صارت فراشا ويلحق النسب
فيه فيجري اللعان عليه والله سبحانه وتعالى اعلم
المسئلة الموفية عشرين اختلفوا في الزوج
اذا ابى من الالتعان فقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى
لا حد عليه لان الله تعالى جعل على الاجنبي
الحد وعلى الزوج اللعان فلما لم ينتقل اللعان
الى الاجنبي لم ينتقل الحد الى الزوج ويحبس
ابدا حتى يلاعن لان الحدود لا تؤخذ قياسا وقال
مالك والشافعي وجمهور الفقهاء رحمهم الله تعالى
انه لم يلتعن الزوج حد لان اللعان له براءة كما
في الشهود للاجنبي فان لم ياتي الاجنبي باربعة
شهداء حد فكذلك الزوج ان لم يلتعن وفي
حديث العجلاني ما يدل على هذا القول ان سكت
سكت على غيظ وان قتلت قتلت وان نطقت

الى قذفه وقال الشافعى رحمه الله تعالى لا حد
عليه لان الله عز وجل لم يجعل على من رمى
زوجته بالزنا الا حدا واحدا بقوله تعالى والذين
يرمون ازواجهم ولم يفرق بين من ذكر رجلا
بعينه وبين من لم يذكره وقد رمى العجلانى
زوجته بشريك وكذلك هلال بن امية ولم
يحد واحد منهما قال ابن العربى وظاهر القران
لنا لان الله تعالى وضع الحد فى قذف الاجنبى
والزوجة مطلقين ثم خص حد الزوجة بالخلاص
باللعان وبقى الاجنبى على مطلق الاية وانما لم
يحد العجلانى لشريك ولا هلال لانه لم يطلبه وحد
القذف لا يقيمه الامام الا بعد المطالبة اجماعا
منا ومنه

المسئلة الخامسة والعشرون

اذا فرغ المتلاعنان من تلاعنهما جميعا تفرقا
وخرج كل واحد منهما على باب من المسجد الجامع
غير الباب الذى يخرج منه صاحبه ولو خرجا من
باب واحد لم يضر ذلك لعانهما ولا خلاف فى انه
لا يكون اللعان الا فى مسجد جامع يجمع فيه الجمعة
بحضرة السلطان او من يقوم مقامه من الحكام
وقد استحب جماعة من اهل العلم ان يكون اللعان
فى الجامع بعد العصر وتلتعن النصرانية مع زوجها
المسلم فى الموضع الذى تعظمه من كنيستها بمثل
ما تلتعن به المسلمة

المسئلة السادسة والعشرون

قال مالك واصحابه وبتمام اللعان
تقع الفرقة بين المتلاعنين ولا يجتمعان ابدا ولا
يتوارثان ولا تحل له مراجعتها ابدا لا قبل زوج
ولا بعده وهو قول الليث بن سعد وزفر بن
الهذيل والاوزاعى وقال ابو حنيفة وابو يوسف
ومحمد بن الحسن لا تقع الفرقة بعد فراغهما من
اللعان حتى يفرق الحاكم بينهما وهو قول الثورى
لقول ابن عمر رضى الله تعالى عنه فرق رسول

الله صلى الله عليه وسلم بين المتلاعنين فاضاف
الفرقة اليه ولقوله عليه الصلاة والسلام لا سبيل
لك عليها وقال الشافعى رضى الله تعالى عنه
اذا اكمل الزوج الشهادة والالتعان فقد زال
فراش امراته التعنت او لم تلتعن قال واما التعان
المراة فانما هو لدرء الحد عنها لا غير وليس لالتعانها
فى زوال الفراش معنى ولما كان لعان الزوج ينفى
الولد ويسقط الحد رفع الفراش وكان عثمان البتى
لا يرى التلاعن ينقص شيئا من عصمة الزوجين
حتى يطلق وهذا قول لم يتقدمه اليه احد من
الصحابة رضى الله تعالى عنهم على ان البتى قد
استحب للملاعن ان يطلق بعد اللعان ولم يستحسنه
قبل ذلك فدل على ان اللعان عنده قد احدث
حكما وبقول عثمان قال جابر بن زيد فيما ذكره الطبرى
وحكاه اللخمى عن محمد بن ابى صفرة ومشهور المذهب
ان نفس تمام اللعان بينهما فرقة واحتج اهل هذه
المقالة بانه ليس فى كتاب الله تعالى اذا لاعن
او لاعنت يجب وقوع الفرقة وبقول عويمر كذبت عليها
ان امسكتها فطلقها ثلاثا قال ولم ينكر النبى صلى
الله عليه وسلم ذلك عليه ولم يقل له لم قلت هذا
وانت لا تحتاج اليه لان باللعان قد طلقت والحجة
لمالك فى المشهور ومن وافقه قوله عليه الصلاة
والسلام لا سبيل لك عليها وهذا اعلام منه
ان تمام اللعان رفع سبيله عليها وليس تفريقه
بينهما باستيناف حكم وانما كان تنفيذا لما اوجب
الله تعالى بينهما من المباعدة وهو معنى اللعان فى
اللغة

المسئلة السابعة والعشرون

ذهب
الجمهور من العلماء رحمهم الله تعالى ان المتلاعنين
لا يتناكحان ابدا وان اكذب نفسه جلد الحد ولحق
به الولد ولم ترجع اليه ابدا وعلى هذا السنة التى
لا شك فيها ولا اختلاف وذكر ابن المنذر عن عطاء ان

نعم فقعدت عايشة فقالت والله لئن حلفت
لا تصدقوني ولئن قلت لا تعذروني مثلي
ومثلكم كيعقوب وبنيه فالله المستعان على
ما تصفون قالت فانصرف ولم يقل شيئا فانزل
الله سبحانه وتعالى عذرها قالت بحمد الله لا بحمد
احد ولا بحمدك قال ابو عبد الله الحميدي كان
بعض من لقينا من الحفاظ البغداديين يقول
الارسال في هذا الموضع الحديث ابين واستدل
على ذلك بان ام رومان توفيت في حياة النبي صلى
الله عليه وسلم ومسروق لم يشاهد النبي صلى
الله عليه وسلم بلا خلاف وللبخاري من حديث
عبيد الله بن عبد الله بن ابي مليكة ان عايشة
رضي الله تعالى عنها كانت تقرأ اذ تلقونه بالسنتكم
وتقول الولق الكذب قال ابن ابي مليكة وكانت
اعلم بذلك من غيرها لانه نزل فيها قال البخاري
وقال معمر بن راشد عن الزهري وكان حديث
الافك في غزوة المريسيع قال ابن اسحاق وذلك
سنة ست وقال موسى بن عقبة عنه سنة اربع
واخرج البخاري من حديث معمر عن الزهري قال
قال لي الوليد بن عبد الملك ابلغك ان عليا كان
فيمن قذف قال قلت لا ولكن قد اخبرني رجلان
من قومك ابو سلمة بن عبد الرحمن وابو بكر بن
عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ان عايشة رضي
الله تعالى عنها قالت لهما كان علي مسلما في شانها
واخرجه ابو بكر الاسماعيلي في كتابه المخرج على
الصحيح من وجه اخر من حديث معمر عن الزهري
وفيه قال كنت عند الوليد بن عبد الملك فقال
الذي تولى كبره منهم علي بن ابي طالب فقلت لا
حدثني سعيد بن المسيب وعلقمة وعروة وعبيد
الله بن عبد الله بن عتبة كلهم يقول سمعت
عايشة تقول والذي تولى كبره منهم عبد الله بن

ابي

ابي **الثانية** قوله تعالى بالافك الافك الكذب
والعصبة ثلاثة رجال قاله ابن عباس رضي الله
تعالى عنه وعنه ايضا من الثلاثة الى العشرة
ابن عيينة اربعون رجلا مجاهد من عشرة الى
خمسة عشر واصلها في اللغة وكلام العرب الجماعة
الذين يتعصب بعضهم لبعض والخير حقيقته
ما زاد نفعه على ضره والشر ما زاد ضره على
نفعه وان خيرا لا شر فيه هو الجنة وشرا لا خير
فيه هو جهنم فاما البلاء النازل على الاولياء فهو
خير لان ضرره من الالم قليل في الدنيا وخيره
هو الثواب الكثير في الاخرى فنبه الله سبحانه
وتعالى عايشة واهلها وصفوان الخطاب لهم
في قوله لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لرجحان
النفع والخير على جانب الشر **المسئلة**
الثالثة لما خرج صلى الله عليه وسلم بعايشة
رضي الله تعالى عنها معه في غزوة بني المصطلق
وهي غزوة المريسيع وقفل ودنى من المدينة
اذن ليلة بالرحيل قامت حين اذنوا بالرحيل
فمشت حتى جاوزت الجيش فلما فرغت من شانها
اقبلت الى الرحل لمست صدرها فاذا عقد من
جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمسته فحبسها
ابتغاؤه فوجدته وانصرفت فلم تجد احدا وكانت
شابة قليلة اللحم فرفع الرجال هودجها ولم
يشعروا بزوالها منه فلما لم تجد احدا اضطجعت في
مكانها رجاء ان تفتقد فيرجع اليها فنامت في
الموضع ولم يوقظها الا قول صفوان بن المعطل
انا لله وانا اليه راجعون وذلك انه كان تخلف
وراء الجيش لحفظ الساقة وقيل انها استيقظت
لاسترجاعه ونزل عن ناقته وتنحى عنها حتى
ركبت عايشة رضي الله تعالى عنها واخذ يقود بها
حتى بلغ بها الجيش في حر الظهيرة فوقع اهل الافك

المسئلة السادسة فروى محمد بن اسحق وغيره
ان النبى صلى الله عليه وسلم جلد فى الافك رجلين
وامراة مسطحا وحسان وحمنه وذكره الترمذى
وذكره القشيرى عن ابن عباس قال جلد رسول
الله صلى الله عليه وسلم ابن ابى ثمانين جلده وله
فى الاخرة عذاب النار قال القشيرى والذى ثبت
فى الاخبار انه ضرب ابن ابى وضرب حسان وحمنه
واما مسطح فلم يثبت عنه قذف صريح ولكنه كان
يسمع ويشيع من غير تصريح والله اعلم **المسئلة
السابعة** قال الماوردى اختلفوا هل حد
النبى صلى الله عليه وسلم اصحاب الافك على
قولين احدهما انه لم يحد احدا من اصحاب الافك
لان الحدود انما تقام باقرار او بينة ولم يتعبده
الله سبحانه وتعالى ان يقيمها باخباره عنها كما لم
يتعبده بقتل المنافقين وقد اخبر بكفرهم
قلت وهذا فاسد مخالف لنص القران فان
الله عز وجل يقول والذين يرمون المحصنات ثم لم
ياتوا باربعة شهدا اى على صدق قولهم فاجلدوهم
ثمانين جلدة والقول الثانى ان النبى صلى الله
عليه وسلم حد اهل الافك عبد الله بن ابى ومسطح
ابن اثاثة وحسان بن ثابت وحمنه بنت جحش
وفى ذلك قال الشاعر

لقد ذاق حسان الذى كان اهله . وحمنة اذ قالوا هجيرا ومسطح .
وابن سلول ذاق فى الحد خزية . كما خاض فى افك من القول يفصح .
تعاطوا برجم الغيب زوج نبيهم . وسخطة ذى العرش الكريم فابرحوا .
واذوا رسول الله فيها فجللوا . مخازى تبقى عمموها وفضحوا .
فصبت عليهم محصدات كانها . شابيب قطر من ذرى المزن تسفح .

قلت المشهور من الاخبار والمعروف عند العلما
رحمهم الله تعالى ان الذى حد حسان ومسطح وحمنه
ولم يسمع بحد لعبد الله بن ابى روى ابو داود عن
عايشة رضى الله تعالى عنها قالت لما نزل عذرى

قام

قام النبى صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك وتلى القران
فلما نزل من المنبر امر بالرجلين والمراة فضربوا حدهم
وسماهم حسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة
بنت جحش وفى كتاب الطحاوى ثمانين ثمانين قال علماونا
رحمهم الله وانما لم يحد عبد الله بن ابى لان الله سبحانه
وتعالى قد اعد له فى الاخرة عذابا عظيما فلو حد فى الدنيا
لكان ذلك نقصا من عذابه الاخروى وتخفيفا عنه مع ان
الله سبحانه وتعالى قد شهد ببراة عايشة رضى الله
تعالى عنها وبكذب كل من رماها فقد حصلت فايدة الحد
اذ مقصوده اظهار كذب القاذف وبراة المقذوف كما
قال فان لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم
الكاذبون وانما حد هولاء المسلمون ليكفر عنهم
اثم ما صدر عنهم من القذف حتى لا يبقى عليهم
تبعة من ذلك فى الاخرة وقد قال صلى الله عليه
وسلم فى الحدود انها كفارة لمن اقيمت عليه كما فى حديث
عبادة بن الصامت رضى الله تعالى عنه ويحتمل
ان يقال انما ترك حد ابن ابى استيلافا لقومه واحترا ما
لابنه واطفاء لنايرة الفتنة المتوقعة من ذلك
وقد كان ظهر مباديها من سعد بن عبادة ومن قومه
كما فى صحيح مسلم والله سبحانه وتعالى اعلم **المسئلة
الثامنة** قوله تعالى لولا اذ سمعتموه ظن المومنون
والمومنات بانفسهم خيرا الاية هذا عتاب
من الله سبحانه وتعالى للمومنين فى ظنهم حين قال
اصحاب الافك ما قالوا قال ابن زيد ظن المومنون
ان المومن لا يفجر بامه قاله المهدوى ولولا بمعنى
هلا وقيل المعنى انه كان ينبغى ان يقاس فضلاء
المومنين والمومنات الامر على انفسهم فان كان
ذلك يبعد فيهم فذلك فى عايشة وصفوان رضى
الله تعالى عنهما ابعد وروى ان هذا النظر السديد
وقع من ابى ايوب الانصارى وامراته وذلك انه
دخل عليها فقالت له يا ابا ايوب اسمعت ما قيل

فقال نعم وذلك الكذب اكنت انت يا ام ايوب
تفعلين ذلك قالت لا والله قال فعايشة رضى
الله تعالى عنها افضل منك قالت ام ايوب نعم فهذا
الفعل ونحوه هو الذى عاتب الله سبحانه وتعالى
على المؤمنين اذ لم يفعله جميعهم **المسئلة
التاسعة** قوله تعالى بانفسهم قال النحاس
معنى بانفسهم باخوانهم فاوجب الله سبحانه وتعالى
على المسلمين اذا سمعوا رجلا يقذف احدا ويذكره
بقبيح لا يعرفونه به ان ينكروا عليه ويكذبوه وتواعد
من ترك ذلك ومن نقله قلت ولاجل هذا قال
العلماء رحمهم الله تعالى ان الاية اصل فى ان درجة
الايمان التى حازها الانسان ومنزلة الصلاح التى
حلها المرء ولبسة العفاف التى يستتر بها المسلم
لا يزيلها عنه خبر محتمل وان شاع اذا كان اصله
فاسدا او مجهولا والله اعلم **المسئلة العاشرة**
قوله تعالى لولا جاءوا عليه باربعة شهداء هذا التوبيخ
لاهل الافك ولولا بمعنى هلا اى هلا جاءوا عليه باربعة
شهداء على ما زعموا من الافترا وهذا رد على الحكم
الاول واحالة على الاية السابقة فى اية القذف
والله اعلم **المسئلة الحادية عشرة**
قوله تعالى فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند
الله هم الكاذبون اى هم فى حكم الله كاذبون
وقد يعجز الرجل عن اقامة البينة وهو صادق فى
قذفه ولكنه فى حكم الشرع وظاهر الامر كاذب لا فى
علم الله وهو سبحانه وتعالى انما رتب الحدود
على حكمه الذى شرعه فى الدنيا لا على مقتضى
علمه الذى تعلق بالانسان على ما هو عليه فانه
ينبنى على ذلك حكم الاخرة قلت ومما يقوى هذا
المعنى ويعضده ما خرجه البخارى عن عمر بن الخطاب
رضى الله تعالى عنه انه قال ايها الناس ان الوحى
قد انقطع وانما ناخذكم الان بما ظهر من اعمالكم فمن

اظهر

اظهر لنا خيرا امناه وقربناه وليس لنا من سريرته
شئ الله فى سريرته ومن اظهر لنا سوءا لم نامنه
ولم نصدقه وان قال ان سريرته حسنة واجمع
العلماء رحمهم الله تعالى ان احكام الدنيا على الظاهر
وان السرائر الى الله عز وجل والله سبحانه وتعالى
اعلم **المسئلة الثانية عشرة** قوله
تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته فضل رفع
بالابتداء عند سيبويه والخبر محذوف لا يظهر العرب
وحذف جواب لولا لانه قد ذكر مثله بعد قال
الله عز وجل ولولا فضل الله عليكم ورحمته
لمسكم اى بسبب ما قلتم فى عايشة رضى
الله تعالى عنها عذاب عظيم فى الدنيا والاخرة
وهذا عتاب من الله سبحانه وتعالى بليغ ولكنه
برحمته ستر عليكم فى الدنيا ويرحم فى الاخرة
من اتاه تائبا والافاضة الاخذ فى الحديث وهو
الذى وقع عليه العتاب يقال افاض القوم فى الحديث
اى اخذوا فيه **المسئلة الثالثة عشرة**
قوله تعالى اذ تلقونه بالسنتكم قراءة محمد بن
السميفع بضم التاء وسكون اللام وضم القاف
من الالقاء وهذه قراءة بينة وقرا ابى وابن مسعود
رضى الله تعالى عنه اذ تتلقونه من التلقى بتاءين
وقرا جمهور السبعة بحذف التاء الواحدة واظهار
الذال دون ادغام وهو ايضا من التلقى وقرا
ابو عمرو وحمزة والكسائى بادغام الذال فى التاء
وقرا ابن كثير باظهار الذال وادغام التاء فى التاء
وهذه قراءة قلقة لانها تقتضى اجتماع ساكنين
وليست كالادغام فى قراءة من قرا الا تناجوا ولا تنابزوا
لان لدونه الالف الساكنة وكونها حرف لين
حسنت هنالك ما لا يحسن مع سكون الذال وقرا
ابن يعمر وعايشة رضى الله تعالى عنها وهم اعلم
الناس بهذا الامر اذ تلقونه بفتح التاء وكسر اللام

وضم القاف ومعنى هذه من قول العرب ولق الرجل يلق ولقا اذا كذب واستمر عليه وجاوا بالمتعدى شاهدا على غير المتعدى قال ابن عطية وعندى انه اراد اذ تلقون فيه فحذف حرف الجر فاتصل الضمير وقال الخليل وابو عمرو اصل الولق الاسراع يقال جاءت الابل تلق اى تسرع قال

لما رأوا جيشا عليهم قد طرق ✱ جاؤا باسراب من الشام ولق

وقال آخر

ان الحصين زلق وزملق ✱ جاءت به عنس من الشام تلق

يقال رجل زلق وزملق مثال هدلة وزمالق وزملق بتشديد الميم وهو الذى ينزل قبل ان يجامع قال الراجز

ان الحصين زلق وزملق

والزلق ايضا اخف الطعن وقد ولقه يلقه ولقا يقال ولقه بالسيف ولقات اى ضربات فهو مشترك **المسئلة الرابعة عشرة** قوله تعالى وتقولون بافواهكم مبالغة والزام وتاكيد والضمير فى وتحسبونه عائد على الحديث والخوض فيه والاذاعة له وهينا اى شيئا يسيرا لا يلحقكم فيه اثم وهو عند الله عظيم وهذا مثل قوله عليه الصلاة والسلام فى حديث القبرين انهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير اى بالنسبة اليكم والله تعالى اعلم **المسئلة الخامسة عشرة** قوله تعالى لولا اذ سمعتموه الى قوله حكيم لحمتع اى لكان ينبغى عليكم ان تنكروه ولا يتعاطاه بعضكم من بعض على جهة الحكاية والنقل وان تنزهوا الله سبحانه وتعالى عن ان يقع هذا من زوج نبيه عليه الصلاة والسلام وان تحكموا على هذه المقالة بانها بهتان وحقيقة البهتان ان تقول فى الانسان ما ليس فيه والغيبة ان تقول فى الانسان ما فيه وهذا المعنى قد جاء فى صحيح الحديث عن النبى صلى

الله عليه وسلم ثم وعظ الله سبحانه وتعالى فى العود الى مثل هذه الحالة وان مفعول من اجله بتقدير كراهية ان ونحوه والله سبحانه وتعالى اعلم **المسئلة السادسة عشرة** قوله تعالى ان كنتم مومنين توقيف وتاكيد كما تقول ينبغى لك ان تفعل كذا وكذا ان كنت رجلا **المسئلة السابعة عشرة** قوله تعالى يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا يعنى فى عائشة رضى الله تعالى عنها لان مثله لا يكون الا نظير القول فى المقول عنه بعينه او فى كل من كان فى مرتبته من ازواج النبى صلى الله عليه وسلم لما فى ذلك من اذاية رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عرضه واهله وذلك كفر من فعله والله سبحانه وتعالى اعلم **المسئلة الثامنة عشرة** قال هشام بن عمار سمعت مالكا رحمه الله تعالى يقول من سب ابا بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما ادب ومن سب عائشة رضى الله تعالى عنها قتل لان الله سبحانه وتعالى يقول يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مومنين فمن سب عائشة رضى الله تعالى عنها فقد خالف القران ومن خالف القران قتل قال ابن العربى قال اصحاب الشافعى رحمهم الله تعالى من سب عائشة رضى الله تعالى عنها ادب كما فى سائر المومنين وليس قوله ان كنتم مومنين فى عائشة رضى الله تعالى عنها كفرا وانما هو كما قال عليه الصلاة والسلام لا يومن من لا يامن جاره بوائقه ولو كان سلب الايمان فى سب من سب عائشة رضى الله تعالى عنها حقيقة قلنا ليس كان كما زعمتم ان اهل الافك رموا عائشة رضى الله تعالى عنها المطهرة بالفاحشة فبرأها الله سبحانه وتعالى فكان من سبها مما برأها الله سبحانه وتعالى منه مكذبا لله ومن كذب الله سبحانه وتعالى فهو كافر فهذا طريق

عايشة رضى الله تعالى عنها فنزلت الاية فى جميعهم
والاول اصح غير ان الاية تتناول الامة الى يوم
القيامة بان لا يغتاظ ذو فضل وسعة فيحلف ان لا
ينفع من هذه صفته غابر الدهر روى الصحيح ان
الله سبحانه وتعالى لما انزل قوله ان الذين جاوا
بالافك عصبة منكم عشر ايات قال ابو بكر رضى
الله تعالى عنه وكان ينفق على مسطح لقرابته
وفقره والله لا انفق عليه شيا بعد الذى قال
لعايشة فانزل الله سبحانه وتعالى ولا ياتل اولوا
الفضل منكم والسعة الى قوله الا تحبون ان يغفر
الله لكم قال عبد الله بن المبارك هذه ارجى
اية فى كتاب الله تعالى فقال ابو بكر رضى الله
تعالى عنه انى لاحب ان يغفر الله لى فرجع الى مسطح
النفقة التى كان ينفق عليه وقال لا انزعها منه
ابدا **المسئلة الثانية والعشرون**
فى هذه الاية دليل على ان القذف وان كان كثيرا
لا يحبط الاعمال لان الله سبحانه وتعالى وصف مسطح
بعد قوله بالهجرة والايمان وكذلك ساير الكباير
ولا يحبط الاعمال غير الشرك قال الله سبحانه وتعالى
لئن اشركت ليحبطن عملك والله اعلم **المسئلة
الثالثة والعشرون** فمن حلف على شى لا يفعله
فراى فعله اولى منه اتاه وكفر عن يمينه او كفر عن
يمينه واتاه كما تقدم فى تفسير سورة المايدة وراى
الفقهاء ان من حلف ان لا يفعل سنة من السنن
او مندوبا وابد ذلك انما جرحه فى شهادته ذكره
الباجى فى المنتقى والله تعالى اعلم **المسئلة
الرابعة والعشرون** قوله تعالى ولا ياتل معناه
يحلف وزنها يفتعل من الالية وهى اليمين ومنه قوله
تعالى للذين يولون من نسايهم وقد تقدم فى تفسير
سورة البقرة وقالت فرقة معناه يقصر من قولك
الوت فى كذا اذا قصرت فيه ومنه قوله تعالى لا يالونكم

خبالا والله اعلم **المسئلة الخامسة والعشرون**
قوله تعالى الا تحبون ان يغفر الله لكم تمثيل وحجة اى كما
تحبون عفو الله عن ذنوبكم فكذلك اغفروا لذنوبكم ونظير
هذا المعنى قوله عليه الصلاة والسلام من لا يرحم لا يرحم
المسئلة السادسة والعشرون قال بعض
العلما رحمهم الله تعالى هذه ارجى اية فى كتاب الله سبحانه
وتعالى من حيث لطف الله بالقذفة العصاة بهذا اللفظ
وقيل ارجى اية فى كتاب الله عز وجل قوله تعالى
وبشر المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا وقد قال
الله سبحانه وتعالى فى اية اخرى والذين امنوا وعملوا
الصالحات فى روضات الجنات لهم ما يشاون عند
ربهم ذلك هو الفضل الكبير فشرح الفضل الكبير
فى هذه الاية وبشر به المومنين فى تلك ومن ايات
الرجا قوله تعالى يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم
وقوله سبحانه وتعالى الله لطيف بعباده وقال بعضهم
ارجى اية فى كتاب الله سبحانه وتعالى ولسوف يعطيك
ربك فترضى وذلك ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا يرضى ببقاء احد من امته فى النار والله
سبحانه وتعالى اعلم **المسئلة السابعة
والعشرون** قوله تعالى ان يوتوا اى لا يوتوا فحذف
لا كقول القايل

فقلت يمين الله ابرح قاعدا

ذكره الزجاج وعلى قول ابى عبيدة لا حاجة الى اضمار
لا وليعفوا من عفا الربع اى درس فهو محو الذنب
حتى يعفوا كما يعفوا اثر الربع **قوله تعالى** ان الذين
يرمون المحصنات الغافلات المومنات فيه مسئلتان
المسئلة الاولى قوله تعالى المحصنات تقدم
فى تفسير سورة النسا واجمع العلما رحمهم الله تعالى
على ان حكم المحصنين فى القذف حكم المحصنات
قياسا واستدلالا وقد بينا اول السورة والحمد لله
واختلف فيمن المراد بهذه الاية فقال سعيد بن جبير

من القول للخبيثين من الرجال وكذا الخبيثون من
الناس للخبيثات من القول وكذا الكلمات الطيبات
من القول للطيبين من الناس والطيبون من الناس
للطيبات من القول قال النحاس في كتاب معاني
القرآن وهذا احسن ما قيل في هذه الاية ودل
على صحة هذا القول اولئك مبرؤن مما يقولون
اي عائشة وصفوان رضي الله تعالى عنهما مما يقول
الخبيثون والخبيثات وقيل ان هذه الاية مبنية
على قوله تعالى الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة
الاية فالخبيثات الزواني والطيبات العفايف
وكذا الطيبون والطيبات واختار هذا القول النحاس
ايضا وهو معنى قول ابن زيد اولئك مبرؤن مما
يقولون يعني به الجنس وقيل عائشة وصفوان
رضي الله تعالى عنهما فجمع كما قال فان كان له اخوة
والمراد اخوان قاله الفرا ومبرؤن يعني منزهين
مما رموا به قال بعض اهل التحقيق ان يوسف عليه
الصلاة والسلام لما رمي بالفاحشة برأه الله على
لسان صبي في المهد وان مريم عليها الصلاة والسلام
لما رميت بالفاحشة برأها الله سبحانه وتعالى على
لسان ابنها عيسى عليه الصلاة والسلام وان عائشة
رضي الله تعالى عنها لما رميت بالفاحشة برأها
الله سبحانه وتعالى بالقرآن فما رضي لها ببراءة صبي
ولا نبي حتى برأها الله سبحانه وتعالى بكلامه من القذف
والبهتان وروى علي بن زيد بن جدعان عن جدته
عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت لقد اعطيت
تسعا ما اعطيهن امرأة لقد نزل جبريل عليه الصلاة
والسلام بصورتي في راحته حين امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يتزوجني ولقد تزوجني
بكرا وما تزوج بكرا غيري ولقد توفي صلى الله عليه
وسلم وان راسه لفي حجري ولقد قبر في بيتي ولقد
حفت الملائكة عليهم الصلاة والسلام ببيتي وان كان

الوحي لينزل عليه وهو في اهله فيتفرقون عنه وان
كان لينزل عليه وانا معه في لحافه فما يبينني عن
جسده وان لابنة خليفته وصديقه ولقد نزل
عذري من السماء ولقد خلقت طيبة وعند طيب ولقد
وعدت مغفرة ورزقا كريما يعني قوله سبحانه وتعالى
اولئك لهم مغفرة ورزق كريم وهو الجنة والله
اعلم **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا
بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها
فيه سبع عشرة مسئلة **المسئلة الاولى**
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا لما
خصص الله سبحانه وتعالى ابن ادم الذي كرمه
وفضله بالمنازل وسترهم فيها عن الابصار وملكهم
الاستمتاع بها على الانفراد وحجر على الخلق ان
يطلعوا على ما فيها من خارج او يلجوها من غير اذن
اربابها ادبهم بما يرجع الى الستر عليهم لئلا يطلع
احد منهم على عورة وفي صحيح مسلم عن ابي
هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال من اطلع في بيت قوم بغير
اذنهم حل لهم ان يفقؤا عينه وقد اختلف
في تاويله فقال بعض العلماء رحمهم الله تعالى
ليس هذا على ظاهره فان فقأ فعليه الضمان والخبر
منسوخ وكان قبل نزول قوله سبحانه وتعالى
وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ويحتمل
ان يكون خرج على وجه الوعيد لا على وجه الحتم
والخبر اذا كان مخالفا لكتاب الله سبحانه وتعالى
فلا يجوز العمل به وقد كان النبي صلى الله عليه
وسلم يتكلم بالكلام في الظاهر وهو يريد شيئا
اخر كما جاء في الخبر ان عباس بن مرداس لما مدحه
قال لبلال قم فاقطع لسانه وانما اراد بذلك ان
يدفع اليه شيئا ولم يرد به القطع في الحقيقة
وكذلك هذا يحتمل ان يكون ذكر فقأ العين والمراد

ان يعمل به عملا حتى لا ينظر بعد ذلك فى بيت غيره
وقال بعضهم لا ضمان عليه ولا قصاص وهو الصحيح ان
شاء الله تعالى لحديث انس رضى الله تعالى عنه على
ما بان **المسئلة الثانية** سبب نزول هذه
الاية ما رواه الطبرى وغيره عن عدى بن ثابت ان
امراة من الانصار قالت يا رسول الله انى اكون فى
بيتى على حال لا احب ان يرانى عليها احد لا والد ولا ولد
فياتى الاب فيدخل على وانه لا يزال يدخل على
رجل من اهلى وانا على تلك الحال فكيف اصنع
فنزلت الاية فقال ابوبكر الصديق رضى الله تعالى
عنه يا رسول الله افرايت الخانات والمساكن فى
طرق الشام ليس فيها ساكن فانزل الله سبحانه
وتعالى ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير
مسكونة **المسئلة الثالثة** مد الله
سبحانه وتعالى التحريم فى دخول بيت ليس هو
بيتك الى غاية هى الاستيناس وهو الاستيذان
قال ابن وهب قال مالك رحمه الله تعالى الاستيناس
فيما نرى والله اعلم الاستيذان وكذلك فى قراءة
ابى وابن مسعود وسعيد بن جبير حتى تستاذنوا
وتسلموا على اهلها وقيل ان معنى تستانسوا تستعلموا
اى تستعلموا من فى البيت قاله مجاهد بالتنحنح او باى
وجه امكن ويتانى قدر ما يعلم انه قد شعر به
ويدخل اثر ذلك وقال معناه الطبرى ومنه قوله
سبحانه وتعالى فان انستم منهم رشدا اى علمتم
وقال الشاعر

انست نباة واقرعها القناص عصرا وقد دنا الامساء

قلت وفى سنن ابن ماجة حدثنا ابوبكر
ابن ابى شيبة حدثنا عبد الرحيم بن سليمان عن
واصل بن السايب عن ابى سودة عن ابى ايوب
الانصارى قلنا يا رسول الله هذا السلام فما الاستيناس
فما الاستيناس قال يتكلم الرجل بتسبيحة وتكبيرة

وتحميده

وتحميده ويتنحنح يوذن اهل البيت قلت وهذا
نص فى ان الاستيناس غير الاستيذان كما قال
مجاهد ومن وافقه والله تعالى اعلم **المسئلة
الرابعة** روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه
وبعض الناس يقول عن سعيد بن جبير حتى تستانسوا
خطاء او وهم من الكاتب انما هو حتى تستاذنوا وهذا
غير صحيح عن ابن عباس وغيره فان مصاحف الاسلام
كلها قد ثبت فيها حتى تستانسوا وصح الاجماع فيها من
لدن مدة عثمان رضى الله تعالى عنه فهى التى لا يجوز
خلافها واطلاق الخطا والوهم على الكتاب فى لفظ اجمع
الصحابة رضى الله تعالى عنهم عليه قول لا يصح عن
ابن عباس رضى الله تعالى عنه وقد قال الله جل
وعز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل
من حكيم حميد وقال الله سبحانه وتعالى انا نحن نزلنا
الذكر وانا له لحافظون وقد روى عن ابن عباس رضى
الله تعالى عنه ان فى الكلام تقديما وتاخيرا والمعنى
حتى تسلموا على اهلها وتستانسوا حكاه ابو حاتم قال
ابن عطية ومما ينفى هذا القول عن ابن عباس وغيره
ان يستانسوا متمكنة فى المعنى بينة الوجه فى كلام
العرب وقد قال عمر رضى الله تعالى عنه للنبى صلى
الله عليه وسلم استانس يا رسول الله وعمر واقف
على باب الغرفة الحديث المشهور وذلك يقتضى
انه طلب الانس به صلى الله عليه وسلم فكيف
يخطى ابن عباس رضى الله عنه اصحاب الرسول
فى مثل هذا قلت قد ذكرنا من حديث ابى ايوب
رضى الله تعالى عنه ان الاستيناس انما يكون
قبل السلام وتكون الاية على بابها لا تقديم فيها
ولا تاخير وانه اذا دخل سلم والله سبحانه وتعالى
اعلم **المسئلة الخامسة** السنة فى الاستيذان
ثلاث مرات لا يزاد عليها قال ابن وهب قال مالك
رحمه الله تعالى الاستيذان ثلاث مرات لا احب

ان يزيد احد عليها الا من علم انه لم يسمع فلا ارى
باسا ان يزيد اذا استيقن انه لم يسمع وصورة الاستيذان
ان يقول الرجل السلام عليكم ادخل فان اذن له
دخل وان امره بالرجوع انصرف وان سكت عنه
استاذن ثلاثا ثم ينصرف بعد الثلاث وانما قلنا
ان السنة فى الاستيذان ثلاث مرات لا يزاد عليها
لحديث ابى موسى الاشعرى رضى الله تعالى عنه
الذى استعمله عمر بن الخطاب رضى الله تعالى
عنه وشهد به لابى موسى ابو سعيد الخدرى ثم ابى
ابن كعب وهو حديث مشهور اخرجه الصحيح وهو نص
صريح فان فيه فقال يعنى عمر ما منعك ان تاتينا
به فقلت اتيت فسلمت على بابك ثلاثا فلم ترد على
فرجعت وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا استاذن احدكم ثلاثا فلم يوذن له فليرجع
واما ما ذكرناه من صورة الاستيذان فلما رواه ابو
داود عن ربعى قال حدثنا رجل من بنى عامر
استاذن على النبى صلى الله عليه وسلم وهو
فى بيت فقال االج قال النبى صلى الله عليه وسلم
لخادمه اخرج الى هذا فعلمه الاستيذان فقل
له قل السلام عليكم اادخل فسمعه الرجل فقال
السلام عليكم اادخل فاذن له النبى صلى الله
عليه وسلم فدخل وذكره الطبرى وقال فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لامة له يقال
لها روضة قولى لهذا يقول السلام عليكم اادخل
الحديث وروى ان ابن عمر رضى الله تعالى عنه اذته
الرمضاء يوما فاتى فسطاط امراة من قريش فقال
السلام عليكم اادخل فقالت المراة ادخل بسلام
فاعاد فاعادت فقال لها قولى ادخل فقالت ذلك
ادخل فتوقف لما قالت بسلام لاحتمال ان
تريد بسلامك لا بشخصك والله سبحانه وتعالى
اعلم **المسئلة السادسة** قال علماؤنا

رحمة الله تعالى عليهم انما خص الاستيذان بثلاث
لان الغالب من الكلام اذا كرر ثلاثا سمع وفهم
ولذلك كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا تكلم
بكلمة اعادها ثلاثا حتى تفهم عنه واذا سلم على
قوم سلم عليهم ثلاثا واذا كان الغالب هذا فاذا لم
يوذن له بعد ثلاث ظهر ان رب المنزل لا يريد الاذن
او لعله يمنعه من الجواب عنه عذر لا يمكنه قطعه
فينبغى للمستاذن ان ينصرف لان الزيادة على
ذلك قد تقلق رب المنزل وربما يضره الالحاح
حتى ينقطع عما كان مشغولا به كما قال النبى صلى
الله عليه وسلم لابى ايوب رضى الله تعالى
عنه حين استاذن عليه فخرج مستعجلا فقال
لعلنا اعجلناك الحديث وروى عقيل عن ابن
شهاب قال انما سنت التسليمات الثلاث ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اتى سعد بن عبادة
فقال السلام عليكم فلم يردوا ثم قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلم يردوا ثم قال
السلام عليكم فلم يردوا فانصرف رسول الله
عليه وسلم فلما فقد سعد تسليمه عرف انه
انصرف فخرج سعد فى اثره حتى ادركه فقال
وعليك السلام يا رسول الله انما اردنا ان نستكثر
من تسليمك وقد والله سمعنا فانصرف رسول
الله صلى الله عليه وسلم مع سعد حتى دخل
بيته قال ابن شهاب فانما اخذ التسليم ثلاثا
من قبل ذلك ورواه الوليد بن مسلم عن الاوزاعى
قال سمعت محمد بن ابى كثير يقول حدثنى محمد
ابن عبد الرحمن بن اسعد بن زرارة قال زارنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منزلنا
فقال السلام عليكم ورحمة الله قال فرد سعد
ردا خفيفا قال قيس فقلت الا تاذن لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال ذره يكثر علينا من

السلام الحديث اخرجه ابو داود وليس فيه قال ابن
شهاب فانما اخذ التسليم ثلاثا من قبل ذلك قال
ابو داود ورواه عمر بن عبد الواحد وان سماعه عن
الاوزاعى مرسلا لم يذكره قيس بن سعد والله
اعلم **المسئلة السابعة** روى عن ابن عباس
رضى الله تعالى عنه ان الاستيذان ترك العمل به
الناس الابواب وقرعها والله اعلم روى ابو داود
عن عبد الله بن بشر قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا اتى باب قوم لم يستقبل الباب
من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الايمن او الايسر
فيقول السلام عليكم السلام عليكم وذلك ان
الدور لم تكن عليها يومئذ ستور والله اعلم
المسئلة الثامنة فان كان الباب مردودا
فله ان يقف حيث شاء منه ويستاذن وان شاء دق
الباب لما رواه ابو موسى الاشعرى ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان فى حايط بالمدينة على قف
البير مدل رجليه فى البير فدق الباب ابو بكر رضى
الله تعالى عنه فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم ايذن له وبشره بالجنة هكذا رواه عبد الرحمن
ابن ابى الزناد وتابعه صالح بن بيسار ويونس بن
يزيد فرووه جميعا عن ابى الزناد عن ابى سلمة عن عبد
الرحمن بن نافع عن ابى موسى وخالفهم محمد بن
عمرو الليثى فرواه عن ابى الزناد عن ابى سلمة عن
نافع عن عبد الحارث عن النبى صلى الله عليه وسلم
كذلك واسناد الاول اصح والله سبحانه وتعالى اعلم
المسئلة التاسعة وصفة الدق ان يكون
خفيفا بحيث يسمع ولا يعنف فى ذلك فقد روى
انس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال كانت ابواب
النبى صلى الله عليه وسلم تقرع بالاظافير ذكره ابو
بكر احمد بن على بن ثابت الخطيب فى جامعه والله اعلم
المسئلة العاشرة روى الصحيحان وغيرهما

عن جابر

عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه قال استاذنت
على النبى صلى الله عليه وسلم فقال من هذا فقلت
انا قال النبى صلى الله عليه وسلم انا انا كانه كره
ذلك قال علماؤنا رحمهم الله تعالى وانما كره النبى صلى
الله عليه وسلم ذلك لان قوله انا لا يحصل بها تعريف
وانما الحكم فى ذلك ان يذكر اسمه كما فعل عمر بن الخطاب
رضى الله تعالى عنه وابو موسى لان فى ذكر الاسم اسقاط
كلفة السؤال والجواب ثبت عن عمر رضى الله تعالى عنه
انه اتى النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى مشربة له
فقال السلام عليك يا رسول الله السلام عليكم ايدخل
عمر وفى صحيح مسلم ان ابا موسى جاء الى عمر بن الخطاب
رضى الله تعالى عنه فقال السلام عليكم هذا ابو موسى
السلام عليكم هذا الاشعرى الحديث والله تعالى اعلم
المسئلة الحادية عشرة ذكر الخطيب فى
جامعه عن على بن عاصم الواسطى قال قدمت البصرة
فاتيت منزل شعبة فدققت عليه الباب فقال من هو
هذا فقلت انا فقال يا هذا ما لى صديق يقال له انا
ثم خرج الى فقال حدثنى محمد بن المنكدر عن جابر
ابن عبد الله رضى الله تعالى عنه قال اتيت النبى
صلى الله عليه وسلم فى حاجة لى فضربت عليه الباب
فقال من هذا فقلت انا فقال انا انا كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كره قولى هذا او قوله هذا وذكر
عن عمر بن شبه حدثنا محمد بن سلام عن ابيه قال
دققت على عمرو بن عبيد الباب فقال من هذا فقلت
انا فقال لا يعلم الغيب الا الله قال الخطيب سمعت
على بن الحسن القاضى يحكى عن بعض الشيوخ انه
كان اذا دق بابه يقال من ذا فقال الذى على الباب
انا هم دق والله سبحانه وتعالى اعلم **المسئلة
الثانية عشرة** ثم لكل قوم من الاستيذان
عرفهم فى العبارة كما رواه ابو بكر الخطيب مسندا
عن ابى عبد الملك مولى ام مسكين بنت عاصم بن

فان لم تجدوا الضمير في تجدوا للبيوت التي هي بيوت الغير وحكى الطبري عن مجاهد انه قال معنى قوله فان لم تجدوا فيها احدا اي لم يكن لكم فيها متاع وضعف الطبري هذا التاويل وكذلك هو في غاية الضعف وكان مجاهدا راى ان البيوت غير مسكونة انما يدخل دون اذن اذا كان للداخل فيها متاع وراى لفظة المتاع متاع البيت الذي هو البسط والثياب وهذا كله ضعيف والصحيح ان هذه الاية مرتبطة بما قبلها والاحاديث التقدير يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا فان اذن لكم فادخلوا والا فارجعوا كما فعل عليه الصلاة والسلام مع سعد وابي موسى رضي الله تعالى عنهما فان لم تجدوا فيها احدا ياذن لكم فلا تدخلوها حتى تجدوا اذنا واسند الطبري عن قتادة قال قال رجل من المهاجرين لقد طلبت عمري كله في هذه الاية فما ادركتها ان استاذن على بعض اخواني فيقول لي ارجع فارجع وانا مغتبط لقوله تعالى هو ازكى لكم **المسئلة الثانية** سوا كان هذا الباب مغلقا او مفتوحا لان الشرع قد اغلقه بالتحريم للدخول حتى يفتحه الاذن من ربه بل يجب عليه ان ياتي الباب ويحاول الاذن على صفة لا يطلع منه على البيت لا في اقباله ولا في انقلابه فقد روى علماؤنا رحمهم الله تعالى عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه انه قال من ملا عينه من قاعة بيت فقد فسق وروى الصحيح عن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه ان رجلا اطلع من جحر في باب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدرى يرجل به راسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو اعلم انك تنظر لطعنت به عينك انما جعل الله الاذن من اجل البصر وروى عن انس رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو ان رجلا اطلع عليك بغير اذن فحذفته بحصاة ففقات عينه ما كان عليك من جناح **المسئلة**

الثالثة

الثالثة اذا ثبت ان الاذن شرط في دخول المنزل فانه يجوز من الصغير والكبير وقد كان انس بن مالك رضي الله تعالى عنه دون البلوغ يستاذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك الصحابة مع ابنائهم وغلمانهم رضي الله تعالى عنهم وسياتي لهذا مزيد بيان في اخر السورة ان شاء الله تعالى **المسئلة الرابعة** والله بما تعملون عليم توعد لاهل التجسس على البيوت وطلب الدخول على غفلة للمعاصي والنظر الى ما لا يحل ولغيرهم ممن يقع في محظور **قوله تعالى** ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم فيه مسئلتان **المسئلة الاولى** روى ان بعض الناس لما نزلت اية الاستيذان تعمق في الامر فكان لا ياتي موضعا خربا ولا مسكونا الا سلم واستاذن فنزلت هذه الاية اباح الله فيها رفع الاستيذان انما هي لاجل خوف الكشف على المحرمات فاذا زالت العلة زال الحكم **المسئلة الثانية** اختلف العلما رحمهم الله تعالى في المراد بهذه البيوت فقال محمد ابن الحنفية وقتادة هي ومجاهد هي الفنادق التي في طرق السابلة قال مجاهد لا يسكنها احد بل هي موقوفة لياوي اليها كل ابن السبيل وفيها متاع لهم اي استمتاع وعن محمد بن الحنفية ايضا ان المراد بها دور مكة ويشبه قول مالك وهذا القول بانها غير متملكة وان الناس شركا فيها وان مكة اخذت عنوة وقال ابن زيد والشعبي هي حوانيت القيساريات قال الشعبي لانهم جاؤا ببيوتهم فجعلوها فيها وقالوا للناس هلم وقال عطا المراد بها الخرب التي يدخلها الانسان للبول والغائط ففي هذا ايضا متاع وقال جابر بن زيد ليس يعني بالمتاع الجهاز ولكن ما سواه من الحاجة اما منزل ينزله قوم من ليل او نهار او خربة يدخلها لقضاء حاجة او دار ينظر اليها فهذا متاع وكل منافع الدنيا متاع قال ابو جعفر النحاس وهذا شرح حسن من قول امام من ائمة المسلمين

وهو موافقة للغة والمتاع في كلام العرب المنفعة ومنه امتع
الله بك ومنه فمتعوهن ثلث واختاره ايضا القاضي
ابو بكر بن العربي وقال اما من فسر المتاع بانه جميع
الانتفاع فقد طبق المفصل وجاء بالفيصل وبين ان الداخل
فيها انما هو لما له من الانتفاع فالطالب يدخل في الخانكات
وهي المدارس لطلبة العلم والساكن يدخل الخانات
وهي الفنادق اي الفنادق والزبون يدخل الدكان للابتياع
والحاقن يدخل الخلا للحاجة وكل يأتي على وجهه من
بابه واما قول ابن زيد والشعبي فقول وذلك ان بيوت
القيساريات محظورة باموال الناس غير مباحة لكل
من اراد دخولها باجماع ولا يدخلها الا من اذن له ربها
بل اربابها موكلون بدفع الناس والله اعلم **قوله تعالى**
قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم الى قوله يصنعون فيه
سبع مسائل **الاولى قوله** تعالى قل للمؤمنين يغضوا
من ابصارهم : تعالى بذكر الستر مما يتعلق به من امر
النظر يقال غض بصره يغضه غضا قال الشاعر عنتره

. فغض الطرف انك من نمير . فلا كعبا بلغت ولا كلابا .

وقال الشاعر . . .

. واغض طرفي ما بدت لي جارتي . حتى تواري جارتي ماواها .

ولم يذكر سبحانه وتعالى ما يغض البصر عنه ويحفظ
الفرج غير ان ذلك معلوم بالعادة وان المراد منه
المحرم دون المحلل وفي البخاري وقال سعيد بن ابي
الحسن للحسن ان نساء العجم يكشفن صدورهن
ورؤسهن قال اصرف بصرك يقول الله سبحانه
وتعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا
فروجهم وقال قتادة عما لا يحل لهم وقل للمؤمنات
يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن خائنة
الاعين النظر الى ما نهى عنه **المسئلة الثانية**
قوله تعالى من ابصارهم من زائدة كقوله فما منكم
من احد عنه حاجزين من للتبعيض وقيل من
للتبعيض لان من النظر ما يباح وقيل الغض النقصان

يقال

يقال منه غض فلان من فلان اي وضع منه فالبصر اذا لم يمكن
من عمله فهو موضوع منه ومنقوص فمن وصلة الغض وليست للتبعيض
ولا للزيادة **الثالثة** البصر هو الباب الاكبر الى القلب واعمر طرق
الحواس اليه وبحسب ذلك كثر السقوط من جهته ووجب التحذير
منه وغضه واجب عن جميع المحرمات وكل ما يخشى الفتنة من
اجله وقد قال صلى الله عليه وسلم اياكم والجلوس على الطرقات
فقالوا يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها فقال فاذا
ابيتم الا المجلس فاعطوا الطريق حقه قالوا وما حق الطريق يا رسول
الله قال غض البصر وكف الاذى ورد السلام والامر بالمعروف
والنهي عن المنكر رواه ابو سعيد الخدري خرجه البخاري ومسلم
وقال صلى الله عليه وسلم لعلي لا تتبع النظرة النظرة فانما لك الاولى
وليست لك الثانية وروى الاوزاعي قال حدثني هرون بن رئاب
ان غزوان وابا موسى الاشعري كانا في بعض مغازيهم فكشفت جارية
فنظر اليها غزوان فرفع يده فلطم عينه حتى نفرت فقال انك
للحاظة الى ما يضرك ولا ينفعك فلقي ابا موسى فسأله فقال ظلمت
عينك فاستغفر الله وتب ان لها اول نظرة وعليها ما كان بعد
ذلك قال الاوزاعي وكان غزوان ملك نفسه فلم يضحك حتى مات
رضي الله عنه وفي صحيح : عن جرير بن عبد الله قال سألت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجاءة فامرني ان
اصرف بصري وهذا يقوي قول من يقول ان من للتبعيض
لان النظرة الاولى لا تملك فلا تدخل تحت خطاب تكليف اذ
وقوعها لا يتأتى ان يكون مكتسبة فلا يكون مكلفا بها فوجب
التبعيض لذلك ولم يقل ذلك في الفرج لانها تملك ولقد كره الشعبي
ان يديم الرجل النظر الى ابنته واخته وزمانه خير من زماننا هذا وحرام
على الرجل ان ينظر الى ذات محرمه نظر شهوة يرددها **الرابعة**
قوله تعالى ويحفظوا فروجهم اي يستروها عن ان يراها من لا يحل وقيل ويحفظوا
فروجهم اي عن الزنا وعلى هذا القول لو قال من فروجهم لجاز والصحيح ان
الجميع مراد واللفظ عام روى بهز بن حكيم بن معاوية القشيري عن ابيه عن
جده قال قلت يا رسول الله عوراتنا ما نأتي منها وما نذر قال احفظ عورتك
الا من زوجتك او ما ملكت يمينك قال الرجل يكون مع الرجل قال ان
استطعت ان لا يراها فافعل قلت فالرجل يكون خاليا قال فالله احق

حق الله ويدل على صحة انها عجزت ما روي ان بريرة جات عايشة
تستعينها في كتابتها ولم تكن قضت من كتابتها شيا فقالت لها
عايشة ارجعي الى اهلك فان احبوا ان اقضي عنك كتابتك فعلت
فظاهر هذا ان جميع كتابتها او بعضها استحق عليها الا انه لا يقضى
من الحقوق الا ما وجبت المطالبة به والله اعلم هذه التاويلات هم
اسهلها لهم وفيها من الدخل ما بيناه وقال ابن المنذر ولا اعلم حجة
لمن قال ليس له بيع المكاتب الا ان يقول لعل بريرة عجزت قال الشافعي
واظهر معانيه ان لمالك المكاتب بيعه **الحادية عشرة**
المكاتب اذا ادى كتابته عتق ولا يحتاج الى ابتداء عتق من السيد
وكذلك ولده الذين ولدوا في كتابته من امته يعتقون بعتقه ويرقون
برقه لان ولد الانسان من امته بمثابته اعتبارا بالحر وكذلك ولد
المكاتبة فان كان لها ولد قبل الكتابة لم يدخل في الكتابة الا بشرط
الثانية عشرة وآتوهم من مال الله الذي آتاكم هذا امر
للسادة باعانتهم في مال الكتابة اما بان يعطوهم شيا مما في ايديهم
اعني ايدي السادة او يحطوا عنهم شيا من مال الكتابة قال مالك
يوضع عن المكاتب من اخر كتابته وقد وضع ابن عمر خمسة الاف من
خمسة وثلاثين الفا واستحسن علي رضي الله عنه ان يكون ذلك ربع
الكتابة قال الزهراوي روي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم هو
واستحسن ابن مسعود والحسن بن ابي الحسن ثلثها وقال قتادة
عشرها ابن جبير يسقط عنه شيا ولم يحده وهو قول الشافعي
واستحسنه الثوري قال الشافعي والشي اقل شي يقع عليه اسم
شي ويجبر عليه السيد ويحكم به الحاكم على الورثة ان مات السيد
ورأى مالك رحمه الله هذا الامر على الندب ولم ير لقدر الوضيعة حدا
احتج الشافعي بمطلق الامر في قوله وآتوهم ورأى ان عطف الواجب
على الندب معلوم في القران ولسان العرب كما قال تعالى ان الله
يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وما كان مثله قال
ابن العربي وذكره قبله اسماعيل بن اسحاق القاضي جعل الشافعي
الايتاء واجبا والكتابة غير واجبة فجعل الاصل غير واجب
والفرع واجبا وهذا لا نظير له فصارت دعوى محضة فان
قيل يكون ذلك كالنكاح لا يجب فاذا انعقد وجبت احكامه
منها المتعة قلنا عندنا لا تجب المتعة فلا معنى لاصحاب الشافعي

وقد كاتب عثمان بن عفان عبده وحلف ان لا يحطه في حديث طويل
قال الشيخ رحمه الله وقد قال الحسن والنخعي وبريدة انما الخطاب
بقوله وآتوهم للناس اجمعين في ان يتصدقوا على المكاتبين وان
يعينوهم في فكاك رقابهم وقال زيد بن اسلم انما الخطاب للولاة
بان يعطوا المكاتبين من مال الصدقة حظهم وهو الذي تضمنه قوله
تعالى وفي الرقاب وعلى هذين القولين فليس لسيد المكاتب ان يضع
شيا عن مكاتبته ودليل هذا انه لو اراد حط شي من نجوم الكتابة
لقال وضعوا عنهم **الثالثة عشرة** اذا قلنا ان المراد بالخطاب
السادة فراى عمر بن الخطاب ان يكون ذلك من اول نجومه مبادرة
الى الخير حذرا ان لا يدرك اخرها ورأى مالك رحمه الله وغيره ان
يكون الوضع من اخر نجم وعلة ذلك انه اذا وضع من اول نجم ربما عجز
العبد فرجع هو وماله الى السيد فعادت اليه وضيعته وهي
شبه الصدقة وهذا قول عبد الله بن عمر وعلي وقال مجاهد يترك
له من كل نجم قال ابن العربي والاقوى عندي ان يكون في اخرها لان
الاسقاط ابدا انما يكون في اخريات الديون **الرابعة عشرة**
المكاتب اذا بيع للعتق رضي منه بعد الكتابة وقبض بايعه ثمنه لم
يجب عليه ان يعطيه من ثمنه شيا سواء باعه للعتق او لغير عتق وليس
ذلك كالسيد يؤدي اليه مكاتبه كتابته فيؤتيه منها او يضع عنه
من اخرها نجما او ما شا على ما امر الله به في كتابه لان النبي صلى الله
عليه وسلم لم يامر موالي بريرة باعطائها مما قبضوا شيا وان كانوا قد
باعوه للعتق **الخامسة عشرة** اختلفوا في صفة عقد الكتابة
فقال ابن خويز منداد صفتها ان يقول السيد لعبده كاتبتك على
كذا وكذا من المال في كذا وكذا نجما اذا اديته فانت حر او يقول له اد الي
الفا في عشرة انجم وانت حر فيقول العبد قد قبلت ونحو ذلك من
الالفاظ فمتى اداها عتق وكذلك لو قال العبد كاتبني فقال السيد
قد فعلت او قد كاتبتك قال ابن العربي وهذا لا يلزم لان لفظ القران
لا يقتضيه والحال تشهد له فان ذكره فحسن وان تركه فهو معلوم
لا يحتاج اليه ومسايل هذا الباب وفروعه كثيرة وقد ذكرنا من
اصوله جملة فيها لمن اقتصر عليها كفاية والله الموفق للهداية بمنه
السادسة عشرة في ميراث المكاتب واختلف العلماء في ذلك
على ثلاثة اقوال فذهب مالك ان المكاتب اذا هلك وترك مالا اكثر

مما بقي عليه من كتابته وله ولد ولدوا في كتابته او كانت عليهم
ورثوا ما بقي عليه من المال بعد قضاء كتابته لان حكمهم حكمه وعليهم
السعي فيما بقي من كتابته لو لم يخلف مالا ولا يعتقون الا بعتقه ولو
ادي عنهم ما رجع بذلك عليهم لانهم يعتقون عليه فهم اولى بميراثه
لانهم مساوون له في جميع حاله والقول الثاني انه يودي عنه من
ماله جميع كتابته وجعل كانه قد مات حرا ويرثه جميع ولده
وسوا في ذلك من كان حرا قبل موته من ولده ومن كانت عليهم او
ولدوا في كتابته لانهم قد استووا في الحرية كلهم حين تادت عنهم
كتابتهم روي هذا القول عن علي وابن مسعود ومن التابعين عن عطا
والحسن وطاوس وابراهيم وبه قال فقها الكوفة سفين الثوري
وابو حنيفة واصحابه والحسن بن صالح بن حي واليه ذهب اسحق
والقول الثالث ان المكاتب اذا مات قبل ان يودي جميع كتابته فقد
مات عبدا وكل ما تخلفه من المال فهو لسيده ولا يرثه احد من
اولاده لا الاحرار ولا الذين معه في كتابته لانه لما مات قبل ان
يودي جميع كتابته فقد مات عبدا وماله لسيده فلا يصح عتقه
بعد موته لانه محال ان يعتق عبد بعد موته وعلى ولده الذين
كانت عليهم او ولد وا في كتابته ان يسعوا في باقي الكتابة ويسقط
عنهم منها قدر حصته فاذا ادوا عتقوا لانهم كانوا فيها تبعا لابيهم
وان لم يردوا ذلك رقوا هذا قول الشافعي واحمد بن حنبل وهو
قول عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت وعمر بن عبد العزيز والزهري
وقتادة قوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغا ان اردن
تحصنا روي عن جابر بن عبد الله وابن عباس ان هذه الاية
نزلت في عبد الله بن ابي وكانت له جاريتان احداهما تسمى معاذة
والاخرى مسيكة فكان يكرههما على الزنا ويضربهما عليه ابتغاء
الاجر وكسب الولد فشكتا ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت
الاية فيه وفيمن فعل فعله من المنافقين ومعاذة هذه ام
خولة التي جادلت النبي صلى الله عليه وسلم في زوجها وفي صحيح مسلم
عن جابر ان جارية لعبد الله بن ابي يقال لها مسيكة واخرى
يقال لها اميمة وكان يكرههما على الزنا فشكتا ذلك الى النبي
صلى الله عليه وسلم فانزل الله ولا تكرهوا فتياتكم على البغا الى
قوله ان الله غفور رحيم قوله تعالى ان اردن تحصنا راجع

الى

الى الفتيات وذلك ان الفتاة اذا ارادت التحصن فحينئذ يمكن
ويتصور ان يكون السيد مكرها ويمكن ان ينهي عن الاكراه واذا كانت
الفتاة لا تريد التحصن فلا يتصور ان يقال للسيد لا تكرهها لان
الاكراه لا يتصور فيها وهي مريدة للزنا فهذا امر في سادة وفتيات
حالهم هذه والى هذا المعنى اشار ابن العربي فقال انما ذكر الله تعالى
ارادة التحصن من الامة لان ذلك هو الذي يصور الاكراه فاما اذا
كانت هي راغبة في الزنا لم يتصور اكراه فحصلوه وذهب هذا النظر
على كثير من المفسرين فقال بعضهم قوله ان اردن راجع الى الايامى
قال الزجاج والحسين بن الفضل في الكلام تقديم وتاخير اي وانكحوا
الايامى منكم والصالحين من عبادكم ان اردن تحصنا وقال بعضهم
هذا الشرط في قوله ان اردن ملغى ويجوز ذلك مما يضعف والله
الموفق قوله تعالى لتبتغوا عرض الحياة الدنيا اي الشي
الذي تكسبه الامة بفرجها والولد ليسترق فيباع وقيل كان الزاني
يفتدي ولده من المزني بها بماية من الابل يدفعها الى سيدها
قوله تعالى ومن يكرههن اي يقهرهن فان الله من بعد
اكراههن غفور لهن رحيم بهن وقرا ابن مسعود وجابر بن عبد الله
وابن جبير لهن غفور بزيادة لهن وقد مضى الكلام في الاكراه في النحل
والحمد لله ثم عدد تعالى على المومنين نعمه فيما انزل اليهم من
الايات المنيرات وفيما ضرب لهم من امثال الامم الماضية ليقع
التحفظ مما وقع فيه اوليك قوله تعالى الله نور السموات
والارض النور في كلام العرب الاضوا المدركة بالبصر واستعمل
مجازا فيما صح من المعاني ولاح فيقال منه كلام له نور ومنه الكتاب
المنير ومنه قول الشاعر

نسب كان عليه من شمس الضحى نورا ومن فلق الصباح عمودا

والناس يقولون فلان نور البلد وشمس العصر وقمره وقال

فانك شمس والملوك كواكب

وقال اخر

هلا خصصت من البلاد بمقصد قمر القبايل خالد بن يزيد

وقال اخر

اذا سار عبد الله من مرو ليلة فقد سار منها نورها وجمالها

فيجوز ان يقال لله تعالى نور من جهة المدح لانه اوجد الاشيا
ونور جميع الاشيا منه ابتداوها وعنه صدورها وهو سبحانه

ليس من الاضواء المدركة جل وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا
وقد قال هشام الجوالقي وطايفة من المجسمة هو نور لا كالانوار
وجسم لا كالاجسام وهذا كله محال على الله تعالى عقلا ونقلا
على ما يعرف في موضعه من علم الكلام اذ لو كان منها فقط فاما قولهم
جسم او نور حكم عليه بحقيقة ذلك وقولهم لا كالانوار لا كالاجسام
نفي لما اثبتوه من الجسمية والنور وذلك متناقض وتحقيقه في علم
الكلام والذي اوقعهم في ذلك ظواهر اتبعوها منها هذه الاية وقوله
عليه السلام اذا قام من الليل يتهجد اللهم لك الحمد انت نور السموات
والارض وقال عليه السلام وقد سيل هل رايت ربك فقال رايت
نورا الى غير ذلك من الاحاديث واختلف العلما في تاويل هذه الاية
فقيل المعنى اي به وبقدرته انارت اضواوها واستقامت امورها
واستقامت مصنوعاتها فالكلام على التقريب للذهن كما يقال
الملك نور اهل البلد اي به اهل قوام امرها وصلاح جملتها لجريان
اموره على سنن السداد فهو في الملك مجاز وهو في صفة الله
حقيقة محضة اذ هو الذي ابدع الموجودات وخلق العقل نورا
هاديا لان ظهور الموجود به حصل كما حصل بالضوء ظهور المبصرات
تبارك الله لا رب غيره قال معناه مجاهد والزهري وغيرهما قال ابن
عرفة اي منور السموات والارض وكذا قال الضحاك والقرظي كما يقولون
فلان غياثنا اي مغيثنا وفلان زادي اي مزودي قال جرير

وانت لنا نور وغيث وعصمة ونبت لمن يرجو نداك وريق

اي ذو ورق وقال مجاهد مدبر الامور في السموات والارض ابي ابن
كعب والحسن وابو العالية مزين السموات بالشمس والقمر والنجوم
ومزين الارض بالانبيا والعلما والمومنين وقال ابن عباس وانس
المعنى الله هادي اهل السموات والارض والاول اعم للمعاني واصح
مع التاويل **قوله تعالى** مثل نوره اي صفة دلايله التي يقذفها
في قلب المومن والدلايل تسمى نورا وقد سمى الله تعالى كتابه نورا
فقال وانزلنا اليكم نورا مبينا وسمى نبيه نورا فقال قد جاءكم من
الله نور وكتاب مبين وهذا لان الكتاب يهدي ويبين وكذلك
الرسول ووجه الاضافة الى الله تعالى انه مثبت الدلالة ومبينها
وواضعها وتحتمل الاية معنى اخر ليس فيه مقابلة جزء من المثال
بجزء من الممثل به بل وقع التشبيه فيه جملة بجملة وذلك ان يريد

مثل

مثل نور الله الذي هو هداه واتقانه صنعة كل مخلوق وبراهينه
الساطعة على الجملة كهذه الجملة من النور الذي تتخذونه انتم على
هذه الصفة التي هي ابلغ صفات النور الذي بين ايدي الناس
فمثل نور الله في الوضوح كهذا الذي هو منتهاكم ايها البشر والمشكاة
الكوة في الحايط غير النافذة قاله ابن جبير وجمهور المفسرين وهو
اجمع للضوء والمصباح فيها اكثر انارة منه في غيرها واصلها الوعا
يجعل فيه الشي والمشكاة وعا من ادم كالدلو يبرد فيها الماء وهو على
وزن مفعلة كالمقراة والمصفاة قال الشاعر

كان عينيه مشكاتان في حجر قيضا اقتضاضا باطراف المناقير

وقيل المشكاة عمود القنديل الذي فيه الفتيلة وقال مجاهد هي
القنديل وقال في زجاجة لانه جسم شفاف المصباح فيه انور منه في
غير الزجاج والمصباح الفتيل بناره كانها كوكب دري اي في الانارة
والضوء وذلك يحتمل معنيين اما ان يريد انها بالمصباح كذلك واما
ان يريد انها في نفسها لصفائها وجودة جوهرها كذلك وهذا
التاويل ابلغ في التعاون على النور قال الضحاك الكوكب الدري الزهرة
قوله تعالى توقد من شجرة اي من زيت شجرة فحذف المضاف
والمباركة المنماة والزيتون من اعظم الثمار نما والرمان كذلك والعيان
يقتضي ذلك وقول ابي طالب يرثي مسافر بن ابي عمرو بن امية بن عبد شمس

ليت شعري مسافر بن ابي عمرو وليت يقولها المحزون
بورك الميت الغريب كما بورك الرمان والزيتون

وقيل من بركتهما ان اغصانهما تورق من اسفلها الى اعلاها وقال
ابن عباس في الزيتونة منافع يسرج بالزيت وهو ادام ودهان
ودباغ ووقود يوقد بحطبه وتفله وليس فيه شي الا وفيه منفعة
حتى الرماد يغسل به الابريسم وهي اول شجرة نبتت في الدنيا واول
شجرة نبتت بعد الطوفان وتنبت في منازل الانبيا والارض المقدسة
ودعا لها سبعون نبيا بالبركة منهم ابراهيم ومنهم محمد صلى الله
عليه وسلم فانه قال اللهم بارك في الزيت والزيتون قاله مرتين
قوله تعالى لا شرقية ولا غربية اختلف العلما في تاويل قوله
لا شرقية ولا غربية فقال ابن عباس وعكرمة وقتادة وغيرهم
الشرقية التي يصيبها الشمس اذا شرقت ولا يصيبها اذا غربت
لان لها سترا والغربية عكسها اي انها شجرة في صحرا ومنكشف

من الارض لا يواريها عن الشمس شي وهو اجود لزيتها فليست خالصة
للمشرق فتسمى شرقيه ولا للغرب فتسمى غربية بل هي شرقية غربية
وقال الطبري عن ابن عباس انها شجرة في دوحة قد احاطت بها
فهي غير منكشفة من جهة الشرق ولا من جهة الغرب قال بن عطية وهذا
قول لا يصح عن ابن عباس لان الثمرة التي بهذه الصفة يفسد جناها
وذلك مشاهد في الوجود وقال الحسن ليست هذه الشجرة من شجر
الدنيا وانما هو مثل ضربه الله لنوره ولو كانت في الدنيا لكانت اما
شرقية واما غربية الثعلبي وقد افصح القران بانها من شجر الدنيا لانها
بدل من الشجرة فقال زيتونة وقال بن زيد انها من شجر الشام
فان الشام لا شرقي ولا غربي وشجر الشام هي افضل الشجر وهي الارض
المباركة وشرقية نعت لزيتونة ولا ليست تحول بين النعت
والمنعوت ولا غربية عطف عليه وقوله تعالى يكاد زيتها يضي
ولو لم تمسسه نار مبالغة في حسنه وصفائه وجودته نور
على نور اي اجتمع في المشكاة ضوء المصباح الى ضوء الزجاجة والى ضوء
الزيت فصار لذلك نور على نور واعتقلت هذه الانوار في المشكاة
فصارت كانور ما يكون فكذلك براهين الله واضحة وهي برهان
بعد برهان وتنبيه بعد تنبيه كارساله الرسل وانزاله الكتب
ومواعظ تتكرر فيها لمن له عقل معتبر ثم ذكر تعالى هداه لنوره من
شاء واسعد من عباده وذكر تفضله للعباد في ضرب الامثال ليقع
لهم العبرة والنظر المودي الى الايمان وقرا عبد الله بن عباس بن ابي
ربيعة وابو عبد الرحمن السلمي الله نور بفتح النون والواو المشددة
واختلف المتاولون في عود الضمير في نوره على من يعود فقال كعب
الاحبار وابن جبير هو عايد على محمد صلى الله عليه وسلم اي مثل نور محمد
قال سبي الانباري الله نور السموات والارض وقف حسن ثم تبتدي
مثل نوره كمشكاة فيها مصباح على معنى نور محمد صلى الله عليه وسلم
وقال ابي بن كعب وابن جبير ايضا والضحاك هو عايد على المومنين
وفي قراة ابي مثل نور المومنين وروي ان في قراته مثل نور المومن
وروي ان فيها مثل نور من امن به وقال الحسن هو عايد على
القران والايمان قال مكي وعلى هذه الاقوال يوقف على قوله والارض
قال بن عطية وهذه الاقوال فيها عود الضمير على من لم يجر له ذكر
وفيه مقابلة جزء من المثال بجزء من الممثل فعلى من قال الممثل به محمد

صلى الله عليه وسلم وهو قول كعب الحبر فرسول الله صلى الله عليه
وسلم هو المشكاة او صدره والمصباح هو النبوة وما يتصل بها من
عمله وهداه والزجاجة قلبه والشجرة المباركة هو الوحي والملايكة
رسل الله اليه وسببه المتصل به والزيت هو الحجج والبراهين والايات
التي تضمنها الوحي ومن قال الممثل به المومن وهو قول ابي فالمشكاة
صدره والمصباح الايمان والعلم والزجاجة قلبه وزيتها هو الحجج والحكمة
التي تضمنها قال ابي فهو على احسن الحال يمشي في الناس كالرجل الحي
يمشي في قبور الاموات ومن قال ان الممثل به هو القران والايمان فتقدير
الكلام مثل نوره الذي هو الايمان في صدر المومن في قلبه كمشكاة اي
كهذه الجملة وهذا القول ليس في مقابلة التشبيه كالاول لان
المشكاة ليست تقابل الايمان وقالت طايفة الضمير في نوره عايد على
الله تعالى وهذا قول ابن عباس فيما ذكر الثعلبي والماوردي والمهدوي
وقد تقدم معناه ولا يوقف على هذا القول على الارض قال المهدوي الهاء
لله عز وجل والتقدير الله هادي اهل السموات والارض مثل هداه في
قلوب المومنين كمشكاة روي ذلك عن ابن عباس وكذلك قال زيد بن
اسلم والحسن ان الهاء لله عز وجل وكان ابي وابن مسعود يقرانها مثل نوره
في قلب المومن كمشكاة قال محمد بن علي الترمذي فاما غيرهما فلم يقراها في
التنزيل هكذا وقد وافقهما في التاويل ان ذلك نوره في قلب المومن
وتصديقه في اية اخرى يقول افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور
من ربه واعتل الاولون بان قالوا لا يجوز ان تكون الهاء لله عز وجل
لان الله عز وجل لا حد لنوره واما الكسائي فيما روي عنه ابو عمرو الدوري
الامالة من مشكاة وكسر الكاف التي قبلها وقرا نصر بن عاصم زجاجة بفتح
الزاي والزجاجة كذلك وهي لغة وقرا ابن عامر وحفص عن عاصم
دري بضم الدال وشد الياء ولهذه القراة وجهان اما ان ينسب الكوكب
الى الدر لبياضه وصفائه واما ان يكون اصله دريء مهموز فعيل من
الدرء وهو الدفع وخففت الهمزة ويقال للنجوم العظام التي لا يعرف
اسماؤها الدراري بغير همز فلعلهم خففوا الهمزة والاصل من الدرء الذي
هو الدفع وقرا حمزة وابو بكر عن عاصم دريء بالهمز والمد وهو فعيل من
الدرء بمعنى انها تدفع بعضها بعضا وقرا الكسائي وابو عمرو دريء بكسر
الدال والهمز من الدرء والدفع مثل السكير والفسيق قال سيبويه اي
يدفع بوصف ضوءه بعضا من لمعانه قال النحاس وضعف ابو عبيد

قراءة ابي عمرو والكسائي تضعيفا شديدا لانه تاولها من درأت اي
دفعت اي كوكب يجري من الافق الى الافق واذا كان التاويل على
ما تاوله لم يكن في الكلام فائدة ولا كان لهذا الكوكب مزية على اكثر
الكواكب الا ترى انه لا يقال جاءني انسان من بني ادم ولا ينبغي ان
يتاول لمثل ابي عمرو والكسائي مع علمهما وجلالتهما هذا التاويل البعيد
ولكن التاويل لهما على ما روي عن محمد بن يزيد ان معناهما في ذلك كوكب
مندفع بالنور كما يقال اندرأ الحريق اي اندفع وهذا تاويل صحيح لهذه
القراءة وحكى سعيد بن مسعدة انه يقال درأ الكوكب بضوئه اذا امتد
ضوؤه وعلا وقال الجوهري في الصحاح ودرأ علينا فلان يدرأ درءا
اي طلع مفاجأة ومنه كوكب دري على فعيل مثل سكير وخمير لشدة
توقده وتلألؤه وقد درأ الكوكب دروءا قال ابو عمرو بن العلاء سالت رجلا
من سعد بن بكر من اهل ذات عرق فقلت هذا الكوكب الضخم ما تسمونه
قال الدري وكان من افصح الناس قال النحاس فاما قراءة حمزة فاهل
اللغة جميعا قالوا هي لحن لا تجوز لانه ليس في كلام العرب اسم على فعيل
وقد اعترض ابو عبيد في هذا فاحتج لحمزة فقال ليس هو فعيل وانما
هو فعول مثل سبوح ابدل من الواو ياء كما قالوا عتي قال ابو جعفر النحاس
وهذا الاعتراض والاحتجاج من اعظم الغلط واشده لان هذا لا يجوز
البتة ولو جاز ما قال لقيل في سبوح سبيح وهذا لا يقوله احد وليس
عتي من هذا والفرق بينهما واضح بين لانه ليس يخلو عتيا من احدى
جهتين اما ان يكون جمع عات فيكون البدل فيه لازما لان الجمع
باب تغيير والواو لا تكون طرفا في الاسماء وقبلها ضمة فلما كان مثل
هذه ساكن وقبل الساكن ضمة والساكن ليس بحاجز حصين ابدل
من الضمة كسرة فقلبت الواو ياء وان كان عتي واحدا كان بالواو اولى
وجاز قلبها لانها طرف والواو في فعول ليست طرفا فلا يجوز قلبها قال
الجوهري قال ابو عبيد ان ضممت الدال قلت دري يكون منسوبا الى الدر
على فعلي ولم تهمزه لانه ليس في كلام العرب فعيل ومن همزه من القراء فانما
اراد فعولا مثل سبوح فاستثقل فرد بعضه الى الكسر وحكى الاخفش
عن بعضهم دريء من درأته وهمزها وجعلها على فعيل مفتوحة الاول
قال وذلك من تلألؤه قال الثعلبي وقرأ سعيد بن المسيب وابو رجاء
دريء بفتح الدال مهموزا قال ابو حاتم هذا خطأ لانه ليس في الكلام
فعيل فان صح عنهما فهما حجة يوقد قرأ شيبة ونافع وايوب وسلام

وابن عامر واهل الشام وحفص يوقد بياء مضمومة وتخفيف القاف
وضم الدال وقرأ الحسن والسلمي وابو جعفر وابو عمرو بن العلاء توقد
مفتوحة الحروف كلها مشددة القاف واختارها ابو حاتم وابو عبيد
قال النحاس وهاتان القراءتان متقاربتان لانهما جميعا للمصباح وهو
الاشبه بهذا الوصف لانه الذي ينير ويضيء وانما الزجاجة وعاء له وتوقد
فعل ماض من توقد يتوقد ويوقد فعل مستقبل من اوقد يوقد وقرأ
نصر بن عاصم توقد والاصل على قراءته تتوقد حذف احدى التاءين لان
الاخرى تدل عليها وقرأ الكوفيون توقد بالتاء يعنون الزجاجة فهاتان
القراءتان على تانيث الزجاجة من شجرة مباركة لا شرقية ولا غربية تقدم القول
فيه يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار على تانيث النار وزعم ابو عبيد
انه لا يعرف الا هذه القراءة وحكى ابو حاتم ان السدي روى عن ابي مالك
عن ابن عباس انه قرأ ولو لم يمسسه بالياء قال محمد بن يزيد التذكير
على انه تانيث غير حقيقي وكذا سبيل المؤنث عنده قال ابن محمد المشكاة
جوف محمد والزجاجة قلبه والمصباح النور الذي جعله الله في قلبه
يوقد من شجرة مباركة اي ان اصله من ابراهيم وهو شجرته فاوقد الله في
قلب محمد النور كما جعله في قلب ابراهيم وقال محمد بن كعب المشكاة ابراهيم
والزجاجة اسماعيل والمصباح محمد صلى الله عليه وسلم سماه الله مصباحا
كما سماه سراجا فقال وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا توقد من شجرة
مباركة وهي ادم عليه السلام بورك في نسله وكثر منه الانبياء والاولياء وقيل
هي ابراهيم سماه مباركا لان اكثر الانبياء كانوا من صلبه لا شرقية ولا غربية
اي لم يكن يهوديا ولا نصرانيا وانما كان حنيفا مسلما وانما قال ذلك لان
اليهود تصلي قبل المغرب والنصارى قبل المشرق يكاد زيتها يضيء اي
تكاد محاسن محمد صلى الله عليه وسلم تظهر للناس قبل ان اوحى الله اليه
نور على نور نبي من نسل نبي وقال الضحاك شبه عبد المطلب بالمشكاة
كانا في قلبهما فورث النبوة من ابراهيم من شجرة اي شجرة التقى والرضوان
وعشيرة الهدى والايمان شجرة اصلها نبوة وفرعها مروة واغصانها
تنزيل وورقها تاويل وخدمها جبريل وميكائيل قال القاضي ابو بكر
ابن العربي ومن غريب الامر ان بعض الفقهاء قال ان هذا مثل ضربه الله
تعالى لابراهيم ومحمد ولعبد المطلب وابنه عبد الله فالمشكاة هي الكوة
بلغة الحبشة فشبه عبد المطلب بالمشكاة فيها القنديل وهو الزجاجة
وشبه عبد الله بالقنديل وهو الزجاجة ومحمد بالمصباح يعني من اصلابهما

وكانه كوكب دري وهو المشتري توقد من شجرة مباركة يعني ارث النبوة
من ابراهيم عليه السلام هو الشجرة المباركة يعني حنيفية لا شرقية ولا
غربية لا يهودية ولا نصرانية يكاد زيتها يضي ولو لم تمسسه نار
يقول يكاد ابراهيم يتكلم بالوحي من قبل ان يوحى اليه نور على نور ابراهيم ثم
محمد صلى الله عليه وسلم قال القاضي وهذا كله عدول عن الظاهر وليس يمتنع
في التمثيل ان يتوسع المرء فيه قال الشيخ رحمه الله وكذلك جميع الاقوال
لعدم ارتباطه بالاية ما عدا القول الاول وحواله هذا مثل ضربه الله
لنوره ولا يمكن ان يضرب لنوره المعظم مثلا تنبيها لخلقه الا ببعض خلقه
لان الخلق لقصورهم لا يفهمون الا بانفسهم ومن انفسهم ولولا ذلك ما
عرف الله الا الله وحده قال ابن العربي قال ابن عباس هذا مثل نور
الله وهداه في قلب المومن كما يكاد الزيت الصافي يضي قبل ان تمسه
النار زاد ضوءه كذلك قلب المومن يكاد يعمل بالهدى قبل ان ياتيه العلم
فاذا جاءه العلم زاد هدى على هدى ونورا على نور كقول ابراهيم من قبل ان
تجيئه المعرفة هذا ربي من قبل ان يخبره احد ان له ربا فلما اخبره الله
انه ربه زاد هدى فقال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ومن قال
انه هذا مثل للقران في قلب المومن قال ان هذا المصباح يستضاء به
ولا ينقص فكذلك القران يهتدى به ولا ينقص فالمصباح القران والزجاجة
قلب المومن والمشكاة لسانه وفمه والشجرة المباركة شجرة الوحي يكاد
زيتها يضي ولو لم تمسسه نار تكاد حجج القران تتضح ولو لم يقرا نور على نور
يعني ان القران نور من الله تعالى لخلقه مع ما اقام لهم من الدلايل والاعلام
قبل نزول القران فازدادوا بذلك نورا على نور ثم اخبر ان هذا النور
المذكور عزيز وانه لا يناله الا من اراد الله هداه فقال يهدي الله لنوره
من يشاء ويضرب الله الامثال للناس اي يبين الاشباه تقريبا الى الافهام
والله بكل شي عليم اي بالمهدي والضال وروي عن ابن عباس ان اليهود
قالوا يا محمد كيف يخلص نور الله تعالى من دون السما فضرب الله تعالى
ذلك مثلا لنوره **قوله تعالى** في بيوت اذن الله ان ترفع الى
قوله وايتا الزكاة فيه سبع عشرة مسيلة **الاولى** قوله تعالى في بيوت
اذن الله ان ترفع الباء في بيوت تضم وتكسر وقد تقدم واختلف في الفا
من قوله في فقيل هي متعلقة بمصباح وقيل بيسبح له فعلى هذا التاويل
يوقف على عليم قال ابن الانباري سمعت ابا العباس يقول هو حال
للمصباح والزجاجة والكوكب كانه قال وهي في بيوت وقال الترمذي الحكيم

محمد بن علي في بيوت منفصل كانه يقول الله في بيوت اذن الله ان ترفع
وبذلك جاءت الاخبار انه من جلس في المسجد فانما يجالس ربه وكذا ما
جاء في الخبر فيما يحكى عن التوراة ان المومن اذا مشى الى المسجد قال الله
تبارك اسمه عبدي زارني وعلي قراه ولن ارضى له قرى دون الجنة قال
ابن الانباري ان جعلت في متعلقة بيسبح او رافعة للرجال حسن الوقف
على قوله والله بكل شي عليم قال الرماني هي متعلقة بتوقد وعليه فلا
يوقف على عليم فان قيل فما الوجه اذا كان البيوت متعلقة بتوقد في
توحيد المصباح والمشكاة وجمع البيوت ولا تكون مشكاة واحدة الا في
بيت واحد قيل هذا من الخطاب المتلون الذي يفتح بالتوحيد ويختم
بالجمع كقوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء ونحوه وقيل رجع الى
كل واحد من البيوت وقيل هو كقوله تعالى وجعل القمر فيهن نورا
وانما هو في واحدة منها واختلف الناس في البيوت هنا على خمسة اقوال
الاول انها المساجد المخصوصة لله تعالى بالعبادة وانها تضي لاهل
السما كما تضي النجوم لاهل الارض قاله ابن عباس ومجاهد والحسن الثاني
هي بيوت بيت المقدس عن الحسن ايضا الثالث بيوت النبي صلى الله عليه
وسلم عن مجاهد ايضا الرابع هي البيوت كلها قاله عكرمة وقوله يسبح له
فيها بالغدو والاصال يقوي انها المساجد وقول خامس انها المساجد
الاربعة التي لم يبنها الا نبي الكعبة وبيت اريحا ومسجد المدينة ومسجد قبا
قاله ابن بريدة وقد تقدم ذلك في براة قال الشيخ رحمه الله الاظهر القول
الاول لما رواه انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احب
الله عز وجل فليحبني ومن احبني فليحب اصحابي ومن احب اصحابي فليحب
القران ومن احب القران فليحب المساجد فانها افنية الله ابنيته اذن
الله في رفعها وبارك فيها ميمونة ميمون اهلها محفوظة محفوظ اهلها
هم في صلاتهم والله في حوايجهم هم في صلاتهم والله من وراءهم محيط
الثانية قوله تعالى اذن الله ان ترفع اذن معناه امر وقضى
وحقيقة الاذن العلم والتمكين دون حظر فان اقترن بذلك امر
وانفاذ كان اقوى وترفع قيل معناه تبنى وتعلى قال مجاهد وعكرمة
ومنه قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت وقال صلى الله
عليه وسلم من بنى مسجدا من ماله بنى الله له بيتا في الجنة وفي هذا المعنى
احاديث كثيرة تحض على بنيان المساجد وقال الحسن البصري
وغيره معنى ترفع تعظم ويرفع شانها وتطهر من الانجاس والاقذار

ففي الحديث ان المسجد لينزوي من النجاسة كما ينزوي الجلد من النار
وروى ابن ماجة في سننه عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من اخرج اذى من المسجد بنى الله له بيتا في الجنة
وروى عن عايشة قالت امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نتخذ
المساجد في الدور وان نطهر وتطيب **الثالثة** اذا قلنا ان المراد
ببنيانها فهل تزين وتنقش اختلف في ذلك فكرهه قوم واباحه
اخرون فروى حماد بن سلمة عن ايوب عن ابي قلابة عن انس وقتادة
عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى يتباهى
الناس في المساجد اخرجه ابو داود وفي البخاري وقال انس يتباهون
بها ثم لا يعمرونها الا قليلا وقال ابن عباس لتزخرفنها كما زخرفت
اليهود والنصارى وروى الترمذي الحكيم ابو عبد الله في نوادر الاصول
من حديث ابي الدردا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زخرفتم
مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدبار عليكم احتج من اباح ذلك
بان فيه تعظيم المساجد والله تعالى امر بتعظيمها في قوله في بيوت
اذن الله ان ترفع يعني تعظم وروى عن عثمان انه بنى مسجد النبي صلى
الله عليه وسلم بالساج وحسنه قال ابو حنيفة لا باس بنقش المساجد
بماء الذهب وروى عن عمر بن عبد العزيز انه نقش مسجد النبي صلى الله
عليه وسلم وبالغ في عمارته وتزيينه وذلك في زمن ولايته قبل
خلافته ولم ينكر عليه احد ذلك وذكر ان الوليد بن عبد الملك انفق
في عمارة مسجد دمشق وفي تزيينه مثل خراج الشام ثلاث مرات
وروى ان سليمان بن داود عليهما السلام بنى مسجد بيت المقدس
وبالغ في تزيينه **الرابعة** ومما تصان عنه المساجد وتنزه عنه
الروايح الكريهة والاقوال السيئة وغير ذلك على ما نبينه وذلك من
تعظيمها وقد صح من حديث ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
في غزوة تبوك من اكل من هذه الشجرة يعني الثوم فلا ياتين المساجد
وفي حديث جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اكل من
هذه البقلة الثوم وقال مرة من اكل البصل والثوم والكراث فلا يقربن
مسجدنا فان الملايكة تتاذى مما يتاذى منه بنو ادم وقال عمر ابن
الخطاب رضي الله عنه في خطبته ثم انكم ايها الناس تاكلون شجرتين لا اراهما
الا خبيثتين هذا البصل والثوم لقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا وجد ريحهما من الرجل في المسجد امر به فاخرج الى البقيع فمن اكلهما

فليمتهما

فليمتهما طبخا خرجها مسلم في صحيحه قال العلما واذا كانت العلة في
اخراجه من المسجد انه يتاذى به ففي القياس ان كل من تاذى به
جيرانه في المسجد بان يكون ذرب اللسان سفيها عليهم او كان ذا رايحة
قبيحة لا تريمه لسوء صناعته او عاهة موذية كالجذام وشبهه وكل
ما يتاذى به الناس كان لهم اخراجه ما كانت العلة موجودة فيه حتى
تزول وكذلك يجتنب مجتمع الناس حيث كان لصلاة او غيرها كمجالس
العلم والولايم وما اشبهها من اكل الثوم وما في معناه مما له رايحة
كريهة تؤذي الناس ولذلك جمع بين البصل والثوم والكراث واخبر
ان ذلك مما يتاذى به قال ابو عمر بن عبد البر وقد شاهدت شيخنا
ابا عمر احمد بن عبد الملك بن هاشم رحمه الله افتى في رجل شكاه جيرانه
واتفقوا عليه انه يوذيهم في المسجد بلسانه ويده بشر وفيه فافتى
باخراجه من المسجد وابعاده عنه وان لا يشاهد معهم الصلاة اذ
لا سبيل مع جنونه واستطالته الى السلامة منه فذاكرته يوما امره
وطالبته بالدليل فيما افتى به من ذلك وراجعته فيه القول فاستدل
بحديث الثوم وقال هو عندي اكثر اذى من اكل الثوم وصاحبه يمنع
من شهود الجماعة في المسجد قال الشيخ رحمه الله وفي الاثار المرسلة
ان الرجل ليكذب الكذبة فيتباعد عنه الملك من نتن ريحه فعلى هذا
يخرج من عرف منه الكذب والتقول بالباطل فان ذلك يوذيه
الخامسة اكثر العلما على ان المساجد كلها سوا لحديث ابن عمر وقال
بعضهم انما خرج النهي على مسجد النبي صلى الله عليه وسلم من اجل
جبريل ونزوله فيه ولقوله في حديث جابر فلا يقربن مسجدنا
والاول اصح لانه ذكر الصفة في الحكم وهي المسجدية وذكر الصفة في الحكم
تعليل وقد روى الثعلبي باسناده عن انس قال قال النبي صلى الله عليه
وسلم ياتي الله يوم القيامة بمساجد الدنيا كانها نجايب بيض
قوايمها من العنبر واعناقها من الزعفران ورؤسها من المسك وازمتها
من الزبرجد الاخضر وقوامها والموذنون فيها يقودونها وايمتها
يسوقونها وعمارها متعلقون بها فتجوز عرصات القيامة كالبرق
الخاطف فيقول اهل الموقف هولاء ملايكة مقربون وانبيا مرسلون
فينادى ما هولاء بملايكة ولا انبيا ولكنهم اهل المساجد والمحافظون على
الصلوات من امة محمد صلى الله عليه وسلم وفي التنزيل انما يعمر مساجد
الله من امن بالله وهذا عام في كل مسجد وقال النبي صلى الله عليه وسلم

اذا رايتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان ان الله تعالى
يقول انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر وقد تقدم
السادسة وتصان المساجد ايضا عن البيع والشرا وجميع الاشغال
لقوله صلى الله عليه وسلم للرجل الذي دعا الى الجمل الاحمر لا وجدت انما
بنيت المساجد لما بنيت له وهذا يدل على ان الاصل ان لا يعمل في المسجد
غير الصلوات والاذكار وقراة القران وكذا جا مفسرا من حديث
انس قال بينما نحن في المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مه مه فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا تزرموه دعوه فتركوه حتى بال ثم ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم دعاه فقال له ان هذه المساجد لا تصلح لشي من هذا البول
ولا القذر انما هي لذكر الله والصلاة وقراة القران وكما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال فامر رجلا من القوم فجا بدلو من ما فشنه
عليه خرجه مسلم ومما يدل على هذا من الكتاب قوله الحق ويذكر فيها
اسمه وقوله صلى الله عليه وسلم لمعوية بن الحكم السلمي ان هذه المساجد
لا يصلح فيها شي من كلام الناس انما هو التسبيح والتكبير وقراة القران
او كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث بطوله خرجه مسلم
في صحيحه وحسبك وسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه صوت رجل
في المسجد فقال ما هذا الصوت اتدري اين انت وكان خلف بن
ايوب جالسا في مسجده فاتاه غلامه يسيله عن شي فقام وخرج
من المسجد فاجابه فقيل له في ذلك فقال ما تكلمت في المسجد
بكلام الدنيا منذ كذا وكذا فكرهت ان اتكلم اليوم السابعة
روى الترمذي عن حديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه نهى عن تناشد الاشعار في المسجد وعن البيع
والشرا فيه وان يتحلق الناس يوم الجمعة قبل الصلاة قال وفي
الباب عن بريدة وجابر وانس حديث عبد الله بن عمرو حديث حسن
قال محمد بن اسماعيل رايت محمد واسحاق وروى لهما عيسى بن مريم
عليهما السلام وذكر غيرهما يحتجون بحديث عمرو بن شعيب وقد
ذكره قوم من اهل العلم البيع والشرا في المسجد وبه يقول احمد
واسحاق وروى ان عيسى بن مريم عليهما السلام اتى على قوم يتبايعون
في المساجد فجعل رداه مخراقا ثم جعل يسعى عليهم ضربا ويقول
يا ابنا الافاعي اتخذتم مساجد الله اسواقا هذا سوق الاخرة

قال الشيخ رحمه الله وقد ذكره بعض اصحابنا تعليم الصبيان في
المساجد وراى انه من باب البيع وهذا اذا كان باجرة فلو كان بغير
اجرة لمنع ايضا من وجه اخر وهو ان الصبيان لا يتحرزون عن الاقذار
والوسخ فيودي ذلك الى عدم تنظيف المساجد وقد امر صلى الله عليه
وسلم بتنظيفها وتطييبها فقال جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم
وسل سيوفكم واقامة حدودكم ورفع اصواتكم وخصوماتكم واجمروها
في الجمع واجعلوا على ابوابها المطاهر في اسناده العلا بن كثير الدمشقي
مولى بني امية وهو ضعيف عندهم ذكره ابو احمد بن عدي الجرجاني
الحافظ وذكر ابو احمد ايضا من حديث علي بن ابي طالب قال صليت
العصر مع عثمان امير المومنين فراى خياطا في ناحية المسجد فامر
باخراجه فقيل له يا امير المومنين انه يكنس المسجد ويغلق الابواب
ويرش احيانا فقال عثمان اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول جنبوا صناعكم من مساجدكم هذا حديث غير محفوظ في اسناده
محمد بن مجيب الثقفي وهو ذاهب الحديث قال الشيخ رحمه الله ما ورد في
هذا المعنى وان كان طريقه لينا فهو صحيح معنى يدل على صحته ما ذكرناه
قبل قال الترمذي وقد روي عن بعض اهل العلم من التابعين رخصة
في البيع والشرا في المسجد وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في غير
حديث رخصة في انشاد الشعر في المسجد قال الشيخ رحمه الله
اما تناشد الاشعار فاختلف في ذلك فمن مانع مطلقا ومن مجيز
مطلقا والاولى التفصيل وهو ان ينظر الى الشعر فان كان مما يقتضي الثنا
على الله جل وعز او على رسوله صلى الله عليه وسلم او الذب عنهما كما كان
شعر حسان او يتضمن الحض على الخير والوعظ والزهد في الدنيا والتقلل
منها فهو حسن في المساجد وغيرها كقول القايل

طرفي يا نفس كي اقصد فردا صمدا ... وذريني لست ابغي غير ربي احدا
فهو انسي وجليسي ودعي الناس فما ... ان تجدي من دونه ملتحدا

وما لم يكن كذلك لم يجز لان الشعر في الغالب لا يخلو عن الفواحش والكذب
والتزين بالباطل ولو سلم من ذلك فاقل ما فيه اللغو والهذر والمساجد
منزهة عن ذلك لقوله في بيوت اذن الله ان ترفع وقد يجوز
انشاده في المسجد كقول القايل

كحل العواب الوزد يجزيه اللثلهى نقلي الندا في متنه وتحدرا
وقول ... الاخر

اذا سقط السما بارض قوم رعيناه وان كانوا غضابا
فهذا الممنوع وان كان فيه حمد وثنا يجوز لانه خال عن الفواحش
والكذب وسياتي ذكر الاشعار الجايزة وغيرها بما فيه كفاية في
الشعر ان شا الله وقد روى الدارقطني من حديث هشام بن عروة
عن ابيه عن عايشة رضي الله عنها قالت ذكر عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم الشعر فقال هو كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح وفي الباب
عن عبد الله بن عمرو بن العاصي وابي هريرة وابن عباس عن النبي صلى الله
عليه وسلم ذكره في السنن قال الشيخ رحمه الله واصحاب الشافعي
يا ثرون هذا الكلام عن الشافعي وانه لم يتكلم به غيره وكانهم لم يقفوا
على الاحاديث في ذلك والله اعلم الثامنة واما رفع الصوت
فان كان مما يقتضي مصلحة للرافع صوته دعي عليه بنقيض قصده
لحديث بريدة المتقدم وحديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من سمع رجلا ينشد ضالة في المسجد فليقل لا ردها
الله عليك فان المساجد لم تبن لهذا والى هذا ذهب مالك وجماعة
حتى كرهوا رفع الصوت في المسجد في العلم وغيره واجاز ابو حنيفة
واصحابه ومحمد بن مسلمة من اصحابنا رفع الصوت فيه في الخصومة
والعلم قالوا لانهم لا بد لهم من ذلك وهذا مخالف لظاهر الحديث وقولهم
لا بد لهم من ذلك ممنوع بل لهم بد من ذلك بوجهين احدهما
بملازمة الوقار والحرمة وباحضار ذلك بالبال والتحرز من نقيضه والثاني
انه اذا لم يتمكن من ذلك فليتخذ لذلك موضعا يخصه كما فعل عمر حيث
بنى رحبة تسمى البطيحا وقال من اراد ان يلغط او ينشد شعرا يعني
في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فليخرج الى هذه الرحبة وهذا يدل
على ان عمر كان يكره انشاد الشعر في المسجد ولذلك بنى البطيحا
خارجه التاسعة واما النوم في المسجد لمن احتاج الى ذلك من
رجل او امراة كالغربا ومن لا بيت له فجايز لان في البخاري وقال
ابو قلابة عن انس قدم رهط من عكل على النبي صلى الله عليه وسلم
فكانوا في الصفة وقال عبد الرحمن بن ابي بكر كان اصحاب الصفة
فقرا وفي الصحيحين عن ابن عمر انه كان ينام وهو شاب اعزب
لا اهل له في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم لفظ البخاري وترجم
باب نوم المراة في المسجد وادخل حديث عايشة في قصة
السودا التي اتهمها اهلها بالوشاح قالت عايشة فكان لها

خبا في المسجد وحفش الحديث ويقال كان مبيت عطا ابن ابي رباح
في المسجد اربعين سنة العاشرة روى مسلم عن ابي حميد وعن
ابي اسيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل احدكم المسجد
فليقل اللهم افتح لي ابواب رحمتك واذا خرج فليقل اللهم اني اسالك من
فضلك خرجه ابو داود وكذلك الا انه زاد بعد قوله اذا دخل احدكم
المسجد فليسلم وليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليقل اللهم افتح
الحديث وروى ابن ماجة عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال بسم
الله والسلام على رسول الله اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك
واذا خرج قال بسم الله والسلام على رسول الله اللهم اغفر لي ذنوبي
وافتح لي ابواب رحمتك وفضلك وروى عن ابي هريرة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اذا دخل احدكم المسجد فليسلم على النبي صلى الله
عليه وسلم وليقل اللهم افتح لي ابواب رحمتك واذا خرج فليسلم على
النبي صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم اعصمني من الشيطان الرجيم وخرج
ابو داود عن حيوة بن شريح قال لقيت عقبة بن مسلم فقلت له بلغني
انك حدثت عن عبد الله بن عمرو بن العاصي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه كان اذا دخل المسجد قال اعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه
القديم من الشيطان الرجيم قال نعم قال فاذا قال ذلك قال الشيطان
حفظ مني ساير اليوم الحادية عشرة روى مسلم عن ابي قتادة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل احدكم المسجد فليركع
ركعتين قبل ان يجلس وعنه قال دخلت المسجد ورسول الله صلى الله
عليه وسلم جالس بين ظهراني الناس قال فجلست فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما منعك ان تركع ركعتين قبل ان تجلس فقلت
يا رسول الله رايتك جالسا والناس جلوسا قال فاذا دخل احدكم
المسجد فلا يجلس حتى يركع ركعتين قال العلما فجعل صلى الله عليه وسلم
للمسجد مزية يتميز بها عن ساير البيوت وهو ان لا يجلس حتى يركع
وعامة العلما على ان الامر بالركوع على الندب والترغيب وقد
ذهب داود واصحابه الى ان ذلك على الوجوب وهذا باطل ولو كان الامر
على ما قالوه لحرم دخول المسجد على المحدث الحدث الاصغر حتى
يتوضا ولا قايل به فيما اعلم والله اعلم فان قيل فقد روى ابراهيم
ابن يزيد عن الاوزاعي عن يحيى بن ابي كثير عن ابي سلمة بن عبد الرحمن

عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل
احدكم المسجد فلا يجلس حتى يركع ركعتين واذا دخل احدكم بيته
فلا يجلس حتى يركع ركعتين فان الله جاعل له من ركعتيه في بيته
خيرا وهذا يقتضي التسوية بين المسجد والبيت قيل له هذه
الزيادة في الركوع عند دخول البيت لا اصل لها قال ذلك البخاري
وانما يصح في هذا حديث ابي قتادة الذي تقدم لمسلم وابراهيم هذا
لا اعلم روى عنه الا سعد بن عبد الحميد ولا اعلم له الا هذا الحديث
الواحد قاله ابو محمد عبد الحق **الثانية عشرة** روى سعيد بن
زبان حدثني ابي عن ابيه عن جده عن ابي هند رضي الله عنه قال حمل
تميم يعني الداري من الشام الى المدينة قناديل وزيتا ومقطا فلما
انتهى الى المدينة وافق ذلك ليلة الجمعة فامر غلاما يقال له ابو
البراد فقام فنشط المقط وعلق القناديل وصب فيها الماء والزيت
وجعل فيها الفتل فلما غربت الشمس امر ابا البراد فاسرجها وخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد فاذا هو بها تزهر فقال من
فعل هذا قالوا تميم الداري يا رسول الله فقال نورت الاسلام نور الله
عليك في الدنيا والاخرة اما انه لو كانت لي ابنة لزوجتكها قال نوفل
ابن الحرث لي ابنة يا رسول الله تسمى المغيرة بنت نوفل فافعل بها ما
اردت فانكحه اياها زبان بفتح الزاي والبا وتشديدها بنقطة
واحدة من تحتها ينفرد بالتسمية به سعيد وحده فهو ابو عثمان
سعيد بن زبان ابن فايد بن زبان بن ابي هند وابو هند هذا مولى
بني بياضة حجام النبي صلى الله عليه وسلم والمقط جمع المقاط والله اعلم
وروى ابن ماجة عن ابي سعيد الخدري قال اول من سرج في المساجد
تميم الداري وروى عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اسرج في
مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش يصلون عليه ويستغفرون
له ما دام ذلك الضوء فيه وان كنس المساجد نقد الحور العين قال
العلماء ويستحب ان ينور البيت الذي يقرأ فيه القران بتعليق القناديل
ونصب الشموع فيه ويزاد في شهر رمضان في انوار المساجد **الثالثة
عشرة** قوله تعالى يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال اختلف
العلماء في وصف الله تعالى المسبحين فقيل هم المراقبون امر الله الطالبون
رضاه الذين لا يشغلهم عن الصلاة وذكر الله شيء من امور الدنيا
وقال كثير من الصحابة نزلت هذه الاية في اهل الاسواق الذين

اذا سمعوا

اذا سمعوا النداء بالصلاة تركوا كل شغل وبادروا ورأى سالم بن
عبد الله اهل الاسواق وهم مقبلون الى الصلاة فقال هولاء الذين اراد
الله بقوله لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وروي ذلك عن ابن
مسعود وقرا عبد الله بن عامر وعاصم في رواية ابي بكر عنه والحسن
يسبح له بفتح البا على ما لم يسم فاعله وكان نافع وابو عمرو وحمزة
يقرؤون يسبح بكسر البا وكذلك روى ابو عمرو عن عاصم فمن قرا
يسبح بفتح البا كان على معنيين احدهما ان يرتفع رجال بفعل مضمر
دل عليه الظاهر المعنى يسبحه رجال فيوقف على هذا على الاصال
وقد ذكر سيبويه مثل هذا وانشد

ليبك يزيد ضارع لخصومة ... ومختبط مما يطيح الطوائح

المعنى يبكيه ضارع وعلى هذا تقول ضرب زيد عمرو وعلى معنى ضربه
عمرو والوجه الاخر ان يرتفع رجال بالابتدا والخبر في بيوت اي في
بيوت اذن الله ان ترفع رجال ويسبح له فيها حال من الضمير في ترفع
كانه قال ان ترفع له مسبحا له فيها ولا يوقف على الاصال على هذا التقدير
ومن قرا يسبح بكسر البا لم يقف على الاصال لان يسبح فعل للرجال
والفعل مضطر الى فاعله ولا اضمار فيه وقد تقدم القول في الغدو والاصال
في الاعراف والحمد لله **الرابعة عشرة** قوله تعالى يسبح له قيل
معناه يصلي وقال ابن عباس كل تسبيح في القران صلاة ويدل عليه قوله
بالغدو والاصال اي بالغداة والعشي وقال اكثر المفسرين اراد الصلاة
المفروضة فالغدو صلاة الصبح والاصال الظهر والعصر والعشاين
لان اسم الاصال يجمعها **الخامسة عشرة** روى ابو داود عن ابي
امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من خرج من بيته متطهرا
الى صلاة مكتوبة فاجره كاجر الحاج المحرم ومن خرج الى تسبيح الضحى
لا ينصبه الا اياه فاجره كاجر المعتمر وصلاة على اثر صلاة كتاب
في عليين وخرج عن بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بشر
المشائين في الظلم الى المساجد بالنور التام يوم القيامة وفي صحيح
مسلم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من غدا الى المسجد
او راح اعد الله له نزلا في الجنة كلما غدا او راح في غير الصحيح من
الزيادة كما ان احدكم لو زار من يحب زيارته لاجتهد في كرامته ذكره
الثعلبي وخرج مسلم من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من تطهر في بيته ثم مشى الى بيت من بيوت الله ليقضي

او بعضه من فرايض الله كانت خطوتاه احداهما تحط خطيئة والاخرى
ترفع درجة وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الرجل
في جماعة تزيد على صلاته في بيته وصلاته في سوقه بضعا وعشرين
درجة وذلك ان احدهم اذا توضا فاحسن الوضوء ثم اتى المسجد
لا ينهزه الا الصلاة لا يريد الا الصلاة فلم يخط خطوة الا رفع له بها
درجة وحط عنه بها خطيئة حتى يدخل المسجد فاذا دخل المسجد
كان في الصلاة ما كانت الصلاة هي تحبسه والملائكة يصلون على
احدكم ما دام في مجلسه الذي صلى فيه يقولون اللهم ارحمه اللهم
اغفر له اللهم تب عليه ما لم يوذ فيه ما لم يحدث فيه وفي رواية
ما يحدث قال يفسو او يضرط وقال حكيم بن رزين قيل لسعيد
ابن المسيب احضور الجنازة احب اليك ام الجلوس في المسجد فقال
من صلى على جنازة فله قيراط ومن شهد دفنها فله قيراطان والجلوس
في المسجد احب الي لان الملائكة تقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه اللهم تب
عليه وروي عن الحكم بن عمير صاحب رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كونوا في الدنيا اضيافا
واتخذوا المساجد بيوتا وعودوا قلوبكم الرقة واكثروا التفكر
والبكا ولا تختلف بكم الاهوا تبنون ما لا تسكنون وتجمعون ما لا
تاكلون وتاملون ما لا تدركون وقال ابو الدردا لابنه ليكن
المسجد بيتك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان
المساجد بيوت المتقين ومن كانت المساجد بيته ضمن الله تعالى
له بالروح والراحة والجواز على الصراط وكتب ابو صادق الازدي الى
شعيب بن الحبحاب ان عليك بالمساجد فالزمها فانه بلغني انها
كانت مجالس الكرام من الناس وقال مالك بن دينار بلغني ان الله
تبارك وتعالى يقول اني اهم بعذاب عبادي فانظر الى عمار المساجد
وجلسا القران وولدان الاسلام فيسكن غضبي وروي عنه عليه السلام
انه قال سيكون في اخر الزمان رجال ياتون المساجد فيقعدون فيها
حلقا حلقا ذكرهم الدنيا وحبها فلا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة
وقال ابن المسيب من جلس في مسجد فانما يجالس ربه فما حقه ان
يقول الا خيرا وقد مضى من تعظيم المساجد وحرمتها ما فيه كفاية
وقد جمع بعض العلما في ذلك خمس عشرة خصلة فقال من حرمة المسجد
ان يسلم وقت الدخول ان كان القوم جلوسا وان لم يكن في المسجد

احد قال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وان يركع ركعتين
قبل ان يجلس وان لا يشتري فيه ولا يبيع ولا يسل فيه سهما ولا سيفا
ولا يطلب فيه ضالة ولا يرفع فيه صوتا بغير ذكر الله ولا يتكلم
فيه باحاديث الدنيا ولا يتخطى رقاب الناس ولا ينازع في المكان
ولا يضيق على احد في الصف ولا يمر بين يدي مصل ولا يبزق ولا
يتنخم ولا يتمخط فيه ولا يفرقع اصابعه او يعبث بشي من جسده
وان ينزه عن النجاسات والصبيان والمجانين واقامة الحدود
وان يكثر ذكر الله ولا يغفل عنه فاذا فعل هذه الخصال فقد ادى
حق المسجد وكان المسجد حرزا له وحصنا من الشيطان الرجيم
وفي الخبر ان مسجدا ارتفع باهله الى السما يشكوهم الى الله لما يتحدثون
فيه من احاديث الدنيا وروي الدارقطني عن عامر الشعبي قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقتراب الساعة ان يرى الهلال
قبلا فيقال لليلتين وان تتخذ المساجد طرقا وان يظهر موت
الفجاة هذا يرويه عبد الكبير بن المعافا عن شريك عن العباس
ابن ذريح عن الشعبي عن انس وغيره يرويه عن الشعبي مرسلا والله
اعلم وقال ابو حاتم عبد الكبير بن معافا ثقة كان يعد من الابدال
وفي البخاري عن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من مر في شي من
مساجدنا او اسواقنا بنبل فلياخذ على نصالها لا يعقر بكفه مسلما
وخرج مسلم عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البزاق في
المسجد خطيئة وكفارتها دفنها وعن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال عرضت علي اعمال امتي حسنها وسيئها فوجدت من محاسن
اعمالها الاذى يماط عن الطريق ووجدت من مساوي اعمالها النخاعة
تكون في المسجد لا تدفن وخرج ابو داود عن الفرج بن فضالة عن ابي
سعيد الحذري قال رايت واثلة بن الاسقع في مسجد دمشق بصق على
الحصير ثم مسحه برجله فقيل له لم فعلت هذا قال لاني رايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يفعله فرج بن فضالة ضعيف وايضا فلم يكن
في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حصر والصحيح ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم انما بصق على الارض ودلكه بنعله اليسرى ولعل واثلة انما
فعل هذا في الحصير عليه **السادسة عشرة** لما قال تعالى رجال
خصهم بالذكر دل على ان النسا لا حظ لهن في المساجد اذ لا جمعة
عليهن ولا جماعة وان صلاتهن في بيوتهن افضل روى ابو داود عن عبد الله

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال صلاة المراة في بيتها افضل من صلاتها
في حجرتها وصلاتها في مخدعها افضل من صلاتها في بيتها **السابعة
عشرة** قوله تعالى لا تلهيهم اي تشغلهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله
خص التجارة بالذكر لانها اعظم ما يشتغل بها الانسان عن الصلاة
فان قيل فلم كرر ذكر البيع والتجارة تشمله قيل اراد بالتجارة
والشرا كقوله ولا بيع نظيره قوله تعالى واذا راوا تجارة او لهوا
انفضوا اليها قاله الواقدي وقال الكلبي التجار هم الجلاب المسافرون
والباعة هم المقيمون عن ذكر الله اختلف في تاويله فقال عطا
يعني حضور الصلاة وقال ابن عباس وقال المكتوبة وقيل عن الاذان
ذكره يحيى بن سلام وقيل عن ذكره باسمائه الحسنى اي يوحدونه ويمجدونه
والاية نزلت في اهل الاسواق قاله ابن عمر قال سالم جاز عبد الله بن
عمر بالسوق وقد اغلقوا حوانيتهم وقاموا ليصلوا في جماعة فقال
فيهم نزلت رجال لا تلهيهم تجارة الاية وقال ابو هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم هم الذين يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وقيل ان
رجلين كانا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم احدهما بياعا فاذا سمع النداء
بالصلاة فان كان الميزان بيده طرحه ولا يضعه وضعا وان كانت
بالارض لم يرفعه وكان الاخر قينا يعمل السيوف للتجارة فكان اذا
كانت مطرقته على السندان ابقاها موضوعة وان كان قد رفعها
القاها من وراء ظهره اذا سمع الاذان فانزل الله هذا ثناء عليهما وعلى
كل من اقتدى بهما **الثامنة عشرة** قوله تعالى واقام الصلاة هذا
يدل على ان المراد بقوله عن ذكر الله غير الصلاة لانه يكون تكرارا يقال
اقام الصلاة اقامة واصل اقوامة فقلبت حركة الواو على القاف فانقلبت
الواو الفا وبعدها الف ساكنة فحذفت احدهما واثبتت الهاء بدلا لئلا
تحذفها فتجحف فلما اضيفت قام المضاف مقام الهاء فجاز حذفها وان لم
تضف لم يجز حذفها الا ترى انك تقول وعد عدة ووزن زنة فلا يجوز
حذف الهاء لانك قد حذفت واوا لان الاصل وعد وعدة ووزن وزنة
فان اضفت حذفت الهاء وانشد الفرا

ان الخليط اجدوا البين وانجردوا ... واخلفوك عدا الامر الذي وعدوا

يريد عدة فحذف الهاء لما اضاف روي من حديث انس قال قال النبي صلى الله
عليه وسلم ياتي الله يوم القيامة بمساجد الدنيا كانها نجب بيض قوائمها من
العنبر واعناقها من الزعفران ورؤوسها من المسك وازمتها من الزبرجد

الاخضر

الاخضر وقوامها والمؤذنون فيها يقودونها وائمتها يسوقونها وعمارها
متعلقون بها فتجوز عرصات القيامة كالبرق الخاطف فيقول اهل
الموقف هؤلاء ملائكة مقربون او انبيا مرسلون فينادى ما هؤلاء بملائكة
ولا انبيا ولكنهم اهل المساجد والمحافظون على الصلوات من امة محمد وعن علي
رضي الله عنه انه قال ياتي على الناس زمان لا يبقى من الاسلام الا اسمه ولا
من القران الا رسمه يعمرون مساجدهم وهي من ذكر الله خراب شر اهل
ذلك الزمان علماؤهم منهم تخرج الفتنة واليهم تعود يعني انهم يعلمون ولا
يعملون بواجبات ما حملوا **التاسعة عشرة** قوله تعالى وايتاء
الزكاة قيل الزكاة المفروضة قاله الحسن وقال ابن عباس الزكاة هاهنا طاعة
والاخلاص اذ ليس لكل مؤمن مال يخافون يوما يعني يوم القيامة تتقلب
فيه القلوب والابصار يعني من هوله وحذر الهلاك والتقلب التحول
والمراد القلوب الكفار وابصارهم فتتقلب القلوب انتزاعها من اماكنها
الى الحناجر فلا هي ترجع الى اماكنها ولا هي تخرج واما تقلب الابصار فالزرق
بعد الكحل والعمى بعد البصر وقيل تتقلب القلوب بين الطمع في النجاة
والخوف من الهلاك والابصار تنظر من اي ناحية يعطون كتبهم والى اي
ناحية يوخذ بهم وقيل ان قلوب الشاكين تتحول عما كانت عليه من الشك
وكذلك ابصارهم لرؤيتهم اليقين وذلك مثل قوله تعالى فكشفنا عنك
غطاءك فبصرك اليوم حديد فما كان يراه في الدنيا غيا يراه رشدا الا ان
ذلك لا ينفعهم في الاخرة وقيل تتقلب على جمر جهنم كقوله يوم تقلب وجوههم
في النار وتقلب افئدتهم وابصارهم في قول من جعل المعنى تتقلب على لهب
النار وقيل تتقلب بان تلفحها النار مرة وتنضجها مرة وقيل ان تقلب القلوب
وجيبها وتقلب الابصار النظر بها الى نواحي الاهوال ليجزيهم الله احسن
ما عملوا فذكر الجزا على الحسنات ولم يذكر الجزا على السيئات وان كان يجازي
عليها لامرين احدهما انه ترغيب فاقتصر على ذكر الرغبة الثاني انه في
صفة قوم لا تكون منهم الكبائر فكانت صغائرهم مغفورة ويزيدهم من
فضله يحتمل وجهين احدهما ما يضاعف من الحسنة بعشر امثالها
الثاني ما يتفضل به من غير جزا والله يرزق من يشا بغير حساب
اي من غير ان يحاسبه على ما اعطاه او لا نهاية لما يعطيه وروي انه لما
نزلت هذه الاية امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببنا مسجد قبا فحضر
عبد الله بن رواحة فقال يا رسول الله قد افلح من بنى المساجد قال نعم
يا ابن رواحة قال وصلى فيها قائما وقاعدا قال نعم يا ابن رواحة قال

وهو بيت لله الا ساجدا قال نعم يا ابن رواحة كف عن السجع فما اعطى
عبد شيا شرا من طلاقة في لسانه ذكره الماوردي **قوله تعالى**
والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة لما ضرب مثل المومن ضرب مثل الكافر
مقاتل نزلت في شيبة بن ربيعة بن عبد شمس كان يترهب ملتمسا للدين
فلما خرج صلى الله عليه وسلم كفر ابو جهل في اهل الكتاب الضحاك في اعمال
الخير للكافر كصلة الرحم ونفع الجيران والسراب ما يرى نصف النهار في
اشتداد الحر كالماء في المفاوز يلصق بالارض والآل الذي يكون ضحى كالماء الا انه
يرتفع عن الارض حتى يصير كانه بين الارض والسما وسمي السراب سرابا
لانه ينسرب اي يجري كالماء يقال سرب الفحل اي مضى وسار في الارض ويسمى
الآل ايضا ولا يكون الا في البرية والحر فيغتر به العطشان قال الشاعر

فكنت كمهريق الذي في سقائه لرقراق آل فوق رابية صلد

وقال آخر

فلما كففنا الحرب كانت عهودهم كلمع سراب بالفلا متألق

وقال امرؤ القيس

الم انض المطي بكل خرق طويل الطول لماع السراب

والقيعة جمع القاع مثل جيرة وجار قاله الهروي وقال ابو عبيدة قيعة
وقاع واحد حكاه النحاس والقاع ما انبسط من الارض واتسع ولم يكن
فيه نبت وفيه يكون السراب واصل القاع الموضع المنخفض الذي يستقر
فيه الما وجمعه قيعان قال الجوهري والقاع المستوي من الارض والجمع اقوع
واقواع وقيعان صارت الواو يا لكسرة ما قبلها والقيعة مثل القاع وهو
ايضا من الواو وبعضهم يقول هو جمع يحسبه الظمآن اي العطشان ماء اي
يحسب السراب ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيا مما قدره ووجد ارضا لا ماء فيها
وهذا مثل ضربه الله للكفار يعولون على ثواب اعمالهم فاذا قدموا على الله
تعالى وجدوا ثواب اعمالهم محبطة بالكفر اي لم يجدوا شيا كما لم يجد صاحب
السراب الا ارضا لا ماء فيها فهو يهلك او يموت ووجد الله عنده اي وجد الله
بالمرصاد فوفاه حسابه اي جزا عمله قال امرؤ القيس

فولى مدبرا يهوي حثيثا وايقن انه لاقى الحسابا

وقيل وعد الله بالجزا على عمله وقيل وجد امر الله عند حشره والمعنى متقارب
وقرى بقيعات المهدوي ويجوز ان تكون الالف مشبعة من فتحة العين ويجوز
ان يكون مثل رجل عزه وعزهاة للذي لا يقرب النسا الجوهري رجل
عزهاة وعزهاة وعزهى للذي لا يطرب للهو ويبعد عنه والجمع عزاهي

مثل

مثل سعلاه وسعالي وعزهلون بالفتح الكسا ورجل فيه عزه وهداة اي كبر
ويجوز ان يكون جمع قيعة ويكون على هذا بالتا في الوصل والوقف وروي
عن نافع وابي جعفر وشيبة الظمان بغير همز والمشهور عنهما الهمز يقال ظمي
يظما ظما فهو ظمان وان خففت الهمزة قلت الظمان وقوله والذين كفروا
ابتدا اعمالهم ابتدا ثان والكاف من كسراب الخبر والجملة خبر عن الذين ويجوز
ان يكون اعمالهم بدلا من الذين كفروا اي واعمال الذين كفروا كسراب فحذف
المضاف **قوله تعالى** او كظلمات في بحر لجي ضرب تعالى مثلا آخر
للكفار اي اعمالهم كسراب بقيعة او كظلمات قال الزجاج ان شئت مثل السراب
وان شئت مثل بهذه الظلمات جاز للاباحة حسب ما تقدم في او كصيب
وقال الجرجاني الاية الاولى في ذكر اعمال الكفار والثانية في ذكر كفرهم
ونسق الكفر على اعمالهم لان الكفر ايضا من اعمالهم وقد قال الله تعالى يخرجهم
من الظلمات الى النور اي من الكفر الى الايمان وقال ابو علي او كظلمات اي
او كذي ظلمات ودل على هذا المضاف قوله اذا اخرج يده فالكناية تعود الى
المضاف المحذوف قال القشيري فعند الزجاج التمثيل وقع لاعمال الكفار
وعند الجرجاني لكفر الكافر وعند ابي علي للكافر وقال ابن عباس في رواية
هذا مثل قلب الكافر في بحر لجي قيل هو منسوب الى اللجة وهو الذي لا يدرك
قعره واللجة معظم الما والجمع لجج والتج البحر اذا تلاطمت امواجه ومنه ما روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من ركب البحر اذا التج فقد برئت منه الذمة
والتج الامر اذا عظم واختلط وقوله حسبه لجة اي ما له عمق ولججت
السفينة اي خاضت اللجة بضم اللام فاما اللجة بفتح اللام فاصوات
الناس تقول سمعت لجة الناس اي اصواتهم وصخبهم قال ابو النجم

في لجة امسك فلانا عن فل

والتج الاصوات اي اختلطت وعظمت
يغشاه موج اي يعلو ذلك البحر اللجي موج من فوقه موج اي من فوق الموج
موج ومن فوق هذا الموج الثاني سحاب فيجتمع خوف الموج وخوف الريح
وخوف السحاب وقيل المعنى يغشاه موج من بعده موج فيكون الموج يتبع
بعضه بعضا حتى كان بعضه فوق بعض وهو اخوف ما يكون اذا توالى
موجه وتقارب ومن فوق هذا الموج سحاب وهو اعظم للخوف من وجهين
احدهما انه قد غطى النجوم التي يهتدى بها الثاني الريح التي تنشا مع السحاب
والمطر الذي ينزل منه ظلمات بعضها فوق بعض قرا ابن محيصن والبزي
عن ابن كثير سحاب ظلمات بالاضافة والخفض قيل سحاب منونا ظلمات
بالجر والتنوين الباقون بالرفع والتنوين ومن قرا من فوقه سحاب ظلمات

بالاضافة فلان السحاب يرتفع وقت هذه الظلمات فاضيف اليها كما يقال سحاب رحمة اذا ارتفع في وقت المطر ومن قرا سحاب ظلمات جره ظلمات على التاكيد لظلمات الاولى او البدل منها وسحاب ابتدا ومن فوقه الخبر ومن قرا سحاب ظلمات فظلمات خبر ابتدا محذوف التقدير هي ظلمات او هذه ظلمات قال ابن الانباري ومن فوقه موج غير تام لان قوله من فوقه سحاب صلة للموج والوقف على قوله ومن فوقه سحاب حسن ثم تبتدي ظلمات بعضها فوق بعض على معنى هي ظلمات بعضها فوق بعض وروي عن اهل مكة انهم قروا ظلمات على معنى او كظلمات ظلمات بعضها فوق بعض فعلى هذا المذهب لا يحسن الوقف على السحاب ثم قيل المراد بهذه الظلمات ظلمة السحاب وظلمة الموج وظلمة الليل وظلمة البحر فلا يبصر من كان في هذه الظلمات شيا ولا كوكبا وقيل المراد بالظلمات الشدايد اي شدايد بعضها فوق بعض وقيل المراد بالظلمات اعمال الكفار وبالبحر اللجي قلبه والموج فوق الموج ما يغشى قلبه من الجهل والشك والحيرة وبالسحاب الرين والختم والطبع على قلبه روي معناه عن ابن عباس وغيره اي لا يبصر بقلبه نور الايمان كما ان صاحب الظلمات في البحر اذا اخرج يده لم يكد يراها وقال ابي بن كعب الكافر ينقلب في خمس من الظلمات كلامه ظلمة وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره يوم القيامة الى الظلمات في النار وبيس المصير اذا اخرج يده يعني الناظر لم يكد يراها اي من شدة الظلمات قال الزجاج وابو عبيدة المعنى لم يرها ولم يكد وهو معنى قول الحسن ومعنى لم يكد لم يطمع ان يراها وقال الفرا كاد صلة اي لم يرها كما تقول ما كدت اعرفه وقال المبرد يعني لم يرها الا من بعد الجهد كما تقول ما كدت اراك من الظلمة وقد رآه بعد ياس وشدة وقيل معناه قرب من الرؤية ولم يرها كما يقال كاد العروس يكون اميرا وكاد النعام يطير وكاد المشعل يكون راكبا النحاس واصح الاقوال في هذا ان المعنى لم يقارب رويتها فاذا لم يقارب رويتها فلم يرها روية بعيدة ولا قريبة ومن لم يجعل الله له نورا يهتدي به في ظلمة عليه الامور وقال ابن عباس اي من لم يجعل الله له دينا فما له من دين ومن لم يجعل الله له نورا يمشي به يوم القيامة لم يهتد الى الجنة كقوله ويجعل لكم نورا تمشون به وقال الزجاج ذلك في الدنيا والمعنى من لم يهده الله لم يهتد وقال مقاتل ابن سليمان نزلت في عتبة بن ربيعة كان الدين في الجاهلية ولبس المسوح ثم كفر في الاسلام الماوردي في شيبة بن ربيعة وكان يترهب في

الجاهلية

الجاهلية ويلبس الصوف ويطلب الدين فكفر في الاسلام قال الشيخ رحمه الله وكلاهما ماتا كافرا فلا يبعد ان يكونا المراد بالاية وغيرهما وقيل نزلت في عبد الله بن جحش وكان اسلم وهاجر الى ارض الحبشة ثم تنصر بعد الاسلام وذكر الثعلبي وقال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلقني من نوره وخلق ابا بكر من نوري وخلق عمر وعايشة من نور ابي بكر وخلق المومنين من امتي من نور عمر وخلق المومنات من امتي من نور عايشة فمن لم يحبني ويحب ابا بكر وعمر وعايشة فما له من نور فنزلت ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور **قوله تعالى** الم تر ان الله يسبح له من في السموات ومن في الارض والطير صافات لما ذكر وضوح الايات زاد في الحجة والبينات وبين ان مصنوعاته تدل بتغييرها على ان لها صانعا قادرا على الكمال فله بعثة الرسل وقد بعثهم وايدهم بالمعجزات واخبروا بالجنة والنار والخطاب في الم تعلم للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى الم تعلم والمراد الكل ان الله يسبح له من في السموات من الملايكة ومن في الارض من الجن والانس والطير صافات قال مجاهد وغيره الصلاة للانسان والتسبيح لما سواه من الخلق وقال سفيان للطير صلاة ليس فيها ركوع ولا سجود وقيل ان ضربها باجنحتها صلاة وان اصواتها تسبيح حكاه النقاش وقيل التسبيح هاهنا ما يرى في المخلوق من اثر الصنعة ومعنى صافات مصطفات الاجنحة في الهوا وقراه الجماعة والطير بالرفع عطفا على من وقال الزجاج ويجوز والطير بمعنى مع الطير قال النحاس وسمعته يجيز قمت وزيدا بمعنى مع زيد قال وهو اجود من الرفع قال فان قلت قمت انا وزيد كان الاجود الرفع ويجوز النصب كل قد علم صلاته وتسبيحه يجوز ان يكون المعنى كل قد علم الله صلاته وتسبيحه اي علم صلاة المصلي وتسبيح المسبح ولهذا قال والله عليم بما يفعلون اي لا يخفى عليه طاعتهم ولا تسبيحهم ومن هذه الجهة يجوز نصبه عند البصريين والكوفيين باضمار فعل يفسره ما بعده وقال مجاهد الصلاة للانسان والتسبيح لما سوى ذلك من خلقه وقيل المعنى قد علم كل مصل ومسبح صلاة نفسه وتسبيحه الذي كلف وقرا بعض الناس كل قد علم صلاته وتسبيحه غير مسمى الفاعل وذكر بعض النحويين ان بعضهم قرا كل قد علم صلاته وتسبيحه فيجوز ان يكون تقديره كل قد علمه الله صلاته وتسبيحه ويجوز ان يكون المعنى كل قد علم غيره صلاته وتسبيحه اي صلاة نفسه فيكون التعليم الذي هو الافهام والمراد الخصوص لان من الناس من لم يعلم ويجوز ان يكون المعنى كل قد استدل منه المستدل فعبر عن الاستدلال

بالتعليم قاله المهدوي والصلاة هنا بمعنى التسبيح وكررتا كيدا كقوله
يعلم السر والنجوى والصلاة قد تسمى تسبيحا قاله القشيري ولله ملك
السموات والارض والى الله المصير تقدم في غير موضع **قوله تعالى**
الم تر ان الله يزجي سحابا ذكر من حججه شيا اخر اي الم تر بعيني قلبك يزجي
سحابا اي يسوق الى حيث يشا والريح تزجي السحاب والبقرة تزجي ولدها
اي تسوقه ومنه زجا الخراج يزجوا زجاء ممدود وا تيسرت جبايته وقال النابغة

اني اتيتك من اهلي ومن وطني ازجي حشاشة نفس ما بها رمق

وقال ـــــ ايضا

اسرت عليه من الجوزا سارية تزجي الشمال عليه جامد البرد

ثم يولف بينه اي يجمعه عند انشائه ليقوي ويتصل ويكشف والاصل في
التاليف الهمز تقول تالف وقري يولف بالواو تخفيفا والسحاب واحد في
اللفظ ولكن معناه جمع ولهذا قال ينشي السحاب وبين لا يقع الا لاثنين
فصاعدا فكيف جاز بينه فالجواب ان بينه هاهنا لجماعة السحاب
كما تقول الشجر قد جلست بينه لانه جمع وذكر الكناية على اللفظ قال
معناه الفرا وجواب اخر وهو ان يكون السحاب واحدا فجاز ان يقال
بينه لانه مشتمل على قطع كثيرة كما قال بين الدخول فحومل فاوقع بين الدخول
وهو واحد لاشتماله على مواضع وكما تقول مازلت ادور بين الكوفة لان الكوفة
اماكن كثيرة قاله الزجاج وغيره وزعم الاصمعي ان هذا لا يجوز وكان يرويه
بين الدخول وحومل ثم يجعله ركاما اي مجتمعا يركب بعضه بعضا كقوله
تعالى وان يروا كسفا من السما ساقطا يقولوا سحاب مركوم والركم جمع الشي
يقال منه ركم الشي يركمه ركما اذا جمعه والقى بعضه على بعض وارتكم الشي
وتراكم اذا اجتمع والركمة الطين المجموع والركام الرمل المتراكب وكذلك
السحاب وما اشبهه ومرتكم الطريق بفتح الكاف جادته فترى الودق
يخرج من خلاله في الودق قولان احدهما انه البرق قاله ابو الاشهب
العقيلي ومنه قول الشاعر

اثرن عجاجة وخرجن منها خروج الودق من خلل السحاب

الثاني انه المطر قاله الجمهور ومنه قول الشاعر

فلا مزنة ودقت ودقها ولا ارض ابقل ابقالها

وقال ـــــ امرؤ القيس

فدمعهما ودق وسح وديمة وسكب وتوكاف وتنهملان

يقال ودقت السحابة فهي وادقة وودق المطر يدق ودقا اي قطر وودقت

اليه

اليه دنوت منه وفي المثل ودق العير الى الماء اي دنا منه يضرب لمن خضع
للشي لحرصه عليه والموضع مودق وودقت به ودقا استانست به ويقال لذات
الحافر اذا ارادت الفحل ودقت تدق ودقا واودقت واستودقت واتان ودوق
وفرس ودوق ووديق ايضا وبها وداق والوديقة شدة الحر وخلال
جمع خلل مثل الجبل والجبال وهي فرجه ومخارج القطر منه وقد تقدم في
البقرة ان كعبا قال ان السحاب غربال المطر لولا السحاب حين ينزل الماء
من السما لافسد ما يقع عليه من الارض وقرا ابن عباس والضحاك وابو
العالية من خلله على التوحيد وتقول كنت في خلال القوم اي وسطهم
وينزل من السما من جبال فيها من برد قيل خلق الله في السما جبالا من برد
فهو ينزل منها بردا وفيه اضمار اي ينزل من جبال البرد بردا فالمفعول
محذوف ونحو هذا قول الفرا لان التقدير عنده من جبال برد فالجبال
عنده هي البرد وبرد في موضع خفض ويجب ان يكون على قوله المعنى من جبال
برد فيها بتنوين جبال وقيل ان الله تعالى خلق في السما جبالا فيها برد فيكون
التقدير وينزل من السما من جبال فيها برد ومن صلة وقيل المعنى وينزل من السما
قدر جبال او مثل جبال من برد الى الارض فمن الاولى للغاية لان ابتدا الانزال من
السما والثانية للتبعيض لان البرد بعض الجبال والثالثة لتبيين الجنس لان
جنس تلك الجبال من البرد وقال الاخفش ان من في الجبال وبرد زائدة في
الموضعين والجبال والبرد في موضع نصب اي ينزل من السما بردا يكون كالجبال
والله اعلم فيصيب به من يشا فتكون اصابته نقمة وصرفه نعمة وقد مضى في
البقرة والرعد ان من قال حين يسمع الرعد سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة
من خيفته ثلاثا عوفي مما يكون في ذلك الرعد يكاد سنا برقه اي ضوء ذلك
البرق الذي في السحاب يذهب بالابصار من شدة بريقه وضوئه قال الشماخ

وما كادت اذا رفعت سناها ليبصر ضوءها الا البصير

وقال ـــــ امرؤ القيس

يضي سناه او مصابيح راهب اهان السليط في الذبال المفتل

فالسنا مقصور ضوء البرق والسنا ايضا نبت يتداوى به والسنا من الرفعة
ممدود وكذلك قراة طلحة بن مصرف سناء بالمد على المبالغة في شدة الضوء
والصفا فاطلق عليه اسم الشرف قال المبرد السنا مقصور وهو اللمع فاذا كان
من الشرف والحسب فهو ممدود واصلهما واحد وهو الالتماع وقرا طلحة بن
مصرف سناء برقه قال احمد بن يحيى وهو جمع برقة قال النحاس البرقة المقدار
من البرق والبرقة المرة الواحدة وقرا الجحدري وابن القعقاع يذهب

بالابصار بضم اليا وكسرها من الاذهاب وتكون البا في الابصار صلة
زايدة والباقون تذهب بالابصار بفتح اليا والها والبا للالصاق والبرق
دليل على انها نف السحاب ونذير بقوة المطر وتحذير من نزول الصواعق يقلب
الله الليل والنهار قيل تقليبهما ان ياتي باحدهما بعد الاخر وقيل تقليبهما
نقصهما وزيادتهما وقيل هو تغيير النهار بظلمة السحاب مرة وبضو الشمس
اخرى وكذا الليل مرة بتغيير بظلمة السحاب ومرة بضو القمر قاله
النقاش وقيل بقلبهما باختلاف ما يقدر فيهما من خير وشر ونفع وضر
ان في ذلك اي في الوجه الذي ذكرناه من تقليب الليل والنهار واحوال
المطر والصيف والشتا لعبرة اي اعتبار لاولي الابصار اي لاهل البصاير
من خلقه **قوله تعالى** والله خلق كل دابة من ما قرا يحيى بن وثاب
والاعمش وحمزة والكسائي والله خالق كل بالاضافة الباقون خلق على الفعل
قال القشيري في القرائتين صحيحتان اخبر الله عز وجل بخبرين ولا ينبغي ان
يقال في هذا احد القرائتين اصح من الاخرى وقد قيل ان خلق ليس مخصوص وانما
يقال خالق على العموم كما قال جل وعز الخالق البارئ وفي الخصوص الحمد لله الذي
خلق السموات والارض وكذا هو الذي خلقكم من نفس واحدة فكذا يجب ان
يكون الله خلق كل دابة من ما والدابة كل ما دب على الارض من الحيوانات
يقال دب يدب فهو داب والها للمبالغة وقد تقدم في البقرة من ما لم يدخل
في هذا الجن والملايكة لانا لم نشاهدهم ولم يثبت انهم خلقوا من ما
بل في الصحيح ان الملايكة خلقوا من نور والجان من نار وقد تقدم وقال
المفسرون من ما اي من نطفة قال النقاش اراد امنية الذكور وقال جمهور
النظرة اراد ان خلقة كل حيوان فيها ما كما خلق ادم من الما والطين
وعلى هذا يتخرج قول النبي صلى الله عليه وسلم للشيخ الذي سال في غزاة بدر
ممن انتما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن من ما الحديث وقال قوم
لا يستثنى الجن والملايكة بل كل حيوان خلق من الما وخلق النار من الما
وخلق الريح من الما اذ اول ما خلق الله تعالى من العالم الما ثم خلق منه
كل شي **قوله تعالى** فمنهم من يمشي على بطنه المشي على البطن والطير
للحيات والحوت ونحوه من الدود وغيره وعلى الرجلين للانسان
والطير اذا مشى والاربع لسائر الحيوانات وفي مصحف ابي ومنهم من يمشي على
اكثر فعم بهذه الزيادة جميع الحيوانات كالسرطان والخشاش ولكنه قرانه
لم يثبته اجماع لكن قال النقاش انما اكتفى في القول بذكر ما يمشي على
اربع عن ذكر ما يمشي على اكثر لان جميع الحيوان انما اعتماده على اربع وهي

قوام مشيه وكثرة الارجل في بعضه زيادة في خلقته لا يحتاج ذلك
الحيوان في مشيه الى جميعها قال ابن عطية والظاهر ان تلك الارجل الكثيرة
ليست باطلا بل هي محتاج اليها في تنقل الحيوان وهي كلها تتحرك في تنقله
وقال بعضهم ليس في الكتاب ما يمنع من المشي على اكثر من اربع اذ لم يقل ليس
منها ما يمشي على اكثر من اربع وقيل فيه اضمار اي ومنهم من يمشي على اكثر من
اربع كما وقع في مصحف ابي والله اعلم والدابة تشمل من يعقل وما لا يعقل
فغلب من يعقل لما اجتمع مع من لا يعقل لانه المخاطب والمتعبد ولذلك
قال فمنهم وقال من يمشي فاشار بالاختلاف الى ثبوت الصانع اي لولا ان
للجميع صانعا مختارا لما اختلفوا بل كانوا من جنس واحد وهو كقوله تسقى
بما واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك لايات يخلق الله
ما يشا ان الله على كل شي قدير مما يريد خلقه قدير لقد انزلنا ايات مبينات
والله يهدي من يشا الى صراط مستقيم تقدم بيانه في غير موضع **قوله تعالى**
ويقولون امنا بالله وبالرسول يعني المنافقين يقولون بالسنتهم امنا
بالله وبالرسول من غير يقين ولا اخلاص واطعنا اي ويقولون وكذبوا
ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما اوليك بالمومنين **قوله تعالى**
واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون فيه اربع
مسايل **الاولى** قوله تعالى واذا دعوا الى الله ورسوله قال الطبري
وغيره ان رجلا من المنافقين اسمه بشر كانت بينه وبين رجل من
اليهود حكومة في ارض فدعاه اليهودي الى التحاكم عند رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكان المنافق مبطلا فابى من ذلك وقال ان محمدا يحيف
علينا فلنحكم كعب بن الاشرف فنزلت الاية فيه وقيل نزلت في المغيرة بن
وايل من بني امية كان بينه وبين علي بن ابي طالب رضوان الله عليه
خصومة في ما وارض فامتنع المغيرة ان يحاكم عليا الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال انه يبغضني فنزلت الاية ذكره الماوردي وقال
ليحكم ولم يقل ليحكما لان المعني الرسول صلى الله عليه وسلم وانما بدا بذكر
الله اعظاما له واستفتاح كلام **الثانية** قوله تعالى وان يكن لهم الحق
ياتوا اليه مذعنين اي طايعين منقادين لعلمهم انه عليه السلام يحكم
بالحق يقال اذعن فلان لحكم فلان يذعن اذعانا وقال النقاش مذعنين
خاضعين مجاهد مسرعين الاخفش وابن الاعرابي مقرين افي قلوبهم مرض
شك وريب ام ارتابوا ام حدث لهم شك في نبوته وعدله ام يخافون ان
يحيف الله عليهم ورسوله اي يجور في الحكم والظلم واتى بلفظ الاستفهام لانه

اشد في التوبيخ وابلغ في الذم كقول جرير في المدح

الستم خير من ركب المطايا واندى العالمين بطون راح

بل اولئك هم الظالمون اي المعاندون الكافرون لاعراضهم عن حكم الله تعالى — القضا يكون للمسلمين اذا كان الحكم بين المعاهد والمسلم ولا حق لاهل الذمة واذا كان بين ذميين فذلك اليهما فان جاآ قاضي الاسلام فان شا حكم وان شا اعرض كما تقدم في المائدة

هذه الاية دليل على وجوب اجابة الداعي الى الحاكم لان الله سبحانه ذم من دعي الى رسوله ليحكم بينه وبين خصمه باقبح الذم فقال افي قلوبهم مرض الاية قال ابن خويز منداذ واجب على كل من دعي الى مجلس الحاكم ان يجيب ما لم يعلم ان الحاكم فاسق او عداوة بين المدعي والمدعى عليه واسند الزهري عن الحسن بن ابي الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دعاه خصمه الى حكم من حكام المسلمين فلم يجب فهو ظالم ولا حق له ذكره الماوردي ايضا قال ابن العربي وهذا حديث باطل فاما قوله فهو ظالم فكلام صحيح واما قوله فلا حق له فلا يصح ويحتمل ان يريد انه على غير الحق

انما كان قول المومنين اذا دعوا الى الله ورسوله اي الى كتاب الله وحكم رسوله ان يقولوا سمعنا واطعنا قال ابن عباس اخبر بطاعة اهل الايمان والا نقضا وان كان ذلك فيما يكرهون اي هذا قولهم وهولا توكانوا مومنين لكانوا يقولون سمعنا واطعنا فالقول نصب على خبر كان واسمها في قوله ان يقولوا نحو وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وقيل انما قول المومنين وكان صلة في الكلام كقوله كيف نكلم من كان في المهد صبيا وقرا ابن القعقاع ليحكم بينهم غير مسمى الفاعل على بن ابي طالب انما كان قول بالرفع — ومن يطع الله ورسوله فيما امر به وحكم ويخش الله ويتقه قرا حفص ويتقه باسكان القاف على نية الجزم كما قال الشاعر

ومن يتق فان الله معه ورزق الله موتاب وغادي

وكسر الها الباقون لان جزمه بحذف اخره واسكن الها ابو عمرو وابو بكر واختلس الكسرة يعقوب وقالون عن نافع والسيبي عن ابي عمرو وحفص واشبع كسرة الها الباقون فاولئك هم الفائزون ذكر اسلم ان عمر بينما هو نايم في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم واذا رجل من دهاقين الروم قايم على راسه وهو يقول انا اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقال له عمر ما شانك قال اسلمت لله قال فهل لهذا سبب قال نعم اني قرات التوراة والزبور والانجيل وكثيرا من كتب الانبيا فسمعت اسيرا

بزابة من القران جمع فيها كل ما في الكتب المتقدمة فعلمت انه من عند الله فاسلمت قال ما هذه الاية قال قوله تعالى ومن يطع الله في الفرايض ورسوله في السنن ويخش الله فيما مضى من عمره فاولئك هم الفائزون والفائز من نجي من النار وادخل الجنة فقال عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم اوتيت جوامع الكلم قوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم دعا الى ذكر المنافقين فانه لما بين كراهتهم لحكم النبي صلى الله عليه وسلم اتوه فقالوا والله لو امرتنا ان نخرج من ديارنا ونسائنا واموالنا لخرجنا ولو امرتنا بالجهاد لجاهدنا فنزلت هذه الاية اي واقسموا بالله انهم يخرجون معك في المستانف ويطيعون جهد ايمانهم اي طاقة ما قدروا ان يحلفوا وقال مقاتل من حلف بالله فقد اجهد في اليمين وقد مضى في الانعام بيان هذا وجهد منصوب على مذهب المصدر تقديره اقساما بليغا قل لا تقسموا وتم الكلام طاعة معروفة اولى بكم من ايمانكم او ليكن منكم طاعة معروفة وقول معروف باخلاص القلب ولا حاجة الى اليمين وقال مجاهد المعنى قد عرفت طاعتكم وهي الكذب والتكذيب اي المعروف منكم الكذب دون الاخلاص ان الله خبير بما تعملون من طاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل قوله تعالى قل اطيعوا الله والرسول باخلاص الطاعة وترك النفاق فان تولوا اي فان تتولوا فحذف احدى التائين ودل على هذا ان بعده وعليكم ولم يقل وعليهم فانما عليه ما حمل اي من تبليغ الرسالة وعليكم ما حملتم اي من الطاعة له عن ابن عباس وغيره وان تطيعوه تهتدوا جعل الاهتدا مقرونا بطاعته وما على الرسول الا البلاغ اي التبليغ المبين قوله تعالى وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض الاية نزلت في ابي بكر وعمر رضي الله عنهما قاله مالك وقيل ان سبب هذه الاية ان بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم شكا جهد مكافحة العدو وما كانوا فيه من الخوف على انفسهم وانهم لا يضعون اسلحتهم فنزلت الاية وقال ابو العالية مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عشر سنين بعد ما اوحي اليه خايفا هو واصحابه يدعون الى الله سرا وجهرا ثم امر بالهجرة الى المدينة وكانوا فيها خايفين يصبحون ويمسون في السلاح فقال رجل يا رسول الله ما ياتي علينا يوم نامن فيه ونضع السلاح فقال عليه السلام لن تلبثوا الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملا العظيم محتبيا ليس عليه حديد ونزلت هذه الاية واظهر الله نبيه على جزيرة العرب فوضعوا السلاح وامنوا قال النحاس فكان في هذه الاية دلالة على نبوة رسول

الله صلى الله عليه وسلم لان الله جل وعز انجز الوعد قال الضحاك في
كتاب النقاش هذه تتضمن خلافة ابي بكر وعمر وعثمان وعلي لانهم اهل
الايمان وعملوا الصالحات وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الخلافة بعدي ثلاثون والى هذا القول مال ابن العربي في احكامه واختاره
وقال قال علماؤنا هذه الاية دليل على خلافة الخلفاء الاربعة رضي الله
عنهم وان الله استخلفهم ورضي امانتهم وكانوا على الدين الذي ارتضى لهم
لانهم لم يتقدمهم احد في الفضيلة الى يومنا هذا فاستقر الامر لهم
وقاموا بسياسة المسلمين وذبوا عن حوزة الدين فنفذ الوعد فيهم واذا
لم يكن هذا الوعد لهم نجز وفيهم نفذ وعليهم ورد ففيمن يكون اذن
وليس بعدهم مثلهم الى يومنا هذا ولا يكون فيما بعده رضي الله عنهم
وحكى هذا القول القشيري عن ابن عباس واحتجوا بما رواه سفينة
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الخلافة من بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا قال سفينة امسك
خلافة ابي بكر سنتين وخلافة عمر عشرا وخلافة عثمان ثنتا عشرة سنة
وخلافة علي ستا وقال قوم هذا وعد لجميع الامة في ملك الارض كلها
تحت كلمة الاسلام كما قال عليه الصلاة والسلام زويت لي الارض فرايت
مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها واختار هذا
القول ابن عطية في تفسيره حيث قال والصحيح في الاية انها في استخلاف
الجمهور واستخلافهم هو ان يملكهم البلاد ويجعلهم اهلها كالذي جرى في
الشام والعراق وخراسان والمغرب قال ابن العربي قلنا لهم هذا وعد
عام في النبوة والخلافة واقامة الدعوة وعموم الشريعة فنفذ
الوعد في كل احد بقدره وعلى حاله في المتقين والعصاة والايمة وليس
للخلافة محل تنفذ فيه الموعدة الكريمة الا من تقدم من الخلفاء ثم ذكر اعتراضا
وانفصالا حناه فان قيل هذا الامر لا يصح الا في ابي بكر وحده فاما عمر
وعثمان فقتلا غيلة وعلي قد نوزع في الخلافة قلنا ليس في ضمن الامن
السلامة من الموت باي وجه كان واما علي فلم يكن نزاله في الحرب مذهبا
للامن وليس من شرط الامن رفع الحرب انما شرطه ملك الانسان لنفسه
باختياره لا كما كان النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ثم قال في اخر كلامه وحقيقة
الحال انهم كانوا مقهورين فصاروا قاهرين وكانوا مطلوبين فصاروا
طالبين فهذا نهاية الامن والعز قال الشيخ رحمه الله هذه الحال لم تختص
بالخلفاء الاربعة رضي الله عنهم حتى يخصوا بها من عموم الاية بل شاركهم

في ذلك جميع المهاجرين بل وغيرهم الا ترى الى اغزاء قريش المسلمين في احد وغيرها
وخاصة الخندق حتى اخبر تعالى عن جميعهم فقال اذ جاؤكم من فوقكم ومن
اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله
الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا ثم ان الله رد الكافرين
لم ينالوا خيرا وامن المؤمنين واورثهم ارضهم وديارهم وهو المراد بقوله
ليستخلفنهم في الارض وقوله كما استخلف الذين من قبلهم يعني بني اسرايل
اذ اهلك الجبابرة بمصر واورثهم ارضهم وديارهم فقال واورثنا القوم الذين
كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وهكذا كان الصحابة
مستضعفين خائفين ثم ان الله تعالى امنهم ومكنهم وملكهم فصح ان الاية
عامة لامة محمد صلى الله عليه وسلم غير مخصوصة اذ التخصيص لا يكون الا
بخبر ممن يجب له التسليم ومن الاصل المعلوم التمسك بالعموم وجاء في
معنى تبديل خوفهم بالامن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال اصحابه
اما ياتي علينا يوم نامن فيه ونضع السلاح فقال عليه السلام لا تلبثون
الا قليلا حتى يجلس الرجل منكم في الملا العظيم محتبيا ليس عليه حديدة
وقال صلى الله عليه وسلم والله ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعا
الى حضرموت لا يخاف الا الله والذيب على غنمه ولكنكم تستعجلون خرجه
مسلم في صحيحه فكان كما اخبر صلى الله عليه وسلم فالاية معجزة النبوة لانها
اخبار عما سيكون فكان قوله تعالى ليستخلفنهم في الارض فيه قولان
احدها يعني ارض مكة لان المهاجرين سالوا الله تعالى ذلك فوعدوا كما
وعدت بنوا اسرايل قال معناه النقاش الثاني بلاد العرب والعجم قال
ابن العربي وهو الصحيح لان ارض مكة محرمة على المهاجرين قال النبي صلى
الله عليه وسلم لكن البائس سعد بن خولة يرثي له رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان مات بمكة وقال في الصحيح ايضا يمكث المهاجر بمكة بعد قضاء
نسكه ثلاثا واللام في ليستخلفنهم جواب قسم مضمر لان الوعد قول مجازها
قال الله للذين امنوا وعملوا الصالحات والله ليستخلفنهم في الارض فيجعلهم
ملوكها وسكانها كما استخلف الذين من قبلهم يعني بني اسرايل اذ اهلك الجبابرة
بمصر والشام واورثهم ارضهم وديارهم وقراءة العامة كما استخلف بفتح التا
واللام لقوله وعد وقوله ليستخلفنهم وقرا عيسى بن عمر وابو بكر والمفضل
عن عاصم استخلف بضم التا وكسر اللام على الفعل المجهول وليمكنن لهم دينهم
الذي ارتضى لهم وهو الاسلام كما قال ورضيت لكم الاسلام دينا وقد تقدم
وروى مسلم بن عامر عن المقداد بن الاسود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يبقى ما على ظهر الارض بيت حجر ولا مدر الا ادخله الله كلمة الاسلام بعز
عزيز وذل ذليل اما بعزهم فيجعلهم من اهلها واما بذلهم فيدينون
بها ذكره الماوردي حجة لمن قال ان المراد بالارض بلاد العجم والعرب
وهو القول الثالث على ما تقدم انفا وليبدلنهم قرا ابن محيصن وابن
كثير ويعقوب وابو بكر بالتخفيف من ابدل وهي قراءة الحسن واختيار
ابي حاتم الباقون بالتشديد من بدل وهي اختيار ابي عبيد لانها اكثر
ما في القران قال الله تعالى لا تبديل لكلمات الله وقال واذا بدلنا اية
ونحوه وهما لغتان قال النحاس وحكى محمد بن الجهم عن الفرا قال قرا
عاصم والاعمش وليبدلنهم مشددة وهذا غلط على عاصم وقد ذكر
بعده غلطا اشد منه وهو انه حكى عن سائر الناس التخفيف قال النحاس
وزعم احمد بن يحيى ان بين التخفيف والتثقيل فرقا وانه يقال بدلته
اي غيرته وابدلته ازلته وجعلت غيره قال النحاس وهذا القول
صحيح كما تقول ابدل لي هذا الدرهم اي ازله واعطني غيره وتقول قد
بدلت بعدنا اي غيرت غير انه قد يستعمل احدهما موضع الاخر والذي
ذكره اكثر وقد مضى هذا في النسا والحمد لله وذكرنا في سورة ابراهيم الدليل
من السنة على ان بدل معناه ازالة العين فتامله هناك وقرى عسى
ربنا ان يبدلنا مخففا ومثقلا يعبدونني هو في موضع الحال اي في حال
عبادتهم الله بالاخلاص ويجوز ان يكون استينافا على طريق الثنا عليهم
لا يشركون بي شيا فيه اربعة اقوال احدها لا يعبدون الها غيري حكاه
النقاش الثاني لا يراوون بعبادتي احدا الثالث لا يخافون غيري قاله
ابن عباس الرابع لا يحبون غيري قاله مجاهد ومن كفر بعد ذلك
اي بهذه النعم والمراد كفران النعمة لانه قال تعالى فاولئك هم الفاسقون
والكافر بالله فاسق بعد هذا الانعام وقبله **قوله تعالى** واقيموا
الصلاة واتوا الزكاة واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون تقدم فاعاد الامر
بالعبادة تاكيدا **قوله تعالى** لا تحسبن الذين كفروا هذا تسلية
للنبي صلى الله عليه وسلم ووعد بالنصر وقراءة العامة تحسبن بالتا خطابا
وقرا ابن عامر وحمزة وابو حيوة يحسبن باليا بمعنى لا يحسبن الذين
كفروا انفسهم معجزين الله في الارض لان الحسبان يتعدى الى مفعولين
وهذا قول الزجاج وقال الفرا وابو علي يجوز ان يكون الفعل للنبي عليه
السلام اي لا يحسبن محمد الذين كفروا معجزين فالذين مفعول اول
ومعجزين مفعول ثان وعلى القول الاول الذين كفروا فاعل انفسهم مفعول

اول وهو محمد والمراد معجزين مفعول ثاني قال النحاس وما علمت احدا من
اهل العربية بصريا ولا كوفيا الا وهو يخطي قراءة حمزة فمنهم من يقول هي
لحن لانه لم يات الا بمفعول واحد ليحسبن وممن قال هذا ابو حاتم وقال
الفرا هو ضعيف واجازه على ضعفه على انه يحذف المفعول الاول وقد بيناه
قال النحاس وسمعت علي بن سليمان يقول في هذه القراة يكون الذين كفروا في
موضع نصب قال ويكون المعنى ولا يحسبن الكافر الذين كفروا معجزين في
الارض قال الشيخ رحمه الله وهذا موافق لما قاله الفرا وابو علي لان الفاعل
هناك النبي صلى الله عليه وسلم وفي هذا القول الكافر ومعجزين معناه فائتين
وقد تقدم وماواهم النار ولبيس المصير اي المرجع **قوله تعالى** يا ايها
الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم الى قوله حكيم فيه سبع مسايل **الاولى**
قال العلما هذه اية خاصة والتي قبلها عامة لانه قال يا ايها الذين امنوا
لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا على اهلها ثم خص هنا
فقال ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم فخص في هذه الاية بعض المستاذنين
وكذلك ايضا يتاول القول في الاولى في جميع الاوقات عموما وخص في هذه
الاية بعض الاوقات فلا يدخل فيها عبد ولا امة وغدا كان او ذا منظر الا بعد
الاستيذان قال مقاتل نزلت في اسما بنت مرثد دخل عليها غلام لها كبير
فاشتكت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت عليه الاية وقيل سبب نزولها
دخول مدلج على عمر وسياتي **الثانية** اختلف العلما في المراد بقوله تعالى
ليستاذنكم على ستة اقوال الاول انها منسوخة قاله ابن المسيب وابن جبير
الثاني انها ندب غير واجبة قاله ابو قلابة قال انما امروا بهذا نظرا لهم
الثالث عني بها النسا قاله ابو عبد الرحمن السلمي وقال ابن عمر هي في الرجال
دون النسا وهو القول الرابع الخامس كان ذلك واجبا اذ كانوا لا غلق لهم
ولا ابواب ولو عاد الحال لعاد الوجوب حكاه المهدوي عن ابن عباس السادس
انها محكمة واجبة ثابتة على الرجال والنسا وهو قول اكثر اهل العلم منهم القاسم
وجابر بن زيد والشعبي واضعفها قول السلمي لان الذين لا يكون للنسا
في كلام العرب انما يكون للنسا اللاتي واللواتي وقول ابن عمر يستحسنه اهل
النظر لان الذين للرجال في كلام العرب وان كان لا يجوز ان يدخل معهم النسا
فانما يقع ذلك بدليل والكلام على ظاهره غير ان في اسناده ليث بن ابي سليم
واما قول ابن عباس فروى ابو داود عن عبيد الله بن ابي يزيد سمع ابن عباس
يقول انه لم يومن بها اكثر الناس اية الاستيذان واني لامر جاريتي
هذه تستاذن علي قال ابو داود وكذلك رواه عطا عن ابن عباس يامر به

وروى عكرمة ان نفرا من اهل العراق قالوا يا ابن عباس كيف ترى في هذه الاية التي امرنا فيها بما امرنا ولا يعمل بها قول الله عز وجل يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشا ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم قال ابو داود قرا القعنبي الى عليم حكيم قال ابن عباس ان الله حليم رحيم بالمومنين يحب الستر وكان الناس ليس لبيوتهم ستور ولا حجال فربما دخل الخادم او الولد او يتيمه والرجل على اهله فامرهم الله بالاستيذان في تلك العورات فجاهم الله بالستور والخير فلم ار احدا يعمل بذلك قال الشيخ رحمه الله هذا متن حسن وهو يرد قول سعيد بن جبير فانه ليس فيه دليل على نسخ الاية ولكن على انها كانت على حال ثم زالت فان كان مثل تلك الحال فحكمها قايم كما كان بل حكمها اليوم ثابت في كثير من مساكن المسلمين في البوادي والصحاري ونحوها وروى وكيع عن سفيان عن موسى بن ابي عايشة عن الشعبي يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم قال ليست بمنسوخة قلت ان الناس لا يعملون بها قال الله جل وعز المستعان **الثالثة** قال بعض اهل العلم ان الاستيذان ثلاثا ماخوذ من قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات وقال يزيد ثلاث دفعات قال فورد القران في المماليك والصبيان وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجميع قال ابن عبد البر ما قاله من هذا وان كان له وجه فانه غير معروف عن العلما في تفسير الاية التي نزع بها والذي عليه جمهورهم في قوله ثلاث مرات اي في ثلاث اوقات ويدل على صحة هذا القول ذكره فيها من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشا **الرابعة** ادب الله عز وجل عباده في هذه الاية بان يكون العبيد اذ لا بال لهم والاطفال الذين لم يبلغوا الحلم الا انهم عقلوا معاني الكشفة ونحوها يستاذنون على اهليهم في هذه الاوقات الثلاثة وهي الاوقات التي تقتضي عادة الناس الانكشاف فيها وملازمة التعري فما قبل الفجر وقت انتها النوم ووقت الخروج من ثياب النوم ولبس ثياب النهار ووقت القايلة وقت التجرد ايضا وهي الظهيرة لان النهار يظهر فيها اذا علا واشتد حره وبعد صلاة العشا وقت التعري للنوم فالتكشف غالب في هذه الاوقات يروى ان رسول الله صلى

الله عليه وسلم بعث غلاما من الانصار يقال له مدلج الى عمر بن الخطاب ظهيرة ليدعوه فوجده نايما قد اغلق عليه الباب فدق الغلام الباب فناداه ودخل واستيقظ عمر وجلس فانكشف منه شي فقال عمر وددت ان الله نهى ابناءنا ونساءنا وخدمنا عن الدخول علينا هذه الساعات الا باذن ثم انطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد هذه الاية قد انزلت فخر ساجدا شكرا لله وهي مكية **الرابعة** قوله تعالى والذين لم يبلغوا الحلم منكم اي الذين لم يحتلموا من احراركم قاله مجاهد وذكر اسماعيل بن اسحاق كان يقول ليستاذنكم الذين لم يبلغوا الحلم مما ملكت ايمانكم على التقديم والتاخير وان الاية في الاما وقرا الجمهور بضم اللام وسكنها الحسن بن ابي الحسن لثقل الضمة وكان ابو عمرو يستحسنها وثلاث مرات نصب على الظرف لانهم لم يومروا بالاستيذان ثلاثا انما امروا بالاستيذان في ثلاثة مواطن والظرفية في ثلاث بينة من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشا وقد مضى معناه ولا يجب ان يستاذن ثلاث مرات في كل وقت ثلاث عورات لكم قرا جمهور السبعة ثلاث عورات برفع ثلاث وقرا حمزة والكسايي وابو بكر عن عاصم ثلاث بالنصب على البدل من الظرف في قوله ثلاث مرات قال ابو حاتم النصب ضعيف مردود وقال الفرا الرفع احب الي قال وانما اخترت الرفع لان المعنى هذه الخصال ثلاث عورات والرفع عند الكسايي بالابتدا والخبر عنده ما بعده ولم يقل بالعايد وقال نصا بالابتدا قال والعورات الساعات التي تكون فيها العورة الا انه قرا بالنصب والنصب فيه قولان احدهما انه مردود على قوله ثلاث مرات ولهذا استبعده الفرا وقال الزجاج المعنى ليستاذنكم اوقات ثلاث عورات فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وعورات جمع عورة وبابه في الصحيح ان يجي على فعلات بفتح العين كجفنة وجفنات ونحو ذلك وسكنوا العين في المعتل كبيضة وبيضات لان فتحه داع الى اعتلاله فلم يفتح لذلك فاما قول الشاعر • ابو بيضات رايح او معتد عجلان ذا زاد وغير مزود • **الخامسة** قوله تعالى ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن اي في الدخول من غير ان يستاذنوا وان كنتم متبذلين طوافون قال الفرا كقوله في الكلام انما هم خدمكم وطوافون عليكم واجاز الفرا نصب

طوافون لانه نكرة والضمير في عليكم معرفة ولا يجيز البصريون ان يكون
حالا من المضمرين الذين في عليكم وفي عليكم لاختلاف العاملين ولا يجوز مررت
بزيد ونزلت على عمرو العاقلين على النعت لهما ومعنى طوافون عليكم اي
يطوفون عليكم ويطوفون عليهم ومنه الحديث في الهرة انما هي من
الطوافين عليكم او الطوافات فمنع في الثلاث العورات من دخولهم
علينا لان حقيقة العورة كل شي لا مانع دونه ومنه قوله ان بيوتنا
عورة اي سهلة للمدخل فبين العلة الموجبة
للاذن وهي الخلوة في حال العورة فتعين امتثاله وتعذر نسخه ثم
رفع الجناح بقوله ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم
بعضكم على بعض اي يطوف بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الايات
الكاف في موضع نصب اي يبين الله لكم اياته الدالة على متعبداته
بيانا مثل ما بين لكم هذه الاشيا والله عليم حكيم تقدم **السادسة**
قوله تعالى ومن بعد صلاة العشا يريد العتمة وفي صحيح مسلم عن
عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تغلبنكم
الاعراب على اسم صلاتكم الا انها العشا وهم يعتمون بالابل وفي رواية
فانها في كتاب الله العشا وانها تعتم بحلاب الابل وفي البخاري عن ابي
برزة كان النبي صلى الله عليه وسلم يوخر العشا وقال انس اخر النبي
صلى الله عليه وسلم العشا وهذا يدل على العشا الاولى وفي الصحيح فصلاها
يعني العصر بين العشايين المغرب والعشا وفي الموطا وغيره ولو
يعلمون ما في العتمة والصبح لاتوهما ولو حبوا وفي مسلم عن جابر ابن
سمرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الصلوات نحوا من
صلاتكم وكان يوخر العتمة بعد صلاتكم شيا وكان يخف الصلاة قال
القاضي ابو بكر بن العربي وهذه اخبار متعارضة لا يعلم منها الاول
من الاخر بالتاريخ ونهيه عليه السلام عن تسمية المغرب عشا وعن
تسمية العشا عتمة ثابت فلا مرد له من اقوال الصحابة فضلا عمن
عداهم وقد كان ابن عمر يقول من قال صلاة العشا العتمة فقد اثم وقال
ابن القاسم قال مالك ومن بعد صلاة العشا فالله سماها صلاة العشا
فاحب النبي صلى الله عليه وسلم ان تسمى بما سماها الله به ويعلمها الانسان
اهله وولده ولا يقول عتمة الا عند خطاب من لا يفهم وقد قال حسان

وكانت لا يزال بها انيس … خلال مروجها نعم وشاء
فدع هذا ولكن من لطيف … يورقني اذا ذهب العشاء

وقد قيل ان هذا النهي عن اتباع الاعراب في تسميتهم العشا عتمة انما كان
لئلا يعدل بها عما سماها الله تعالى في كتابه اذ قال ومن بعد صلاة العشا
فكانه نهي ارشاد الى ما هو الاولى وليس على جهة التحريم ولا على ان
تسميتها العتمة لا يجوز الا ترى انه قد ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم قد
اطلق عليها ذلك وقد اباح تسميتها بذلك ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وقيل
انما نهي عن ذلك تنزيها لهذه العبادة الشريفة الدينية عن ان يطلق
عليها ما هو اسم لفعلة دنيوية وهي الحلبة التي كانوا يحلبونها في ذلك
الوقت ويسمونها العتمة ويشهد لهذا قوله فانها تعتم بحلاب الابل
السابعة روى ابن ماجة في سننه حدثنا عثمان بن ابي شيبة
حدثنا اسماعيل بن عياش عن عمارة بن غزية عن انس بن مالك عن
عمر بن الخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول من صلى
في جماعة اربعين ليلة لا تفوته الركعة الاولى من صلاة العشا كتب
الله له بها عتقا من النار وفي صحيح مسلم عن عثمان بن عفان قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى العشا في جماعة فكانما قام
نصف ليلة ومن صلى الصبح في جماعة فكانما قام الليل كله وروى الدارقطني
في سننه عن سبيع او تبيع عن كعب قال من توضا فاحسن الوضوء
وصلى العشا الاخرة وصلى بعدها اربع ركعات فاتم ركوعهن وسجودهن
ويعلم ما يقترئ فيهن كن له بمنزلة ليلة القدر **قوله تعالى**
واذا بلغ الاطفال منكم الحلم الاية قرا الحسن الحلم حذف الضمة لثقلها
والمعنى ان الاطفال امروا بالاستيذان في الاوقات الثلاث المذكورة وابيح
لهم الامر في غير ذلك كما ذكرنا ثم امر تعالى في هذه الاية ان يكونوا اذا
بلغوا الحلم على حكم الرجال في الاستيذان في كل وقت وهذا بيان من الله
جل وعز لاحكامه وايضاح حلاله وحرامه وقال فليستاذنوا ولم
يقل فليستاذنوكم وقال في الاولى ليستاذنكم لان الاطفال غير
مخاطبين ولا متعبدين وقال ابن جريج قلت لعطا واذا بلغ الاطفال
منكم الحلم فليستاذنوا قال واجب على الناس ان يستاذنوا اذا احتلموا
احرارا كانوا او عبيدا وقال ابو اسحق الفزاري قلت للاوزاعي
ما حد الطفل الذي يستاذن قال اربع سنين قال لا يدخل على
امراة حتى يستاذن وقال الزهري اي يستاذن الرجل على امه
وفي هذا المعنى نزلت هذه الاية **قوله تعالى** والقواعد
من النسا اللاتي لا يرجون نكاحا الى قوله سميع عليم فيه خمس مسايل

الاولى قوله تعالى والقواعد من النسا القواعد واحدتها قاعد
بلا هاء ليكون حذفها علامة قعود الكبر كما قالوا امراة حامل ليدل
بحذف الهاء انه حمل حبل قال الشاعر

فلو ان ما في بطنه بين نسوة ۞ حبلن وان كن القواعد عقرا

وقالوا في غير ذلك قاعدة في بيتها وحاملة على ظهرها بالبا والقواعد
ايضا اساس البيت واحده قاعده **الثانية** القواعد العجز اللواتي
قعدن عن التصرف من السن وقعدن عن الولد والحيض هذا قول
اكثر العلما قال ربيعة هي التي اذا رايتها تستقذرها من كبرها وقال
ابو عبيدة اللاتي قعدن عن الولد وليس ذلك بمستقيم لان المراة تقعد
عن الولد وفيها مستمتع قاله المهدوي **الثالثة** قوله تعالى فليس عليهن
جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة انما خص القواعد بذلك
لانصراف الانفس عنهن اذ لا مذهب للرجال فيهن فابيح لهن ما لم يبح
لغيرهن وازيل عنهن كلفة التحفظ المتعب لهن **الرابعة** قرا ابن مسعود
وابي وابن عباس ان يضعن من ثيابهن بزيادة من قال ابن عباس وهو
الجلباب وروي عن ابن مسعود ايضا من جلابيبهن والعرب تقول
امراة واضع للتي كبرت فوضعت خمارها وقال قوم الكبيرة التي ايست
من النكاح لو بدا شعرها فلا باس فعلى هذا يجوز لها وضع الخمار والصحيح
انها كالشابة في التستر الا ان الكبيرة تضع الجلباب الذي يكون فوق
الدرع والخمار قاله ابن مسعود وابن جبير وغيرهما **الخامسة** قوله تعالى
غير متبرجات بزينة اي غير مظهرات ولا متعرضات بالزينة لينظر
اليهن فان ذلك من اقبح الاشيا وابعده عن الحق والتبرج التكشف والظهور
للعين ومنه بروج مشيدة وبروج السما والاسوار اي لا حائل دونها يسترها
وقيل لعايشة رضي الله عنها يا ام المومنين ما تقولين في الخضاب والصباغ
والتمايم والقرطين والخلخال وخاتم الذهب ورقاق الثياب فقالت
يا معشر النسا قصتكن قصة امراة واحدة احل الله لكن الزينة غير
متبرجات لمن لا يحل لكن ان يروا منكن محرما وقال عطا هذا في
بيوتهن فاذا خرجن فلا يجوز لها وضع الجلباب وعلى هذا غير متبرجات
غير خارجات من بيوتهن وعلى هذا يلزم ان يقال اذا كانت في بيتها
فلا بد لها من جلباب فوق الدرع وهذا بعيد الا اذا دخل عليها
اجنبي ثم ذكر تعالى ان تحفظ الجميع منهن كما يلزم الشباب واستعفافهن
من وضع الثياب والتزامهن ما يلزم الشباب افضل لهن وخير وقرا

ابن مسعود وان يتعففن بغير سين ثم قيل من التبرج ان تلبس المراة
ثوبين رقيقين يصفانها روى الصحيح عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم صنفان من اهل النار لم ارهما قوم معهم سياط كاذناب
البقر يضربون بها الناس ونسا كاسيات عاريات مميلات مايلات
روسهن كاسنمة البخت المايلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وان
ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا قال ابن العربي انما جعلهن كاسيات لان
الثياب عليهن وانما وصفهن بانهن عاريات لان الثوب اذا رق يصفهن
ويبدي محاسنهن وذلك حرام قال الشيخ رحمه الله هذا احد التاويلين
للعلما في هذا المعنى والثاني انهن كاسيات من الثياب عاريات من لباس
التقوى الذي قال الله تعالى فيه ولباس التقوى ذلك خير وانشدوا

اذا المرء لم يلبس ثيابا من التقى ۞ تقلب عريانا وان كان كاسيا
وخير لباس المرء طاعة ربه ۞ ولا خير فيمن كان لله عاصيا

وفي صحيح مسلم عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بينا انا نايم رايت الناس يعرضون علي وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدي
ومنها دون ذلك ومر عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره قالوا ماذا اولت
ذلك يا رسول الله قال الدين فتاويله صلى الله عليه وسلم القميص بالدين ماخوذ
من قوله تعالى ولباس التقوى ذلك خير والعرب تكني عن الفضل والعفاف
بالثياب كما قال شاعرهم ۞ ثياب بني عوف طهارى نقية
وقد قال صلى الله عليه وسلم لعثمان ان الله سيلبسك قميصا فان ارادوك
ان تخلعه فلا تخلعه فعبر عن الخلافة بالقميص وهي استعارة معروفة
حسنة قال الشيخ رحمه الله هذا التاويل اصح التاويلين وهو اللايق
بهن في هذه الازمان وخاصة الشباب بلا ثياب عاريات من التقوى
حقيقة ظاهرا وباطنا فانهن يتزين ويخرجن متبرجات فهن كاسيات
بالثياب عاريات من التقوى حقيقة ظاهرا وباطنا حيث تبدي زينتها ولا
تبالي بمن نظر اليها بل ذلك مقصودهن وذلك مشاهد في الوجود منهن
فلو كان عندهن شي من التقوى لما فعلن ذلك ولم يعلم احد ما هنالك ومما
يقوي هذا التاويل ما ذكر من وصفهن في بقية الحديث من قوله روسهن
كاسنمة البخت والبخت ضرب من الابل عظام الاجسام عظام
الاسنمة روسهن بها لما رفعن من ظفاير شعورهن على اوساط روسهن
وهذا مشاهد معلوم والناظر اليهن ملوم قال صلى الله عليه وسلم ما تركت بعدي
فتنة اضر على الرجال من النسا خرجه البخاري **قوله تعالى** ليس على

الاعمى حرج الى قوله تعقلون فيه احدى عشرة مسئلة **الاولى** قوله تعالى
ليس على الاعمى حرج اختلف العلما في تاويل هذه الاية على اقوال ثمانية اقربها
هل هي منسوخة او ناسخة او محكمة فهذه ثلاثة اقوال الاول انها منسوخة
من قوله تعالى ولا على انفسكم الى اخر الاية قاله عبد الرحمن بن زيد قال هذا
شي قد انقطع كانوا في اول الاسلام ليس على ابوابهم اغلاق فكانت الستور
مرخاة فربما جا الرجل فدخل البيت وهو جايع وليس فيه احد فسوغ الله
عز وجل ان ياكل منه ثم صارت الاغلاق على البيوت فلا يحل لاحد ان يفتحها
فذهب هذا وانقطع قال صلى الله عليه وسلم لا يحتلبن احد ماشية احد
الا باذنه الحديث خرجه الايمة الثاني انها ناسخة قاله جماعة روى علي
ابن ابي طلحة عن ابن عباس قال لما انزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا
لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل قال المسلمون ان الله عز وجل قد نهانا
ان ناكل اموالنا بيننا بالباطل وان الطعام من افضل الاموال فلا يحل
لاحد منا ان ياكل عند احد فكف الناس عن ذلك فانزل الله عز وجل ليس
على الاعمى حرج الى او ما ملكتم مفاتحه قال هو الرجل يوكل الرجل بضيعته
قال الشيخ رحمه الله علي بن ابي طلحة هذا هو مولى بني هاشم سكن الشام يكنى
ابا الحسن ويقال ابا محمد واسم ابيه ابي طلحة سالم تكلم في تفسيره فقيل
انه لم ير ابن عباس والله اعلم الثالث انها محكمة قاله جماعة من اهل العلم
ممن يقتدى بقولهم منهم سعيد بن المسيب وعبيد الله بن عتبة بن مسعود
روى الزهري عن عروة عن عايشة قالت كان المسلمون يوعبون في النفير مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانوا يدفعون مفاتحهم الى ضمنايهم ويقولون
احللنا فكلوا فكانوا يقولون انما احلوه لنا عن غير طيب نفس فانزل
الله عز وجل ليس عليكم جناح ان تاكلوا من بيوتكم او بيوت ابايكم الى اخر
الاية قال النحاس يوعبون ان يخرجون باجمعهم وقال ابن السكيت اوعب
بنو فلان جلا فلم يبق ببلدهم منهم احد وجا الفرس بركض وعيب اي باقصى
ما عنده وفي الحديث في الانف اذا استوعب جدعه الدية اذا لم يترك
منه شي واستيعاب الشي استيصاله ويقال بيت وعيب اذا كان واسعا
يستوعب كل ما جعل فيه والضمنى هم الزمنى واحدهم ضمن مثل زمن قال
النحاس وهذا القول من اجل ما روي في الاية لما فيه عن الصحابة والتابعين من
التوقيف ان الاية نزلت في شي بعينه قال ابن العربي وهذا كلام منتظم لاجل
تخلفهم عنهم في الجهاد وبقا اموالهم بايديهم لكن قوله او ما ملكتم مفاتحه قد
اقتضاه فكان هذا القول بعيدا جدا لكن المختار ان يقال ان الله رفع

الحرج

الحرج عن الاعمى فيما يتعلق بالتكليف الذي يشترط فيه البصر وعن الاعرج
فيما يشترط في التكليف به من المشي وما يتعذر من الافعال مع وجود العرج
وعن المريض فيما يوثر المرض في اسقاطه كالصوم وشروط الصلاة واركانها
والجهاد ونحو ذلك ثم قال بعد ذلك مبينا وليس عليكم حرج في ان تاكلوا من
بيوتكم فهذا معنى صحيح وتفسير مبين مفيد يعضده الشرع والعقل ولا
يحتاج في تفسير الاية الى نقل قال الشيخ رحمه الله والى هذا اشار ابن عطية
فقال فظاهر الاية وامر الشريعة يدل ان الحرج عنهم مرفوع في كل ما يضطرهم
اليه العذر وتقتضي نيتهم فيه الاتيان بالاكمل ويقتضي العذر ان يقع منهم
الانقص فالحرج مرفوع عنهم في هذا فاما ما قاله الناس في هذا الحرج
هنا وهي **الثانية** فقال ابن زيد هو الحرج في الغزو اي لا حرج عليهم
في تاخرهم وقوله ولا على انفسكم الاية معنى مقطوع من الاول وقالت فرقة
الاية كلها في معنى المطاعم قالت وكانت العرب ومن بالمدينة قبل المبعث
تتجنب الاكل مع اهل الاعذار فبعضهم كان يفعل ذلك تقذرا لجولان اليد
من الاعمى ولانبساط الجلسة من الاعرج ولرايحة المريض وعلاته وهي
اخلاق جاهلية وكبر فنزلت الاية موذنة وبعضهم كان يفعل ذلك تحرجا
من غبن اهل الاعذار اذ هم مقصرون عن درجة الاصحا في الاكل لعدم الروية
في الاعمى وللعجز عن المزاحمة في الاعرج ولضعف المريض فنزلت الاية في اباحة
الاكل معهم وقال ابن عباس في كتاب الزهراوي ان اهل الاعذار تحرجوا في الاكل
مع الناس من اجل عذرهم فنزلت الاية مبيحة لهم وقيل كان الرجل اذا ساق
اهل العذر الى بيته فلم يجد فيه شيا ذهب به الى بيوت قرابته فتحرج اهل الاعذار
من ذلك فنزلت الاية **الثالثة** قوله تعالى ولا على انفسكم هذا ابتدا كلام
ولا عليكم ايها الناس ولكن لما اجتمع المخاطب وغير المخاطب غلب المخاطب
لينتظم الكلام وذكر بيوت القرابات وسقط منها بيوت الابنا فقال المفسرون
ذلك لانها داخلة في قوله في بيوتكم لان بيت ابن الرجل بيته وفي الخبر انت
ومالك لابيك ولانه ذكر الاقربا بعد ولم يذكر الاولاد قال النحاس وعارض
بعضهم هذا القول فقال هذا تحكم على كتاب الله بل الاولى في الظاهر الا
يكون الابن مخالفا لهولا وليس الاحتجاج بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انت ومالك لابيك بقوي لوهاء هذا الحديث وانه لو صح لم تكن فيه حجة
اذ قد يكون النبي صلى الله عليه وسلم علم ان مال ذلك المخاطب لابيه وقد قيل
ان المعنى انت لابيك ومالك مبتدا اي ومالك لك والقاطع لهذا التوارث
بين الاب والابن وقال الترمذي الحكيم ووجه قوله تعالى ولا على انفسكم ان

تاكلوا من بيوتكم كانه يفوت مساكنكم التي فيها اهليكم واولادكم فيكون للاهل والولد هناك شي قد افادهم هذا الرجل الذي ليس له المسكن فليس عليه حرج ان ياكل معهم من ذلك القوت او يكون للزوجة والولد هناك شي من ملكهم فليس عليه في ذلك حرج **الرابعة** قوله تعالى او بيوت ابايكم الى او بيوت خالاتكم قال بعض العلما هذا اذا اذن والله في ذلك وقال اخرون اذن والله او لم ياذن فله ان ياكل لان القرابة التي بينهم هي اذن منهم وذلك لان في تلك القرابة عطفا تسمح النفوس منهم بذلك فتعطف ان ياكل هذا من شيهم ويسروا بذلك اذا علموا ابن العربي اباح لنا الاكل من جهة النسب من غير استيذان اذا كان الطعام مبذولا فان كان محروزا دونهم لم يكن لهم اخذه ولا يجوز ان يجاوزوا الى الادخار ولا الى ما ليس بماكول وان كان غير محروز عنهم الا باذن منهم **الخامسة** قوله تعالى او ما ملكتم مفاتحه يعني مما اختزنتم وصار في قبضتكم وعظم ذلك ما ملكه الرجل في بيته وتحت غلقه وذلك هو تاويل الضحاك ومجاهد وعند جمهور المفسرين يدخل في الاية الوكلا والعبيد والاجرا قال ابن عباس عنى وكيل الرجل في ضيعته وخازنه على ماله فيجوز له ان ياكل مما هو قيم عليه وذكر معمر عن قتادة عن عكرمة قال اذا ملك الرجل المفتاح فهو خازن فلا باس ان يطعم الشي اليسير ابن العربي للخازن ان ياكل مما يختزن اجماعا وقال اذا لم يكن له اجرة فاما اذا كانت له اجرة على الخزن حرم الاكل وقرا سعيد بن جبير ملكتم بضم الميم وكسر اللام وشدها وقرا ايضا مفاتيحه بيا بين التا والحا جمع مفتاح وقد مضى في الانعام وقرا قتادة مفتاحه على الافراد وقال ابن عباس نزلت هذه الاية في الحارث بن عمرو خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غازيا وخلف مالك بن زيد على اهله فلما رجع وجده مجهودا فساله عن حاله فقال تحرجت ان اكل من طعامك بغير اذنك فانزل الله هذه الاية **السادسة** قوله تعالى او صديقكم الصديق بمعنى الجمع وكذلك العدو قال الله تعالى فانهم عدو لي وقال جرير

دعون الهوى ثم ارتمين قلوبنا ... باسهم اعدا وهن صديق

والصديق من يصدقك في مودته وتصدقه في مودتك ثم قيل ان هذا منسوخ بقوله لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يوذن لكم وقوله فان لم تجدوا احدا فلا تدخلوها الاية وقوله عليه السلام لا يحل مال امري مسلم الا بطيبة نفس منه وقيل هي محكمة وهو اصح ذكر محمد بن ثور عن معمر قال دخلت بيت قتادة فابصرت فيه رطبا فجعلت اكله فقال ما هذا فقلت ابصرت

رطبا في بيتك فاكلت فقال احسنت قال الله او صديقكم وذكر عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله او صديقكم قال اذا دخلت بيت صديقك من غير مؤامرته لم يكن بذلك باس وقال معمر قلت لقتادة الا اشرب من هذا الحب قال انت لي صديق فما هذا الاستيذان وكان صلى الله عليه وسلم يدخل حائط ابي طلحة المسمى ببيرحا ويشرب من ما فيها طيب بغير اذن على ما قاله علماونا قالوا والما متملك لاهله واذا جاز الشرب من ما الصديق بغير اذن جاز الاكل من ثماره وطعامه اذا علم ان نفس صاحبه يطيب به لتفاهته وبيسير مونته او لما بينهما من المودة ومن هذا المعنى اطعام ام حرام له صلى الله عليه وسلم اذ نام عندها لان الاغلب ان ما في البيت من الطعام هو للرجل وان يد زوجته في ذلك عارية وهذا كله ما لم يتخذ الاكل خبنة ولم يقصد بذلك وقاية ماله وكان تافها يسيرا **السابعة** قرن الله عز وجل في هذه الاية الصديق بالقرابة المحضة الوكيدة لان قرب المودة لصيق قال ابن عباس في كتاب النقاش الصديق اوكد من القرابة الا ترى استغاثة الجهنميين فما لنا من شافعين ولا صديق حميم قال الشيخ رحمه الله ولهذا لا تجوز عندنا شهادة الصديق لصديقه كما لا تجوز شهادة القريب لقريبه وقد مضى بيان هذا والعلة فيه في النسا وفي المثل ايهم احب اليك اخوك او صديقك قال اخي اذا كان صديقي **الثامنة** قوله تعالى ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا قيل انها نزلت في بني ليث بن بكر وهم حي من بني كنانة كان الرجل منهم لا ياكل وحده ويمكث اياما جايعا حتى يجد من يواكله ومنه قول بعض الشعرا

اذا ما صنعت الزاد فالتمسي له ... اكيلا فاني لست اكله وحدي

قال ابن عطية وكانت هذه السيرة موروثة عندهم عن ابراهيم صلى الله عليه وسلم فانه كان لا ياكل وحده وكان بعض العرب اذا كان له ضيف لا ياكل الا ان ياكل مع ضيفه فنزلت الاية مبينة سنة الاكل ومذهبة كل ما خالفها من سيرة ومبيحة من اكل المنفرد ما كان عند العرب محرما نحت به نحو كرم الخلق فافرطت في الزامه وان احضار الاكيل لحسن ولا يحرم الانفراد **التاسعة** قوله تعالى جميعا او اشتاتا نصب جميعا على الحال واشتاتا جمع شت والشت المصدر بمعنى التفرق يقال شت القوم اي تفرقوا وقد ترجم البخاري في صحيحه باب ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج الاية والنهد والاجتماع ومقصوده فيما قاله علماونا في هذا الباب اباحة الاكل جميعا

وان اختلفت احوالهم في الاكل فقد سوغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فصارت ذلك سنة في الجماعات التي تدعا الى الطعام في النهد والولايم وفي الاملاق في السفر وما ملكت مفاتحه بامانة او قرابة او صداقة فلك ان تاكل مع القريب او الصديق ووحدك والنهد ما يجمعه الرفقا من مال او طعام على قدر في النفقة ينفقونه بينهم وقد تناهدوا عن صاحب العين فقال ابن دريد يقال من ذلك تناهد القوم الشي بينهم الهروي وفي حديث الحسن اخرجوا نهدكم فانه اعظم للبركة واحسن لاخلاقكم النهد ما تخرجه الرفقة عند المناهدة وهو استقسامهم النفقة بالسوية في السفر وغيره والعرب تقول هات نهدك بكسر النون قال المهلب وطعام النهد لم يوضع للاكلين على انهم ياكلون بالسوا وانما ياكل كل واحد على قدر نهمته وقد ياكل الرجل اكثر من غيره وقد قيل ان تركها اشبه بالورع وان كانت الرفقة تجتمع كل يوم على طعام احدهم فهو احسن من النهد لانهم لا يتناهدون الا ليصيب كل واحد منهم من ماله ثم لا يدري لعل احدهم يقصر عن ماله وياكل غيره اكثر من ماله واذا كانوا يوما عند هذا ويوما عند هذا بلا شرط فانما يكونون اضيافا والضيف ياكل بطيب نفس مما يقدم اليه وقال ايوب السختياني انما كان النهد ان القوم كانوا يكونون في السفر فيسبق بعضهم الى المنزل فيذبح ويهيي الطعام ثم ياتيهم ثم يسبق ايضا الى المنزل فيفعل مثل ذلك فقالوا ان هذا الذي تصنع كلنا يجب ان تصنع مثله فتعالوا نجعل بيننا شيا لا يتفضل بعضنا على بعض فوضعوا النهد بينهم وكان الصلحا اذا تناهدوا تحرى افضلهم ان يزيد على ما يخرجه اصحابه وان لم يرضوا بذلك منه اذا علموه فعله سرا دونهم **العاشرة** قوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا الاية اختلف المتاولون في اي البيوت اراد فقال ابراهيم النخعي والحسن اراد المساجد والمعنى سلموا على من فيها من ضيفكم فان لم يكن في المساجد احد فالسلام ان يقول المرء السلام على رسول الله وقيل يقول السلام عليكم يريد الملايكة ثم يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وذكر عبد الرزاق حدثنا معمر عن عمرو بن دينار عن ابن عباس في قوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم الاية قال اذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وقيل المراد بالبيوت البيوت المسكونة اي فسلموا على انفسكم قاله جابر بن عبد الله وابن عباس ايضا وعطا بن ابي رباح وقالوا ويدخل في ذلك البيوت غير المسكونة ويسلم المرء فيها على نفسه بان يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين

قال

قال ابن العربي القول بالعموم في البيوت هو الصحيح ولا دليل على التخصيص واطلق القول ليدخل تحت هذا العموم كل بيت كان للغير او لنفسه فاذا دخل بيتا لغيره استاذن كما تقدم فاذا دخل بيتا لنفسه سلم كما ورد في الخبر يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين قاله ابن عمر وهذا اذا كان فارغا فان كان فيه اهله وخدمه فليقل السلام عليكم وان كان مسجدا فليقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وعليه حمل ابن عمر البيت الفارغ قال ابن العربي والذي اختاره اذا كان البيت فارغا ان لا يلزم السلام فانه ان كان المقصود الملايكة لا تفارق العبد بحال اما انه اذا دخلت بيتك يستحب لك ذكر الله بان تقول ما شاء الله لا قوة الا بالله وقد تقدم في الكهف وقال القشيري في قوله اذا دخلتم بيوتا والاوجه ان يقال ان هذا عام في دخول كل بيت فان كان فيه ساكن مسلم يقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وان لم يكن فيه ساكن يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وذكر ابن خويز منداد قال كتب الي ابو العباس الاصم قال حدثنا محمد ابن عبد الله بن عبد الحكم قال حدثنا ابن وهب قال حدثنا جعفر بن ميسرة عن زيد بن اسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخلتم بيوتا فسلموا على اهلها واذكروا اسم الله فان احدكم اذا سلم حين يدخل بيته وذكر اسم الله تعالى على طعامه يقول الشيطان لاصحابه لا مبيت لكم ههنا ولا عشا واذا لم يسلم احدكم ولم يذكر اسم الله على طعامه قال الشيطان لاصحابه ادركتم المبيت والعشا قال الشيخ رحمه الله هذا الحديث ثبت معناه مرفوعا من حديث جابر خرجه مسلم وفي كتاب ابي داود عن ابي مالك الاشجعي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ولج الرجل بيته فليقل اللهم اني اسالك خير المولج وخير المخرج بسم الله ولجنا وبسم الله خرجنا وعلى الله ربنا توكلنا ثم ليسلم على اهله **الحادية عشرة** قوله تعالى تحية مصدر لان قوله فسلموا معناه فحيوا ووصفها بالبركة لان فيها الدعا واستجلاب مودة المسلم عليه ووصفها ايضا بالطيب لان السامع يستطيبها والكاف من قوله كذلك تشبيه وذلك اشارة الى هذه السنن اي كما بين لكم سنة دينكم في هذه الاشيا يبين لكم سائر ما بكم حاجة اليه في دينكم **قوله تعالى** انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه فيه مسيلتان **الاولى** قوله تعالى انما المومنون انما في هذه الاية للحصر المعنى لا يتم ولا يكمل ايمان من امن بالله ورسوله الا بان يكون من الرسول سامعا غير معنت في ان يكون الرسول يريد اكمال امر فيريد

ليوم مستأذنه بزواله في وقت الجمع ونحو ذلك وبين تعالى في اول السورة
انه انزل آيات بينات وانما النزول على محمد صلى الله عليه وسلم فختم السورة
بتاكيد الامر في متابعته عليه السلام ليعلم ان اوامره كاوامر القرآن
الثالثة واختلف في الامر الجامع ما هو فقيل المراد به ما للامام
حاجة الى جمع الناس فيه لاذاعة مصلحة من اقامة سنة في الدين
او لترهيب عدو باجتماعهم وللحروب قال الله تعالى وشاورهم في
الامر فاذا كان امر يشملهم نفعه وضره جمعهم للتشاور في ذلك
والامام الذي يترقب اذنه هو امام الامرة فلا يذهب احد لعذر الا
باذنه فاذا ذهب باذنه ارتفع عنه الظن السيء وقال مكحول والزهري
الجمعة من الامر الجامع وامام الصلاة ينبغي ان يستأذنه اذا قدمه امام
الامرة اذا كان يرى المستأذن قال ابن سيرين كانوا يستأذنون
الامام على المنبر فلما كثر ذلك قال زياد من جعل يده على فيه فليخرج
دون اذن وقد كان هذا بالمدينة حتى ان سهيل بن ابي صالح رعف
يوم الجمعة فاستأذن الامام وظاهر الآية يقتضي ان يستأذن امير
الامرة الذي هو في مقعد النبوة فانه ربما كان له رأي في حبس ذلك الرجل
لامر من امور الدين فاما امام الصلاة فقط فليس ذلك اليه لانه وكيل
على جزء من اجزاء الدين للذي هو في مقعد النبوة وروي ان هذه الآية
نزلت في حفر الخندق حين جاءت قريش وقائدها ابو سفيان وغطفان
وقائدها عيينة بن حصن فضرب النبي صلى الله عليه وسلم الخندق على
المدينة وذلك في شوال سنة خمس من الهجرة فكان المنافقون يتسللون
لواذا من العمل ويعتذرون باعذار كاذبة ونحوه روى اشهب وابن
عبد الحكم عن مالك وكذلك قال محمد بن اسحق وقال مقاتل نزلت في
عمر رضي الله عنه استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك في الرجعة
فاذن له وقال انطلق فوالله ما انت بمنافق يريد بذلك ان يسمع
المنافقين وقال ابن عباس انما استأذن عمر في العمرة فقال عليه السلام
لما اذن له يا ابا حفص لا تنسنا في صالح دعائك قال الشيخ رحمه الله
والصحيح الاول لتناوله جميع الاقوال واختار ابن العربي ما ذكره في نزول
الآية عن مالك وابن اسحق وان ذلك مخصوص في الحرب قال والذي
يبين ذلك امران احدهما قوله في الآية الاخرى قد يعلم الله الذين
يتسللون منكم لواذا وذلك ان المنافقين كانوا يتلوذون ويخرجون
عن الجماعة ويتركون رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر الله باجمعهم

بان لا يخرج احد منهم حتى ياذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلك
يتبين ايمانه الثاني قوله لم يذهبوا حتى يستأذنوه واي اذن في الحدث
والامام يخطب وليس للامام خيار في منعه ولا ابقائه وقد قال
فاذن لمن شئت منهم فبين بذلك انه مخصوص في الحرب قال الشيخ رحمه الله
القول بالعموم اولى وارفع واحسن واعلى فاذن لمن شئت منهم فكان النبي
صلى الله عليه وسلم بالخيار ان شاء ان ياذن وان شاء منع وقال قتادة
قوله فاذن لمن شئت منهم منسوخ بقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم
فاستغفر لهم اي لخروجهم عن الجماعة ان علمت لهم عذرا ان الله غفور رحيم
قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا يريد
يصيح من بعيد يا ابا القاسم بل عظموه كما قال في الحجرات ان الذين يغضون
اصواتهم عند رسول الله الآية وقال سعيد بن جبير ومجاهد المعنى قولوا
يا رسول الله في رفق ولين ولا تقولوا يا محمد بتجهم وقال قتادة امرهم ان
يشرفوه ويفخموه ابن عباس لا تتعرضوا لدعاء الرسول عليكم باسخاط فان
دعوته موجبة قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا التسلل والانسلال
الخروج واللواذ من الملاوذة وهي ان تستتر بشيء مخافة من يراه فكان
المنافقون يتسللون عن صلاة الجمعة لواذا مصدر في معنى الحال اي
متلاوذين اي يلوذ بعضهم ببعض ينضم اليه استتارا من رسول الله
صلى الله عليه وسلم لانه لم يكن على المنافقين اثقل من يوم الجمعة وحضور
الخطبة حكاه النقاش وقد مضى القول فيه وقيل كانوا يتسللون في الجهاد
رجوعا عنه يلوذ بعضهم ببعض وقال الحسن لواذا فرارا من الجهاد
ومنه قول حسان

وقريش تجول منكم لواذا ... لم تحافظ وخف منها الحلوم

وصحت واوها لتحركها في لاوذ يقال لاوذ يلاوذ ملاوذة ولواذا
ولاذ يلوذ لياذا انقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها اتباعا للاذ في
الاعتلال فاذا كان مصدر فاعل لم يعل لان فاعل لا يجوز ان يعل **قوله تعالى**
فليحذر الذين يخالفون عن امره بهذه الآية احتج الفقهاء على ان الامر على
الوجوب ووجهها ان الله تبارك وتعالى قد حذر من مخالفة امره وتوعد
بالعقاب عليها بقوله ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم فتحرم مخالفته
فيجب امتثال امره والفتنة هنا القتل قاله ابن عباس عطاء الزلازل
والاهوال جعفر بن محمد سلطان جائر يسلط عليهم وقيل الطبع على القلوب
بشؤم مخالفة الرسول والضمير في امره قيل هو عائد الى امر الله قاله

يحيى بن سلام وقيل الى امر رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله قتادة
ومعنى يخالفون عن امره اي يعرضون عنه وقال ابو عبيدة والاخفش عن
في هذا الموضع زائدة وقال الخليل وسيبويه ليست بزائدة والمعنى
يخالفون بعد امره كما قال لم تنتطق عن تفضل ومنه قوله ففسق عن
امر ربه اي بعد امر ربه وان في موضع نصب بيحذر ولا يجوز عند اكثر
النحويين حذر زيدا وهو في ان جائز لان حروف الخفض تحذف معها
قوله تعالى الا ان لله ما في السموات والارض خلقا وملكا قد يعلم
ما انتم عليه فهو يجازيكم به ويعلم هنا بمعنى علم ويوم ترجعون اليه بعد
ما كان في خطاب رجع في خبر وهذا يقال له خطاب التلوين فينبئهم بما
عملوا اي يخبرهم باعمالهم ويجازيهم بها والله بكل شيء عليم من اعمالهم واحوالهم

تفسير سورة الفرقان مكية كلها

في قول الجمهور وقال ابن عباس وقتادة الا ثلاث ايات منها نزلن بالمدينة
وهي والذين لا يدعون مع الله الها اخر الى قوله وكان الله غفورا رحيما
وقال الضحاك هي مدنية وفيها ايات مكية قوله والذين لا يدعون مع الله
الها اخر الايات ومقصود هذه السورة ذكر موضع عظيم القرآن وذكر مطاعن
الكفار في النبوة والرد على مقالاتهم فمن جملتها قولهم ان القرآن افتراه محمد وانه ليس من عند الله

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى تبارك الذي نزل الفرقان على عبده الآية
اختلف في معناه فقال الفراء هي في العربية وتقدس واحد وهما للعظمة
وقال الزجاج تبارك تفاعل من البركة قال ومعنى البركة الكثرة من كل
ذي خير وقيل تعالى عطاؤه اي زاد وكثر وقيل المعنى دام وثبت انعامه
قال النحاس وهذا اولاها في اللغة والاشتقاق من برك الشيء اذا ثبت
ومنه برك الجمل والطير على الماء اي دام وثبت فاما القول الاول فمخلط لان
التقديس انما هو من الطهارة وليس من ذا في شيء قال الثعلبي ويقال
تبارك الله ولا يقال له متبارك ولا مبارك لانه ينتهى في اسمائه
وصفاته الى حيث ورد التوقيف وقال الطرماح

تباركت لا معط لشيء منعته ولس لما اعطيت يا رب مانع

وقال اخر تباركت ما تقدر يقع ولك الشكر قال الشيخ رحمه الله
قد ذكر بعض العلماء في اسمائه الحسنى المبارك وذكرناه ايضا في كتابنا
فان كان وقع اتفاق على انه لا يقال فيسلم للاجماع وان كان وقع فيه
اختلاف فكثير من الاسماء اختلف في عده كالدهر وغيره وقد نبهنا على

ذلك هنالك والحمد لله والفرقان القرآن وقيل انه اسم لكل منزل كما
قال ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وفي تسميته فرقانا وجهان
احدهما انه فرق بين الحق والباطل والمؤمن والكافر الثاني لان فيه بيان
ما شرع من حلال وحرام حكاه النقاش على عبده يريد محمدا صلى الله عليه وسلم
ليكون للعالمين نذيرا اسم يكون فيها مضمر يعود على عبده لانه اولى لانه اقرب
اليه ويجوز ان يكون يعود على الفرقان وقرا عبد الله بن الزبير على عباده ويقال
انذر اذا خوف وقد تقدم في اول البقرة والنذير المحذر من الهلاك الجوهري
والنذير المنذر والنذير الانذار والمراد بالعالمين هنا الانس والجن لان النبي صلى
الله عليه وسلم قد كان رسولا اليهما ونذيرا لهما وانه خاتم الانبياء ولم يكن غيره عام
الرسالة الا نوح فانه عم برسالته جميع الانس بعد الطوفان لانه بدا به الخلق
قوله تعالى الذي له ملك السموات والارض عظم تعالى نفسه ولم
يتخذ ولدا نزه سبحانه نفسه عما قاله المشركون من ان الملائكة اولاد الله
تعالى يعني بنات الله سبحانه وتعالى وعما قالت اليهود عزير ابن الله وعما قالت
النصارى المسيح ابن الله تعالى الله عن ذلك ولم يكن له شريك في الملك كما قال
عبدة الاوثان وخلق كل شيء لا كما قال المجوس والثنوية ان الشيطان او الظلمة
تخلق بعض الاشياء ولا كما يقول من قال للمخلوق قدرة الايجاد فالاية رد على
هولاء وقدره تقديرا اي قدر كل شيء مما خلق بحكمته على ما اراد لا عن سهوة
وغفلة بل جرت المقادير على ما خلق الله الى يوم القيامة وبعد القيامة
فهو الخالق المقدر فاياه فاعبدوا **قوله تعالى** واتخذوا من دونه
آلهة ذكر ما صنع المشركون على جهة التعجب في اتخاذهم الالهة مع ما اظهر من
الدلالة على وحدانيته وقدرته لا يخلقون شيئا يعني الالهة وهم يخلقون
لما اعتقد الكفار فيها انها تضر وتنفع عبر عنها كما يعبر عما يعقل ولا يملكون
لانفسهم ضرا ولا نفعا اي لا دفع ضر وجلب نفع فحذف المضاف وقيل لا
يقدرون ان يضروا انفسهم او ينفعوها بشيء ولا من يعبدهم لانها جمادات
ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا اي لا يميتون احدا ولا يحيونه والنشور
الاحياء بعد الموت انشر الله الموتى فنشروا وقد تقدم وقال الاعشى

حتى يقول الناس مما راوا يا عجبا للميت الناشر

قوله تعالى وقال الذين كفروا يعني مشركي قريش وقال ابن عباس
القائل منهم ذلك النضر بن الحارث وكذا كلما كان في القرآن فيه ذكر الاساطير
قال محمد بن اسحاق وكان مؤذيا للنبي صلى الله عليه وسلم ان هذا يعني القرآن
الا افك افتراه اي كذب اختلقه واعانه عليه قوم آخرون يعني اليهود قاله

مجاهد وقال ابن عباس المراد بقوله قوم آخرون ابو فكيهة مولى الحضرمي
وعداس وجبر وكان هولاء الثلاثة من اهل الكتاب وقد مضى في النحل
ذكرهم فقد جاوا ظلما اي بظلم وقيل المعنى فقد اتوا ظلما وزورا وقالوا اساطير
الاولين قال الزجاج واحد الاساطير اسطورة مثل احدوثة واحاديث
وقال غيره اساطير جمع اسطار مثل اقوال واقاويل اكتتبها يعني محمدا
فهي تملى عليه اي تلقى عليه وتقرا بكرة واصيلا حتى تحفظ وتملى اصله تملل
فابدلت اللام الاخيرة ياء من التضعيف كقولهم تقضى البازي وشبهه
قوله تعالى قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض اي قل
يا محمد انزل هذا القران الذي يعلم السر فهو عالم الغيب فلا يحتاج الى معلم
وذكر السر دون الجهر لانه من علم السر فهو في الجهر اعلم ولو كان القران ماخوذا
من اهل الكتاب وغيرهم لما زاد عليها وقد جاء بفنون تخرج عنها فليس
ماخوذا منها وايضا لو كان ماخوذا من هولاء لتمكن المشركون منه ايضا
كما تمكن محمد صلى الله عليه وسلم فهلا عارضوه فبطل اعتراضهم من كل وجه
انه كان غفورا رحيما لاوليائه رحيما بهم قوله تعالى وقالوا ما لهذا
الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى
وقالوا ذكروا شيا اخر من مطاعنهم والضمير في قالوا لقريش وذلك انهم كان
لهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلس مشهور وقد تقدم في سبحان
ذكره ابن اسحاق في السيرة وغيره مضمنه ان سادتهم عتبة بن ربيعة وغيره
اجتمعوا معه فقالوا يا محمد ان كنت تحب الرياسة وليناك علينا وان كنت
تحب المال جمعنا لك من اموالنا فلما ابى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك
رجعوا في باب الاحتجاج معه فقالوا ما بالك وانت رسول الله تاكل الطعام
وتقف بالاسواق فعيروه باكل الطعام لانهم ارادوا ان يكون الرسول ملكا
وعيروه بالمشي في الاسواق حين راوا الاكاسرة والقياصرة يترفعون عن
الاسواق وكان عليه السلام يخالطهم في اسواقهم ويامرهم وينهاهم فقالوا
هذا يطلب ان يتملك علينا فما له يخالف سيرة الملوك فاجابهم الله بقوله
وانزل على نبيه وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام
ويمشون في الاسواق فلا تغتم ولا تحزن فانها شكاة ظاهر عنك عارها
الثانية دخول الاسواق مباح للتجارة وطلب المعاش وكان عليه
السلام يدخلها لحاجته ولتذكرة الخلق بامر الله ودعوته ويعرض فيها
نفسه على القبائل لعل الله ان يرجع بهم الى الحق وفي البخاري في صفته
ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق وقد تقدم في الاعراف وذكر

السوق

السوق مذكور في غير ما حديث ذكره اهل الصحيح وتجارة الصحابة فيها
معروفة وخاصة المهاجرين كما قال ابو هريرة وان اخواننا من المهاجرين
كان يشغلهم الصفق بالاسواق خرجه البخاري وسياتي لهذه المسئلة زيادة
بيان في هذه السورة ان شاء الله تعالى قوله تعالى لولا انزل عليه
ملك اي هلا فيكون معه نذيرا جواب الاستفهام او يلقى في موضع رفع والمعنى
او هلا يلقى اليه كنز او هلا يكون له جنة ياكل منها ياكل بالياء قرا المدنيون
وابو عمرو وعاصم وقرا سائر الكوفيين بالنون والقراءتان حسنتان يؤديان
على معنى وان كانت القراءة بالياء ابين لانه قد تقدم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم
وحده فان يعود الضمير عليه ابين ذكره النحاس وقال الظالمون ان تتبعون
الا رجلا مسحورا تقدم في سبحان والقائل عبد الله بن الزبعرى فيما ذكره
الماوردي قوله تعالى انظر كيف ضربوا لك الامثال اي ضربوا
لك هذه الامثال ليتوصلوا الى تكذيبك فضلوا عن سبيل الحق وعن بلوغ
ما ارادوا فلا يستطيعون سبيلا الى تصحيح ما قالوه فيك قوله تعالى
تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات شرط ومجازاة ولم
يدغم جعل لك لان الكلمتين منفصلتان ويجوز الادغام لاجتماع المثلين
ويجعل لك قصورا في موضع جزم عطفا على موضع جعل ويجوز ان يكون في موضع
رفع مقطوعا من الاول وكذلك قرا اهل الشام ويروى عن عاصم ايضا ويجعل لك
بالرفع اي وسيجعل لك في الاخرة قصورا قال مجاهد كانت قريش ترى البيت
من حجارة قصرا كائنا ما كان والقصر في اللغة الحبس وسمي القصر قصرا
لان من فيه مقصور عن ان يوصل اليه وقيل العرب تسمي بيوت الطين القصر
وما يتخذ من الصوف والشعر البيت حكاه القشيري وروى سفيان عن
حبيب بن ابي ثابت عن خيثمة قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ان شئت ان
نعطيك خزائن الدنيا ومفاتحها ولم يعط ذلك من قبلك ولا يعطاه احد بعدك
وليس ذلك بناقصك في الاخرة شيئا وان شئت جمعنا ذلك لك في الاخرة
فقال يجمع ذلك لي في الاخرة فانزل الله عز وجل تبارك الذي ان شاء جعل لك
خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا ويروى ان هذه
الاية انزلها رضوان خازن الجنان الى النبي صلى الله عليه وسلم وفي الخبر ان
رضوان لما نزل سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال يا محمد رب العزة يقرئك
السلام وهذا سفط فاذا سفط من نور يتلالا يقول لك ربك هذه مفاتيح
خزائن الدنيا مع انه لا ينتقص ما لك في الاخرة مثل جناح بعوضة فنظر
النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل كالمستشير له فضرب جبريل بيده الارض

يبشر ان تواضع فقال يا رضوان لا حاجة لي فيها الفقر احب الي وان
اكون عبدا صابرا شكورا فقال يا رضوان الصحاح اصبت اصاب الله بك وذكر
الحديث **قوله تعالى** بل كذبوا بالساعة يريد يوم القيامة واعتدنا
لمن كذب بالساعة سعيرا يريد جهنم تتلظى عليهم اذا رأتهم من مكان
بعيد اي من مسيرة خمس مائة عام سمعوا لها تغيظا وزفيرا قيل
المعنى اذا رأتهم جهنم سمعوا لها صوت التغيظ عليهم وقيل المعنى اذا
رأتهم خزانها سمعوا لهم تغيظا وزفيرا حرصا على عذابهم والاول اصح
لما روي مرفوعا ان رسول الله صلى الله عليه قال من كذب علي متعمدا فليتبوأ
بين عيني جهنم مقعدا قيل يا رسول الله ولها عينان قال اما سمعتم الله عز
وجل يقول اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا يخرج عنق
من النار له عينان يبصران ولسان ينطق فيقول وكلت بكل من جعل
مع الله الها آخر فلهو ابصر بهم من الطير بحب السمسم فيلتقطه في رواية
فيخرج عنق من النار فيلتقط الكفار لقط الطائر حب السمسم ذكره
رزين في كتابه وصححه ابن العربي في قبسه وقال اي تفصلهم عن الخلق
في المعرفة كما يفصل الطائر حب السمسم من التربة وخرجه الترمذي
من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج عنق
من النار يوم القيامة له عينان تبصران واذنان تسمعان ولسان
ينطق يقول اني وكلت بثلاث بكل جبار عنيد وبكل من دعى مع الله الها
آخر وبالمصورين وفي الباب عن ابي سعيد قال ابو عيسى هذا حديث
حسن غريب صحيح وقال الكلبي سمعوا لها تغيظا كتغيظ بني آدم وصوتا
كصوت الحمار وقيل فيه تقديم وتأخير سمعوا لها زفيرا وعلموا لها تغيظا
وقال قطرب التغيظ لا يسمع ولكن يرى والمعنى رأوا لها تغيظا
وسمعوا لها زفيرا كقول الشاعر

ورأيت زوجك في الوغى ... متقلدا سيفا ورمحا

اي وحاملا رمحا وقيل سمعوا لها اي فيها اي سمعوا فيها تغيظا وزفيرا
للمعذبين كما قال لهم فيها زفير وشهيق وفي واللام يتقاربان تقول
افعل هذا في الله ولله **قوله تعالى** واذا القوا منها مكانا ضيقا
مقرنين قال قتادة ذكر لنا ان عبد الله كان يقول ان جهنم لتضيق على
الكافر كتضييق الزج على الرمح ذكره ابن المبارك في رقائقه وكذا قال
ابن عباس ذكره الثعلبي والقشيري عنه وحكاه الماوردي عن عبد
الله بن عمرو ومعنى مقرنين مكتفين قاله ابو صالح وقيل مصفدين

قد قرنت ايديهم الى اعناقهم في الاغلال وقيل قرنوا مع الشياطين اي قرن كل
واحد منهم الى شيطانه قاله يحيى بن سلام وقد مضى هذا في سورة
ابراهيم وقال عمرو بن كلثوم

فآبوا بالنهاب وبالسبايا ... وابنا بالملوك مقرنينا

دعوا هنالك ثبورا اي هلاكا قاله الضحاك ابن عباس ويلا وروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اول من يقوله ابليس وذلك انه
اول من يكسى حلة من النار فتوضع على حاجبيه ويسحبها من خلفه
وذريته من خلفه وهو يقول واثبوراه والنصب على المصدر اي
ثبرنا ثبورا قاله الزجاج وقال غيره هو مفعول به **قوله تعالى**
لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا فان هلاككم اكثر من ان
تدعوا مرة واحدة وقال ثبورا لانه مصدر يقع للقليل والكثير فلذلك
لم يجمع وهو كقولك ضربته ضربا كثيرا وقعد قعودا طويلا ونزلت
الآيات في ابن خطل واصحابه **قوله تعالى** قل اذلك خير ام جنة
الخلد التي وعد المتقون ان قيل كيف قال اذلك خير ولا خير في النار
فالجواب ان سيبويه حكى عن العرب الشقاء احب اليك ام السعادة
وقد علم ان السعادة احب اليه وقيل ليس هو من باب افعل منك وانما
هو كقولك عنده خير قال النحاس وهذا قول حسن كما قال

فشركما لخيركما الفداء

وقيل انما قال ذلك لان الجنة والنار قد دخلتا
في باب المنازل فقال ذلك لتفاوت ما بين المنزلتين وقيل هو مردود
على قوله تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك الآية وقيل هو
مردود على قوله او يلقى اليه كنز او تكون له جنة يأكل منها وقيل
انما قال ذلك على معنى علمكم واعتقادكم ايها الكفار وذلك انهم
لما كانوا يعملون عمل اهل النار صاروا كانهم يقولون ان في النار
خيرا **قوله تعالى** لهم فيها ما يشاؤن اي من النعم خالدين
كان على ربك وعدا مسئولا قال الكلبي وعد الله المؤمنين الجنة
جزاء على اعمالهم فسألوه ذلك الوعد فقالوا ربنا وآتنا ما وعدتنا
على رسلك وهو معنى قول ابن عباس وقيل ان الملائكة تسأل لهم
الجنة دليله قوله ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم الآية
وهذا قول محمد بن كعب القرظي وقيل معنى وعدا مسئولا اي واجبا
وان لم يسأل كالدين حكي عن العرب لاعطينك الفا وعدا مسئولا
يعني انه واجب لك فتسأله وقال زيد بن اسلم سألوا الله الجنة في

الدنيا ورغبوا اليه بالدعا فاجابهم في الاخرة الى ما سالوا واعطاهم
ما طلبوا وهذا يرجع الى القول الاول **قوله تعالى** ويوم يحشرهم
قرا ابن محيصن وحميد وابن كثير وحفص ويعقوب وابي عمرو في رواية
الدوري يحشرهم باليا واختاره ابو عبيد وابو حاتم لقوله في اول الكلام
كان على ربك وفي اخره انتم اضللتم عبادي الباقون بالنون على التعظيم
وما يعبدون من دون الله من الملايكة والانس والجن والمسيح وعزير
قاله مجاهد وابن جريج الضحاك وعكرمة الاصنام فيقول قراة العامة
باليا وهو اختيار ابي عبيد وابي حاتم وقرا ابن عامر وابو حيوة بالنون
على التعظيم انتم اضللتم عبادي هولا ام هم ضلوا السبيل وهذا استفهام
توبيخ للكفار قالوا سبحانك اي قالت المعبودون من دون الله سبحانك
اي تنزيها لك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اوليا فان قيل فان
كانت الاصنام التي تعبد تحشر فكيف تنطق وهي جماد قيل له ينطقها
الله تعالى يوم القيامة كما ينطق الايدي والارجل وقرا الحسن وابو
جعفر ان نتخذ بضم النون وفتح الخا على الفعل المجهول وقد تكلم في هذه
القراة النحويون فقال ابو عمرو بن العلا وعيسى بن عمر لا يجوز نتخذ قال
ابو عمرو لو كانت نتخذ لحذفت من الثانية فقلت ان نتخذ من دونك
اوليا وكذا قال ابو عبيدة لا يجوز نتخذ لان الله تعالى ذكر من مرتين ولو
كان كما قرا لقال ان نتخذ من دونك اوليا وقيل من الثانية صلة قال النحاس
ومثل ابي عمرو على جلالته ومحله يستحسن ما قال لانه جا ببينة وشرح ما قالت
انه يقال ما اتخذت رجلا وليا فيجوز ان يقع هذا للواحد بعينه ثم يقال ما
اتخذت من رجل وليا فيكون نفيا عاما وقولك وليا تابع لما قبله فلا يجوز ان
يدخل فيه من لانه لا فايدة في ذلك ولكن متعتهم واباهم اي في الدنيا بالصحة
والغنى وطول العمر بعد موت الرسل صلوات الله عليهم حتى نسوا الذكر
اي تركوا ذكرك فاشركوا بك بطرا وجهلا فعبدونا من غير ان امرناهم
بذلك وفي الذكر قولان احدهما القران المنزل على الرسل تركوا العمل به
قاله ابن زيد الثاني الشكر على الاحسان اليهم والنعم عليهم انهم
وكانوا قوما بورا اي هلكى قاله ابن عباس ماخوذ من البوار وهو
الهلاك وقال ابو الدردا رضي الله عنه وقد اشرف على اهل حمص هلموا
الى اخ لكم ناصح فلما اجتمعوا حوله قال ما لكم لا تستحيون تبنون
ما لا تسكنون وتجمعون ما لا تاكلون وتاملون ما لا تدركون ان من
كان قبلكم بنوا شديدا وجمعوا عبيدا واملوا بعيدا فاصبح جمعهم

بورا

بورا واملهم غرورا ومساكنهم قبورا فقوله بورا اي هلكى وفي
خبر اخر فاصبحت منازلهم بورا اي خالية لا شي فيها وقال الحسن
بورا لا خير فيهم ماخوذ من بوار الارض وهو تعطيلها من
الزرع فلا يكون فيها خير وقال شهر ابن حوشب البوار
الفساد والكساد ماخوذ من قولهم بارت السلعة اذا كسدت
كساد الفاسد ومنه الحديث نعوذ بالله من بوار الايم وهو
اسم مصدر كالزور يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع والمذكر
والمونث قال ابن الزبعرى

يا رسول المليك ان لساني ۞ راتق ما فتقت اذ انا بور
اذ اباري الشيطان في سنن الغي ۞ ومن مال ميله مثبور

وقال بعضهم الواحد باير والجمع بور كما يقال عايذ وعوذ وهايد
وهود وقيل بورا عميا عن الحق **قوله تعالى** فقد كذبوكم بما تقولون
اي يقول الله تعالى عند تبري المعبودين فقد كذبوكم بما تقولون
اي في قولكم انهم الهة فما يستطيعون يعني الالهة صرف العذاب
عنكم ولا نصركم وقيل فما يستطيع هولا الكفار لما كذبهم المعبودون
صرفا للعذاب ولا نصرا من الله وقال ابن زيد المعنى فقد كذبوكم
ايها المومنون هولا الكفار بما جا به محمد وعلى هذا المعنى بما تقولون
بما تقولون من الحق وقال ابو عبيد المعنى فيما تقولون فما
يستطيعون لكم صرفا عن الحق الذي هداكم الله اليه ولا نصرا لانفسهم
مما ينزل بهم من العذاب بتكذيبهم اياكم وقراة العامة بما تقولون
بالتا على الخطاب وقد بينا معناه وحكى الفرا انه يقرا فقد
كذبوكم مخففا بما يقولون وكذا قرا مجاهد والبزي باليا
ويكون معنى يقولون بقولهم وقرا ابو حيوة بما يقولون
باليا فما تستطيعون بالتا على الخطاب لمتخذي الشركا ومن
قرا باليا فالمعنى فما يستطيع الشركا ومن يظلم منكم قال ابن عباس
من يشرك منكم ثم مات عليه نذقه اي في الاخرة عذابا كبيرا اي شديدا
كقوله ولتعلن علوا كبيرا اي شديدا **قوله تعالى** وما ارسلنا قبلك
من المرسلين الاية الى قوله بصيرا فيه تسع مسايل الاولى قوله
تعالى وما ارسلنا قبلك من المرسلين نزلت جوابا للمشركين حيث
قالوا مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق وقال ابن
عباس لما عير المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفاقة

وقالوا مال هذا الرسول ياكل الطعام الاية حزن النبي صلي الله عليه وسلم
لذلك فنزلت تعزية له فقال جبريل عليه السلام السلام عليك يا رسول الله
ربك يقريك السلام ويقول لك وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون
الطعام ويمشون في الاسواق اي يبتغون المعايش في الدنيا الثانية
الا انهم لياكلون الطعام اذا دخلت اللام لم يكن في ان الا
الكسر لانها مستانفة هذا قول جميع النحويين قال النحاس الا ان علي
ابن سليمان حكي لنا عن محمد بن يزيد انه قال يجوز في ان هاهنا الفتح
وان كان بعدها اللام واحسبه وهما قال ابو اسحاق الزجاج وفي الكلام
حذف والمعني وما ارسلنا قبلك رسلا الا انهم لياكلون الطعام ثم حذف
رسلا لان في قوله من المرسلين ما يدل عليه فالموصوف محذوف عند
الزجاج ولا يجوز عنده حذف الموصول وتبقية الصلة كما قال الفرا قال
الفرا المحذوف من والمعني الا من انهم لياكلون الطعام وشبهه بقوله
وما منا الا من له مقام معلوم وقوله وان منكم الا واردها اي ما منكم
الا من هو واردها وهذا قول الكسائي ايضا وتقول العرب ما بعثت
اليك الا من انه ليعطيك تقديره الا من انه ليعطيك صلة من قال الزجاج
هذا خطا لان من موصولة فلا يجوز حذفها وقال اهل المعاني المعني
وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا قيل انهم لياكلون دليله قوله تعالي
ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك وقال ابن الانباري كسرت
انهم بعد الا للاستيناف باضمار واو اي والا انهم وذهبت فرقة الي ان
قولهم لياكلون الطعام كناية عن الحدث قال الشيخ رحمه الله وهذا
بليغ في معناه ومثله ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل
وامه صديقة كانا ياكلان الطعام ويمشون في الاسواق قرا الجمهور
ويمشون بفتح اليا وسكون الميم وتخفيف الشين وقرا علي وابن عوف
وابن مسعود بضم اليا وفتح الميم وشد الشين المفتوحة بمعني يدعون
الي المشي ويحملون عليه وقرا ابو عبد الرحمن السلمي بضم اليا وفتح الميم وضم
الشين المشددة وهي بمعني يمشون قال الشاعر

امشي باعطان المياه واتقي ۞ قلائصا منها صعبة وركوب

وقال كعب بن زهير

تظل سباع الجو ضامرة ۞ ولا تمشي بوادي الاراجيل

بمعني تمشي
الثالثة هذه الاية اصل في تناول الاسباب وطلب المعاش بالتجارة
والصناعة وغير ذلك وقد مضي هذا المعني في غير موضع لاكنا نذكر

هنا من ذلك

هنا من ذلك ما يكفي فنقول قال لي بعض مشايخ هذا الزمان
في كلام جري ان الانبيا عليهم السلام انما بعثوا ليسنوا الاسباب للضعفا
فقلت مجيبا له هذا قول لا يصدر الا من الاغبيا والرعاع السفها
او من طاعن في الكتاب والسنة العليا وقد اخبر الله في كتابه عن اصفيايه
رسله وانبيايه بالاسباب والاحتراف فقال وقوله الحق وعلمناه صنعة
لبوس لكم وقال وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام
ويمشون في الاسواق قال العلما اي يتجرون ويحترفون وقال عليه
السلام جعل رزقي تحت ظل رمحي وقال فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا وكان
الصحابة رضي الله عنهم يتجرون ويحترفون وفي اموالهم يعملون
ومن خالفهم من الكفار يقاتلون اتراهم ضعفا بل هم والله كانوا الاقويا
وبهم الخلف الصالح اقتدي وطريقهم فيه الهدي والاهتدا قال انما
تناولوها لانهم ايمة الاقتدا فتناولوها مباشرة في حق الضعفا
فاما في حق انفسهم فلا وبيان ذلك اصحاب الصفة قال الشيخ رحمه الله
لو كان ذلك لوجب عليهم وعلي الرسول منهم البيان كما ثبت في القران
وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم وقال ان الذين يكتمون
ما انزلنا من البينات والهدي وهذا من البينات والهدي واما اصحاب
الصفة فانهم كانوا ضيف الاسلام عند ضيق الحال فكان عليه السلام
اذا اتته صدقة خصهم بها واذا اتته هدية اكلها معهم وكانوا مع هذا
يحتطبون ويسوقون الما الي ابيات رسول الله صلي الله عليه
وسلم كذا وصفهم البخاري وغيره ثم افتتح الله عليهم البلاد ومهد
لهم المهاد فتامروا وبالاسباب امروا ثم ان هذا القول يدل علي
ضعف النبي صلي الله عليه وسلم واصحابه لانهم ايدوا بالملايكة وثبتوا
بهم فلو كانوا اقويا ما احتاجوا الي تاييد الملايكة وتثبيتهم اذ ذاك سبب
من اسباب النصر نعوذ بالله من قول واطلاق يؤول الي هذا بل القول
بالاسباب والوسايط سنة الله وسنة رسوله وهو الحق المبين والصراط
المستقيم الذي انعقد عليه اجماع المسلمين والا كان يكون قوله الحق واعدوا
لهم ما استطعتم من قوة الاية مقصورا علي الضعفا وجميع الخطابات
كذلك وفي التنزيل حيث خاطب موسي الكليم ان اضرب بعصاك البحر
وقد كان قادرا علي فلق البحر دون ضرب عصا وكذلك مريم عليها السلام
وهزي اليك بجذع النخلة وقد كان قادرا علي سقوط الرطب دون
هز ولا تعب ومع هذا كله فلا ننكر ان يكون رجلا يلطف به ويغاث او يجاب

دعوته او يكرم بكرامة في خاصة نفسه او لاجل غيره ولا بد لذلك القواعد
الكلية والامور الجلية هيهات هيهات لا يقال فقد قال تعالى وفي السما
رزقكم وما توعدون فالا نقول صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم
وان الرزق في هذا المطر باجماع اهل التاويل بدليل قوله وينزل من السما رزقا
وقال وانزلنا من السما ما فانبتنا به جنات وحب الحصيد ولم يقل احد ينزل
من السما على الخلق اطباق الخبز ولا جفان اللحم بل الاسباب اصل
في وجود ذلك وهو معنى قوله عليه السلام اطلبوا الرزق في خبايا الارض
اي بالحرث والحرث والحفر والغرس وقد يسمي الشي بما يول اليه
فسمي المطر رزقا لانه عنه يكون الرزق وذلك شهير في كلام العرب وقال
عليه السلام لان ياخذ احدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من ان يسال
احدا اعطاه او منعه ولله ابيها خرج بغير نقب من الحشيش والحطب ولو
قدر رجل بالجبال منقطعا عن الناس لكان لا بد من الخروج الى ما تخرجه
الاكام وظهور الاعلام حتى يتناول من ذلك ما يعيش به وهو معنى قوله
عليه السلام لو انكم كنتم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير
تغدوا خماصا وتروح بطانا فغدوها ورواحها سبب فالعجب العجب
ممن يدعي التجريد والتوكل على التحقيق ويقعد على ثنيات الطريق
ويدع الطريق المستقيم والمنهج الواضح القويم ثبت في البخاري عن ابن
عباس قال كان اهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن المتوكلون
فاذا قدموا سالوا الناس فانزل الله وتزودوا ولم ينقل عن النبي صلى الله
عليه وسلم واصحابه رضوان الله عليهم انهم خرجوا الى اسفارهم بغير زاد
وكانوا المتوكلين حقا والتوكل اعتماد القلب على الرب في الى يجمع شعثه
ويجمع عليه اربه ثم يتناول الاسباب بمجرد الامر وهذا هو الحق سال رجل
الامام احمد بن حنبل فقال اني اريد الحج على قدم التوكل فقال اخرج وحدك
فقال لا الا مع الناس فقال له اذا متكل على اجربتهم وقد اتينا على
هذا في كتاب قمع الحرص بالزهد والقناعة ورد ذل السوال
بالكتب والشفاعة الرابعة خرج مسلم عن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال احب البلاد الى الله مساجدها وابغض
البلاد الى الله اسواقها وخرج البزار عن سلمان الفارسي قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكونن ان استطعت اول من يدخل
السوق ولا اخر من يخرج منها فانها معركة الشيطان وبها ينصب رايته
اخرجه ابو بكر البرقاني مسندا عن محمد ابي محمد عبد الغني ابن سعيد

الحافظ

الحافظ من رواية عاصم عن ابي عثمان النهدي عن سلمان قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكن اول من يدخل السوق
ولا اخر من يخرج منها فيها باض الشيطان وفرخ ففي هذه
الاحاديث التي يجا لطفها الرجال النسوان وهكذا اخذ
علماونا لما كثر الباطل في الاسواق وظهر فيها المناكر كره دخولها
لارباب الفضل والمقتدى بهم في الدين تنزيها لهم عن
البقاع التي يعصى الله فيها فحق على من ابتلاه الله بالسوق
ان يخطر بباله انه قد دخل محل الشيطان ومحل جنوده وانه
ان قام هناك هلك ومن كانت هذه حاله اقتضت له على قدر
ضرورته ويتحرز من سوء عاقبته وبليته الخامسة تشبيه
النبي صلى الله عليه وسلم السوق بالمعركة تشبيه حسن وذلك
ان المعركة موضع القتال سمي بذلك لتعارك الابطال فيه ومصارعة
بعضهم بعضا فشبه السوق وفعل الشيطان بها ونيله منهم
مما يحملهم من المكر والخديعة والتساهل في البيوع الفاسدة
والكذب والايمان الكاذبة واختلاط الاصوات وغير ذلك
بمعركة الحرب ومن يصرع فيها السادسة قال ابن العربي
اما اكل الطعام فضرورة الخلق لا عار ولا درك فيه واما
الاسواق فسمعت مشيخة اهل العلم يقولون لا تدخل الا
سوق الكتب والسلاح وعندي انه يدخل كل سوق للحاجة
اليه ولا ياكل فيها لان ذلك اسقاط للمروءة وهدم للحشمة ومن
الاحاديث الموضوعة الاكل في السوق دناءة قال الشيخ رحمه
الله ما ذكره مشيخة اهل العلم فنعما هو لان ذلك خال عن
النظر الى النسوان ومخالطتهن اذ ليس ذلك من حاجتهن واما
غيرهما من الاسواق فمشحونة منهن وقلة الحيا قد غلب عليهن
حتى ترى المراة في القيساريات وغيرهن قاعدة متبرجة
بزينتها وهذا من المنكر الفاشي في زماننا هذا نعوذ بالله من
سخطه السابعة خرج ابو داود الطيالسي في مسنده حدثنا
حماد بن زيد قال حدثنا عمرو بن دينار قهرمان ال الزبير عن
سالم عن ابيه عن عمر بن الخطاب قال من دخل سوقا من
هذه الاسواق فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك
وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير واليه المصير

وهو علي كل شي قدير كتب الله له الف الف حسنة ومحي عنه الف
الف سيية وبني له قصرا في الجنة خرجه الترمذي ايضا وزاد بعد
ومحا عنه الف الف سيية ورفع له الف الف درجة في رواية وبني
له بيت في الجنة وقال هذا حديث غريب قال ابن العربي وهذا انما
يقصد في تلك البقعة سواه ليعمرها بالطاعة اذ عمرت بالمعصية
وليحليها بالذكر اذ عطلت بالغفلة وليعلم الجهلة ويذكر الناسين
الثامنة قوله تعالى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون
اي ان الدنيا دار بلا وامتحان فاراد سبحانه ان يجعل بعض العبيد
فتنة لبعض علي العموم في جميع الناس مومن وكافر فالصحيح
فتنة للمريض والغني فتنة للفقير والفقير الصابر فتنة للغني
ومعني هذا ان كل واحد مختبر بصاحبه فالغني ممتحن بالفقير
عليه ان يواسيه ولا يسخر منه والفقير ممتحن بالغني عليه ان
لا يحسده ولا ياخذ منه الا ما اعطاه وان يصبر كل واحد منهما علي الحق
كما قال الضحاك في معني اتصبرون اي علي الحق واصحاب
البلايا يقولون لم لم نعاف والاعمي يقول لم لم اجعل كالبصير
وهكذا صاحب كل افة والرسول المخصوص بكرامة النبوة فتنة
لاشراف الناس من الكفار في عصره وكذلك العلما وحكام العدل
الي تري الي قولهم لولا نزل هذا القران علي رجل من القريتين
عظيم فالفتنة ان يحسد المبتلي المعافي ويحقر المعافي المبتلي
والصبر ان يحبس كلاهما نفسه هذا عن البطر وذاك عن الضجر
اتصبرون محذوف الجواب يعني ام لا تصبرون فيقتضي
جوابا كما قاله المزني وقد اخرجته الفاقة فراي خصيا في
مراكب تخطر بين يديه فسمع من يقرا الاية اتصبرون فقال بلي
نصبر ونحتسب وقد تلا ابن القاسم صاحب مالك هذه الاية
حين راي اشهب بن عبد العزيز في مملكته عابرا عليه ثم اجاب
نفسه بقوله سنصبر وعن ابي الدردا انه سمع النبي صلي الله
عليه وسلم يقول ويل للعالم من الجاهل وويل للجاهل من العالم
وويل للمالك من المملوك وويل للمملوك من المالك وويل للشديد
من الضعيف وويل للضعيف من الشديد وويل للسلطان
من الرعية وويل للرعية من السلطان بعضكم لبعض
فتنة وهو قوله وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون اسنده

الثعلبي رحمه الله وقال مقاتل نزلت في ابي جهل بن هشام
والوليد بن المغيرة والعاص بن وايل وعقبة بن ابي معيط
وعتبة ابن ربيعة والنضر بن الحارث حين راوا ابا ذر وعبد
الله بن مسعود وعمارا وبلالا وصهيبا وعامر بن فهيرة وسالما
مولي ابي حذيفة ومهجعا مولي عمر بن الخطاب وجبرا مولي
الحضرمي وذويهم فقالوا علي سبيل الاستهزا انسلم فنكون
مثل هولا فانزل الله تعالي يخاطب هولا المومنين اتصبرون
علي ما ترون من هذه الحال الشديدة والفقر فالتوقيف
باتصبرون خاص للمومنين المحققين من امة محمد صلي الله عليه وسلم
كانه جعل امهال الكفار والتوسعة عليهم فتنة للمومنين اي
اختبارا لهم ولما صبر المسلمون نزل فيهم اني جزيتهم اليوم بما صبروا
التاسعة قوله تعالي وكان ربك بصيرا اي بكل امري وبمن
يصبر او يجزع وبمن يومن وبمن لا يومن وبمن ادي ما عليه من
الحق ومن لا يودي وقيل اتصبرون اي اصبروا مثل قوله فهل انتم
منتهون اي انتهوا فهو امر للنبي صلي الله عليه وسلم بالصبر قوله تعالي
وقال الذين لا يرجون لقانا يريد لا يخافون البعث ولقا
الله اي لا يومنون بذلك قال

اذا لسعته النحل لم يرج لسعها • وحالفها في بيت نوب عوامل

وقيل لا يرجون لا يبالون قال

لعمرك ما ارجو اذا كنت مسلما • علي اي جنب كان في الله مصرعي

ابن شجرة لا يامنون قال

اترجو امة قتلت حسينا • شفاعة جده يوم الحساب

لولا انزل اي هلا انزل علينا الملايكة فيخبرونا ان محمدا صادق
او نري ربنا عيانا فيخبرنا برسالته نظيره قوله تعالي وقالوا لن
نومن لك حتي تفجر لنا من الارض الي قوله او تاتي بالله والملايكة
قبيلا قال الله تعالي لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا
حيث سالوا الله الشطط لان الملايكة لا تري الا عند الموت او
عند نزول العذاب والله تعالي لا تدركه الابصار وهو يدرك
الابصار فلا عين تراه وقال مقاتل عتوا علوا في القول والعتو
اشد الكفر وافحش الظلم واذا لم يكتفوا بالمعجزات وهو القران فكيف
يكتفون بالملايكة وهم لا يميزون بينهم وبين الشياطين ولا بد لهم من معجزة

بغيرها من يدعي انا ملكا وليس للقوم طلب معجزة بعد ان شاهدوا معجزة
وان يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين يريد ان الملائكة لا يراها
احد الا عند الموت فتبشر المؤمن بالجنة وتضرب المشركين والكفار بمقامع
الحديد حتى تخرج انفسهم ويقولون حجرا محجورا يريد تقول الملائكة
حراما محرما ان يدخل الجنة الا من قال لا اله الا الله واقام شرايعها عن
ابن عباس وغيره وقيل ان ذلك يوم القيامة قاله مجاهد وعطية العوفي
قال عطية اذا كان يوم القيامة تلقى المؤمن بالبشرى فاذا راى ذلك
الكافر تمناه فلم تره من الملائكة وانتصب يوم يرون بتقدير لا بشرى
للمجرمين يوم يرون الملائكة يومئذ تاكيد ليوم يرون قال النحاس لا يجوز
ان يكون يوم يرون منصوبا ببشرى لان ما في حيز النفي لا يعمل فيما
قبله ولكن فيه تقديرات يكون المعنى يمنعون البشارة يوم يرون
الملائكة ودل على هذا الحذف ما بعده ويجوز ان يكون التقدير لا
بشرى تكون يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ موكد ويجوز ان
يكون المعنى اذكر يوم يرون الملائكة ثم ابتدا فقال لا بشرى يومئذ
للمجرمين ويقولون حجرا محجورا اي وتقول الملائكة حراما محرما ان تكون
لهم البشرى الا للمؤمنين قال الشاعر •
• الا اصبحت اسماء حجرا محرما • واصبحت من ادنى حموتها حما •
اراد الا اصبحت اسماء حراما محرما وقال اخر •
• حنت الى النخلة القصوى فقلت لها • حجر حرام الا تلك الدهاريس •
وروي عن الحسن انه قال ويقولون حجرا وقف من قول المجرمين فقال
الله عز وجل محجورا عليهم ان يعاذوا او يجاروا فحجر الله ذلك عليهم
يوم القيامة والاول قول ابن عباس وبه قال الفرا قال ابن الانباري
وقرا الحسن وابو رجاء حجرا بضم الحا والناس على كسرها وقيل ان ذلك من
قول ابن عباس الكفار قالوه لانفسهم قاله قتادة فيما ذكر الماوردي
وقيل هو من قول الكفار للملائكة وهي كلمة استعاذة وكانت معروفة في
الجاهلية فكان اذا لقي الرجل من يخافه قال حجرا محجورا اي حرام عليك التعرض
لي وانتصب به على معنى حجرت عليك او حجر الله عليك كما تقول سقيا ورعيا
اي ان المجرمين اذا راوا الملائكة يلقونهم في النار قالوا نعوذ بالله منكم ذكره
القشيري وحكى معناه المهدوي عن مجاهد وقيل حجرا من قول المشركين
المجرمين محجورا من قول الملائكة محجورا ان تعاذوا من شر هذا اليوم قاله
الحسن قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل هذا تنبيه على عظيم قدر

يوم القيامة

يوم القيامة اي قصدنا في ذلك الى ما كان يعمله المجرمون من عمل بر عند
انفسهم يقال قدم فلان الى امر كذا اي قصده وقال مجاهد اي
عمدنا وقال الراجز • وقدم الخوارج الضلال • الى عباد ربهم فقالوا •
ان دماءكم لنا حلال • وقيل هو قدوم الملائكة اخبر به عن نفسه
تعالى فاعله فجعلناه هباء منثورا اي لا ينتفع به اي ابطلناه بالكفر
وليس هباء من ذوات الهمز وانما همزت لالتقاء الساكنين والتصغير
هبي في موضع الرفع ومن العرب من يقول هبي في موضع الرفع حكاه
النحاس وواحده هباة والجمع اهباء قال الحرث بن حلزة •
• فترى خلفها من الرجع والوقع • منينا كانه اهباء • وروي
الحرث عن علي قال الهباء المنثور شعاع الشمس الذي يدخل من الكوة
وقال الازهري الهباء ما يخرج من الكوة في ضوء الشمس شبيه بالغبار
تاويله ان الله احبط اعمالهم حتى صارت بمنزلة الهباء المنثور فاما
الهباء المنبث فهو ما تثيره الخيل بسنابكها من الغبار والمنبث المتفرق
وقال ابن عرفة الهبوة والهباء التراب الدقيق الجوهري ويقال له
اذا ارتفع هبا يهبو هبوا واهبته انا والهبوة الغبرة قال روبة
• تبدو لنا اعلامه بعد الغرق • في قطع الال وهبوات الدقق •
وموضع هابي التراب اي كانه تراب مثل الهباء في الرقة وقيل
انه ما ذرته الرياح من يابس اوراق الشجر قاله قتادة وابن عباس
وقال ابن عباس ايضا انه الماء المهراق وقيل انه الرماد قاله عبيد
ابن يعلى قوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا
تقدم القول فيه عند قوله تعالى اذلك خير نزلا ام جنة الخلد
قال النحاس والكوفيون يجيزون العسل احلى من الخل وهذا قول
مردود لان معنى فلان خير من فلان انه اكثر خيرا منه ولا حلاوة
في الخل ولا يجوز ان يقال النصراني خير من اليهودي لانه لا خير
فيهما فيكون احدهما ازيد في الخير ولكن يقال اليهودي شر من
النصراني فعلى هذا كلام العرب ومستقرا نصب على الظرف اذا
قدر على باب افعل منك والمعنى لهم خير في مستقر واذا كان من
باب افعل منك فانتصابه على البيان قاله النحاس والمهدوي
قال قتادة واحسن مقيلا منزلا وماوى وقيل هو على ما تعرفه العرب
من مقيل نصف النهار ومنه الحديث المرفوع ان الله تبارك وتعالى
يفرغ من حساب الخلق في مقدار نصف يوم فيقيل اهل الجنة في الجنة

واهل النار في النار ذكره المهدوي وقال ابن مسعود لا ينتصف النهار
يوم القيامة من نهار الدنيا حتى تقيل هولاء في الجنة وهولاء في النار
ثم قرا ثم ان مقيلهم لالى الجحيم كذا هي في قراة ابن مسعود وقال ابن عباس
الحساب من ذلك اليوم في اوله فلا ينتصف النهار من يوم القيامة حتى يقيل
اهل النار في النار واهل الجنة في الجنة ومنه ما روي قيلوا فان الشياطين
لا تقيل وذكر قاسم ابن اصبغ من حديث ابي سعيد الخدري قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم في يوم كان مقداره خمسين الف سنة فقلت ما اطول
هذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انه ليخفف عن المومن
حتى يكون اخف عليه من صلاة المكتوبة يصليها في الدنيا قوله تعالى
ويوم تشقق السما بالغمام اي واذكر يوم تشقق السما وقراة عاصم والاعمش
ويحيى وحمزة والكسائي وابي عمرو تشقق بتخفيف الشين واصله تتشقق
بتاءين فحذف الاولى تخفيفا واختاره ابو عبيد الباقون تشقق بتشديد
الشين على الادغام واختاره ابو حاتم وكذلك في ق بالغمام اي عن الغمام
والبا وعن يتعاقبان كما يقال رميت بالقوس وعن القوس روي ان السما
تتشقق عن سحاب ابيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن الا لبني اسرايل
في تيههم تنشق السما عنه وهو الذي قال تعالى هل ينظرون الا ان
ياتيهم الله في ظلل من الغمام ونزل الملايكة من السما ياتي الرب عز وجل
في الثمانية الذين يحملون العرش لفصل القضا على ما يجوز ان يحمل
عليه اتيانه لا على ما تحمل عليه صفات المخلوقين من الحركة والانتقال
وقال ابن عباس تتشقق سما الدنيا فينزل اهلها وهم اكثر ممن في
الارض من الجن والانس ثم تنشق السما الثانية فينزل اهلها وهم اكثر
ممن في السما الدنيا ثم كذلك حتى تنشق السما السابعة ثم تنزل الكروبيون
وحملة العرش وهو معنى قوله ونزل الملايكة تنزيلا اي من السما الى
الارض لحساب الثقلين وقيل ان السما تنشق بالغمام الذي بينها
وبين الناس فبتشقق الغمام تتشقق السما فاذا انشقت السما
انتقض تركيبها وطويت ونزلت الملايكة الى مكان سواها وقرا
ابن كثير وننزل الملايكة بالنصب من الانزال الباقون ونزل الملايكة
بالرفع دليله تنزيلا ولو كان على الاول لكان انزالا وقد قيل ان نزل
وانزل بمعنى فجا تنزيلا على نزل وقد قرا عبد الوهاب عن ابي عمرو
ونزل الملايكة وقرا ابن مسعود وانزل الملايكة ابي ابن كعب ونزلت
الملايكة وعنه وتنزلت الملايكة قوله تعالى الملك يوميذ الحق للرحمن

الملك مبتدا

الملك مبتدا والحق صفة له والرحمن الخبر لان الملك الذي يزول وينقطع
ليس بملك فبطلت املاك المالكين وانقطعت دعاويهم وزال كل ملك وملكه
وبقي الملك الحق لله وحده وكان يوما على الكافرين عسيرا اي لما ينالهم
من الاهوال ويلحقهم من الخزي والهوان وهو على المومنين اخف من
صلاة مكتوبة على ما تقدم في الحديث وهذه الاية دالة عليه لانه
اذا كان على الكافرين عسيرا فهو على المومنين يسير يقال عسر يعسر
وعسر يعسر قوله تعالى ويوم يعض الظالم على يديه الماضي عضضت
وحكى الكسائي عضضت بفتح الضاد الاولى وجا التوقيف عن اهل التفسير
منهم ابن عباس وسعيد بن المسيب ان الظالم ها هنا يراد به عقبة
ابن ابي معيط وان خليله امية ابن خلف فعقبة قتله علي ابن
ابي طالب عليه السلام وذلك انه كان في الاسارى يوم بدر فامر النبي
صلى الله عليه وسلم بقتله فقال اقتل دونهم فقال نعم بكفرك وعتوك
فقال من للصبية فقال النار فقام علي رضي الله عنه فقتله وامية
قتله النبي صلى الله عليه وسلم فكان هذا من دلايل النبي صلى الله
عليه وسلم لانه خبر عنهما بهذا فقتلا على الكفر ولم يسميا في الاية
لانه ابلغ في الفايدة ليعلم ان هذا سبيل كل ظالم قبل من غيره في
معصية الله جل وعز قال ابن عباس وقتادة وغيرهما وكانا خدنين
وان النبي صلى الله عليه وسلم قتلهما جميعا قتل عقبة يوم بدر صبرا وابي
ابن خلف في المبارزة يوم احد ذكره القشيري والثعلبي والاول ذكره
النحاس وقال السهيلي ويوم يعض الظالم على يديه هو عقبة ابن
ابي معيط وكان صديقا لامية ابن خلف الجمحي ويروى لابي ابن
خلف اخي امية وكان قد صنع وليمة فدعا اليها قريشا ودعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فابى ان ياتيه الا ان يسلم وكره عقبة ان يتاخر عن
طعامه من اشراف قريش احد فاسلم ونطق بالشهادتين فاتاه رسول
الله صلى الله عليه وسلم واكل من طعامه وعاتبه خليله امية ابن خلف
او ابي ابن خلف وكانا خليلين فقال عقبة رايت عليا انه لا يحضر طعامي
رجل من اشراف قريش فقال له خليله لا ارضى حتى ترجع وتبصق في
وجهه وتطا عنقه وتقول كيت وكيت ففعل عدو الله ما امره به
خليله فانزل الله عز وجل ويوم يعض الظالم على يديه قال الضحاك
لما بصق عقبة في وجهه وتنحيته حتى اثر في وجهه واحرق خديه
فلم يزل اثر ذلك في وجهه حتى قتل وعضه يديه فعل النادم الحزين لاجل

لما عنه خليلا يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا في الدنيا يعني طريقا
الي الجنة يا ويلتا دعا بالويل والثبور علي مخالفة الكافر وتمنا بعثه ليتني
لم اتخذ فلانا خليلا يعني امية وكني به ولم يصرح باسمه لئلا يكون هذا
الوعد مخصوصا به ولا مقصورا بل يتناول جميع من فعل مثل فعلهما وه
وقال مجاهد وابو رجا الظالم عام في كل ظالم وفلان الشيطان واحتج
لصاحب هذا القول بان بعده وكان الانسان خذولا وقرا الحسن يا ويلتي
وقد مضي في هود بيانه والخليل والصديق وقد مضي في النساء بيانه
لقد اضلني عن الذكر اي يقول هذا الكلام لقد اضلني من اتخذته في الدنيا
خليلا عن القران والايمان به وقيل عن الذكر اي عن الرسول وكان
الشيطان للانسان خذولا قيل هذا من قول الله لا من قول الظالم
وتمام الكلام علي هذا عند قوله بعد اذ جاءني والخذل الترك من الاغاثة
ومنه خذلان ابليس للمشركين لما ظهر لهم في صورة سراقة بن مالك
فلما راي الملايكة تبرا منهم وكل من صد عن سبيل الله واطيع في معصية
الله فهو شيطان للانسان خذولا عند نزول العذاب والبلا ولقد احسن
من قال • تجنب قرين السو واصرم حباله • فان لم تجد عنه محيصا فداره •
• واحب حبيب الصدق واحذر مراه • تنل منه صفو الود ما لم تماره •
• وفي الشيب ما ينهي الحليم عن الصبي • اذا اشتعلت نيرانه في عذاره •
اخر • اصحب خيار الناس حيث لقيتهم • خير الصحابة من يكون عفيفا • •
وفي الصحيح من حديث ابي موسي الاشعري عن النبي صلي الله عليه وسلم
قال انما مثل الجليس الصالح والجليس السو كحامل المسك ونافخ الكير
فحامل المسك اما ان يحذيك واما ان تبتاع منه واما ان تجد ريحا طيبة
ونافخ الكير اما ان يحرق ثيابك واما ان تجد ريحا خبيثة لفظ مسلم
واخرجه ابو داود من حديث انس وذكر ابو بكر البزار عن ابن عباس
قال قيل يا رسول الله اي جلسائنا خير قال من ذكركم بالله رويته
وزاد في علمكم منطقه وذكركم بالاخرة عمله وقال مالك بن دينار
انك ان تنقل الاحجار مع الابرار خير لك من ان تاكل الخبيص مع الفجار
وانشد • وصاحب خيار الناس تنج مسلما • وصاحب شرار الناس يوما فتندما •
قوله تعالي وقال الرسول يا رب يريد محمدا صلي الله عليه وسلم يشكوهم الي
الله تعالي ان قومي اتخذوا هذا القران مهجورا اي قالوا فيه غير الحق من
انه سحر وشعر عن مجاهد والنخعي وقيل معني مهجورا اي متروكا فعزاه
الله تبارك وتعالي وسلاه بقوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين

اي كما جعلنا

اي كما جعلنا لك يا محمد عدوا من مشركي قومك وهو ابو جهل في قول
ابن عباس فكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من مشركي قومه فاصبر لامري
كما صبروا فاني هاديك وناصرك علي كل من ناواك وقد قيل ان قول
الرسول يا رب انما يقوله يوم القيامة اي هجروا القران وهجروني
وكذبوني وقال انس قال النبي صلي الله عليه وسلم من تعلم القران
وعلمه وعلق مصحفا لم يتعاهده ولم ينظر فيه جا يوم القيامة متعلقا
به يقول يا رب العالمين ان عبدك هذا اتخذني مهجورا فاقض
بيني وبينه ذكره الثعلبي وكفي بربك هاديا ونصيرا نصب علي الحال
او التمييز اي يهديك وينصرك فلا تبال بمن عاداك وقال ابن عباس
عدو النبي صلي الله عليه وسلم ابو جهل لعنه الله قوله تعالي وقال
الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة واحدة اختلف في قايل ذلك
علي قولين احدهما انهم كفار قريش قاله ابن عباس الثاني انهم
اليهود حين راوا نزول القران مفرقا قالوا هلا انزل عليه جملة واحدة كما
انزلت التوراة علي موسي والانجيل والزبور فقال الله تعالي كذلك
اي فعلنا لنثبت به فوادك نقوي به قلبك فتعيه وتحمله لان الكتب
المتقدمة انزلت علي انبيا يكتبون ويقرءون والقران نزل علي نبي امي
ولان من القران الناسخ والمنسوخ ومنه ما هو جواب لمن سال عن امور
ففرقناه ليكون اوعي عند النبي صلي الله عليه وسلم وايسر علي العامل به
فكان كلما نزل وحي جديد زاده قوة قلب فان قيل هلا انزل القران
دفعة وحفظه اذ كان ذلك في قدرته قيل في قدرة الله ان يعلمه الكتاب
والقران في لحظة واحدة ولكنه لم يفعل ولا معترض عليه في حكمه وقد
بينا وجه الحكمة في ذلك وقد قيل ان قوله كذلك من كلام المشركين
اي لولا انزل عليه القران جملة واحدة كذلك اي كالتوراة والانجيل
فيتم الوقف علي كذلك ثم يبتدي لنثبت به فوادك علي معني انزلناه
عليك متفرقا لنثبت به فوادك ويجوز ان يكون الوقف علي قوله
جملة واحدة ثم يبتدي كذلك لنثبت به فوادك اي انزلناه كذلك
متفرقا لنثبت به فوادك قال ابن الانباري والوجه الاول اجود
واحسن والقول الثاني قد جا به التفسير حدثنا محمد بن عثمان
الشيبي قال حدثنا منجاب قال حدثنا بشر بن عمارة عن ابي
روق عن الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالي انا انزلناه في
ليلة القدر قال نزل القران جملة واحدة من عند الله عز وجل في اللوح

المحفوظ الي السفرة الكرام الكاتبين في السما فنجمته السفرة الكرام علي
جبريل عشرين ليلة ونجمه جبريل علي محمد عليه السلام عشرين
سنة قال وهو قوله فلا اقسم بمواقع النجوم يعني نجوم القران وانه
لقسم لو تعلمون عظيم انه لقران كريم قال فلما لم ينزل علي النبي صلي الله
عليه وسلم جملة واحدة قال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة واحدة
فقال الله تبارك وتعالي كذلك لنثبت به فوادك يا محمد ورتلناه ترتيلا
يقول ورتلناه ترتيلا ينزل شيا بعد شي ولا ياتونك بمثل الا جيناك
بالحق واحسن تفسيرا يقول لولا انزلنا عليك القران جملة واحدة ثم
سالوك لم يكن عندك ما تجيب ولكن نمسك عليك فاذا سالوك اجبت
قال النحاس وكان ذلك من علامات النبوة لانهم لا يسالون عن شي الا
اجيبوا عنه وهذا لا يكون الا من نبي فكان ذلك تثبيتا لفواده وافيدتهم
ويدل علي هذا ولا ياتونك بمثل الا جيناك بالحق واحسن تفسيرا ولو نزل
جملة بما فيه من الفرايض لثقل عليهم وعلم الله عز وجل ان الصلاح
في انزاله متفرقا لانهم ينبهون به مرة بعد مرة ولو نزل جملة
واحدة لزال معني التنبيه وفيه ناسخ ومنسوخ فكانوا يتعبدون
بالشي الي وقت بعينه قد علم الله عز وجل فيه الصلاح ثم ينزل النسخ
بعد ذلك فمحال ان ينزل جملة واحدة لانه اذا وقف كذلك صار المعني
كالتوراة والانجيل والزبور ولم يتقدم لهما ذكر قال الضحاك واحسن
تفسيرا اي تفصيلا والمعني احسن من مثلهم تفصيلا فحذف لعلم السامع
وقيل كان المشركون يستمدون من اهل الكتاب وكان قد غلب
علي اهل الكتاب التحريف والتبديل فكان ما ياتي به النبي عليه
السلام احسن تفسيرا مما عندهم لانهم كانوا يخلطون الحق بالباطل
والحق المحض احسن من حق مختلط بباطل ولهذا قال ولا تلبسوا الحق
بالباطل وقيل لا ياتونك بمثل كقولهم في صفة عيسي انه خلق من
غير اب الا جيناك بالحق اي بما فيه نقض حجتهم كادم اذ خلق من
من غير اب وام **قوله تعالي** الذين يحشرون علي وجوههم الي جهنم تقدم
في سبحان اولئك شر مكانا لانهم في جهنم وقال مقاتل قال الكفار لاصحاب
محمد صلي الله عليه وسلم هو شر الخلق فنزلت الاية واضل سبيلا اي دينا وطريقا
ونظم الاية ولا ياتونك بمثل الا جيناك بالحق وانت منصور عليهم بالحجج الواضحة
وهم محشورون علي وجوههم **قوله تعالي** ولقد اتينا موسي الكتاب
يريد التوراة وجعلنا معه اخاه هارون وزيرا تقدم في طه فقلنا اذهبا

الخطاب لهما

الخطاب لهما وقال انما امر صلي الله عليه وسلم بالذهاب وحده في المعني
وهذا بمنزلة قوله نسيا حوتهما وقوله يخرج منهما اللولو والمرجان وانما
يخرج من احدهما قال النحاس وهذا مما لا ينبغي ان يجترا به علي كتاب
الله عز وجل فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشي قالا ربنا اننا نخاف
ان يفرط علينا او ان يطغي قال لا تخافا انني معكما اسمع واري فاتياه
فقولا انا رسولا ربك ونظير هذا ومن دونهما جنتان وقد قال جل
ثناوه ثم ارسلنا موسي واخاه هارون باياتنا قال القشيري وقوله في
موضع اخر اذهب الي فرعون انه طغي لا ينافي هذا لانهما اذا كانا مامورين
فكل واحد مامور ويجوز ان يقال امر موسي اولا ثم لما قال واجعل
لي وزيرا من اهلي قال اذهبا الي فرعون الي القوم الذين كذبوا باياتنا
يريد فرعون وهامان والقبط فدمرناهم في الكلام اضمار اي فكذبوهما
فدمرناهم تدميرا اي اهلكناهم اهلاكا **قوله تعالي** وقوم نوح في
نصب قوم نوح اربعة اقوال العطف علي الها والميم في دمرناهم
الثاني بمعني اذكر الثالث باضمار فعل يفسره ما بعده والتقدير
واغرقنا قوم نوح اغرقناهم الرابع انه منصوب باغرقنا قال الفرا
ورده النحاس قال لان اغرقنا ليس مما يتعدي الي مفعولين فيعمل
في المضمر وفي قوم نوح لما كذبوا الرسل ذكر الجنس والمراد نوح وحده
لانه لم يكن في ذلك الوقت رسول اليهم الا نوح وحده فنوح انما بعث
بلا اله الا الله وبالايمان بما ينزل الله فلما كذبوه كان في ذلك تكذيب
لكل من بعث بعده بهذه الكلمة وقيل ان من كذب رسولا فقد كذب جميع
الرسل لانه لا يفرق بينهم في الايمان ولانه ما من نبي الا يصدق بساير
انبيا الله فمن كذب منهم نبيا فقد كذب كل من صدقه من النبيين اغرقناهم
اي بالطوفان علي ما تقدم في هود وجعلناهم للناس اية اي علامة
ظاهرة علي قدرتنا واعتدنا للظالمين اي المشركين من قوم نوح عذابا
اليما اي في الاخرة وقيل اي هذه سبيلي في كل ظالم **قوله تعالي**
وعادا وثمودا واصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا كله معطوف علي
قوم نوح اذا كان قوم نوح منصوبا علي العطف او بمعني اذكر ويجوز ان
يكون كله منصوبا علي انه معطوف علي المضمر في دمرناهم او علي المضمر
في جعلناهم وهو اختيار النحاس لانه اقرب اليه ويجوز ان يكون منصوبا
باضمار فعل اي اذكر عادا الذين كذبوا هودا فاهلكهم الله بالريح العقيم
وثمودا كذبوا صالحا فاهلكوا بالرجفة واصحاب الرس في كلام العرب

البير التي تكون غير مطوية والجمع رساس قال نتابلة يحفرون
الرساسا يعني المعادن قال ابن عباس سالت كعبا عن اصحاب الرس
قال صاحبه يس الذي قال يا قوم اتبعوا المرسلين قتله قومه
ورسوه في بير لهم يقال لها الرس طرحوه فيها وكذا قال مقاتل
والسدي هم اصحاب قصة يس اهل انطاكية والرس بير بانطاكية
قتلوا فيها حبيب النجار مومن ال يس فنسبوا اليها وقال علي رضي
الله عنه هم قوم كانوا يعبدون شجرة صنوبر فدعا عليهم نبيهم
وكان من ولد يهوذا فيبست الشجرة فقتلوه ورسوه في بير فاظلتهم
سحابة سودا فاحرقتهم وقال ابن عباس هم قوم باذربيجان قتلوا
انبيا فجفت اشجارهم وزرعهم فماتوا جوعا وعطشا وقال وهب بن
منبه كانوا اهل بير يقعدون عليها واصحاب مواشي وكانوا يعبدون
الاصنام فارسل الله اليهم شعيبا فكذبوه واذوه وتمادوا على كفرهم
وطغيانهم فبينما هم حول البير في منازلهم انهارت بهم وبديارهم فخسف
الله بهم فهلكوا جميعا وقال قتادة اصحاب الرس واصحاب الايكة امتان
ارسل اليهما شعيب فكذبوه فعذبهما الله بعذابين قال قتادة والرس
قرية بفلج اليمامة وقال عكرمة هم قوم رسوا نبيهم في بير حيا دليله
ما روي محمد بن كعب القرظي عمن حدثه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال اول الناس يدخل الجنة يوم القيامة عبد اسود وذلك ان الله
تعالى بعث نبيا الى قومه فلم يومن به الا ذلك الاسود فحفر اهل
القرية بيرا والقوه فيه نبيهم حيا واطبقوا عليه حجرا ضخما فكان
العبد الاسود يحتطب على ظهره ويبيعه وياتيه بطعامه وشرابه
فيعينه الله على رفع تلك الصخرة حتى يدليه اليه فبينما هو يحتطب
اذ نام فضرب الله على اذنه سبع سنين نايما ثم هب من نومه
فتمطى واتكا لشقه الاخر فضرب الله على اذنه سبع سنين ثم
هب فاحتمل حزمة الحطب وباعها واتى بطعام وشراب الى
البير فلم يجده وكان قومه قد اراهم الله اية فاستخرجوه وامنوا
به وصدقوه ومات ذلك النبي قال النبي صلى الله عليه وسلم
ان ذلك الاسود لاول من يدخل الجنة ذكر هذا الخبر المهدوي والثعلبي
واللفظ للثعلبي وقال هولا امنوا بنبيهم فلا يجوز ان يكونوا اصحاب الرس
لان الله تعالى اخبر عن اصحاب الرس انه دمرهم الا ان يدمروا بما احدث
احد ثرها بعد نبيهم وقال الكلبي اصحاب الرس قوم ارسل الله اليهم نبيا

فاكلوه وهم اول

فاكلوه وهم اول من عمل نسا وهم السحق ذكره الماوردي وقيل هم
اصحاب الاخدود الذين حفروا الاخاديد وحرقوا فيها المومنين
وسيا تي وقيل هم بقايا قوم ثمود وان الرس البير المذكور في
الحج في قوله وبير معطلة على ما تقدم وفي الصحاح والرس اسم بير
كانت لبقية من ثمود وقال جعفر بن محمد عن ابيه اصحاب الرس
قوم كانوا يستحسنون لنسايهم السحق وكان نساوهم كلهم سحاقات
وروي من حديث انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان
من اشراط الساعة ان يكتفي الرجال بالرجال والنسا بالنسا وذلك
السحق وقيل الرس ما ونخل لبني اسد وقيل الثلج المتراكم في الجبال
ذكره القشيري وما ذكرناه اولا هو المعروف وهو كل حفر احتفر
كالقبر والمعدن والبير قال ابو عبيدة الرس كل ركية لم تطو وجمعها
رساس قال الشاعر • وهم سايرون الى ارضهم • فيا ليتهم يحفرون الرساسا
والرس اسم واد في قول زهير •
• بكرن بكورا واستحرن بسحرة • فهن لوادي الرس كاليد للفم •
ورسست رسا حفرت بيرا ورس الميت اي قبر والرس الاصلاح
بين الناس والافساد ايضا وقد رسست بينهم فهو من الاضداد
وقد قيل في اصحاب الرس غير ما ذكرنا ذكره الثعلبي وغيره وقرونا
بين ذلك كثيرا اي امما لا يعلمهم الا الله بين قوم نوح وعاد وثمود
واصحاب الرس وعن الربيع ابن خثيم اشتكى فقيل له الا تتداوى
فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امر به فقال لقد هممت بذلك
ثم فكرت فيما بيني وبين نفسي فاذا عاد وثمود واصحاب الرس
وقرونا بين ذلك كثيرا كانوا اكثر واشد حرصا على جمع المال فكان
فيهم اطبا فلا الناعت منهم بقي ولا المنعوت فابى ان يتداوى فما
مكث الا خمسة ايام حتى مات رحمه الله قوله تعالى وكلا ضربنا
له الامثال قال الزجاج وانذرنا كلا ضربنا له الامثال وبينا
لهم الحجة ولم نضرب لهم الامثال الباطلة كما يفعله هولا الكفرة
وقيل انتصب على تقدير ذكرنا كلا ونحوه لان ضرب الامثال
تذكير ووعظ ذكره المهدوي والمعنى واحد وكلا تبرنا تتبيرا اي
اهلكنا بالعذاب وتبرت الشي كسرته وقال المورج والاخفش دمرنا
تدميرا تبدل التا والبا من الدال والميم قوله تعالى ولقد
اتوا على القرية يعني مشركي مكة والقرية قرية قوم لوط ومطر السوء

الحجارة التي امطروا بها افلم يكونوا يرونها اي في اسفارهم ليعتبروا
قال ابن عباس كانت قريش تمر في تجارتها الي الشام على قري قوم لوط
كما قال الله تعالي وانكم لتمرون عليهم مصبحين وقال وانها لبامام
مبين وقد تقدم بل كانوا لا يرجون نشورا اي لا يصدقون بالبعث
ويجوز ان يكون معني يرجون يخافون ويجوز ان يكون على بابه
ويكون معناه بل كانوا لا يرجون نشورا يعني ثواب الاخرة قوله
تعالي واذا راوك ان يتخذونك الا هزوا جواب اذا ان يتخذونك
لان معناه يتخذونك وقيل الجواب محذوف وهو قالوا او يقولون
اهذا الذي وقوله ان يتخذونك الا هزوا كلام معترض ونزلت في
ابي جهل كان يقول للنبي صلي الله عليه وسلم مستهزيا اهذا الذي بعث
الله رسولا والعايد محذوف اي بعثه الله رسولا نصب على الحال والالف
للاستفهام على معناه التقرير والاحتقار والتقدير اهذا الذي
بعثه الله مرسلا اهذا رفع بالابتدا والذي خبره رسولا نصب على
الحال وبعث في صلة الذي واسم الله عز وجل رفع ببعث ويجوز
ان يكون مصدرا لان معني بعث ارسل ويكون معني رسولا رسالة
على هذا ان كاد ليضلنا اي قالوا قد كاد ان يصرفنا عن الهتنا لولا
ان صبرنا عليها اي حبسنا انفسنا على عبادتها قال الله تعالي وسوف
يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا يريد من اضل دينا اهم ام
محمد وقد راوه في يوم بدر قوله تعالي ارايت من اتخذ الهه هواه
عجب نبيه صلي الله عليه وسلم من اضلالهم على الشرك واصرارهم
عليه مع اقرارهم بانه خالقهم ورازقهم ثم يعمد الي حجر يعبده من غير حجة
قال الكلبي وغيره كانت العرب اذا هوي الرجل منهم شيا عبده من
دون الله فاذا راي احسن منه ترك الاول وعبد الاحسن فعلي هذا
يعني ارايت من اتخذ الهه هواه فحذف الجار وقال ابن عباس
الهوي اله يعبد من دون الله ثم تلي هذه الاية قال الشاعر
• لعمر ابيها لو تبدت لناسك • قد اعتزل الدنيا باحدي المناسك •
• لصلي لها قبل الصلاة لربه • ولا رتد في الدنيا باعمال فاتك •
وقيل اتخذ الهه هواه اي اطاع هواه وعن الحسن لا يهوي شيا الا
اتبعه والمعني واحد افانت تكون عليه وكيلا اي حفيظا وكفيلا حتي ترده
الي الايمان وتخرجه من هذا الفساد اي ليست الهداية والضلالة موكولة
الي مشيتك وانما عليك التبليغ وهذا رد على القدرية ثم قيل انها منسوخة

بانه القتال

بانه القتال وقيل لم تنسخ لان الاية تسلية للنبي صلي الله عليه وسلم قوله
تعالي ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ولم يقل انهم لان منهم من قد
علم الله انه يومن وذمهم جل وعز بهذا ام تحسب ان اكثرهم يسمعون سماع
قبول او يفكرون فيما تقولوا فيعقلونه اي هم بمنزلة من لا يعقل ولا يسمع
وقيل المعني انهم لما لم ينتفعوا بما يسمعون فكانهم لم يسمعوا والمراد اهل
مكة وقيل ام بمعني بل بمثل هذا الموضع ان هم الا كالانعام اي في الاكل والشرب
لا يفكرون في الاخرة بل هم اضل اذ لا حساب ولا عقاب على الانعام
وقال مقاتل البهايم تعرف ربها وتهتدي الي مراعيها وتنقاد لاربابها التي
تعقلها وهولا لا ينقادون ولا يعرفون ربهم الذي خلقهم ورزقهم وقيل
لان البهايم ان لم تعقل صحة التوحيد والنبوة لم تعتقد بطلان ذلك
ايضا قوله تعالي الم تر الي ربك كيف مد الظل يجوز ان تكون هذه الروية
من روية العين ويجوز ان تكون من العلم قال الحسن وقتادة وغيرهما مد
الظل من طلوع الفجر الي طلوع الشمس وقيل هو من غيبوبة الشمس الي
طلوعها والاول اصح والدليل على ذلك انه ليس من ساعة اطيب من تلك الساعة
فان فيها يجد المريض راحة والمسافر وكل ذي علة وفيها ترد نفوس الاموات
وتطيب نفوس الاحيا فيها وهذه الصفة مفقودة بعد المغرب وقال
ابو العالية نهار الجنة هكذا واشار الي ساعة المصلين صلاة الفجر
ابو عبيدة الظل بالغداة والفي بالعشي لانه يرجع بعد زوال الشمس سمي
فيا لانه فا من المشرق الي جانب المغرب قال الشاعر هو حميد بن ثور
يصف سرحة وكني بها عن امراة •
• فلا الظل من برد الضحي تستطيعه • ولا الفي من برد العشي تذوق •
وقال ابن السكيت الظل ما نسخته الشمس والفي ما نسخ الشمس وحكي
ابو عبيدة عن روبة قال كل ما كانت عليه الشمس فزالت عنه فهو في وظل
وما لم تكن عليه الشمس فهو ظل ولو شا لجعله ساكنا اي دايما مستقرا
لا تنسخه الشمس ابن عباس يريد الي يوم القيامة وقيل المعني لو شا
لمنع الشمس الطلوع ثم جعلنا الشمس عليه دليلا اي جعلنا الشمس بنسخها
الظل عند مجييها دالة على ان الظل شي ومعني لان الاشيا تعرف باضدادها
ولولا الشمس ما عرف الظل ولولا النور ما عرفت الظلمة فالدليل فعيل بمعني
الفاعل وقيل بمعني المفعول كالقتيل والدهين والخضيب اي دللنا
الشمس على الظل حتي ذهبت به اي اتبعناها اياه فالشمس دليل اي
حجة وبرهان وهو الذي يكشف المشكل ويوضحه ولم يونث الدليل وهو

صفة الشمس لانه في معنى الاسم كما يقال الشمس برهان والشرح حق ثم
قبضناه يريد ذلك الظل الممدود الينا قبضا يسيرا اي سيرا فقبضه علينا وكل
امر ربنا عليه يسير فالظل نكتة في هذا الحد بمقدار طلوع الفجر الى طلوع الشمس
فاذا طلعت الشمس صار الظل مقبوضا وخلفه في هذا الجو شعاع الشمس فاشرق
على الارض وعلى الاشيا الى وقت غروبها فاذا غربت فليس هناك ظل انما
ذلك بقية نور النهار وقال قوم قبضه لغروب الشمس لانها مالم تغرب
فالظل فيه بقية وانما يتم زواله بمجي الليل ودخول الظلمة عليه وقيل ان هذا
القبض وقع بالشمس لانها اذا طلعت اخذ الظل في الذهاب شيا فشيا قاله
قاله ابو مالك وابراهيم التيمي وقيل قبضناه اي قبضنا ضيا الشمس بالفي
قبضا يسيرا وقيل يسيرا اي سريعا قاله الضحاك قتادة خفيا اي اذا
غابت الشمس قبض الظل قبضا خفيا كلما قبض جز منه جعل مكانه جز
من الظلمة وليس يزول دفعة واحدة فهذا معنى قول قتادة وهو قول
مجاهد قوله تعالى وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل
النهار نشورا فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى وهو الذي جعل لكم الليل
لباسا يعني سترا للخلق يقوم مقام اللباس في ستر البدن قال الطبري
وصف الليل باللباس تشبيها من حيث يستر الاشيا ويغشاها الثانية
قال ابن العربي ظن بعض الغفلة ان من صلى عريانا في الظلام انه
يجزيه لان الليل لباس وهذا يوجب ان يصلي في بيته عريانا اذا
اغلق عليه بابه والستر في الصلاة عبادة تختص بها ليست لاجل نظر
الناس ولا حاجة الى الاطناب في هذا الثالثة قوله تعالى
والنوم سباتا اي راحة لابدانكم بانقطاعكم عن الاشتغال واصل السبات
من التمدد يقال سبتت المراة شعرها اي نقضته وارسلته ورجل مسبوت
اي ممدود الخلقة وقيل للنوم سبات لانه بالتمدد يكون وفي التمدد
معنى الراحة وقيل السبت القطع فالنوم انقطاع عن الاشتغال
ومنه سبت اليهود لانقطاعهم عن الاعمال فيه وقيل السبت الاقامة
في المكان فكان السبات سكون ما وثبوت عليه فالنوم سبات
على معنى انه سكون عن الاضطراب والحركة وقال الخليل السبات نوم
ثقيل اي جعلنا نومكم ثقيلا ليكمل الاجمام والراحة الرابعة قوله وجعل
النهار نشورا من الانتشار للمعاش اي النهار سبب الاحيا للانتشار شبه اليقظة
فيه لتطابق الاحيا مع الاماتة وكان عليه السلام اذا اصبح قال الحمد لله الذي
احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور قوله تعالى وهو الذي ارسل الرياح

نشرا بين يدي

نشرا بين يدي رحمته تقدم في الاعراف مستوفى قوله تعالى وانزلنا من
السما ما طهورا فيه خمس عشرة مسيلة الاولى قوله تعالى ما طهورا اي
يتطهر به كما يقال وضوء للما الذي يتوضا به وكل طهور طاهر وليس كل طاهر
طهورا فالطهور بفتح الطا الاسم وكذلك الوضو والوقود وبالضم المصدر
هذا هو المعروف في اللغة قاله ابن الانباري فبين ان الما المنزل من السما
طاهر في نفسه مطهر لغيره فان الطهور بنا مبالغة في طاهر وهذه
المبالغة اقتضت ان يكون طاهرا مطهرا والى هذا ذهب الجمهور وقيل
ان طهورا بمعنى طاهر وهو قول ابي حنيفة وتعلق بقوله تعالى
وسقاهم ربهم شرابا طهورا يعني طاهرا وبقول الشاعر
خليلي هل في نظرة بعد توبة • اداوي بها قلبي علي فجور
الى رجح الاكفال عيد من الظبا • عذاب الثنايا ريقهن طهور
فوصف الريق بانه طهور وليس بمطهر وتقول العرب رجل نوم
وليس ذلك بمعنى انه منيم لغيره وانما يرجع ذلك الى فعل نفسه وقد
اجاب علماونا عن هذا فقالوا وصف شراب الجنة بانه طهور يفيد
التطهير عن اوضار الذنوب وعن خسايس الصفات كالغل والحسد
فاذا شربوا هذا الشراب يطهرهم الله من رحض الذنوب واوضار
الاعتقادات الذميمة فجاوا الله بقلب سليم ودخلوا الجنة بصفات
التسليم وقيل لهم حينيذ سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ولما كان
حكمه في الدنيا زوال الحكم الحدث بجريان الما على الاعضا كانت تلك حكمته
ورحمته في الاخرة واما قول الشاعر ريقهن طهور فانه قصد بذلك
المبالغة في وصف الريق بالطهورية لعذوبته وتعلقه بالقلوب
وطيبه في النفوس وسكون غليل المحب برشفه حتى كانه الما
الطهور وبالجملة فان الاحكام الشرعية لا تثبت بالمجازات الشعرية
فان الشعرا يتجاوزون في الاستغراق حد الصدق الى الكذب
ويسترسلون في القول حتى يخرجهم ذلك الى البدعة والمعصية
وربما وقعوا في الكفر من حيث لا يشعرون الا ترى الى قول بعضهم
• ولو لم تلامس صفحة الارض رجلها • لما كنت ادري علة للتيمم •
وهذا كفر صراح نعوذ بالله منه قال القاضي ابو بكر بن العربي
هذا منتهى لباب كلام العلما وهو بالغ في فنه الا اني تاملت من
طريق العربية فوجدت فيه مطلعا مشرفا وهو ان بنا فعول للمبالغة
الا ان المبالغة قد تكون في الفعل المتعدي كما قال الشاعر •

ضروب بنصل السيف سوق سمانها وقد تكون للفعل القاصر
كما قال الشاعر نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل واما توخذ طهورية
الما لغيره من الحس نظافة ومن الشرع طهارة لقوله عليه السلام
لا يقبل الله صلاة بغير طهور واجتمعت الامة لغة وشرعية
على ان وصف طهور يختص بالما ولا يتعدى الى سائر المائعات
وهي طاهرة فكان اقتصارهم بذلك على الما ادل ان الطهور
هو المطهر وقد يأتي فعول لوجه اخر ليس من هذا كله وهو العبارة
به عن الالة للفعل لا عن الفعل كقولنا وقود وسحور بفتح الواو
فانه عبارة عن الحطب والطعام المتسحر به فوصف الما بانه طهور
بفتح الطا ايضا يكون خبرا عن الالة التي يتطهر به فاذا ضممت
الواو في الوقود والسحور عاد الى الفعل وكان خبرا عنه فثبت
ان اسم الفعول بفتح الفا يكون بنا على المبالغة ويكون خبرا
عن الالة وهو الذي خطر ببال الحنفية ولكن قصرت اشرافها
عن دركه وبعد هذا البيان على المبالغة وعلى الالة على
الدليل فقوله تعالى وانزلنا من السما ما طهورا وقوله عليه السلام
جعلت الارض مسجدا وطهورا يحتمل المبالغة ويحتمل العبارة
به على الالة فلا حجة فيه لعلمائنا ولكن يبقى قوله ليطهركم به
نص في ان فعله يتعدى الى غيره الثانية المياه المنزلة
من السما والمودعة في الارض طاهرة مطهرة على اختلاف الوانها
وطعومها وارايحها حتى يخالطها غيرها والمخالط لها على ثلاثة
اضرب ضرب يوافقه في صفتيه جميعا فاذا خالطه فغيره
لم يسلبه وصفا منهما لموافقته لهما وهو التراب والضرب الثاني
يوافقه في احدى صفتيه وهي الطهارة فاذا خالطه فغيره
سلبه ما خالفه فيه وهو التطهير كماء الورد وساير الطاهرات
والضرب الثالث يخالفه في الصفتين جميعا فاذا خالطه فغيره
سلبه الصفتين جميعا لمخالفته لهما فيهما وهو النجس الثالثة
ذهب المصريون من اصحاب مالك الى ان قليل الما تفسده قليل
النجاسة وان الكثير لا يفسده الا ما غير لونا وطعما او ريحه
من المحرمات ولم يحدوا بين القليل والكثير حدا يوقف عنده الا ان ابن
القاسم روى عن مالك في الجنب يغتسل في حوض من الحياض
الذي تسقى فيه الدواب ولم يكن غسل ما به من الاذى انه قد افسد الما

وهو مذهب

وهو مذهب ابن القاسم واشهب وابن عبد الحكم ومن اتبعهم من
المصريين الا ابن وهب فانه يقول في الما بقول المدنيين من
اصحاب مالك وقولهم ما حكاه ابو المصعب عنهم وعنه ان الما
لا تفسده النجاسة الحالة فيه قليلا كان او كثيرا الا ان تظهر فيه
النجاسة وتغير منه طعما او ريحا او لونا وذكر احمد بن المعدل ان
هذا قول مالك بن انس في الما والى هذا ذهب اسماعيل بن اسحاق
ومحمد بن بكير وابو الفرج الابهري وساير المنتحلين لمذهب مالك
من البغداديين وهو قول الاوزاعي والليث ابن سعد والحسن
ابن صالح وداود بن علي وهو مذهب اهل البصرة وهو الصحيح
في النظر وجيد الاثر وقال ابو حنيفة اذا وقعت نجاسة في الما
افسدته كثيرا كان او قليلا اذا تحققت عموم النجاسة فيه ووجه
تحققها عنده ان تقع مثلا نقطة بول في بركة فان كانت البركة
يتحرك طرفاها بتحرك احدهما فالكل نجس وان كانت حركة
الطرفين لا يتحرك به الاخر لم يتنجس وفي المجموعة نحو مذهب
ابي حنيفة وقال الشافعي بحديث القلتين حديث مطعون فيه
اختلف في اسناده ومتنه اخرجه ابو داود والترمذي وخاصة
الدارقطني فانه صدر به كتابه وجمع طرقه قال ابن العربي وقد
رام الدارقطني على امامته ان يصحح حديث القلتين فلم يستطع
وقال ابو عمر بن عبد البر واما ما ذهب اليه ابن عبد البر واما ما
ذهب اليه الشافعي من حديث القلتين فمذهب ضعيف من جهة النظر
غير ثابت في الاثر لانه قد تكلم فيه جماعة من اهل العلم بالنقل ولان
القلتين لا يوقف على حقيقة مبلغهما في اثر ثابت ولا اجماع ولو
كان ذلك حدا لازما لوجب على العلما البحث عنه ليتبينوا على حد
ما حده صلى الله عليه وسلم لانه من اصل دينهم وفرضهم ولو كان ذلك
كذلك ما ضيعوه فلقد بحثوا عما هو دون من ذلك والطف قال الشيخ
رحمه الله وفيما ذكر ابن المنذر في القلتين من الخلاف يدل على عدم
التوقف فيهما والتحديد وفي سنن الدارقطني عن حماد بن زيد
عن عاصم بن المنذر قال القلال الخوابي العظام وعاصم هذا هو احد
رواة حديث القلتين ويظهر قول الدارقطني انها مثل قلال هجر لسياقه
حديث الاسرى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما رفعت لي سدرة
المنتهى في السما السابعة نبقها مثل قلال هجر وورقها مثل اذان الفيلة

ولم يذكر الحديث قال ابن العربي وتعلق علماؤنا بحديث ابي سعيد
الخدري في بير بضاعة رواه النسائي والترمذي وابو داود وغيرهم
وهو ايضا حديث ضعيف لا قدم له في الصحة فلا تعويل عليه وقد
فاوضت الطوسي الاكبر في هذه المسالة فقال ان اخلص المذاهب
في هذه المسالة مذهب مالك فان الماء طهور ما لم يتغير احد اوصافه
اذ لا حديث في الباب يعول عليه وانما المعول على ظاهر القران
وهو قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء طهورا وهو ما دام بصفاته
فاذا تغير عن شيء منها خرج عن الاسم لخروجه عن الصفة ولذلك
لما لم يجد البخاري امام الحديث والفقه في الباب خبرا يعول عليه
قال باب اذا تغير وصف الماء وادخل الحديث الصحيح ما من احد
يكلم في سبيل الله الا جاء يوم القيامة وجرحه يثعب دما اللون
لون دم والريح ريح مسك فاخبر صلى الله عليه وسلم ان الدم
بحاله وعليه رائحة المسك ولم تخرجه الرائحة عن صفة الدموية
ولذلك قال علماؤنا اذا تغير الماء بريح جيفة على طرفه وساحله
لم يمنع ذلك الوضوء منه ولو تغير بها وقد وقعت فيه لكان ذلك
نجسا للمخالطة والاول مجاورة قال الشيخ رحمه الله وقد
استدل به ايضا على نقيض ذلك وهو ان تغير الرائحة يخرجه
عن اصله ووجه هذا الاستدلال ان الدم لما استحالت رائحته
الى رائحة المسك خرج عن كونه مستخبثا نجسا وانه صار مسكا
وان المسك بعض دم الغزال فكذلك الماء اذا تغيرت رائحته والى هذا
التاويل ذهب الجمهور في الماء والى الاول ذهب عبد الملك
قال ابو عمر جعلوا المسك الحكم للرائحة دون اللون فكان الحكم لها
فاستدلوا على ما في زعمهم بهذا الحديث وهذا لا يفهم منه معنى تسكن
اليه النفس ولا في الدم معنى الماء فيقاس عليه ولا يشتغل بمثل هذا
الفقهاء وليس من شان اهل العلم اللغو به واشكاله وانما شانهم
ايضاحه وبيانه ولذلك اخذ الميثاق عليهم ليبيننه للناس
ولا يكتمونه والماء لا يخلو تغيره بنجاسة او بغير نجاسة فان تغير فقد
اجمع العلماء على انه غير طاهر ولا مطهر وكذلك اجمعوا على انه اذا
تغير بغير نجاسة انه طاهر على اصله وقال الجمهور انه غير مطهر الا ان
يكون تغيره من تربته وحماته وما اجمعوا عليه فهو الحق الذي لا اشكال
فيه ولا التباس معه والرائحة الماء المتغير بوارده كزرنيخ او جيف بحرك.

عليه

عليه او تغير بطحلب او ورق شجر ينبت عليه لا يمكن الاحتراز عنه فاتفق
العلماء ان ذلك لا يمنع من الوضوء به لعدم الاحتراز عنه والانفكاك عنه
وقد روى ابن وهب عن مالك ان غيره اولى منه الخامسة قال
علماؤنا رحمة الله عليهم ويكره سور النصراني وساير الكفار والمدمن
خمرا وما اكل الجيفة كالكلاب وغيرها ومن توضا بسورهم فلا شي عليه
حتى يستيقن النجاسة قال البخاري وتوضا عمر من بيت نصرانية
ذكره سفين ابن عيينة قال حدثونا عن زيد بن اسلم عن ابيه قال
لما كنا بالشام اتيت عمر بن الخطاب بما فتوضا منه فقال من اين
جيت بهذا الماء ما رايت ماء عذبا ولا ماء سما اطيب منه قال قلت جيت
به من بيت هذه العجوز النصرانية فلما توضا اتاها فقال ايتها العجوز
اسلمي تسلمي بعث الله محمدا بالحق فكشفت عن راسها فاذا مثل
الثغامة فقالت عجوز كبيرة وانما اموت الان فقال عمر رضي الله عنه
اللهم اشهد اخرجه الدارقطني حدثنا الحسين بن اسماعيل قال
حدثنا احمد بن ابراهيم البوسنجي قال حدثنا سفين فذكره ورواه
ايضا عن الحسين بن اسماعيل قال حدثنا خلاد بن اسلم حدثنا
سفين عن زيد بن اسلم عن ابيه ان عمر توضا من بيت نصرانية اتاها
فقال ايتها العجوز اسلمي وذكر الحديث بمثل ما تقدم السادسة
واما الكلب اذا ولغ في الماء فقال مالك يغسل الاناء سبعا ولا يتوضا به
وهو طاهر وقال الثوري يتوضا بذلك الماء ويتيمم معه وهو قول
عبد الملك بن عبد العزيز ومحمد بن مسلمة وقال ابو حنيفة الكلب نجس
ويغسل الاناء منه لانه نجس وبه قال الشافعي واحمد واسحاق وقد
قال مالك يفرق بين ما يجوز اتخاذه من الكلاب وبين ما لا يجوز اتخاذه
اتخاذه في غسل الاناء من ولوغه وتحصيل مذهبه انه طاهر عنده
لا ينجس ولوغه شيا ولغ فيه طعاما ولا غيره الا انه استحب هراقة
ما ولغ فيه من الماء ليسارة مؤونته وكلب البادية والحاضرة سوا ويغسل
الاناء منه على كل حال سبعا تعبدا هذا ما استقر عليه مذهبه عند
المناظرين من اصحابه ذكر ابن وهب قال حدثنا عبد الرحمن بن زيد
ابن اسلم عن ابيه عن عطا عن ابي هريرة قال سيل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن الحياض التي تكون فيما بين مكة والمدينة
فقيل له ان الكلاب والسباع ترد عليها فقال لها ما اخذت في بطونها
ولنا ما بقي شراب وطهور اخرجه الدارقطني وهذا نص على طهارة

الكلاب وطهارة ما تلغ فيه وفي البخاري عن ابن عمر ان الكلاب كانت
تقبل وتدبر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يرشون شيا من ذلك
قال عمر لبعض الصحابة لصاحب الحوض الذي ساله عمرو بن العاصي
هل ترد حوضك السباع فقال عمر يا صاحب الحوض لا تخبرنا فانا نرد على
السباع وترد علينا اخرجه مالك والدارقطني ولم يفرق بين السبع والكلب
من جهته ولا حجة للمخالف في الامر باراقة ما ولغ فيه وان ذلك للنجاسة
وانما امر باراقته لان النفس تعافه لا لنجاسته لان التنزه من الاقذار
مندوب اليه او تغليظا عليهم لانهم نهوا عن اقتنايها ما قاله ابن عمر و
والحسن فلما لم ينتهوا عن ذلك غلظ عليهم في الماء لقلته عندهم في البادية
حتى يشتد عليهم فيمتنعوا من اقتنايها واما الامر بغسل الاناء فعبادة
لا للنجاسة كما ذكرناه بدليلين احدهما ان الغسل قد دخله العدد الثاني
انه قد جعل للتراب فيه مدخل لقوله عليه السلام وعفروه الثامنة
بالتراب ولو كان للنجاسة لما كان للعدد ولا للتراب فيه مدخل كالبول
وقد جعل صلى الله عليه وسلم الهر وما ولغ فيه طاهرا والهر سبع لا خلاف
في ذلك لانه يفترس وياكل الميتة فكذلك الكلب وما كان مثله من
السباع لانه اذا جاء النص في احدهما كان نصا في الاخر وهذا من
اقوى انواع القياس هذا لو لم يكن هناك دليل وقد ذكرنا النص
على طهارته تسقط قول المخالف والحمد لله السابعة ما مات
في الماء مما لا دم له فلا ينجس الماء ان لم يغير ريحه فان انتن لم يتوضا
به وكذلك ما كان له دم سايل من دوات الماء كالحوت والضفدع لم يفسد
ذلك الماء موته فيه الا ان يتغير رايحته فان تغيرت رايحته وانتن لم
يجز التطهير به ولا الوضوء منه وليس بنجس عند مالك واما ما له
نفس سايلة فمات في الماء ونزع مكانه ولم يغير لونه ولا طعمه
ولا ريحه فهو طاهر مطهر سوا كان الماء قليلا او كثيرا عند المدنيين
واستحب بعضهم ان ينزح من ذلك الماء دلا لتطيب النفس به ولا يجدون
في ذلك حد لا يتعدى ويكرهون استعمال ذلك الماء قبل نزح الدلاء
فان استعمله احد في غسل او وضوء جاز اذا كانت حاله ما وصفنا وقد
كان بعض اصحاب مالك يرى لمن توضا بهذا الماء وان لم يتغير ان يتيمم فيجمع
بين الطهارتين احتياطا فان لم يفعل وصلى بذلك الماء اجزاه روى الدارقطني
عن محمد ابن سيرين ان زنجيا وقع في زمزم يعني فمات فامر به ابن عباس
فاخرج فامر بها ان تنزح قال فغلبتهم عين جاءتهم من الركن فامر بها فدسمت

بالقباطي

بالقباطي والمطارف حتى نزحوها فلما نزحوها انفجرت عليهم واخرجه
عن ابي الطفيل ان غلاما وقع في بير زمزم فنزحت وهذا يحتمل
ان يكون الماء تغير والله اعلم وروى شعبة عن مغيرة عن ابراهيم
انه كان يقول كل نفس سايلة لا يتوضا منها ولكن رخص في الخنفسا
والعقرب والجراد والجدجد اذا وقعن في الركا فلا باس به قال شعبة
واظنه قد ذكر الوزغة اخرجه الدارقطني حدثنا الحسين بن اسماعيل
قال حدثنا محمد بن الوليد قال حدثنا محمد بن جعفر قال حدثنا شعبة
فذكره الثامنة ذهب الجمهور من الصحابة وفقها الامصار وساير
التابعين بالحجاز والعراق الى ان ما ولغ فيه الهر من الماء طاهر
وانه لا باس بالوضو بسوره لحديث ابي قتادة اخرجه مالك وغيره
وقد روي عن ابي هريرة فيه خلاف وروي عن عطا ابن ابي رباح
وسعيد بن المسيب انهم امروا باراقة ما ولغ فيه الهر وغسل الاناء منه
واختلف في ذلك عن الحسن ويحتمل ان يكون الحسن راى في فمه
نجاسة لتصح معنى الروايتين عنه قال الترمذي لما ذكر حديث
مالك وفي الباب عن عايشة وابي هريرة هذا حديث حسن صحيح وهو
قول اكثر اهل العلم من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين
ومن بعدهم مثل الشافعي واحمد واسحاق لم يروا بسور الهر باسا
وهذا حديث احسن شي في الباب وقد جود مالك هذا الحديث
عن اسحق بن عبد الله بن ابي طلحة ولم يات به احد اتم من مالك
قال الحافظ ابو عمر الحجة عند التنازع والاختلاف سنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد صح من حديث ابي قتادة انه اصغى لها
الاناء حتى شربت وعليها اعتماد الفقها في كل مصر الا ابا حنيفة ومن
قال بقوله فانه كان يكره سوره وقال ان توضا به احد اجزاه
ولا اعلم حجة لمن كره الوضو بسور الهر احسن من انه لم يبلغه حديث
ابي قتادة وبلغه حديث ابي هريرة في الكلب فقاس الهر عليه وقد
فرقت السنة بينهما في باب التعبد في غسل الاناء ومن حجته السنة هو
خاصمه وما خالفها مطرح وبالله التوفيق ومن حجتهم ايضا ما رواه
قرة بن خالد عن محمد بن سيرين عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال طهور الاناء اذا ولغ فيه الهر ان يغسل مرة او مرتين شك قرة وهذا
الحديث لم يرفعه الا قرة بن خالد وقرة ثقة ثبت قال الشيخ رحمه الله هذا
الحديث اخرجه الدارقطني وسننه طهور الاناء اذا ولغ فيه الكلب ان يغسل

سبع مرات الاولي بالتراب والهرة مرة مرفوعا فرقه منك قال ابو بكر
كذا رواه ابو عاصم مرفوعا ورواه غيره عن قرة ولوغ الكلب مرفوعا
وولوغ الهر موقوفا وروي ابو صالح عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلي الله عليه وسلم يغسل الانا من الهر كما يغسل من الكلب قال الدارقطني
لا يثبت هذا مرفوعا والمحفوظ من قول ابي هريرة واختلف عنه وذكر
عمرو ابن جريج عن ابن طاوس عن ابيه انه كان يجعل الهر مثل الكلب
وعن مجاهد انه قال في الانا يلغ فيه السنور قال اغسله سبع مرات قاله
الدارقطني التاسعة الما المستعمل طاهر اذا كانت اعضا المتوضي به
طاهرة الا ان مالكا وجماعة من الفقها الجلة كانوا يكرهون الوضو به
وقال مالك لا خير فيه ولا احب لاحد ان يتوضا به فان فعل وصلي لم ار عليه
اعادة الصلاة وليتوضا لما يستقبل وقال ابن حنيفة والشافعي واصحابهما
لا يجوز استعماله في رفع الحدث ومن توضا به اعاد لانه ليس كما مطلق ويتيمم
واجده لانه ليس بواجد ما وقال بقولهم في ذلك اصبغ بن الفرج وهو
قول الاوزاعي واحتجوا بحديث الصنابحي خرجه مالك وحديث
عمرو بن عبسة اخرجه مسلم وغير ذلك من الاثار وقالوا الما اذا توضا به
خرجت الخطايا معه فوجب التنزه عنه لانه ما الذنوب قال ابو عمر وهذا
عندي لا وجه له لان الذنوب لا تنجس الما لانها لا اشخاص لها ولا
اجسام تمازج الما فتفسده وانما معني قوله خرجت الخطايا مع الما
اعلام منه بان الوضو للصلاة عمل يكفر الله به السيات عن عباده
المومنين رحمة منه بهم وتفضلا عليهم وقال ابو ثور وداود مثل
قول مالك وان الوضو بالما المستعمل جايز لانه ما طاهر لا يضاف اليه
شي وهو ما مطلق واحتجوا باجماع الامة علي طهارته اذا لم يكن في اعضا
المتوضي نجاسة والي هذا ذهب ابو عبد الله المروزي محمد بن نصر
وروي عن علي بن ابي طالب وابن عمر وابي امامة وعطا ابن ابي
رباح والحسن البصري والنخعي ومكحول والزهري انهم قالوا فيمن
نسي مسح راسه فوجد في لحيته بللا انه يجزيه ان يمسح بذلك البلل
راسه فقولا كلهم اجازوا الوضو بالما المستعمل روي عبد السلام بن صالح
حدثنا اسحاق ابن سويد عن العلا ابن زياد عن رجل من اصحاب النبي صلي
الله عليه وسلم مرضي ان رسول الله صلي الله عليه وسلم خرج عليهم ذات يوم
وقد اغتسل وقد بقيت لمعة من جسده لم يصبها الما فقلنا يا رسول الله
هذه لمعة لم يصبها الما فكان له شعر وارد فقال بشعره هكذا علي المكان

قبله

قبله اخرجه الدارقطني وقال عبد الله بن صالح هذا المصري وليس بقوي
وغيره من الثقات يرويه عن اسحق عن العلا مرسل وهو الصواب
قال الشيخ رحمه الله الراوي الثقة عن اسحاق بن سويد العدوي عن
العلا بن زياد العدوي ان رسول الله صلي الله عليه وسلم اغتسل الحديث
فيما ذكر هو هشيم قال ابن العربي مسيلة الما المستعمل انما تنبني علي
اصل اخر وهو ان الالة اذا ادي بها فرض هل يودي بها فرض اخر ام لا
فمنع ذلك المخالف قياسا علي الرقبة اذا ادي بها فرض عتق لم يصلح
ان تكون في ادا فرض اخر وهذا باطل من القول فان العتق اذا اتي
علي الرق اتلفه فلا يبقي محل لادا الفرض لعتق اخر ونظيره من الما
ما تلف عن الاعضا فانه لا يصح ان يودي به فرض اخر لتلف عينه
حسا كما تلف الرق في الرقبة بالعتق حكما وهذا نفيس فتامله
المباشرة لم يفرق مالك واصحابه بين الما تقع فيه النجاسة وبين
النجاسة ترد الما عليها راكدا كان الما او غيره لقول رسول الله صلي الله
عليه وسلم الما لا ينجسه شي الا ما غلب عليه فغير طعمه او ريحه او لونه
وفرقت الشافعية فقالوا اذا وردت النجاسة علي الما تنجس واختاره
ابن العربي وقال من اصول الشريعة في احكام المياه ان ورود النجاسة
علي الما ليس كورود الما علي النجاسة لقول النبي صلي الله عليه وسلم
في الحديث الصحيح اذا استيقظ احدكم من نومه فلا يغمس يده في
الانا حتي يغسلها ثلاثا فان احدكم لا يدري اين باتت يده فمنع من
ورود اليد علي الما وامر بايراد الما عليها وهذا اصل بديع في الباب
ولولا وروده علي النجاسة قليلا كان او كثيرا لما طهرت وقد ثبت عن
النبي صلي الله عليه وسلم انه قال في بول الاعرابي في المسجد صبوا عليه
ذنوبا من ما قال شيخنا ابو العباس واستدلوا ايضا بحديث القلتين
فقالوا اذا كان الما دون قلتين فحلته نجاسة تنجس وان لم تغيره
وان ورد ذلك القدر فاقل علي النجاسة فاذهب عينها بقي الما علي
طهارته وازال النجاسة وهذه مناقضة اذ المخالطة قد حصلت في
الصورتين وتفريقهم بورود الما علي النجاسة وورودها عليه فرق
صوري ليس فيه من الفقه شي وليس الباب باب التعبدات بل من
باب عقلية المعاني فانه من باب ازالة النجاسة واحكامها ثم هذا كله
منهم يرده قوله عليه السلام الما طهور لا يغيره شي الا ما غير لونه او طعمه او ريحه
قال الشيخ رحمه الله هذا الحديث اخرجه الدارقطني عن رشد بن سعد

ابي الحجاج عن معاوية بن صالح عن راشد بن سعد عن ابي امامة
الباهلي عن ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم وليس فيه ذكر اللون
وقال لم يرفعه غير رشدين عن معاوية بن صالح وليس بالقوي
واحسن منه في الاستدلال ما رواه ابو اسامة عن الوليد بن
كثير عن محمد بن كعب عن عبيد الله بن عبد الله بن رافع بن خديج
عن ابي سعيد الخدري قال قيل يا رسول الله انتوضا من بير بضاعة
وهي بير يلقى فيها الحيض ولحوم الكلاب والنتن فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انما الماء طهور لا ينجسه شي اخرجه ابو داود والترمذي
والدارقطني كلهم بهذا الاسناد قال ابو عيسى هذا حديث حسن
وقد جود ابو موسى هذا الحديث لم يرو حديث ابي سعيد في بير
بضاعة احسن مما روى ابو اسامة فهذا الحديث نص في ورود
النجاسة على الماء وقد حكم النبي صلى الله عليه وسلم بطهارته وطهوره
قال ابو داود سمعت قتيبة بن سعيد قال سالت قيم بير بضاعة
عن عمقها قلت اكثر ما يكون الماء فيها قال الى العانة قلت فاذا
نقص قال دون العورة قال ابو داود قدرت بير بضاعة
بردائي مددته عليها ثم ذرعته فاذا عرضها ستة اذرع وسالت
الذي فتح لي باب البستان فادخلني اليه هل غير بناؤها عما كانت
عليه فقال لا ورايت فيها ماء متغير اللون فكان هذا دليلا ثانيا
ما ذكرناه غير ان ابن العربي قال انها في وسط السبخة فماؤها
يكون متغيرا من قرارها والله اعلم الحادية عشرة الماء الطاهر
المطهر الذي يجوز به الوضوء وغسل النجاسات هو الماء القراح الصافي
من ماء السماء والانهار والبحار والعيون والابار وما عرفه الناس
ماء مطلقا غير مضاف الى شي خالطه كما خلقه الله عز وجل صافيا
ولا يضره لون ارضه على ما بيناه وخالف في هذه الجملة ابو حنيفة
وعبد الله بن عمرو وعبد الله بن عمر فاما ابو حنيفة فاجاز الوضوء
بالنبيذ في السفر وجوز ازالة النجاسة بكل مايع طاهر فاما بالدهن
والمرق فعنه روايتان انه لا تجوز ازالتها به والاصحاب يقولون اذا زالت
النجاسة به جاز وكذلك عنده النار والشمس حتى ان جلد الميتة
اذا جف في الشمس طهر من غير دباغ وكذلك النجاسة على الارض
اذا جفت بالشمس فانه يطهر ذلك الموضع بحيث تجوز الصلاة عليه
ولكن لا يجوز التيمم بذلك التراب قال ابن العربي لما وصف الله سبحانه

بانه طهور وامتن بانزاله من السما ليطهرنا به دل على اختصاصه
بذلك وكذلك قال عليه السلام لاسما بنت الصديق حين سالته عن
دم الحيض يصيب الثوب حتيه ثم اقرضيه ثم اغسليه بالما فلذلك
لم يلحق غير الما بالما لما في ذلك من ابطال الامتنان وليست النجاسة
عينا محسوسة حتى يقال كل ما ازالها فقد قام به الغرض وانما النجاسة
حكم شرعي عين له صاحب الشرع الما فلا يلحق به غيره اذ ليس في معناه
ولانه لو لحق به لاسقطه والفرع اذا عاد الحاقه بالاصل في الاسقاط
سقط في نفسه وقد كان تاج السنة ذو العزين المرتضى الدبوسي يسميه
فرخ زنا قال الشيخ رحمه الله واما ما استدل به على استعمال النبيذ
فاحاديث واهية ضعاف لا يقوم شي منها على ساق ذكرها الدارقطني
وضعفها ونص عليها وكذلك ضعف ما روي عن ابن عباس موقوفا
النبيذ وضوء من لم يجد الما في طريقه ابن محرر متروك الحديث وكذلك
ما روي عن علي انه قال لا باس بالوضوء بالنبيذ الحجاج وابو ليلى
ضعيفان وضعف حديث ابن مسعود وقال تفرد به ابن لهيعة وهو
ضعيف الحديث وذكر عن علقمة بن قيس قال قلت لعبد الله بن مسعود
اشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم احد منكم ليلة اتاه داعي الجن
قال لا قال الشيخ هذا اسناد صحيح لا يختلف في عدالة رواته واخرج
الترمذي حديث ابن مسعود قال سالني النبي صلى الله عليه وسلم
ما في اداوتك فقلت نبيذ فقال تمرة طيبة وما طهور قال فتوضا
منه قال ابو عيسى وانما روي هذا الحديث عن ابي زيد عن عبد الله
عن النبي صلى الله عليه وسلم وابو زيد رجل مجهول عند اهل الحديث
لا تعرف له رواية غير هذا الحديث وقد راى بعض اهل العلم الوضو
بالنبيذ منهم سفيان وغيره وقال بعض اهل العلم لا يتوضا بالنبيذ
وهو قول الشافعي واحمد واسحاق وقال اسحاق ان ابتلي رجل
بهذا وتوضا بالنبيذ وتيمم احب الي قال ابو عيسى وقول من يقول
لا يتوضا بالنبيذ اقرب الى الكتاب واشبه لان الله تعالى قال فلم تجدوا
ما فتيمموا صعيدا طيبا وهذه المسالة في مطولة في كتب الخلاف
وعمدتهم التمسك بلفظ الما حسب ما تقدم في المايدة فاعلم الثانية
عشرة لما قال الله تعالى وانزلنا من السما ما طهورا وقال ليطهركم
به توقف جماعة في ما البحر لانه ليس بمنزل من السما حتى رووا عن عبد
الله بن عمر وابن عمرو معا انه لا يتوضا به لانه نار ولانه طبق جهنم ولكن

النبي صلى الله عليه وسلم بين حكمه حين قال لمن ساله هو الطهور
ماوه الحل ميتته اخرجه مالك وقال فيه ابو عيسى هذا حديث
حسن صحيح وهو قول اكثر الفقها من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
منهم ابو بكر وابن عمر وابن عباس لم يروا بما البحر باسا وقد كره
بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الوضو بما البحر منهم ابن عمر
وعبد الله بن عمرو وقال عبد الله بن عمرو هو نار قال ابن عمر
وقد سال ابو عيسى الترمذي عن حديث مالك هذا عن صفوان بن
سليم فقال هو عندي حديث صحيح قال ابو عيسى فقلت للبخاري
هشيم يقول فيه ابن ابي برزة فقال وهم فيه انما هو المغيرة
ابن ابي بردة قال ابو عمر ما ادري ما هذا من البخاري رحمه
الله ولو كان صحيحا لاخرجه في مصنفه الصحيح عنده ولم يفعل
لانه لا يعول في الصحيح الا على الاسناد وهذا الحديث لا يحتج اهل
الحديث بمثل اسناده وهو عندي صحيح لان العلما تلقوه بالقبول
له والعمل به ولا يخالف في جملته احد من الفقها وانما الخلاف بينهم
في بعض معانيه وقد اجمع جمهور العلما وجماعة ايمة الفتوى
بالامصار من الفقها ان البحر طهور ماوه وان الوضو به جايز الا
ما روي عن عبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عمرو بن
العاصي انهما كرها الوضو بما البحر ولم يتابعهما احد من فقها
الامصار على ذلك ولا عرج عليه ولا التفت اليه لحديث
هذا الباب وهذا يدلك على اشتهار الحديث عندهم وعملهم
به وقبولهم له وهو اولى عندهم من الاسناد الظاهر الصحة
لمعنى ترده الاصول وبالله التوفيق قال ابو عمر صفوان بن سليم
مولى حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري من عباد اهل المدينة
واتقاهم لله ناسكا كثير الصدقة بما وجد من قليل وكثير كثير
العمل خايفا لله يكنى ابا عبد الله سكن المدينة لم ينتقل عنها
ومات بها سنة اثنين وثلاثين ومائة ذكر عبد الله بن احمد بن حنبل
قال سمعت ابي يسال عن صفوان بن سليم فقال ثقة من خيار عباد
الله وفضلا المسلمين واما سعيد بن سلمة فلم يرو عنه فيما علمت
الا صفوان والله اعلم ومن كانت هذه حاله فهو مجهول لا تقوم
به حجة عند جميعهم واما المغيرة بن ابي بردة فقيل عنه انه غير
معروف في حملة العلم كسعيد بن سلمة وقيل ليس بمجهول قال ابو

عمر المغيرة

عمر المغيرة بن ابي بردة وجدت ذكره في مغازي موسى بن نصير
بالمغرب وكان موسى يستعمله على الخيل وفتح الله له في بلاد
البر والبحر روى الدارقطني من غير طريق مالك عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يطهره ما البحر فلا
طهره الله قال اسناده حسن الثالثة عشرة قال ابن العربي
توهم قوم ان الما اذا فضلت منه للجنب فضلة لا يتوضا به وهو
مذهب باطل فقد ثبت عن ميمونة انها قالت اجنبت انا ورسول
الله صلى الله عليه وسلم واغتسلت من جفنة وفضلت فضلة
فجا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليغتسل منها فقلت اني قد اغتسلت
منه فقال ان الما ليس عليه نجاسة وان الما لا يجنب قال ابن عمر
وردت اثار في هذا الباب مرفوعة في النهي عن ان يتوضا
الرجل بفضل المراة وزاد بعضهم في بعضها وليغترفا جميعا
فقالت طايفة لا يجوز ان يغترف الرجل مع المراة في انا واحد
لان كل واحد منهما متوضي بفضل صاحبه وقال اخرون انما
كره من ذلك ان تنفرد المراة بالانا ثم يتوضا الرجل بعدها
بفضلها وكل واحد منهما روي بما ذهب اليه اثرا والذي ذهب
اليه الجمهور من العلما وجماعة فقها الامصار انه لا باس ان
يتوضا الرجل بفضل المراة وتتوضا المراة من فضله انفردت
المراة بالانا او لم تنفرد وفي مثل هذا اثار كثيرة صحاح والذي
نذهب اليه ان الما لا ينجسه شي الا ما ظهر فيه من النجاسات او غلب
عليه منها فلا وجه للاشتغال بما لا يصح من الاثار والاقوال
والله المستعان روى الترمذي عن ابن عباس قال حدثتني
ميمونة قالت كنت اغتسل انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم
من انا واحد من الجنابة قال هذا حديث حسن صحيح وروى البخاري
عن عايشة قالت كنت اغتسل انا والنبي صلى الله عليه وسلم من انا واحد
يقال له الفرق وفي صحيح مسلم عن ابن عباس ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان يغتسل بفضل ميمونة وروى الترمذي عن ابن
عباس قال اغتسل بعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم في جفنة
فاراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتوضا منه فقالت يا رسول
الله اني كنت جنبا فقال ان الما لا يجنب قال هذا حديث حسن صحيح
وهو قول سفيان الثوري ومالك والشافعي وروى الدارقطني عن عمرة

عن عايشة رضي الله عنها قالت كنت اتوضا انا والنبي صلى الله عليه
وسلم من انا واحد وقد اصابت الهرة منه قبل ذلك قال هذا حديث
صحيح وروي ايضا عن رجل من بني غفار قال نهى رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن فضل طهور المراة وفي الباب عن عبد الله بن
سرجس وكره بعض الفقها فضل طهور المراة وهو قول احمد واسحاق
الرابعة عشرة روى الدارقطني عن زيد بن اسلم مولى
عمر بن الخطاب ان عمر بن الخطاب كان يسخن له ما في قمقمة ويغتسل
به قال وهذا اسناد صحيح وروي عن عايشة قالت دخل علي
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سخنت ما في الشمس فقال
لا تفعلي يا حميرا فانه يورث البرص ورواه خالد بن اسماعيل
المخزومي عن هشام بن عروة عن ابيه عن عايشة وهو متروك
ورواه عمرو بن الاعسم عن فليح عن الزهري عن عروة عن
عايشة وهو منكر الحديث ولم يروه غيره عن فليح عن الزهري
قاله الدارقطني الخامسة عشرة كل انا طاهر فجايز الوضو
منه الا انا الذهب والفضة لنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن اتخاذهما وذلك والله اعلم للتشبه بالاعاجم والجبابرة لا
لنجاسة فيهما ومن توضا فيهما اجزاه وضوه وكان عاصيا باستعماله
وقد قيل لا يجزي الوضو في احدهما والاول اكثر قال ابن عمر وكل
جلد ذكي فجايز استعماله للوضو وغير ذلك وكان يكره الوضو
في انا جلد الميتة بعد الدباغ على اختلاف من قوله وقد تقدم
في النحل **قوله تعالى** لنحيي به بلدة ميتا اي بالمطر بلدة ميتا بالجدوبة
والمحل وعدم النبات قال كعب المطر روح الارض يحييها الله وقال
ميتا ولم يقل ميتة لان معنى البلدة والبلد واحد قاله الزجاج وقيل
اراد المكان ونسقيه قراءة العامة بضم النون وقرا عمر بن الخطاب
وعاصم والاعمش فيما روى المفضل عنهما ونسقيه بفتح النون مما
خلقنا انعاما واناسي كثيرا اي بشرا كثيرا واناسي واحده انسي
نحو جمع القرقور قراقير وقراقر في قول الاخفش والمبرد واحد
قولي الفرا وله قول اخر وهو ان يكون واحده انسانا ثم يبدل من
النون يا فيقول اناسي والاصل اناسين مثل سرحان وسراحين
وبستان وبساتين فجعلوا اليا عوضا من النون وعلى هذا يجوز
سراحي وبساتي لا فرق بينهما ويجوز اناسي بتخفيف اليا لانهم اسقطوا

اليا التي بينها بين لام الفعل وعينه مثل قراقير وقراقر وقال كثيرا
ولم يقل كثيرين لان فعيلا قد يراد به الكثرة نحو وحسن اولئك رفيقا
قوله تعالى ولقد صرفناه بينهم الاية يعني القران وقد ذكره في اول سورة
قوله تبارك الذي نزل الفرقان وقوله لقد اضلني عن الذكر بعد اذ
جاني وقوله اتخذوا هذا القران مهجورا ليذكروا فابى اكثر الناس الا كفورا
اي جحودا له وتكذيبا به وقيل ولقد صرفناه بينهم هو المطر روي عن ابن
عباس وابن مسعود وانه ليس عام باكثر مطرا من عام ولكن الله يصرفه
حيث يشا فما زيد لبعض نقص من غيرهم فهذا معنى التصريف وقيل
صرفناه بينهم وابلا وطشا وطلا ورهاما ورذاذا وقيل تصريفه
تنويع الانتفاع به في الشرب والسقي والزراعات به والطهارات وسقي
البساتين والغسل وشبهه الجوهري الرهام الامطار اللينة الواحدة رهمة
بالكسر وتجمع ايضا رهما ليذكروا فابى اكثر الناس الا كفورا قال عكرمة
هو قولهم في الانوا مطرنا بنو كذا قال النحاس ولا نعلم بين اهل التفسير
اختلافا ان الكفر هاهنا قولهم مطرنا بنو كذا وكذا وان نظيره فعل
النجم كذا وان كل من نسب اليه فعلا فهو كافر وروى الربيع بن صبيح
قال مطر الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فلما
اصبح قال النبي صلى الله عليه وسلم اصبح الناس فيها رجلين شاكر
وكافر فاما الشاكر فيحمد الله تعالى على سقياه وغياثه واما الكافر
فيقول مطرنا بنو كذا وكذا وهذا متفق على صحته بمعناه وسياتي في الواقعة
وروي من حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
ما من سنة بامطر من اخرى ولكن اذا عمل قوم بالمعاصي صرف الله
ذلك الى غيرهم فاذا عصوا جميعا صرف الله ذلك الى الفيافي والبحار
وقيل التصريف راجع الى الريح وقد مضى في البقرة بيانه وقرا حمزة
والكسايي ليذكروا مخففة الذال من الذكر الباقون مثقلا من التذكر
اي ليذكروا نعم الله ويعلموا ان من انعم بها لا يجوز الاشراك به فالتذكر
قريب من الذكر غير ان التذكر يطلق فيما بعد عن القلب فيحتاج الى
تكلف في التذكر **قوله تعالى** ولو شينا لبعثنا في كل قرية نذيرا اي
رسولا ينذرهم كما قسمنا المطر ليخف عنك اعبا النبوة ولكنا لم نفعل
بل جعلناك نذيرا للكل لترتفع درجتك فاشكر نعمة الله عليك فلا تطع
الكافرين اي فيما يدعونك اليه من اتباع الهتهم وجاهدهم به قال
ابن عباس بالقران ابن زيد بالاسلام وقيل بالسيف وهذا فيه بعد

لان السورة مكية ونزلت قبل الامر بالقتال جهادا كبيرا الا بحجة لهم فتول
قوله تعالى وهو الذي مرج البحرين عاد الكلام الى ذكر النعم ومرج خلى
وخلط وارسل قال مجاهد وارسلهما وافاض احدهما في الاخر وقال ابن عرفة
مرج البحرين اي خلطهما فهما يلتقيان يقال مرجته اذا خلطته ومرج
الدين والامر اختلط واضطرب ومنه قوله تعالى في امر مريج ومنه قوله
عليه السلام لعبد الله بن عمرو بن العاص اذا رايت الناس مرجت عهودهم
وخفت اماناتهم وكانوا هكذا وهكذا وشبك بين اصابعه فقلت له كيف
اصنع عند ذلك جعلني الله فداك قال الزم بيتك واملك عليك لسانك
وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بخاصة امر نفسك ودع امر العامة
خرجه النسائي وابو داود وغيرهما وقال الازهري مرج البحرين خلى
بينهما يقال مرجت الدابة اذا خليتها ترعى وقال ثعلب المرج الاجراء فقوله
مرج البحرين اي اجراهما وقال الاخفش ويقول قوم امرج البحرين مثل مرج
فعل وافعل بمعنى هذا عذب فرات اي حلو شديد العذوبة وهذا ملح
اجاج اي فيه ملوحة ومرارة وروي عن طلحة انه قرا وهذا ملح اجاج بفتح
الميم وكسر اللام وجعل بينهما برزخا اي حاجزا من قدرته لا يغلب احدهما
على صاحبه كما قال في سورة الرحمن مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ
لا يبغيان وحجرا محجورا اي سترا مستورا يمنع احدهما من الاختلاط بالاخر
فالبرزخ الحاجز والحجر المانع وقال الحسن يعني بحر فارس وبحر الروم وقال
ابن عباس وابن جبير يعني بحر السما وبحر الارض قال ابن عباس يلتقيان
في كل عام وبينهما برزخ قضا من قضايه وحجرا محجورا حراما محرما اي يعذب
هذا المالح بالعذب او يملح هذا العذب بالمالح قوله تعالى وهو الذي
خلق من الما بشرا الاية مسيلتان الاولى قوله تعالى وهو الذي خلق من
الما بشرا اي خلق من النطفة انسانا فجعله اي جعل الانسان نسبا وصهرا
وقيل من الما اشارة الى اصل الخلقة في ان كل حي مخلوق من الما وفي هذه
الاية تعديد النعمة على الناس في ايجادهم بعد العدم والتنبيه على العبرة
في ذلك الثانية قوله تعالى فجعله نسبا وصهرا النسب والصهر معنيان
يعمان كل قربى تكون بين ادميين قال ابن العربي النسب عبارة عن خلط
الما بين الذكر والانثى على وجه الشرع فان كان بمعصية كان خلقا مطلقا
ولم يكن نسبا محققا ولذلك لم يدخل تحت قوله حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم
وبنته من الزنا لانها ليست ببنت له في اصح القولين لعلمائنا واصح القولين
في الدين واذا لم يكن نسب شرعا فلا صهر شرعا فلا يحرم الزنا بنت ام ولا ام

بنت

بنت وما يحرم من الحلال لا يحرم من الحرام لان الله امتن بالنسب والصهر
على عباده ورفع قدرهما وعلق الاحكام في الحل والحرمة عليهما فلا
يلحق الباطل بهما ولا يساويهما قال الشيخ رحمه الله اختلف الفقها في نكاح
الرجل ابنته من زنى او اخته بنت ابيه من زنى فحرم ذلك قوم منهم ابن
القاسم وهو قول ابي حنيفة واصحابه واجاز ذلك اخرون منهم عبد الملك
ابن الماجشون وهو قول الشافعي وقد مضى هذا في النسا مجودا قال
الفرا النسب الذي لا يحل نكاحه والصهر الذي يحل نكاحه وقاله الزجاج
وقول علي بن ابي طالب رضي الله عنه واشتقاق الصهر من صهرت
الشي اذا خلطته فكل واحد من الصهرين قد خالط صاحبه فسميت
المناكح صهرا لاختلاط الناس بها وقيل الصهر قرابة النكاح فقرابة
الزوجة هم الاختان وقرابة الزوج هم الاحما والاصهار يقع عاما لذلك
كله قاله الاصمعي وقال ابن الاعرابي الاختان ابو المراة واخوها وعمها
كما قال الاصمعي والصهر زوج ابنة الرجل واخوه وابوه وعمه وقال
محمد بن الحسن في رواية ابي سليمان الجوزجاني اختان الرجل ازواج
بناته واخواته وعماته وخالاته وكل ذات محرم منه واصهاره كل ذي
رحم محرم من زوجته قال النحاس الاولى في هذا ان يكون القول
في الاصهار ما قال الاصمعي ان يكون من قبلهما جميعا يقال صهرت
الشي اي خلطته فكل واحد منهما قد خلط صاحبه والاولى في
الاختان ما قال محمد بن الحسن لجهتين احداهما الحديث المرفوع
روى محمد بن اسحاق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن ابن
اسامة بن زيد عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اما انت يا علي فختني وابو ولدي وانت مني وانا منك فهذا على
ان زوج البنت ختن والجهة الاخرى ان اشتقاق الختن من ختنه
اذا قطعه فكان الزوج قد انقطع عن اهله وقطع زوجته عن اهلها
وقال الضحاك الصهر قرابة الرضاع قال ابن عطية وذلك عندي وهم
اوجبه ان ابن عباس قال حرم من النسب سبع ومن الصهر خمس
وفي رواية اخرى من الصهر سبع يريد قول الله عز وجل حرمت عليكم
امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات
الاخت فهذا هو النسب ثم يريد بالصهر قوله تعالى وامهاتكم اللاتي
ارضعنكم الى قوله وان تجمعوا بين الاختين ثم ذكر المحصنات ومحمل
هذا ان ابن عباس اراد حرم من الصهر مع ما ذكر معه فقد عبر عما ذكر

الى غيره وهو الصهر لان الرضاع صهر واما الرضاع غير بل
النسب يحرم منه هل يحرم من النسب بحكم الحديث المأثور فيه ومما
روي وحرم من الصهر خمس استقط من الايتين الجمع بين الاختين
والمحصنات وهن ذوات الازواج قال الشيخ رحمه الله فابن عطية
حمل الرضاع مع ما تقدم نسبا وهو قول الزجاج قال ابو اسحاق
النسب الذي ليس بصهر من قوله جل ثناؤه حرمت عليكم امهاتكم
الى قوله وان تجمعوا بين الاختين والصهر من يحل له التزويج قال ابن
عطية وحكى الزهراوي قولا ان النسب من جهة البنين والصهر
من جهة البنات قال الشيخ رحمه الله وذكر هذا القول النحاس
وقال لان المصاهرة من جهتين تكون وقال ابن سيرين نزلت
هذه الاية في النبي صلى الله عليه وسلم وعلي رضي الله عنه لانه
جمعه معه نسب وصهر قال ابن عطية فاجتماعهما وكادة حرمة
الى يوم القيامة وكان ربك قديرا على خلق ما يريد قوله
تعالى ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم لما عدد نعمه
وبين كمال قدرته عجب الى المشركين من اشراكهم به ما لا يقدر على نفع ولا
ضر اي ان الله الذي هو خلق ما ذكره ثم لهاذا الجهلة يعبدون
من دونه اصناما جمادات لا تنفع ولا تضر وكان الكافر على ربه ظهيرا
روي عن ابن عباس الكافر هاهنا ابو جهل وشرحه انه يستظهر
بعبادة الاوثان على اوليايه وقال عكرمة الكافر ابليس ظهر
على عداوة ربه وقال مطر الكافر هنا الشيطان وقال الحسن
ظهيرا اي معينا للشيطان على المعاصي وقيل المعنى وكان الكافر
على ربه هينا لا قدر له ولا وزن عنده من قول العرب ظهرت
به اي جعلته ظهرك ولم تلتفت اليه ومنه قوله تعالى واتخذتموه
وراءكم ظهريا اي هينا ومنه قول الفرزدق تميم ابن بدر
لا تكونن حاجتي بظهر فلا يعي علي جوابها هذا معنى قول ابي
عبيدة وظهير بمعنى مظهور اي كفر الكافرين هين على الله
تعالى والله مستهين به لان كفره لا يضره وقيل وكان الكافر
على ربه الذي يعبده وهو الصنم قويا غالبا يعمل به ما يشا
لان الجماد لا قدرة له على دفع ونفع قوله تعالى وما ارسلناك الا
مبشرا ونذيرا يريد بالجنة مبشرا ونذيرا من النار وما ارسلناك وكيلا
ولا مسيطرا قل ما اسالكم عليه من اجر يريد ما جيتكم به من القران والوحي

ومن للتاكيد

ومن للتاكيد الا من شاء لكن من شاء وهو استثنا منقطع والمعنى لكن
من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا بانفاقه من ماله في سبيل الله فلينفق
ويجوز ان يكون متصلا ويقدر حذف المضاف التقدير الا اجر من
شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا باتباع ديني حتى ينال كرامة الدنيا
والاخرة قوله تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت تقدم معنى
التوكل في ال عمران وهذه السورة وانه اعتماد القلب على الله
تعالى في كل الامور وان الاسباب وسايط امر بها من غير
اعتماد عليها وسبح بحمده اي نزه الله عما يصفه هولا الكفار
اليه من الشرك او التسبيح التنزيه وقد تقدم وقيل وسبح اي صل
له وتسمى الصلاة تسبيحا وكفى به بذنوب عباده خبيرا اي عليما
فيجازيهم بها قوله تعالى الذي خلق السموات والارض وما
بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش تقدم في الاعراف والرحمن
في موضع خفض نعتا للحي الرحمن فاسيل به خبيرا قال الزجاج
المعنى فاسيل عنه وقد حكى هذا جماعة من اهل اللغة ان الباء تكون
بمعنى عن كما قال سال سايل بعذاب واقع وقال الشاعر •
• هلا سالت الخيل يا ابنة مالك • ان كنت جاهلة بما لم تعلم • بغيد
وقال بينهما ولم يقل بينهن لانه اراد الصنفين والنوعين والشيين
كقول القطامي • الم يحزنك ان حبال قيس وتغلب • قد تباينت انقطاعا •
اراد وحبال تغلب فثنى والحبال جمع لانه اراد الشيين والنوعين
اي وقال امرؤ القيس • فان تسالوني بالنسا فانني خبير • باد والنسا طبيب
اي عن النسا وعن مالم تعلم وانكره علي بن سليمان وقال اهل النظر
ينكرون ان تكون الباء بمعنى عن لان في هذا افساد المعاني قول
العرب • لو لقيت فلانا للقيك به الاسد اي للقيك بلقايك اياه الاسد
المعنى فسل بسوالك اياه خبيرا وكذلك قال ابن جبير الخبير الله تعالى
فخبير نصب على المفعول به بالسوال قال الشيخ رحمه الله قول الزجاج
خرج على وجه حسن وهو ان يكون الخبير غير الله اي فسل عنه خبيرا
اي عالما به متصفا بصفاته وقيل المعنى فسل له خبيرا فهو نصب على الحال
من الهاء المضمرة قال المهدوي ولا يحسن حالا اذ لا يخلو ان تكون الحال من
السايل او المسوول ولا يصح كونها حالا من الفاعل لان الخبير لا يحتاج
ان يسال غيره ولا تكون من المفعول لان المسوول عنه وهو الرحمن خبير
ابدا والحال في اغلب الامر تتغير وتنتقل الا ان يحمل على انها حال موكدة

مثل وهو الحق مصدقا فيجوز واما الرحمن ففي رفعه ثلاثة اوجه يكون
بدلا من المضمر الذي في استوى ويجوز ان يكون مرفوعا بالابتدا وخبره
فاسال عنه خبيرا ويجوز الخفض بمعنى وتوكل على الحي الذي لا يموت
الرحمن يكون نعتا ويجوز النصب على المدح قوله تعالى واذا قيل لهم
اسجدوا للرحمن اي لله تعالى قالوا وما الرحمن على جهة الانكار والتعجب
اي ما نعرف الرحمن اي رحمان اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب وزعم
القاضي ابو بكر ابن العربي انهم انما جهلوا الصفة لا الموصوف واستدل
على ذلك بقولهم وما الرحمن ولم يقولوا ومن الرحمن قال ابن الحصار
وكانه رحمه الله لم يقرا الاية الاخرى وهم يكفرون بالرحمن انسجد لما تامرنا
هذه قراة المدنيين والبصريين اي لما تامرنا انت يا محمد واختاره ابو
عبيد وابو حاتم وقرا الاعمش وحمزة والكسائي يامرنا بالياء يعنون
الرحمن كذا تاوله ابو عبيد قال ولو اقروا ان الرحمن امرهم ما كانوا
كفارا قال النحاس وليس يجب ان يتاول على الكوفيين في قراتهم هذا
التاويل البعيد ولكن الاولى ان يكون التاويل لهم انسجد لما يامرنا
النبي صلى الله عليه وسلم فتصح القراة على هذا وان كانت الاولى اولى
واثبت وزادهم نفورا اي زادهم قول القائل لهم اسجدوا
للرحمن نفورا عن الدين وكان سفين الثوري يقول في هذه الاية
الهي زادني لك خضوعا ما زاد اعداك نفورا قوله تعالى تبارك
الذي جعل في السما بروجا اي منازل وقد تقدم ذكرها وجعل فيها سراجا
قال ابن عباس يعني الشمس نظيره وجعل الشمس سراجا وقراة العامة
سراجا بالتوحيد وقرا حمزة والكسائي سرجا يريدون النجوم العظام
الوقادة والقراة الاولى عند ابي عبيد اولى لانه تاول السرج وانه
البروج النجوم يعني المعنى نجوما نحاس ولكن التاويل لهم ان
ابان بن ثعلب قال السرج النجوم الدراري الثعلبي كالزهرة والمشتري
وزحل والسماكين وغيرها وقرا ميرا ايني الارض اذا طلع وروي عصمة
عن الاعمش وقرا بضم القاف واسكان الميم وهذه قراة شاذة ولو لم يكن
فيها الا ان احمد بن حنبل وهو امام المسلمين في وقته قال لا تكتبوا ما يحكيه
عصمة هذا قوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان
يذكر فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى خلفة قال ابو عبيدة الخلفة كل
شي بعد شي فكل واحد من الليل والنهار يخلف صاحبه ويقال للمبطون
اصابه خلفة اي قيام وقعود يخلف هذا ذاك ومنه خلفة النبات وهو ورق

يخرج

يخرج بعد الورق الاول في الصيف ومن هذا المعنى قول زهير بن ابي سلمى
بها العين والارام يمشين خلفة واطلاوها ينهضن من كل مجثم
الريم ولد الظبي وجمعه ارام يقول اذا ذهب فوج جا فوج ومنه قول
الاخر يصف امراة تنتقل من منزل في الشتا الى منزل في الصيف دابا
ولها بالماطرون اذا اكل النمل الذي جمعا خلفة حتى اذا ارتبعت سكنت
من جلق بيعا في بيوت وسط دسكرة حولها الزيتون قد ينعا قال
مجاهد خلفة من الخلاف هذا ابيض وهذا اسود والاول اقوى
وقيل يتعاقبان في الضيا والظلام والزيادة والنقصان وقيل
هو من باب حذف المضاف اي جعل الليل والنهار ذوي خلفة اي اختلاف
لمن اراد ان يذكر اي يتذكر فيعلم ان الله لم يجعله كذلك عبثا فيعتبر في
مصنوعات الله ويشكر الله تعالى على نعمه عليه في العقل والفكر والفهم
وقال عمر بن الخطاب وابن عباس والحسن معناه من فاته شي
من الخير بالليل ادركه بالنهار ومن فاته بالنهار ادركه بالليل وفي
الصحيح ما من امري تكون له صلاة بالليل فيغلبه عليها نوم فيصلي
ما بين طلوع الشمس الى صلاة الظهر الا كتب الله له اجر صلاته وكان
نومه عليه صدقة وروى مسلم عن عمر بن الخطاب قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من نام عن حزبه او عن شي منه فقراه
ما بين طلوع الفجر وصلاة الظهر كتب له كانما قراه من الليل
الثانية قال ابن العربي سمعت ذا الشهيد الاكبر يقول ان الله خلق
العبد حيا عالما وبذلك كماله وسلط عليه افة النوم وضرورة الحدث
ونقصان الخلقة اذ الكمال للاول الخالق فما امكن الرجل
من دفع النوم بقلة الاكل والسهر في طاعة الله فليفعل ومن
الغبن العظيم ان يعيش الرجل ستين سنة ينام ليلها فيذهب
النصف من عمره لغوا وينام سدس النهار راحة فيذهب ثلثاه
ويبقى له من العمر عشرون سنة ومن الجهالة والسفاهة ان يتلف
الرجل ثلثي عمره في لذة فانية ولا يتلف عمره بسهر في لذة باقية
عند الغني الوفي الذي ليس بعديم ولا ظلوم الثالثة الاشيا
لا تتفاضل بانفسها فان الجواهر والاعراض من حيث الوجود
متماثلة وانما معنى التفاضل بالصفات وقد اختلف اي الوقتين
افضل الليل والنهار وفي الصوم غنية في الدلالة والله اعلم قاله
ابن العربي قال الشيخ رحمه الله والليل عظيم قدره امر نبيه بقيامه

فقال ومن الليل فتهجد به نافلة لك وقال قم الليل الا قليلا الي ما ياتي بيانه
ومدح المومنين علي قيامه فقال تتجافي جنوبهم عن المضاجع وقال
عليه السلام والصدقة تطفي الخطيئة كما تطفي الما النار وصلاة الرجل
في جوف الليل وفيه ساعة يستجاب فيها الدعا وفيه ينزل الرب تبارك
وتعالي حسب ما ياتي بيانه ان شا الله تعالي الرابعة قرا حمزة وحده
ويذكر بسكون الذال وضم الكاف وهي قراة ابن وثاب وطلحة والنخعي
وفي مصحف ابي يتذكر بزيادة تا وقرا الباقون يذكر بتشديد الكاف
ويذكر ويذكر بمعني واحد وقيل معني يذكر بالتخفيف اي يذكر ما نسيه
في احد الوقتين في الوقت الثاني او ليذكر تنزيه الله وتسبيحه فيها
او اراد شكورا يقال شكر يشكر شكرا وشكورا مثل كفر يكفر كفرا وكفورا
وهذا الشكور علي انها جعلها قواما لمعاشهم وكانهم لما قالوا وما
الرحمن قال هو الذي يقدر علي هذه الاشيا قوله تعالي وعباد
الرحمن الذين يمشون علي الارض هونا الاية لما ذكر جهالات
المشركين وطعنهم في القران والنبوة ذكر عباده المومنين ايضا
وذكر صفاتهم واضافهم الي عبوديته تشريفا لهم كما قال سبحان
الذي اسري بعبده وقد تقدم فمن اطاع الله وعبده وشغل سمعه
وبصره ولسانه وقلبه بما امره فهو الذي يستحق اسم العبودية ومن
كان بعكس هذا شمله قوله تعالي اولئك كالانعام يعني في عدم الاعتبار
كما تقدم في الاعراف وكانه قال وعباد الرحمن هم الذين يمشون علي
الارض فحذف هم لقولك زيد الامير هو الامير فالذين خبر مبتدا
محذوف قاله الاخفش وقيل الخبر قوله في اخر السورة اولئك
يجزون الغرفة بما صبروا وما بين المبتدا والخبر اوصاف لهم وما تعلق
بها قال الزجاج قال ويجوز ان يكون الخبر الذين يمشون علي
الارض ويمشون عبارة عن عيشهم ومدة حياتهم وتصرفاتهم فذكر
من ذلك العظم لاسيما وفي الانتقال في الارض هي معاشرة الناس
وخلطتهم قوله تعالي هونا الهون مصدر الهين وهو من السكينة
والوقار وفي التفسير يمشون علي الارض حلما متواضعين يمشون في
اقتصاد والقصد والتودة وحسن السمت من اخلاق النبوة وقال
صلي الله عليه وسلم ايها الناس عليكم بالسكينة فان البر ليس في الايضاع
وروي في صفته صلي الله عليه وسلم انه كان اذا زال زال تقلعا ويخطو
تكفيا ويمشي هونا ذريع المشية اذا مشي كانما ينحط من صبب التقلع رفع

الرجل بقوة والتكفو الميل الي سنن المشي وقصده والهون الرفق
والوقار والذريع الواسع الخطو اي ان مشيه كان يرفع فيه رجليه بسرعة
ويمد خطوه خلاف مشية المختال ويقصد سمته وكل ذلك برفق
وتثبت دون عجلة كما قال كانما ينحط من صبب قاله القاضي عياض
وكان عمر بن الخطاب يسرع جبلة لا تكلفا قال الزهري سرعة المشي
تذهب بهما الوجه قال ابن عطية يريد الاسراع الخبيث لانه يخل بالوقار
والخير في التوسط وقال زيد بن اسلم كنت اسال عن تفسير قوله
الذين يمشون علي الارض هونا فما وجدت من ذلك شيا فرايت في المنام
من جاني فقال هم الذين لا يريدون ان يفسدوا في الارض قال
القشيري وقيل لا يمشون لافساد ومعصية بل في طاعة الله والامور
المباحة من غير هوك وقد قال الله تعالي ولا تمش في الارض مرحا
ان الله لا يحب كل مختال فخور وقال ابن عباس بالطاعة والمعروف
والتواضع الحسن حلما ان جهل عليهم لم يجهلوا وقيل لا يتكبرون علي الناس
قال الشيخ رحمه الله وهذه كلها معان متقاربة ويجمعها العلم بالله
والخوف من الله والمعرفة باحكامه والخشية من عذابه وعقابه جعلنا
الله منهم بفضله ومنه وذهبت فرقة الي ان هونا مرتبط بقوله
يمشون علي الارض اي ان المشي هو هون قال ابن عطية ويشبه
ان يتاول هذا علي ان تكون اخلاق ذلك الماشي هونا مناسبة لمشيه
فيرجع القول الي نحو ما بيناه واما ان يكون المراد صفة المشي وحده
فباطل لان رب ماش هونا رويدا وهو ذيب اطلس وقد كان
رسول الله صلي الله عليه وسلم يتكفا في مشيه كانما يمشي في صبب
وهو عليه السلام الصدر في هذه الامة وقوله عليه السلام من مشي
منكم في طمع فليمش رويدا انما اراد في عقد نفسه ولم يرد المشي
وحده الا تري ان المبطلين المتحلين بالدين تمسكوا بصورة المشي
فقط حتي قال فيهم الشاعر ذما لهم • كلهم يمشي رويدا • كلهم يطلب صيدا •
قال الشيخ رحمه الله وفي عكسه انشد ابن العربي لنفسه •
• تواضعت في العليا والاصل كابر • وحزت قصاب السبق بالهون في الامر •
• سكون فلا خبث السريرة اصله • وجل سكون الناس من عظم الكبر •
قوله تعالي واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال النحاس ليس سلاما
من التسليم انما هو من التسلم تقول العرب سلاما اي تسلما منك اي براة
منك منصوب علي احد امرين يجوز ان يكون منصوبا بقالوا ويجوز ان يكون

مصدرا وهذا قول سيبويه قال ابن عطية والذي اقوله ان قالوا هو العامل
في سلاما لان المعنى قالوا هذا اللفظ وقال مجاهد معنى سلاما
سدادا اي تقول للجاهل كلاما يدفعه به برفق ولين فقالوا هذا
التاويل عامل في قوله سلاما على طريقة النحويين وذلك انه بمعنى قولا
وقالت فرقة ينبغي للمخاطب ان يقول للجاهل سلاما بهذا اللفظ اي
سلمنا سلاما او سلمنا ونحو هذا فيكون العامل فيه فعلا من لفظه على
طريقة النحويين مسيلة هذه الاية كانت قبل اية السيف فنسخ منها
ما يخص الكفرة وبقي ادبها في المسلمين الى يوم القيامة وذكر سيبويه
النسخ في هذه الاية في كتابه وما تكلم فيه على نسخ سواه رجح به ان المراد
السلامة لا التسليم لان المومنين لم يومروا قط بالسلام على الكفرة والاية
مكية فنسختها اية السيف قال النحاس ولا نعلم لسيبويه كلاما في معنى
الناسخ والمنسوخ الا في هذه الاية قال سيبويه لم يومر المسلمون
يوميذ ان يسلموا على المشركين لكنه على معنى قوله سلمنا منكم ولا خير
ولا شر بيننا وبينكم المبرد كان ينبغي ان يقول لم يومر المسلمون يوميذ
بحربهم ثم امروا بحربهم محمد بن يزيد اخطا سيبويه في هذا واسا العبارة
ابن العربي لم يومر المسلمون يوميذ ان يسلموا على المشركين ولا نهوا عن ذلك
بل امروا بالصفح والهجر الجميل وقد كان عليه السلام يقف على انديتهم
ويحييهم ويدانيهم ولا يداهنهم وقد اتفق الناس على ان السفيه من
المومنين اذا جفاك يجوز ان تقول له سلام عليك قال الشيخ رحمه الله
هذا القول اشبه بدلايل السنة وقد بينا في سورة مريم اختلاف
العلما في جواز التسليم على الكفار فلا حاجة الى دعوى النسخ والله
اعلم وقد ذكر النضر بن شميل قال حدثني الخليل قال اتيت ابا ربيعة
الاعرابي وكان من اعلم من رايت فاذا هو على سطح فسلمنا فرد علينا
السلام وقال لنا استووا فبقينا متحيرين ولم ندر ما قال فقال لنا
اعرابي الى جنبه امركم ان ترتفعوا قال الخليل هو من قول الله ثم استوى
الى السما وهي دخان فصعدنا اليه فقال هل لكم في خبز فطير ولبن
هجير وما نمير فقلنا الساعة فارقناه فقال سلاما ولم ندر ما قال
فقال الاعرابي انه سالمكم متاركة لا خير فيها ولا شر فقال الخليل هو
من قول الله عز وجل واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال ابن
عطية ورايت في بعض التواريخ ان ابراهيم ابن المهدي وكان من
المايلين على علي بن ابي طالب في النوم فكنت اقول له من انت فكان يقول

علي

علي ابن ابي طالب فكنت اجي معه الى قنطرة فيذهب فيتقدمني في
عبورها فكنت اقول انما تدعي هذا الامر بامراة ونحن احق به منك
فما رايت له في الجواب بلاغة كما يذكر عنه قال المامون وبما جاوبك
قال فكان يقول لي سلاما سلاما قال الراوي وكان ابراهيم بن المهدي
لا يحفظ الاية او ذهبت عنه في ذلك الوقت فنبه المامون على الاية
من حضره وقال هو والله يا عم علي بن ابي طالب وقد جاوبك
بابلغ جواب فخزي ابراهيم واستحيا وكانت رويا لا محالة صحيحة
قوله تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما قال الزجاج يقال
بات الرجل يبيت اذا ادركه الليل نام او لم ينم قال امرو القيس
فبتنا قياما عند راس جوادنا • يزاولنا عن نفسه ونزاوله • وانشدوا في
في صفة الاوليا امنع جفونك ان تذوق مناما • واذر الدموع على الخدود سجاما •
واعلم بانك ميت ومحاسب • يا من على سخط الخليل اقاما • لله قوم اخلصوا
في حبه فرضي بهم • واختصهم خداما • قوم اذا جن الليل عليهم • قاموا هناك
سجدا وقياما • خمص البطون من التعفف ضمرا • لا يعرفون سوى الحلال طعاما
وقال ابن عباس من صلى ركعتين واكثر بعد العشا فقد بات لله ساجدا
وقايما وقال الكلبي من قام بركعتين بعد المغرب فقد بات ساجدا وقايما
قوله تعالى والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم اي هم مع طاعتهم
مشفقون خايفون وجلون من عذاب الله ابن عباس يقولون ذلك في
سجودهم وقيامهم ان عذابها كان غراما اي لازما دايما غير مفارق ومنه
سمي الغريم لملازمته ويقال فلان مغرم بكذا اي لازم له مولع به هذا معناه
في كلام العرب فيما ذكر ابن الاعرابي وابن عرفة وغيرهما وقال الاعشى
ان يعاقب يكن غراما • وان يعط جزيلا فانه لا يبالي • قال الحسن قد علموا
ان كل غريم يفارق غريمه الا غريم جهنم وقال الزجاج الغرام اشد العذاب
وقال ابن زيد الغرام الشر وقال ابو عبيدة الهلاك والمعنى واحد وقال
محمد بن كعب طالبهم الله تعالى بثمن النعيم في الدنيا فلم ياتوا به فاغرمهم ثمنها
بادخالهم النار انها سات مستقرا ومقاما اي بيس المستقر وبيس المقام
اي انهم يقولون ذلك عن علم واذا قالوه عن علم كانوا اعرف بعظم قدر ما
يطلبون فيكون ذلك اقرب الى النجح قوله تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا
ولم يقتروا الاية اختلف المفسرون في تاويل هذه الاية فقال النحاس
ومن احسن ما قيل في معناه ان من انفق في غير طاعة الله فهو الاسراف
ومن امسك عن طاعة الله عز وجل فهو الاقتار ومن انفق في طاعة الله تبارك

وتعالي فهو القوام وقال ابن عباس من انفق مائة الف في حق
فليس بمسرف ومن انفق درهما في غير حقه فهو مسرف ومن منع من حق
عليه فقد قتر وقاله مجاهد وابن زيد وغيرهما وقال عون بن عبد
الله الاسراف ان تنفق مال غيرك قال ابن عطية وهذا ونحوه غير
مرتبط بالاية والوجه ان يقال ان النفقة في معصية امر قد حظرت
الشريعة قليله وكثيره وكذلك التعدي علي مال الغير وهولا المومنون
منزهون عن ذلك وانما التاديب في هذه الاية هو في نفقة
الطاعات في المباحات فادب الشرع فيها ان لا يفرط الانسان
حتي يضيع حقا اخر او عيالا ونحو هذا وان لا يضيق ايضا ويقتر
حتي يجيع العيال ويفرط في الشح والحسن في ذلك هو القوام
اي العدل والقوام في كل واحد بحسب عياله وحاله وخفة
ظهره وصبره وجلده علي الكسب او ضد هذه الخصال وخير
الامور اوساطها ولهذا ترك رسول الله صلي الله عليه وسلم ابا
بكر الصديق ان يتصدق بجميع ماله لان ذلك وسط بنسبة
جلده وصبره في الدين ومنع غيره من ذلك ونعم ما قال ابراهيم
النخعي هو الذي لا يجيع ولا يعري ولا ينفق نفقة يقول الناس
قد اسرف وقال يزيد بن ابي حبيب هم الذين لا يلبسون
الثياب للجمال ولا ياكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوبا
للجمال ولكن كانوا يريدون من الطعام ما يسد عنهم الجوع
ويقويهم علي عبادة ربهم ومن اللباس ما يستر عوراتهم
ويكنهم من الحر والبرد وقال عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز
حين زوجه ابنته فاطمة ما نفقتك فقال له عمر الحسنة بين سيئتين
ثم تلي الاية وقال عمر بن الخطاب كفي بالمرء سرفا الا يشتهي شيئا
الا اشتراه فاكله وفي سنن ابن ماجة عن انس بن مالك قال قال
رسول الله صلي الله عليه وسلم ان من السرف ان تاكل كل ما
اشتهيت وقال ابو عبيدة لم يزيدوا علي المعروف ولم يبخلوا كقوله
تعالي ولا تجعل يدك مغلولة الي عنقك ولا تبسطها كل البسط وقال الشاعر

ولا تغل في شي من الامر واقتصد • كلا طرفي قصد الامور ذميم • وقال اخر
اذا المرء اعطي نفسه كلما اشتهت • ولم ينهها تاقت الي كل باطل •
وساقت اليه الاثم والعار بالذي • دعته اليه من حلاوة عاجل •

وقال عمر لابنه عاصم يا بني كل في نصف بطنك ولا تطرح ثوبا حتي

تستخلفه

تستخلفه ولا تكونن من قوم يجعلون ما رزقهم الله في بطونهم وعلي ظهورهم
ولحاتم طي: اذا انت قد اعطيت بطنك سوله • وفرجك نالا منتهي الذم اجمعا
ولم يقتروا قرا حمزة والكسائي والاعمش وعاصم ويحيي بن وثاب
علي اختلاف عنهما يقتروا بفتح اليا وضم التا وهي قراة حسنة من
قتر يقتر وهذا القياس في اللازم مثل قعد يقعد وقرا ابو عمرو
وابن كثير بفتح اليا وكسر التا وهي لغة معروفة حسنة وقرا اهل
وابن عامر وابو بكر عن عاصم بضم اليا وكسر التا قال الثعلبي كلها
لغات صحيحة النحاس وتعجب ابو حاتم من قراة اهل المدينة هذه
لان اهل المدينة عنده لا يقع في قراتهم الشاذة وانما يقال اقتر
يقتر اذا افتقر كما قال جل وعز وعلي المقتر قدره وتاول ابو حاتم
لهم ان المسرف يفتقر سريعا وهذا تاويل بعيد ولكن التاويل لهم
ان ابا عمرو والجرمي حكيا عن الاصمعي انه يقال للانسان اذا ضيق
قتر يقتر ويقتر واقتر يقتر فعلي هذا تصح القراة وان كان
فتح اصح واقرب متناولا واشهر واعرف وقرا ابو عمرو والناس قواما
بفتح القاف يعني عدلا وقرا حسان بن عبد الرحمن قواما بكسر
القاف اي مبلغا وسدادا وملاك حال والقوام بالكسر ما يدوم
عليه الامر ويستقر وقيل هما لغتان بمعني وقواما خبر كان
واسمها مقدر فيها اي كان الانفاق بين الاسراف والقتر قواما
قاله الفرا وله قول اخر يجعل بين اسم كان وينصبها لان هذه من
الالفاظ كثر استعمالها فتركت علي حالها في موضع الرفع وقال النحاس
ما ادري ما وجه هذا لان بينا اذا كانت في موضع رفع رفعت كما يقال
بين عينيه احمر **قوله تعالي** والذين لا يدعون مع الله الاها اخر
الاية اخراج لعباد الرحمن من صفات الكفرة في عبادتهم الاوثان
وقتلهم النفس بواد البنات ونحو ذلك من الظلم والاغتيال والغارات
ومن الزنا الذي كان عندهم مباحا وقال من صرف هذه الاية عن
ظاهرها من اهل المعاني لا يليق بمن اضافهم الرحمن اليه اضافة الاختصاص
وذكرهم ووصفهم من صفات المعرفة والتشريف وقوع هذه الامور
القبيحة منهم حتي يمدحوا بنفيها لانهم اعلي واشرف فقال معناها
لا يدعون الهوي الاها ولا يذلون انفسهم بالمعاصي فيكون قتلا
لها ومعني الا بالحق الا بسكين الصبر وسيف المجاهدة ولا ينظرون الي الدنيا
لنيل الهم محرم بشهوة فيكون سفاحا بل بالضرورة فيكون كالنكاح

قال شيخنا ابو العباس وهذا كلام رائق غير انه عند السبر مائق وهي
نبعة باطنية ونزغة باطلية وانما صح تشريف عباد الله باختصاص
الاضافة بعد ان تحلوا بتلك الصفات الحميدة وتخلوا عن نقائض
ذلك من الاوصاف الذميمة فبدا في صدر هذه الايات بصفات
التحلي تشريفا لهم ثم اعقبهم بصفات التخلي تبعيدا لها والله
اعلم قال الشيخ رحمه الله ومما يدل على بطلان ما ادعاه هذا القائل
من ان تلك الامور ليست على ظاهرها ما روى مسلم من حديث
عبد الله بن مسعود قال قلت يا رسول الله اي الذنب اكبر عند الله
قال ان تدعو لله ندا وهو خلقك قال ثم اي قال ان تقتل ولدك
مخافة ان يطعم معك قال ثم اي قال ان تزاني حليلة جارك فانزل
الله تصديقها والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس
التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما والاثام
في كلام العرب العقاب وبه فسر ابن زيد وقتادة هذه الاية ومنه قول الشاعر
جزى الله ابن عروة حيث امسى • عقوقا والعقوق له اثام •
اي جزاء وعقوبة وقال عبد الله بن عمرو وعكرمة ومجاهد ان اثاما
واد في جهنم جعله الله عقابا للكفرة قال الشاعر • لقيت المهالك في حربنا •
وبعد المهالك تلقى اثاما • وقال السدي جبل فيه قال • •
وان مقامنا يدعو عليكم • بابطح ذي المجاز له اثام • وفي صحيح مسلم
ايضا عن ابن عباس ان ناسا من اهل الشرك قتلوا فاكثروا وزنوا
فاكثروا فاتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا ان الذي تقول وتدعو اليه
لحسن ولو تخبرنا ان لما عملنا كفارة فنزلت والذين لا يدعون مع الله
الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن
يفعل ذلك يلق اثاما ونزل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
لا تقنطوا من رحمة الله الاية وقد قيل ان هذه الاية يا عبادي الذين
اسرفوا نزلت في وحشي قاتل حمزة قاله سعيد بن جبير وابن عباس
وسياتي في الزمر بيانه **قوله تعالى** الا بالحق اي بما يحق ان تقتل
به النفوس من كفر بعد ايمان او زنا بعد احصان على ما تقدم
بيانه في الانعام ولا يزنون فيستحلون الفروج بغير نكاح ولا
ملك يمين ودلت الاية على انه ليس بعد الكفر اعظم من قتل النفس
بغير الحق ثم الزنا ولهذا ثبت في حد الزنا القتل لمن كان محصنا او اقصى
الجلد لمن كان غير محصن **قوله تعالى** ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف

قرا نافع

قرا نافع وابن عامر وحمزة والكسائي يضاعف ويخلد جزما وقرا ابن
كثير يضعف بتشديد العين وطرح الالف وبالجزم في يضعف ويخلد
وقرا طلحة بن سليمان نضعف بضم النون وكسر العين المشددة
نصب ويخلد جزم وهي قراءة ابي حيوة وشيبة وقرا عاصم
في رواية ابي بكر يضاعف ويخلد بالرفع فيهما على العطف
والاستيناف وقرا طلحة ابن سليمان وتخلد بالتاء على معنى مخاطبة
الكافر وروي عن ابي عمرو ويخلد بضم الياء من تحت وفتح
اللام قال ابو علي وهي غلط من جهة الرواية ويضاعف بالجزم
بدل من يلق الذي هو جزاء الشرط قال سيبويه مضاعفة العذاب لقي الاثام
قال الشاعر • متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا • تجد حطبا جزلا ونارا تاججا •
وقال اخر • ان علي الله ان تبايعا • تؤخذ كرها او تجيء طائعا • واما
الرفع ففيه قولان احدهما انه تقطع مما قبله والاخر ان يكون محمولا
على المعنى كان قائلا قال ما لقي الاثام فقيل له يضاعف له
العذاب ومهانا معناه ذليلا خاسئا مبعدا مطرودا **قوله تعالى**
الا من تاب لا خلاف بين العلماء ان الاستثناء عامل في الكافر والزاني
واختلفوا في القاتل من المسلمين على ما تقدم بيانه في النساء وفي
المائدة القول في جواز التراخي في الاستثناء في اليمين وهو مذهب
ابن عباس مستدلا بهذه الاية **قوله تعالى** فاولئك يبدل الله
سيئاتهم حسنات قال النحاس من احسن ما قيل فيه انه يكتب موضع
كافر مؤمن وموضع عاص مطيع وقال مجاهد والضحاك اي يبدلهم
الله من الشرك الايمان وروي نحوه عن الحسن قال الحسن قوم يقولون
التبديل في الاخرة وليس كذلك انما التبديل في الدنيا يبدلهم الله
ايمانا من الشرك واخلاصا من الشك واحصانا من الفجور وقال
الزجاج ليس يجعل مكان السيئة الحسنة ولكن يجعل مكان السيئة التوبة
وروى ابو ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان السيئات تبدل بحسنات
وروي معناه عن سلمان الفارسي وسعيد بن جبير وغيرهما
وقال ابو هريرة ذلك في الاخرة فيمن غلبت حسناته على سيئاته
فيبدل الله السيئات حسنات وفي الخبر ليتمنين اقوام انهم اكثروا
من السيئات قيل ومن هم قال الذين يبدل الله سيئاتهم حسنات
رواه ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ذكره الثعلبي والقشيري
وقيل التبديل عبارة عن الغفران اي يغفر الله لهم تلك السيئات

لا ان يبدلها لهم حسنات قال الشيخ رحمه الله ولا يبعد في كرم الله تعالى
اذا صحت توبة العبد ان يضع مكان كل سيئة حسنة وقد قال
صلى الله عليه وسلم لمعاذ واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق
حسن وفي صحيح مسلم عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اني لاعلم اخر اهل الجنة دخولا الجنة واخر اهل النار خروجا
منها رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار
ذنوبه فيقال عملت يوم كذا كذا وكذا وعملت يوم كذا كذا وكذا فيقول
نعم لا يستطيع ان ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه ان تعرض عليه
فيقال ان لك مكان كل سيئة حسنة فيقول يا رب قد عملت اشيا لا اراها
هاهنا فلقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت
نواجذه وقال ابو طويل يا رسول الله ارايت رجلا عمل الذنوب
كلها ولم يترك منها شيا وهو في ذلك لم يترك حاجة ولا داجة الا اقتطعها
فهل له من توبة قال هل اسلمت قال انا اشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له واشهد انك عبد الله ورسوله قال نعم تفعل الخيرات وتترك
الشرات فيجعلهن الله كلهن خيرات قال وغدراتي وفجراتي يا نبي
الله قال نعم قال الله اكبر فما زال يكررها حتى توارى ذكره
الثعلبي قال شمر بن عبيد وكان عالما بالنحو والعربية الحاجة
التي تقطع على الحاج اذا توجهوا والداجة التي تقطع عليهم اذا
قفلوا وكان الله غفورا رحيما قوله تعالى ومن تاب وعمل صالحا
فانه يتوب الى الله متابا لا يقال لمن قام يقوم فكيف قال ومن تاب
فانه يتوب فقال ابن عباس المعنى من امن من اهل مكة وهاجر
ولم يكن قتل وزنى بل عمل صالحا وادى الفرائض فانه يتوب
الى الله متابا اي فاني فضلتهم وقدمتهم على من قاتل النبي صلى
الله عليه وسلم واستحل المحارم وقال القفال يحتمل ان تكون
الاية الاولى فيمن تاب من المشركين ولهذا قال الا من تاب وامن
ثم عطف عليه من تاب من المشركين واتبع توبته عملا صالحا فله حكم
التائبين ايضا وقيل اي من تاب بلسانه ولم يحقق ذلك بفعله
فليست تلك التوبة نافعة بل من تاب وعمل صالحا فحقق توبته
بالاعمال الصالحة فهو الذي تاب الى الله متابا اي تاب حق التوبة
وهي النصوح وكذلك اكد بالمصدر فمتابا مصدر معناه التاكيد
كقوله وكلم الله موسى تكليما اي فانه يتوب الى الله حقا فيقبل الله

توبته

توبته حقا قوله تعالى والذين لا يشهدون الزور فيه مسالتان الاولى
قوله تعالى والذين لا يشهدون الزور اي لا يحضرون الكذب والباطل
ولا يشاهدونه والزور كل باطل زور وزخرف واعظمه الشرك وتعظيم
الانداد وبه فسر الضحاك وابن زيد وابن عباس وفي رواية عن ابن
عباس انه اعياد المشركين عكرمة لعب كان في الجاهلية يسمى بالزور
مجاهد الغنا وقال محمد بن الحنفية الغنا ابن جريج الكذب وروي
عن مجاهد وقال علي بن ابي طلحة ومحمد بن علي المعنى لا يشهدون
بالزور من الشهادة لا من المشاهدة قال ابن العربي اما القول بانه
الكذب فصحيح لان كل ذلك الى الكذب يرجع واما من قال انه
لعب كان في الجاهلية فانه يحرم ذلك اذا كان فيه قمارا وجهالة
او امر يعود الى الكفر واما القول بانه الغنا فليس ينتهي الى هذا
الحد قال الشيخ رحمه الله من الغنا ما ينتهي سماعه الى التحريم وذلك
كالاشعار التي توصف فيها الصور المستحسنات والخمر وغير ذلك مما
يحرك الطباع ويخرجها عن الاعتدال او يثير كامنا من حب اللهو مثل قول
بعضهم • ذهبي اللون تحسب من • وجنتيه النار تقتدح • خوفوني
من فضيحته • ليته وافى وافتضح • لاسيما اذا اقترن بذلك شبابات
وطارات في هذه الازمان على ما بيناه في غير هذا الموضع واما من
قال انها شهادة الزور وهي الثانية فكان عمر بن الخطاب يجلد
شاهد الزور اربعين جلدة ويسخم وجهه ويحلق راسه ويطوف به
في السوق وقال اكثر اهل العلم ولا تقبل له شهادة ابدا وان تاب وحسنت
حاله فامره الى الله ولا تقبل شهادته وقد قيل انه اذا كان غير مبرز
تحسنت حاله قبلت شهادته حسب ما تقدم بيانه في سورة الحج فتامله
هناك قوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما قد تقدم الكلام في اللغو
وهو كل سقط من فعل او قول فيدخل فيه الغنا واللهو وغير ذلك
مما قاربه ويدخل فيه سفه المشركين واذاهم للمومنين وذكر النسا
وغير ذلك من المنكر وقال مجاهد اذا اوذوا صفحوا وروي عنه
اذا ذكروا النكاح كنوا عنه وقال الحسن اللغو المعاصي كلها وهذا
جامع وكراما معناه معرضين منكرين لا يرضونه ولا يمالئون عليه
ولا يجالسون اهله اي مروا مر الكرام الذين لا يدخلون في الباطل
يقال تكرم فلان عما يشينه اي تنزه واكرم نفسه عنه وروي ان عبد
الله بن عمر سمع غنا فاسرع وذهب فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال لقد اصبح ابن الحاجم عبدا كريما وقيل من المرور باللغو كريما اي يامر بالمعروف وينهي عن المنكر **قوله تعالي** والذين اذا ذكروا بايات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا فيه مسلتان الاولي قوله تعالي والذين اذا ذكروا بايات ربهم اي اذا قري عليهم القران ذكروا اخرتهم ومعادهم ولم يتغافلوا حتي يكونوا بمنزلة من لا يسمع وقال لم يخروا وليس ثم خرور كما يقال قعد يبكي وان كان غير قاعد قاله الطبري واختاره قال ابن عطية وهو ان يخروا صما وعميانا صفة للكفار وهو عبارة عن اعراضهم وقرن ذلك بقولهم قعد فلان يشتمني وقام فلان يبكي وانت لم تقصد الاخبار بقعود ولا قيام وانما هو توطيات في الكلام والعبارة قال ابن عطية فكان المستمع للذكر قايم القناة قويم الامر فاذا اعرض وضل كان ذلك خرورا وهو السقوط علي غير نظام وترتيب وان كان تشبه به الذي يخر ساجدا لكن اصله علي غير ترتيب وقيل اي اذا تليت عليهم ايات الرحمن الله وجلت قلوبهم فخروا سجدا وبكيا ولم يخروا عليها صما وعميانا وقال الفرا اي لم يقعدوا علي حالهم الاول كان لم يسمعوا الثانية قال بعضهم ان من سمع رجلا يقرا سجدة يسجد معه لانه قد سمع ايات الله تتلي عليه قال ابن العربي وهذا لا يلزم الا القاري وحده واما غيره فلا يلزمه ذلك الا في مسيلة واحدة وهو ان الوجد اذا تلي القران وقرا السجدة فان كان الذي جلس معه جلس ليسمعه فليسجد معه وان لم يلزم السماع معه فلا سجود عليه وقد مضي هذا في الاعراف **قوله تعالي** والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين قال الضحاك اي مطيعين لك وفيه جواز الدعا بالولد وقد تقدم والذرية يكون واحدا وجمعا فكونها للواحد قوله رب هب لي من لدنك ذرية طيبة وهب لي من لدنك وليا وكونها للجمع ذرية ضعافا وقد مضي في البقرة اشتقاقها مستوفي وقرا نافع وابن كثير وابن عامر والحسن وذرياتنا وقرا ابو عمرو وحمزة والكساي وطلحة وعيسي وذريتنا بالافراد قرة اعين نصب علي المفعول اي قرة اعين لنا وهذا نحو قوله عليه السلام لانس اللهم اكثر ماله وولده وبارك له فيه وقد تقدم بيانه في ال عمران ومريم وذلك ان الانسان اذا بورك له في ماله وولده قرت عينه باهله وعياله حتي اذا كانت عنده زوجة اجتمعت له فيها امانيه من جمال وعفة ونظر

وحوطة

وحوطة او كانت عنده ذرية محافظون علي الطاعة معاونون له علي وظايف الدين والدنيا لم يلتفت الي زوج احد ولا الي ولده فتسكن عينه عن الملاحظة ولم تمتد عينه الي ما تري فذلك حين قرة العين وسكون النفس ووحد قرة لانه مصدر تقول قرت عينك قرة وقرة العين يحتمل ان يكون من القرار ويحتمل ان يكون من القر وهو الاشهر والقر البرد لان العرب تتاذي بالحر وتستروح الي البرد وايضا فان دمع السرور بارد ودمع الحزن سخن فمن هذا يقال اقر الله عينك واسخن الله عين العدو وقال الشاعر

• فكم سخنت بالامس عين قريرة • وقرت عيون دمعها اليوم ساكب •

قوله تعالي واجعلنا للمتقين اماما اي قدوة يقتدي بنا في الخير وهذا لا يكون الا ان يكون الداعي متقيا قدوة وهذا هو قصد الداعي وفي الموطا انكم ايها الرهط ايمة يقتدي بكم وكان ابن عمر يقول في دعايه اللهم اجعلنا من ايمة المتقين وقال اماما ولم يقل ايمة علي الجمع لان الامام مصدر يقال ام فلان فلانا اماما مثل الصيام والقيام وقال بعضهم اراد ايمة كما يقول القايل اميرنا هولا ولا يعني امرانا وقال الشاعر • يا عاذلاتي لا تردن ملامتي • ان العواذل لسن لي بامير • اي امرا وكان القشيري ابو القاسم شيخ الصوفية يقول الامامة بالدعا لا بالدعوي يعني بتوفيق الله وتيسيره ومنته لا بما يدعيه كل احد لنفسه وقال ابراهيم النخعي لم يطلبوا الرياسة بل بان يكونوا قدوة في الدين وقال ابن عباس اجعلنا ايمة هدي كما قال وجعلنا منهم ايمة يهدون بامرنا وقال مكحول اجعلنا ايمة في التقوي يقتدي بنا المتقون وقيل هذا من المقلوب مجازه واجعل المتقين لنا اماما وقاله مجاهد والقول الاول اظهر واليه يرجع قول ابن عباس ومكحول ويكون فيه دليل علي ان طلب الرياسة في الدين ندب واما واحد يدل علي جمع لانه مصدر كالقيام قال الاخفش الامام جمع ام من ام يوم جمع علي فعال مثل صاحب وصحاب وقايم وقيام **قوله تعالي** اوليك يجزون الغرفة بما صبروا اوليك خبر وعباد الرحمن في قول الزجاج علي ما تقدم وهو احسن ما قيل فيه وما تخلل بين المبتدا وخبره اوصاف من التحلي والتخلي وهي احدي عشرة التواضع والحلم والتهجد والخوف وترك الاسراف والاقتار والنزاهة عن الشرك والزنا والقتل والتوبة وتجنب

الكذب والعفو عن المسي وقبول المواعظ والابتهال الى الله تعالى
والغرفة الدرجة الرفيعة وهي اعلى منازل الجنة وافضلها كما ان الغرفة
اعلى مساكن الدنيا حكاه ابن شجرة وقال الضحاك الغرفة الجنة بما صبروا
اي بصبرهم على امر ربهم وطاعة نبيهم وقال علي بن الحسين محمد بن علي
ابن الحسين بما صبروا على الصبر والفاقة في الدنيا وقال الضحاك
بما صبروا عن الشهوات ويلقون فيها تحية وسلاما قرا ابو بكر والمفضل
والاعمش ويحيى وحمزة والكسائي وخلف ويلقون مخففة واختاره
الفرا قال لان العرب تقول فلان يتلقى بالسلام وبالتحية وبالخير بالبا
وقيل ما يقولون فلان يلقى السلامة وقرا الباقون ويلقون
واختاره ابو عبيد وابو حاتم لقوله تعالى ولقاهم نضرة وسرورا
قال ابو جعفر النحاس وما ذهب اليه الفرا واختاره غلط لانه يزعم
انها لو كانت يلقون كانت في العربية بتحية وسلام وقال كما يقال فلان
يتلقى بالسلام وبالخير فمن عجيب ما في هذا انه قال يتلقى والاية يلقون
والفرق بينهما بين لانه يقال فلان يتلقى بالتحية ولا يجوز حذف البا
فكيف يشبه هذا ذاك واعجب من هذا ان في القران ولقاهم نضرة
وسرورا لا يجوز ان تقرا بغيره وهذا يبين ان الاولى خلاف ما قال
والتحية من الله والسلام من الملايكة وقيل التحية البقا الدايم والملك
العظيم والاظهر انهما بمعنى واحد وانهما من قبل الله تعالى دليله قوله
تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وسياتي خالدين فيها نصب على الحال
فيها حسنت مستقرا ومقاما قوله تعالى قل ما يعبا بكم ربي لولا
دعاوكم هذه اية مشكلة التي تعلقت بها الملحدة يقال ما عبات
بفلان اي ما باليت به اي ما كان له عندي وزن ولا قدر واصل يعبا
من العب وهو الثقل وقول الشاعر كان بصدره وبجانبيه عبيرا بات
يعبوه عروس اي يجعل بعضه على بعض فالعب الحمل الثقيل
ويجمع اعبا والعب المصدر وما استفهامية ظهر في اثنا كلام الزجاج
وصرح به الفرا وليس يبعد ان تكون نافية لانك اذا حكمت بانها استفهام
فهو نفي خرج مخرج الاستفهام كما قال هل جزا الاحسان الا الاحسان
قال ابن الشجري وحقيقة القول عندي ان موضع ما نصب والتقدير
اي عب يعبا بكم اي اي مبالاة يبالي ربي بكم لولا دعاكم اي لولا دعاوه اياكم
لتعبدوه فالمصدر الذي هو الدعا على هذا القول مضاف الى مفعوله
وهو اختيار الفرا وفاعله محذوف وجواب لولا محذوف كما حذف

في قوله

في قوله ولو ان قرانا سيرت به الجبال تقديره لم يعبا بكم ودليل هذا القول
قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فالخطاب لجميع
الناس فكانه قال لقريش منهم اي ما يبالي الله بكم ولا ينظر اليكم لولا عبادتكم
اياه ان لو كانت وذلك الذي يعبا بالبشر من اجله ويويد هذا قراة ابن
الزبير وغيره فقد كذب الكافرون فالخطاب بما يعبو لجميع الناس ثم
يقول لقريش منهم فقد كذبتم ولم تعبدوه فسوف يكون التكذيب الذي
هو سبب العذاب لزاما وقال النقاش وغيره المعنى لو استغاثتكم اليه في
الشدايد ونحو ذلك بيانه فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين
ونحو هذا وقيل قل ما يعبو بكم اي مغفرة ذنوبكم ولا هو عنده عظيم لولا
دعاوكم معه الالهة والشركا بيانه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم
قاله الضحاك وقال الوليد بن ابي الوليد بلغني فيها اي ما خلقتكم ولي
حاجة اليكم الا تسالوني فاغفر لكم واعطيكم وروى وهب ابن منبه انه
كان في التوراة يا ابن ادم وعزتي ما خلقتك لاربح عليك انما خلقتك
لتربح علي فاتخذني بدلا من كل شي فانا خير لك من كل شي قال ابن جني
قرا ابن الزبير وابن عباس فقد كذب الكافرون قال الزهراوي والنحاس
وهي قراة ابن مسعود وهي على التفسير للتا والميم في كذبتم وذهب
القتيبي والفارسي الى ان الدعا مضاف الى الفاعل والمفعول محذوف
والاصل لولا دعاوكم الهة من دونه وجواب لولا محذوف تقديره في هذا
الوجه لم يعذبكم ونظير قوله لولا دعاوكم الهة قوله ان الذين تدعون من
دون الله عباد امثالكم فقد كذبتم اي كذبتم بما دعيتم اليه هذا على القول
الاول وكذبتم بتوحيد الله على الثاني فسوف يكون لزاما اي يكون
تكذيبكم ملازما لكم والمعنى فسوف يكون جزا التكذيب كما قال ووجدوا
ما عملوا حاضرا اي جزا ما عملوا وقوله فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون
اي جزا ما كنتم تكفرون وحسن اضمار التكذيب لتقدم ذكر فعله لانك
اذا ذكرت الفعل دل بلفظه على مصدره كما قال ولو امن اهل الكتاب
لكان خيرا لهم اي لكان الايمان وقوله وان تشكروا يرضه لكم
اي يرضى الشكر ومثله كثير وجمهور المفسرين على ان المراد باللزام هنا
ما نزل بهم يوم بدر وهو قول عبد الله بن مسعود وابي بن كعب وابي
مالك ومجاهد ومقاتل وغيرهم وفي صحيح مسلم عن عبد الله وقد مضت
البطشة والدخان واللزام وسياتي مبينا في سورة الدخان ان شا الله
وقالت فرقة هو توعد بعذاب الاخرة وعن ابن مسعود ايضا اللزام التكذيب

نفسه اي لا يعطون التوبة منه ذكره الزهراوي فدخل في هذا يوم
بدر وغيره من العذاب الذي يلزمونه وقال ابو عبيدة لزاما فيصلا
اي فسوف يكون فيصلا بينكم وبين المومنين والجمهور من القرا على كسر
اللام وانشد ابو عبيدة لصخر • فاما ينجوا من خسف ارض • فقد لقيا حتوفهما
لزاما • ولزاما وملازما واحد قال الطبري لزاما يعني عذابا دايما
لازما وهلاكا يفنيا يلحق بعضكم ببعض كقول ابي ذويب •   •
• ففاجاه بعادية لزام • كما يتفجر الحوض اللقيف • يعني باللزام الذي
يتبع بعضه بعضا وباللقيف المتساقط الحجارة النحاس وحكى
ابو حاتم عن ابي زيد قال سمعت قعنبا ابا السمال يقرا لزاما بفتح اللام
قال ابو جعفر يكون مصدر لزم والكسر اولى يكون مثل قتال وقاتل
كما اجمعوا على الكسر في قوله عز وجل ولولا كلمة سبقت من ربك لكان
لزاما واجل مسمى قال غيره اللزام بالكسر مصدر لازم لزاما مثل خاصم خصاما
واللزام بالفتح مصدر لزم لزاما والمصدر في القرايتين وقع موقع اسم
الفاعل فاللزام وقع موقع ملازم مثل سلم سلاما اي سلامة فاللزام
بالفتح اللزوم واللزام الملازمة والمصدر في القرايتين وقع موقع اسم
الفاعل فاللزام وقع موقع ملازم واللزام وقع موقع لازم كما قال
تعالى قل ارايتم ان اصبح ماوكم غورا اي غايرا قال النحاس وللفرا
قول في اسم يكون قال يكون مجهولا وهذا غلط لان المجهول لا يكون خبره
الا جملة كما قال الله عز وجل انه من يتق ويصبر وكما حكى النحويون
كان زيد منطلق يكون في كان مجهول ويكون المبتدا وخبره خبر المجهول
والتقدير كان الحديث فاما ان يقال كان منطلقا ويكون في كان مجهول
فلا يجوز عند احد علمناه تمت سورة الفرقان بحمد الله وعونه سورة
الشعرا مكية في قول الجمهور وقال مقاتل منها مدني الاية التي يذكر
فيها الشعرا وقوله اولم يكن لهم اية ان يعلمه علما بني اسرايل وقال
ابن عباس وقتادة مكية الا اربع ايات منها نزلت بالمدينة
من قوله والشعرا يتبعهم الغاوون الى اخرها وهي مايتان وسبع وعشرون
اية وفي رواية ست وعشرون وعن ابن عباس قال النبي صلى الله
عليه وسلم اعطيت السورة التي تذكر فيها البقرة من الذكر الاول
واعطيت طه وطسم من الواح موسى واعطيت فواتح القران وخواتيم
سورة البقرة من تحت العرش واعطيت المفصل نافلة وعن البرا
ابن عازب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله اعطاني السبع

الطوال

الطوال مكان التوراة واعطاني المبين مكان الانجيل واعطاني
الطواسين مكان الزبور وفضلني بالحواميم والمفصل ما قراهن نبي
قبلي بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى طسم قرا
الاعمش ويحيى وابو بكر والمفضل وحمزة والكسائي وخلف بامالة
الطا مشبعا في هذه السورة وفي اختيها وقرا نافع وابو جعفر
وشيبة والزهري بين اللفظين واختاره ابو عبيد وابو حاتم وقرا
الباقون بالفتح مشبعا قال الثعلبي وهي كلها لغات فصيحة وقد
مضى في طه قول النحاس في هذا قال النحاس النون الساكنة
والتنوين اربعة اقسام عند سيبويه يبينان عند حروف الحلق
ويدغمان عند الرا واللام والميم والواو واليا ويقلبان ميما عند البا
ويكونان من الخيا بيتم اي لا يبينان فعلى هذه الاربعة الاقسام التي
نصها سيبويه لا تجوز هذه القراة لانه ليس ها هنا حرف من حروف
الحلق فتبين النون عنده ولكن في ذلك وجه وهو ان حروف المعجم
حكمها ان يوقف عليها فاذا وقف عليها تبينت النون قال الثعلبي
الادغام اختيار ابي عبيد وابي حاتم قياسا على كل القران وانما
اظهرها اولئك للتبيين والتمكين وادغمها هولا لمجاورتها حروف الفم
قال النحاس وحكى ابو اسحاق في كتابه فيما يجري وما لا يجري
انه يجوز ان يقال طاسين ميم بفتح النون وضم الميم كما يقال هذا
معدي كرب وقال ابو حاتم قراها خالد طاسين ميم ابن عباس طسم
قسم وهو اسم من اسما الله تعالى والمقسم عليه ان نشا ننزل عليهم من
السما اية وقال قتادة اسم من اسما القران اقسم الله به مجاهد هو
اسم للسورة الحسن افتتاح السورة الربيع حساب مدة قوم وقيل
قارعة تحل بقوم وطسم وطس واحد قال • وفاواكما الربيع • اسماه
طسمه • بان تسعدوا والدمع • اسعاه ساجمه • وقال القرظي اقسم
الله بطوله وسنايه وملكه وقال عبد الله بن محمد بن عقيل الطا طور
سينا والسين اسكندرية والميم مكة وقال جعفر بن محمد بن علي الطا
شجرة طوبى والسين سدرة المنتهى والميم محمد المصطفى صلى الله عليه
وسلم وقيل الطا من الطاهر والسين من القدوس وقيل من السميع وقيل
من السلام والميم من المجيد وقيل من الرحيم وقيل من الملك وقد
مضى هذا المعنى في اول البقرة والطواسيم والطواسين سور في
القران جمعت على غير قياس وانشد ابو عبيدة •   •   •

وبالطواسيم التي قد ثلثت • وبالحواميم التي قد سبعت • قال الجوهري والفرا
ان يجمع بذوات ويضاف الي واحد فيقال ذوات طسم وذوات حم قوله
تعالي تلك ايات رفع علي اضمار مبتدا اي هذه تلك ايات الكتاب
المبين التي كنتم وعدتم بها لانهم قد وعدوا في التوراة والانجيل بانزال
القران وقيل تلك بمعني هذه لعلك باخع نفسك اي قاتل نفسك ومهلكها
وقد مضي في الكهف بيانه ان لا يكونوا مومنين اي لتركهم الايمان قال
الفرا ان في موضع نصب لانها جزا قال النحاس وانما يقال ان مكسورة
لانها جزا كذا التعارف والقول في هذا ما قاله ابو اسحاق في كتابه
في القران قال ان في موضع نصب مفعول من اجله والمعني لعلك
قاتل نفسك لتركهم الايمان ان نشا ننزل عليهم من السما اية اي معجزة
ظاهرة وقدرة باهرة فتصير معارفهم ضرورية ولكن سبق القضا بان
تكون المعارف نظرية وقال ابو حمزة الثمالي في هذه الاية بلغني ان
هذه الاية صوت يسمع من السما في النصف من شهر رمضان تخرج به
العواتق من البيوت وتضج له الارض وهذا فيه بعد لان المراد قريش
لا غيرهم فظلت اي فتظل اعناقهم لها خاضعين قال مجاهد اعناقهم
كبراوهم قال النحاس ومعروف في اللغة يقال جاني عنق من الناس
اي روسا منهم ابو زيد والاخفش اعناقهم جماعاتهم يقال جاني عنق من
الناس اي جماعة وقيل انما اراد اصحاب الاعناق فحذف المضاف واقام
المضاف اليه مقامه وقال قتادة المعني لو شا لانزل اية يذلون بها فلا
يلوي احدهم عنقه الي معصية وقال ابن عباس نزلت فينا وفي بني
امية ستكون لنا عليهم الدولة فتذل لنا اعناقهم بعد صعوبة ذكره
الثعلبي والغزنوي فالله اعلم وخاضعين وخاضعة هنا سوا قاله عيسى بن
عمر واختاره المبرد والمعني انها اذا ذلت رقابهم ذلوا فالاخبار عن الرقاب
اخبار عن اصحابها ويسوغ في كلام العرب ان يترك الخبر عن الاول ويخبر
عن الثاني قال الراجز • طول الليالي اسرعت في نقضي • طوين طولي وطوين عرضي
فاخبر عن الليالي وترك الطول وقال جرير اري مر السنين اخذن مني كما
اخذ السرار من الهلال وانما جاز ذلك لانه لو اسقط مر وطول من الكلام
لم يفسد معناه فكذلك رد الفعل الي الكناية في قوله فظلت اعناقهم لانه
لو اسقط الاعناق لما فسد الكلام ولادي ما بقي من الكلام عنه حتي يقول
فظلوا لها خاضعين وعلي هذا اعتمد الفرا وابو عبيد والكسائي يذهب الي ان
المعني خاضعيها هم وهذا خطا عند البصريين والفرا ومثل هذا الحذف لا يقع في

شي من الكلام

شي من الكلام قاله النحاس قوله تعالي وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا
كانوا عنه معرضين تقدم في الانبيا فقد كذبوا اي اعرضوا ومن اعرض عن شي
ولم يقبله فهو تكذيب له فسياتيهم انبا ما كانوا به يستهزءون وعيد لهم اي فسوف
ياتيهم عاقبة ما كذبوا والذي استهزءوا به قوله تعالي اولم يروا الي الارض كم انبتنا فيها من
كل زوج كريم نبه علي عظمته وقدرته وانهم لو راوا بقلوبهم ونظروا ببصائرهم
لعلموا انه الذي يستحق ان يعبد اذ هو القادر علي خلق كل شي والزوج اللون
قاله الفرا وكريم حسن شريف واصل الكرم في اللغة الشرف والفضل فنخلة
كريمة اي فاضلة كثيرة الثمر ورجل كريم شريف فاضل صفوح ونبتت الارض
وانبتت بمعني وقد تقدم في البقرة والله سبحانه وتعالي المخرج للنبات والمنبت
له روي عن الشعبي انه قال الناس من نبات الارض فمن صار منهم الي الجنة فهو كريم
ومن صار الي النار فهو لئيم ان في ذلك لاية اي فيما ذكر من الانبات في الارض لدلالة
علي ان الله قادر لا يعجزه شي وما كان اكثرهم مومنين اي مصدقين لما سبق من علمي
فيهم وكان هنا صلة في قول سيبويه تقديره وما اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز
الرحيم يريد المنيع المنتقم من اعدايه الرحيم باوليايه قوله تعالي واذ نادي ربك
موسي اذ في موضع نصب المعني واتل عليهم اذ نادي ربك موسي ويدل علي هذا
ان بعده واتل عليهم نبا ابراهيم ذكره النحاس وقيل المعني واذكر اذ نادي
كما صرح به في قوله واذكر اخا عاد وقوله واذكر عبادنا ابراهيم وقوله واذكر في
الكتاب مريم وقيل المعني واذ نادي ربك موسي كان كذا وكذا والندا الدعا يا فلان
اي قال ربك يا موسي ان ايت القوم الظالمين ثم اخبر من هم فقال قوم فرعون
الا يتقون فقوم بدل ومعني الا يتقون الا يخافون عقاب الله ونيل
هذا من الايما الي النبي لانه امره ان ياتي القوم الظالمين ودل قوله الا يتقون
علي انهم لا يتقون وعلي انه امرهم بالتقوي وقيل المعني قل لهم الا تتقون
وجا باليا لانهم غيب وقت الخطاب ولو جا بالتا لجاز ومثله قل للذين كفروا
ستغلبون وتحشرون باليا والتا وقد قرا عبيد بن عمير وابو حازم الا تتقون
بتاين اي قل لهم الا تتقون قال رب اي قال موسي رب اني اخاف ان يكذبون
اي في الرسالة والنبوة ويضيق صدري لتكذيبهم اياي وقراة العامة
ويضيق ولا ينطلق بالرفع علي الاستيناف وقرا يعقوب وعيسي بن عمر
وابو حيوة ويضيق ولا ينطلق بالنصب فيهما ردا علي قوله ان يكذبون قال
الكساي القراة بالرفع يعني في يضيق صدري ولا ينطلق لساني من جهتين
احدهما الابتدا والاخر بمعني واني يضيق صدري ولا ينطلق لساني يعني
نسقا علي اني اخاف قال الفرا ويقرا بالنصب حكي ذلك عن الاعرج وطلحة

وعيسى بن عمر وكلاهما وجه قال النحاس الوجه الرفع لان النصب عطف على
يكذبون وهذا بعيد يدل على ذلك قوله واحلل عقدة من لساني يفقهوا
قولي فهذا يدل على ان هذه اكذا ويضيق ولا ينطلق لساني في المحاجة على ما
احب وكان في لسانه عقدة على ما تقدم في طه فارسل الى هارون اي ارسل اليه جبريل
بالوحي واجعله رسولا معي ليوازرني ويظاهرني ويعاونني ولم يذكر هنا ليعينني
لان المعنى كان معلوما وقد صرح به في طه قوله واجعل لي وزيرا وفي القصص ارسله
معي ردا ان يصدقني وكان موسى اذ ذاك في هذا السوال ولم يكن ذلك استعفا
من الرسالة بل طلب من يعينه ففي هذا دليل على ان من لا يستقل بامر ويخاف من
نفسه تقصيرا ان ياخذ من يستعين به عليه ولا يلحقه في ذلك لوم ولهم علي ذنب فاخاف
ان يقتلون الذنب هنا قتل القبطي واسمه فاتور على ما ياتي في القصص بيانه
وقد مضى في طه ذكره وخاف موسى ان يقتلوه به ودل على ان الخوف قد يصحب
الانبيا والفضلا الاوليا مع معرفتهم بالله وان لا فاعل الا هو اذ قد يسلط من
شا على من شا قال كلا اي كلا لن يقتلوك فهو ردع وزجر عن هذا الظن وامر
بالثقة بالله تعالى اي ثق بالله وانزجر عن خوفك منهم فانهم لا يقدرون على
قتلك ولا يقوون عليه فاذهبا اي انت واخوك فقد جعلته رسولا معك باياتنا
اي براهيننا وبالمعجزات وقيل اي مع اياتنا انا معكم يريد نفسه سبحانه
مستمعون اي سامعون ما تقولون وما تجابون وانما اراد بذلك تقوية
قلبهما وانه يعينهما ويحفظهما والاستماع انما يكون بالاصغا ولا يوصف الباري
سبحانه بذلك وقد وصف سبحانه نفسه بانه السميع البصير وقال في طه اسمع
وارى وقال معكم فاجراهما مجرى الجمع لان الاثنين جماعة ويجوز ان يكون
لهما ولمن ارسلا اليه ويجوز ان يكون لجميع بني اسرايل قوله تعالى فاتيا فرعون
فقولا انا رسول رب العالمين قال ابو عبيدة رسول بمعنى رسالة والتقدير
على هذا انا ذوو رسالة رب العالمين قال الهذلي • الكني اليها وخير الرسول اعلمهم
• بنواحي الخبر • وقال اخر • لقد كذب الواشون • ما بحت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول
اخر • الا ابلغ ابا عمرو رسولا • فاني عن فتاحتكم غني • وقال العباس بن مرداس
• الا من مبلغ عني خفافا رسولا • بيت اهلك منتهاها • يعني رسالة فلذلك انثها
قال ابو عبيدة ويجوز ان يكون الرسول في معنى الاثنين والجميع تقول العرب هذا
رسولي ووكيلي وهذان رسولي ووكيلي وهولا رسولي ووكيلي ومنه قوله تعالى
فانهم عدو لي وقيل معناه ان كل واحد منا رسول رب العالمين ان ارسل معنا
بني اسرايل اي اطلقهم وخل سبيلهم حتى يسيروا معنا الى فلسطين ولا تستعبدهم
وكان فرعون استعبدهم اربع مائة سنة وكانوا في ذلك الوقت ست مائة الف

وثلاثون الفا

وثلاثون الفا فانطلقا الى فرعون فقال هاهنا انسان يزعم انه رسول رب
العالمين فقال فرعون ايذن له لعلنا نضحك منه فدخلا عليه واديا الرسالة وروي
وهب وغيره انهما لما دخلا على فرعون وجداه وقد اخرج سباعا من اسد
ونمور وفهود وهو يتفرج عليها فخاف سواسها ان يبطش بموسى وهارون فاسرعوا
اليهما واسرعت السباع الى موسى فاقبلت تلحس اقدامهما وتبصبص اليهما باذنابها
وتلصق خدودها بفخذيهما فعجب فرعون من ذلك فقال ما انتما قالا انا رسول رب العالمين
فعرف موسى لانه نشا في بيته فقال الم نربك فينا وليدا على جهة المن عليه والاحتقار
اي ربيناك صغيرا ولم نقتلك في جملة من قتلنا ولبثت فينا من عمرك سنين فمتى كان هذا
الذي تدعيه ثم قرره بقتل القبطي بقوله وفعلت فعلتك التي فعلت والفعلة بفتح
الفا المرة من الفعل وقرا الشعبي فعلتك بكسر الفا والفتح اولى لانها للمرة
الواحدة والكسر بمعنى الهية والحال اي فعلتك التي تعرف فكيف تدعي مع علمنا
احوالك بان الله ارسلك وقال الشاعر كان مشيتها من بيت جارتها • مر السحابة لا ريث
ولا عجل • ويقال كان ذلك ايام الردة والردة وانت من الكافرين قال الضحاك اي
في قتلك القبطي اذ هو نفس لا يحل قتله وقيل اي بنعمتي التي كانت لنا عليك من
التربية والاحسان اليك قاله ابن زيد الحسن اي من الكافرين في اني الاهك
السدي من الكافرين بالله لانك كنت معنا على ديننا هذا الذي تعيبه وكان
بين خروج موسى عليه السلام من قتل القبطي وبين رجوعه نبيا احد عشر عاما
غير اشهر فقال فعلتها اذا اي فعلت تلك الفعلة يريد قتل القبطي وانا اذ ذاك
من الضالين اي من الجاهلين فنفى عن نفسه الكفر واخبر انه فعل ذلك
على الجهل وكذا قال مجاهد من الضالين من الجاهلين ابن زيد من الجاهلين
بان الوكزة تبلغ القتل وفي مصحف عبد الله من الجاهلين ويقال لمن
جهل شيا ضل عنه وقيل وانا من الضالين من الناسين قاله ابو عبيدة
وقيل وانا من الضالين عن النبوة ولم يات عن الله فيه شي فهم لانا في
النبوة والحكم على الناس وان القتل خطا او في وقت لم يكن فيه شرع
لانبيا في النبوة قوله تعالى ففررت منكم لما خفتكم اي خرجت من بينكم الى مدين
كما في سورة القصص فخرج منها خايفا يترقب وذلك حين القتل فوهب
لي ربي حكما يعني النبوة عن السدي وغيره الزجاج تعليمه التوراة التي
فيها حكم الله وقيل علما وفهما وجعلني من المرسلين قوله تعالى وتلك نعمة
تمنها علي ان عبدت بني اسرايل اختلف الناس في معنى هذا الكلام فقال
السدي والطبري والفرا هذا الكلام من موسى عليه السلام على جهة الاقرار
بالنعمة كانه يقول نعم وتربيتك نعمة علي من حيث عبدت غيري وتركتني لكن

لا ابرفع ذلك رسالتي وقيل هو من موسى على جهة الانكار اي اتمن علي بان ربيتني وليدا وانت قد استعبدت بني اسرائيل وقتلتهم اي ليست بنعمة لان الواجب كان الا تقتلهم ولا تستعبدهم فانهم قومي فكيف تذكر احسانك الي على الخصوص قال معناه قتادة وغيره وقيل فيه تقدير استفهام اي اوتلك نعمة قاله الاخفش والفراء ايضا وانكره النحاس وغيره قال النحاس وهذا لا يجوز لان الف الاستفهام تحدث معنى وحذفها محال الا ان يكون في الكلام ام كما قال الشاعر تروح من الحي ام تبتكر ولا اعلم بين النحويين اختلافا في هذا الا شيا قاله الفرا قال يجوز حذف الف الاستفهام في افعال الشك وحكى ترى زيدا منطلقا بمعنى اترى وكان علي بن سليمان يقول في هذا انما اخذه من الفاظ العامة قال الثعلبي قال الفراء ومن قال انها انكار قال معناه او تلك نعمة على طريق الاستفهام كقوله اهذا ربي افهم الخالدون قال الشاعر • رفوني وقالوا يا خويلد لم ترع • فقلت وانكرت الوجوه هم هم • وانشد الغزنوي شاهدا على ترك الالف قولهم • لم انس يوم الرحيل وقفتنا • وجفنها من دموعها شرق • وقولها والركاب واقفة تتركني هكذا وتنطلق • قال الشيخ رحمه الله ففي هذا حذف الف الاستفهام مع عدم ام خلاف قول النحاس وقال الضحاك ان الكلام خرج مخرج التبكيت والتبكيت يكون باستفهام وبغير استفهام والمعنى لو لم تقتل بني اسرائيل لرباني ابواي فاي نعمة لك علي فانت تمن علي بما لا يجب ان تمن به وقيل معناه كيف تمن علي بالتربية وقد اهنت قومي ومن اهين قومه ذل وان عبدت في موضع رفع على البدل من نعمة ويجوز ان يكون في موضع نصب بمعنى لان عبدت بني اسرائيل اتخذتهم عبيدا يقال عبدته واعبدته بمعنى قاله الفراء وانشد • علام يعبدني قومي وقد كثرت • فيهم اباعر ما شاؤوا وعبدان •

قوله تعالى قال فرعون وما رب العالمين لما غلب موسى فرعون بالحجة ولم يجد اللعين من تقريره على التربية وغير ذلك حجة رجع الى معارضة موسى في قوله رسول رب العالمين فاستفهمه استفهاما عن مجهول من الاشيا قال مكي وغيره كما يستفهم عن الاجناس فلذلك استفهم بما قال مكي وقد ورد له استفهام بمن في موضع اخر ويشبه انها مواطن فاتى موسى بالصفات الدالة على الله من مخلوقاته التي لا يشارك فيها مخلوق وقد سال فرعون عن الجنس ولا جنس لله تعالى لان الاجناس محدثة فعلم موسى جهله فاعرض عن سؤاله واخبر بعظيم قدرة الله تعالى التي تبين للسامع انه لا مشاركة لفرعون فيها فقال فرعون الاشمون على معنى الاغراء والتعجب من سفه المقالة اذ كانت عقيدة القوم ان فرعون ربهم ومعبودهم

والفراعنة قبله

والفراعنة قبلكم كذلك فزاد موسى في البيان بقوله ربكم ورب ابائكم الاولين فجا بدليل يفهمونه عنه لانهم يعلمون انه قد كان لهم اباء وانهم قد فنوا وانه لا بد من مغير وانهم قد كانوا بعد ان لم يكونوا وانهم لا بد لهم من مكون فقال فرعون حينيذ على جهة الاستخفاف ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون اي ليس يجيبني عما اسال فاجابه موسى عليه السلام عن هذا بان قال رب المشرق والمغرب اي ليس ملكه كملكك لانك انما تملك بلدا واحدا لا يجوز امرك في غيره ويموت فيه من لا تحب ان يموت والذي ارسلني يملك المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون وقيل علم موسى عليه السلام ان مقصده في السؤال معرفة من سال عنه فاجاب بما هو الطريق الى معرفة الرب اليوم ثم لما انقطع فرعون لعنه الله في باب الحجة رجع الى الاستعلاء والتغلب فتوعد موسى بالسجن ولم يقل ما دليلك على ان هذا الاله ارسلك لان فيه الاعتراف بان ثم الها غيره وفي توعده بالسجن ضعف وكان فيما يروى يفزع منه فزعا شديدا حتى كان اللعين لا يمسك بوله وروي ان سجنه كان اشد من القتل فكان اذا سجن احدا لم يخرجه من سجنه حتى يموت فكان مخوفا ثم لما كان عند موسى عليه السلام من امر الله تعالى ما لم يزعه قال له على جهة اللطف به والطمع في ايمانه اولو جئتك بشي مبين يتضح لك به صدقي فلما سمع فرعون ذلك طمع ان يجد اثناه موضع معارضة فقال له فات به ان كنت من الصادقين ولم يحتج الشرط الى جواب عند سيبويه لان ما تقدم يكفي منه فالقى موسى عصاه من يده فكان ما اخبر الله من قصته وقد تقدم بيان ذلك وشرحه في الاعراف الى اخر القصة وقول السحرة لما توعدهم فرعون بقطع الايدي والارجل لا ضير اي لا ضرر علينا فيما يلحقنا من عذاب الدنيا اي انما عذابك ساعة فنصبر لها وقد لقينا الله مومنين وهذا يدل على شدة استبصارهم وقوة ايمانهم قال مالك دعا موسى عليه السلام فرعون اربعين سنة الى الاسلام وان السحرة امنوا به في يوم واحد يقال لا ضير ولا ضور ولا ضر ولا ضرر ولا ضار ورة بمعنى واحد قاله الهروي وانشد ابو عبيدة فانك لا يضورك بعد حول اظبي كان امك ام حمار وقال الجوهري ضاره يضوره ويضيره ضيرا وضورا اي ضره قال الكسائي سمعت بعضهم يقول لا ينفعني ذلك ولا يضورني والتضور الصياح والتلوي عند الضرب او الجوع والضورة

بالضم الرجل الحقير الصغير الشان انا الي ربنا منقلبون يريدون
ننقلب الي رب كريم رحيم انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا
اول المومنين ان في موضع نصب اي لان كنا واجاز الفرا كسرها علي
ان تكون مجازاة ومعني اول المومنين اي عند ظهور الاية ممن كان
في جانب فرعون الفرا اول المومنين زماننا وانكره الزجاج وقال
قد روي انه امن معه ستماية الف وسبعون الفا وهم الشرذمة
القليلون الذي قال فيهم فرعون ان هولا لشرذمة قليلون روي
ذلك عن ابن مسعود وغيره **قوله تعالي** واوحينا الي موسي ان اسر
بعبادي انكم متبعون المكان من سنته تعالي في عباده انجا المومنين
المصدقين من اوليايه المعترفين برسالة رسله وانبيايه واهلاك
الكافرين المكذبين لهم من اعدايه امر موسي ان يخرج بني اسرايل
ليلا وسماهم عباده لانهم امنوا بموسي ومعني انكم متبعون اي يتبعكم
فرعون وقومه ليردوكم وفي ضمن هذا الكلام تعريفهم ان الله ينجيهم
منهم فخرج موسي عليه السلام ببني اسرايل سحرا فترك الطريق الي
الشام علي يساره وتوجه نحو البحر فكان الرجل من بني اسرايل يقول
له في ترك الطريق فيقول هكذا امرت فلما اصبح فرعون وعلم بسري
موسي ببني اسرايل خرج في اثرهم وبعث الي مداين مصر لتلحقه
العساكر فروي انه لحقه ومعه ماية الف ادهم من الخيل حاشي
ساير الالوان وروي ان بني اسرايل كانوا ستماية الف وسبعين
الفا والله اعلم بصحته وانما اللازم من الاية الذي يقطع به ان موسي
عليه السلام خرج بجمع عظيم من بني اسرايل وان فرعون تبعه
باضعاف ذلك قال ابن عباس كان مع فرعون الف جبار كلهم عليه
تاج وكلهم امير خيل والشرذمة الجمع القليل المحتقر والجمع الشراذم
قال الجوهري الشرذمة الطايفة من الناس والقطعة من
الشي وثوب شراذم اي قطع وانشد الثعلبي قول الراجز

جا الشتا وقميصي اخلاق ۞ شراذم يضحك منها النواق

النواق من الرجال الذي يروض الامور ويصلحها قال في الصحاح
واللام في قوله لشرذمة لام توكيد وكثيرا ما تدخل في خبر ان الا ان
الكوفيين لا يجيزون ان زيدا لسوف يقوم والدليل علي انه جايز
قوله تعالي فلسوف تعلمون وهذه لام التوكيد بعينها وقد دخلت
علي سوف قاله النحاس وانهم لنا لغايظون اي اغاظونا بمخالفتهم

دينا وذهابهم باموالنا التي استعاروها علي ما تقدم وما تقدم
انكارهم تلك الليلة وقد مضي هذا في الاعراف وطه مستوفي ويقال
غاظني كذا واغاظني والغيظ الغضب ومنه التغيظ والاغتياظ اي
غاظونا بخروجهم من غير اذن وانا لجميع حذرون اي مجتمع مستعد
اخذنا حذرنا واسلحتنا وقرا حاذرون ومعناه معني حذرون
وقيل حاذرون اي علينا السلاح وحذرون اي نرهون خايفون
قال الجوهري وقري وانا لجميع حاذرون وحذرون وحذرون
ايضا بضم الذال حكاه الاخفش ومعني حاذرون متاهبون ومعني
حذرون خايفون قال النحاس حذرون قراة المدنيين وابي عمرو وحاذرون
قراة الكوفة حاذرون وهي معروفة عن عبد الله بن مسعود وابن
عباس وحادرون بالدال غير معجمة قراة ابي عباد وحكاها
المهدوي عن ابن ابي عمار والماوردي والثعلبي عن سميط بن
ابن عجلان قال النحاس ابو عبيدة يذهب الي ان معني حذرون وحاذرون
واحد وهو قول سيبويه واجاز هو حذر زيدا كما يقال حاذر زيدا
وانشد حذر امورا لا تضير وامن ما ليس منجيه من الاقدار
وزعم ابو عمر الجرمي انه يجوز حذر زيدا علي حذف من فاما اكثر
النحويين فيفرقون بين حذر وحاذر منهم الكسايي والفرا ومحمد
ابن يزيد فيذهبون الي ان معني حذر في خلقته الحذر اي متيقظ
متنبه فاذا كان هكذا لم يتعد ومعني حاذر مستعد وبهذا جاء
التفسير عن المتقدمين قال عبد الله بن مسعود في قول الله عز وجل
وانا لجميع حاذرون قال مودون في السلاح والكراع مقوون فهذا
ذلك بعينه وقوله مودون معهم اداة وقد قيل ان المعني معنا
سلاح وليس معهم سلاح يحرضهم علي القتال فاما حادرون بالدال
المهملة فمشتق من قولهم عين حدرة اي ممتلية اي نحن ممتليون
غيظا عليهم ومنه قول الشاعر

وعين لها حدرة بدرة ۞ شقت ماقيهما من اخر

وحكي اهل اللغة انه يقال رجل حادر اذا كان ممتلي اللحم فيجوز ان
يكون المعني الامتلا من السلاح المهدوي الحادر القوي السمين
قوله تعالي فاخرجناهم من جنات وعيون يعني من ارض مصر وعن
عبد الله بن عمرو قال كانت الجنات بحافتي النيل من الشقين جميعا
من اسوان الي رشيد وبين الجنات زروع والنيل سبعة خلجان خليج

الاسكندرية خليج سخا خليج دمياط خليج سردوس خليج منف
خليج الفيوم خليج المنهي متصلة لا ينقطع منها شي على شي والزروع
ما بين الخلجان كلها وكانت ارض مصر كلها تروي من ستة عشر
ذراعا بما قدروا ودبروا من قناطيرها وجسورها وخلجها ولذلك
سمي النيل اذا علق ستة عشر ذراعا نيل السلطان ويخلع على ابن
ابي الرداد وهذه الحال مستمرة الى الان وانما قيل نيل السلطان
لانه حينيذ يجب الخراج على الناس وكانت ارض مصر جميعها بجملة
تروي من اصبع الى واحد من سبعة عشر ذراعا وكانت اذا علق النيل
سبعة عشر ذراعا ونودي عليه اصبعا واحدا من ثمانية عشر ذراعا ازداد
في خراجها الف الف دينار فاذا خرج عن ذلك ونودي عليه اصبعا واحدا
من تسعة عشر ذراعا نقص خراجها الف الف دينار وسبب هذا ما كان
ينصرف في المصالح والخلجان والجسور والاهتمام بعمارتها فاما
الان فان اكثرها لا يروي حتى ينادى اصابع من تسعة عشر ذراعا
بمقياس مصر فاما اعمال الصعيد الاعلى فان بها ما لا يتكامل
ريه الا بعد دخول الما في الذراع الثاني والعشرين بالصعيد الاعلى
قال الشيخ رحمه الله اما ارض مصر فلا تروي جميعها الان الا
من عشرين ذراعا واصابع لعلو الارض وعدم الاهتمام بعمارة
جسورها وهو من عجايب الدنيا وذلك انه يزيد اذا انصب المياه
في جميع الارض حتى يسيح على جميع ارض مصر وتبقى البلاد
كالاعلام لا يوصل اليها الا بالمراكب والقياسات وروي عن عبد
الله بن عمرو بن العاصي انه قال نيل مصر سيد الانهار سخر الله له
كل نهر بين المشرق والمغرب وذلل الله له الانهار فاذا اراد ان
يجري نيل مصر امر كل نهر ان يمده فامدته الانهار بمايها وفجر الله
له عيونا فاذا انتهى الى ما اراد الله عز وجل اوحى الله تبارك وتعالى
الى كل ما ان يرجع الى عنصره وقال قيس ابن الحجاج لما افتتحت
مصر اتى اهلها الى عمرو بن العاصي حين دخل بونه من اشهر
القبط فقالوا له ايها الامير ان لنيلنا هذا سنة لا يجري الا بها
فقال لهم وما ذاك فقالوا اذا كان لاثنتي عشرة ليلة تخلو من هذا
الشهر عمدنا الى جارية بكر بين ابويها ارضينا ابويها وحملنا عليها
من الحلي والثياب افضل ما يكون ثم القيناها في هذا النيل فقال
لهم عمرو هذا لا يكون في الاسلام وان الاسلام ليهدم ما قبله فاقاموا

بونه

بونة وابيب ومسرى لا يجري قليل ولا كثير وهموا بالجلاء فلما راى ذلك
عمرو بن العاصي كتب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاعلمه بالقصة
فكتب اليه عمر بن الخطاب انك قد اصبت بالذي فعلت وان الاسلام
يهدم ما قبله ولا يكون هذا وبعث اليه ببطاقة في داخل كتابه
وكتب الى عمرو اني قد بعثت اليك ببطاقة في داخل كتابي فالقها
في النيل اذا اتاك كتابي فلما قدم كتاب عمر الى عمرو بن العاصي
اخذ البطاقة ففتحها فاذا فيها من عبد الله عمر امير المومنين
الى نيل مصر اما بعد فان كنت انما تجري من قبلك فلا تجر وان كان
الله الواحد القهار هو الذي يجريك فنسال الله الواحد القهار ان
يجريك قال فالقى البطاقة في النيل قبل الصليب بيوم وقد تهيا
اهل مصر للجلاء والخروج منها لانه لا تقوم مصلحتهم فيها الا بالنيل فلما
القى البطاقة في النيل اصبحوا يوم الصليب وقد اجراه الله تبارك وتعالى
في ليلة واحدة ستة عشر ذراعا وقطع الله تلك السيرة عن اهل
مصر من تلك السنة وقال كعب الاحبار اربعة انهار من الجنة وضعها
الله في الدنيا سيحان وجيحان والنيل والفرات فسيحان نهر الما
في الجنة وجيحان نهر اللبن في الجنة والنيل نهر العسل في الجنة
والفرات نهر الخمر في الجنة وقال ابن لهيعة الدجلة نهر اللبن
في الجنة قال الشيخ رحمه الله الذي في الصحيح من هذا حديث ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيحان
وجيحان والنيل والفرات كل من انهار الجنة لفظ مسلم وفي
حديث الاسرا من حديث انس عن مالك بن صعصعة عن رجل
من قومه قال وحدث نبي الله صلى الله عليه وسلم انه راى
اربعة انهار يخرج من اصلها نهران ظاهران ونهران باطنان
فقلت يا جبريل ما هذه الانهار قال اما النهران الباطنان
فنهران في الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات لفظ مسلم
وقال البخاري من طريق شريك عن انس فاذا هو في السما
الدنيا بنهرين يطردان فقال ما هذان النهران يا جبريل
قال هذا النيل والفرات عنصرهما ثم مضى في السما فاذا هو بنهر
اخر عليه قصر من لولو وزبرجد فضرب بيده فاذا هو مسك
اذفر فقال ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي خبا لك ربك وذكر
الحديث والجمهور على ان المراد بالعيون عيون الما وقال سعيد بن جبير

المراد عيون الذهب وفي الدخان كم تركوا من جنات وعيون
وزروع قيل انهم كانوا يزرعوا ما بين الجبلين من اول مصر الي
اخرها وليس في الدخان وكنوز جمع كنز وقد مضي في براة ه
والمراد بها هنا الخزاين وقيل الدفاين وقال الضحاك الانهار وفيه
نظر لان العيون تشملها ومقام كريم قال ابن عمر وابن عباس ومجاهد
المقام الكريم المنابر وكانت الف منبر لالف جبار يعظمون عليها
فرعون وملكه وقيل مجالس الروسا والامرا حكاه ابن عيسي
وهو قريب من الاول وقال سعيد بن جبير المنازل الحسان
وقال ابن لهيعة سمعت ان المقام الكريم الفيوم وقيل
كان يوسف عليه السلام قد كتب علي مجالس من مجالسه ه
لا اله الا الله وابراهيم خليل الله فسماها الله كريمة بهذا وقيل
مرابط الخيل لتفرد الزعما بارتباطها عدة وزينة
فصار مقامها اكرم منزول ذكره الماوردي والاظهر
انها المساكن الحسان كانت تكرم عليهم والمقام في اللغة
يكون الموضع ويكون مصدر النحاس المقام في اللغة الموضع
من قولك قام يقوم وكذلك المقامات واحدها مقامه
كما قال

وفيهم مقامات حسان وجوهها واندية ينتابها القول والفعل
والمقام ايضا المصدر من قام والمقام بالضم الموضع من
اقام والمصدر ايضا من اقام يقيم قوله تعالى
كذلك واورثناها بني اسرايل يريد ان جميع ما ذكره الله
من الجنات والعيون والكنوز والمقام الكريم اورثه الله ه
بني اسرايل قال الحسن وغيره رجع بنو اسرايل الي
مصر بعد هلاك فرعون وقومه وقيل المراد بالوراثة
هنا ما استفادوا من حلي ال فرعون بامر الله تعالي قال
الشيخ رحمه الله وكلا الامرين حصل لهم والحمد لله فاتبعوهم
مشرقين اي فتبع فرعون وقومه بني اسرايل قال السدي
حين اشرقت الشمس بالشعاع وقال قتادة حين اشرقت ه
الارض بالضيا قال الزجاج يقال شرقت الشمس اذا طلعت ه
واشرقت اذا اضاءت واختلف في تاخر فرعون عن موسي وبني
اسرايل علي قولين احدهما لانشغالهم بدفن ابكارهم لان الوبا في

تلك الليل

تلك الليلة ووقع فيهم فقوله مشرقين حال لقوم فرعون التالي
ان سحابة اظلتهم وظلمة فقالوا نحن بعد في الليل فما تقشعت
عنهم حتي اصبحوا وقال ابو عبيدة معني فاتبعوهم مشرقين ه
ناحية المشرق وقرا الحسن وعمرو بن ميمون فاتبعوهم مشرقين
بالتشديد والف الوصل اي نحو المشرق ماخوذ من قولهم شرق
وغرب اذا سار نحو المشرق والمغرب ومعني الكلام قدرنا ان
يرثها بني اسرايل فاتبع قوم فرعون بني اسرايل مشرقين
فهلكوا وورث بنوا اسرايل بلادهم قوله تعالي فلما
تري الجمعان اي تقابلا الجمعان بحيث يري كل فريق صاحبه
وهو تفاعل من الروية قال اصحاب موسي انا لمدركون اي
قرب منا العدو ولا طاقة لنا بهم وقرا الجماعة لمدركون ه
بالتخفيف من ادرك ومنه حتي اذا ادركه الغرق وقرا عبيد بن
عمير والاعرج والزهري لمدركون بتشديد الدال من ادرك قال
حفروا واحتفروا بمعني واحد وكذلك لمدركون ولمدركون بمعني
واحد النحاس وليس كذلك يقول النحويون الحذاق انما يقولون
مدركون ملحقون ومدركون مجتهد في لحاقهم كما يقال كسبت بمعني
اصبت وظفرت واكتسبت بمعني اجتهدت وطلبت وهذا معني قول
سيبويه قوله تعالي كلا ان معي ربي سيهدين لما لحق فرعون بجمعه
جمع موسي وقرب منهم ورات بنو اسرايل العدو القوي والبحر
امامهم ساءت ظنونهم وقالوا لموسي علي جهة التوبيخ انا لمدركون
فرد عليهم قولهم وزجرهم وذكرهم وعد الله سبحانه له بالهداية
والظفر كلا اي لم يدركوكم ان معي ربي بالنصر علي العدو سيهدين
اي سيدلني علي طريق النجاة فلما عظم البلا علي بني اسرايل وراوا من
الجيوش ما لا طاقة لهم بها امر الله تعالي موسي ان يضرب
البحر بعصاه ه وذلك انه عز وجل اراد ان تكون الاية متصلة بموسي
ومتعلقة بفعل يفعله والا فضرب العصا ليس بفارق للبحر ولا
معين علي ذلك بذاته الا بما اقترن به من قدرة الله تعالي واختراعه
وقد مضي في البقرة قصة هذا البحر ولما انفلق صار فيه اثنا عشر
طريقا علي عدد اسباط بني اسرايل ووقف الما بينها كالطود ه
العظيم اي الجبل العظيم والطود الجبل وقال امرؤ القيس
فبينا المرء في الاحيا طود رماه الناس عن كثب فمالا وقال الاسود

ابن نميلر حلوا بالبقرة يسيل عليهم ما الرزاة بحيى من اطواد
جمع طواد في اي جبل فصنا لموسي واصحابه طريقا في البحر
يبسا فلما خرج اصحاب موسي وتكامل اخر اصحاب فرعون
عليهما تقدم في يونس انطبق عليهم وغرق فرعون فقال
بعض اصحاب موسي ما غرق فرعون فنبذ علي ساحل البحر
حتي نظروا اليه وروي ابن القاسم عن مالك قال خرج مع موسي
عليه السلام رجلان من التجار الي البحر فلما اتوا اليه قالا له بما
امرالله قال امرت ان اضرب البحر بعصاي هذه فيجف فقالا لا
له افعل ما امرك ربك فلن يخلفك ثم القيا انفسهما في البحر تصديقا
له فما زال كذلك البحر حتي دخل فرعون ومن معه ثم ارتد كما
كان وقد مضي هذا المعني في البقرة قوله تعالى وازلفنا ثم
الاخرين اي قربناهم الي البحر يعني فرعون وقومه قال ابن
عباس وغيره قال الشاعر •

• وكل يوم مضي او ليلة سلفت • فيها النفوس الي الاجال تزدلف •

ابو عبيدة ازلفنا جمعنا ومنه قيل لليلة المزدلفة ليلة جمع وقرا
عبدالله بن الحارث وابي ابن كعب وابن عباس وازلقنا بالقاف
علي معنا اهلكناهم من قولهم ازلقت الفرس فهي مزلقة
اذا القت ولدها وانجينا موسي ومن معه اجمعين ثم اغرقنا
الاخرين يعني فرعون وقومه ان في ذلك لاية اي علامة
علي قدرة الله تعالي وما كان اكثرهم مومنين لانه لم يومن
من قوم فرعون الا مومن ال فرعون واسمه حزقيل وابنته اسيه
امراة فرعون ومريم بنت داموسا العجوز التي دلت علي قبر يوسف
الصديق عليه السلام وذلك ان موسي صلي الله عليه وسلم
لما خرج ببني اسرايل من مصر اظلم عليهم القمر فقال لقومه ما هذا
فقال علماوهم ان يوسف عليه السلام لما حضره الموت اخذ علينا موثقا
من الله ان لا نخرج من مصر حتي ننقل عظامه معنا قال موسي فايكم
يدري اين قبره قالوا ما يعلمه الا عجوز لبني اسرايل فارسل اليها
فقال دليني علي قبر يوسف قالت لا والله لا افعل حتي تعطيني
حكمي قال وما حكمك قال حكمي ان اكون معك في الجنة فثقل عليه
فقيل له اعطها حكمها فدلتهم عليه فاحتفروا واستخرجوا عظامه
فلما اقلوها فاذا الطريق مثل ضوء النهار في رواية فاوحي الله اليه

ان اعطها ففعل فاتت بهم الي بحيرة فقالت انضبوا هذا الما
واستخرجوا عظام يوسف صلي الله عليه وسلم فتبينت لهم الطريق مثل
ضوء النهار وقد مضي في يوسف وروي ابو بردة عن ابي موسي
ان رسول الله صلي الله عليه وسلم نزل باعرابي فاكرمه
فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم حاجتك قال ناقة
ارحلها واعنز احلبها فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم فلم
عجزت ان تكون مثل عجوز بني اسرايل فقال اصحابه وما عجوز
بني اسرايل فذكر لهم حال هذه العجوز التي احتكمت علي موسي
ان تكون معه في الجنة قوله تعالى واتل عليهم نبا ابراهيم نبه
المشركين علي فرط جهلهم اذ رغبوا عن اعتقاد ابراهيم ودينه
وهو ابوهم والنبا الخبر اي اقصص عليهم يا محمد خبره وحديثه
وعيبه علي قومه ما يعبدون وانما قال ذلك ملزما لهم
الحجة والجمهور من القرا علي تحقيق الهمزة الثانية وهو
احسن الوجوه لانهم قد اجمعوا علي تخفيف الثانية من كلمة
واحدة نحو ادم وان شئت حققتهما فقلت نبا ابراهيم وان
شئت خففتهما فقلت نبا ابراهيم وان شئت خففت الاولي
وثم وجه خامس الا انه بعيد في العربية وهو ان تدغم الهمزة
في الهمزة كما يقال راس للذي يبيع الروس وانما بعد لانك
تجمع بين همزتين كانهما في كلمة واحدة وحسن في فعال لانه لا
يا تي الا مدغما اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون اي اي شي
تعبدون قالوا نعبد اصناما وكانت اصنامهم من ذهب وفضة
ونحاس وحديد وخشب فنظل لها عاكفين اي فنقيم علي
عبادتها وليس المراد وقتا معينا بل هو اخبار عما هم فيه وقيل
كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل وكانوا في الليل يعبدون
الكواكب فيقال ظل يفعل كذا اذا فعل نهارا وبات يفعل كذا
اذا فعله ليلا قال هل يسمعونكم قال الاخفش فيه حذف
والمعني هل يسمعون منكم او هل يسمعون دعاكم كما قال •

• القايد الخيل منكوبا دوابرها • قد احكمت حكمات القد والابقا •

قال والابق الكتان فحذف والمعني وحكمت حكمات الابق وفي
الصحاح والابق بالتحريك القنب وروي عن قتادة انه قرا هل يسمعونكم
بضم اليا اي هل يسمعونكم اصواتهم اذ تدعون او ينفعونكم او يضرون

اي هل تنفعكم هذه الاصنام وترزقكم او تملك لكم ضرا ان عصيتم وهذا
استفهام لتقرير الحجة فاذا لم ينفعوا ولم يضروا فما معني عبادتكم لها
قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون فزعوا الي التقليد من غير حجة ولا
دليل وقد مضي القول فيه قال ابراهيم افرايتم ما كنتم تعبدون من
هذه الاصنام انتم واباوكم الاقدمون الاولون فانهم عدو لي واحد يوذي
عن جماعة وكذلك يقال للمراة هي عدو الله وعدوة الله حكاهما
الفرا قال علي بن سليمان قال عدوة الله فاثبت الها قال هي
بمعني معادية ومن قال عدو للمونث والجميع جعله بمعني النسب
ووصف الجماد بالعداوة بمعني انهم عدو لي ان عبدتهم يوم القيامة
كما قال كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا وقال الزاهد
من المقلوب مجازه فاني عدو لهم لان من عاديته عاداك ثم قال
الا رب العالمين قال الكلبي اي الا من عبد رب العالمين الا عابد
رب العالمين فحذف قال ابو اسحاق الزجاج قال النحويون هذا
استثنا من الاول واجاز ابو اسحاق ان يكون من الاول علي انهم كانوا
يعبدون الله عز وجل ويعبدون معه الاصنام فاعلمهم انه تبرا
مما يعبدون الا الله وتاوله الفرا علي الاصنام وحدها والمعني عنده
فانهم لو عبدتهم عدو لي يوم القيامة علي ما ذكرنا وقال الجرجاني
تقدير افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباوكم الاقدمون الا رب العالمين
فانهم عدو لي والا بمعني دون وسوي كقوله لا يذوقون فيها الموت
الا الموتة الاولي اي دون الاولي الموتة الاولي قوله تعالي الذي خلقني
فهو يهدين اي يرشدني الي الدين والذي هو يطعمني ويسقين
اي يرزقني ودخول هو تنبيه علي ان غيره لا يطعم ولا يسقي كما تقول
زيد هو الذي فعل كذا اي لم يفعله غيره واذا مرضت فهو يشفين ه
قال مرضت رعاية للادب والا فالمرض والشفا من الله عز وجل والشفا
من الله عز وجل جميعا ونظيره هذا قول فتي موسي وما انسانيه الا الشيطان
والذي يميتني ثم يحيين يريد البعث وكانوا ينسبون الموت الي الاسباب
فبين ان الله هو الذي يميت ويحيي وكله بغير يا يهدين يشفين
لان الحذف في رووس الاي حسن لتتفق كلها وقد قرا ابن ابي اسحاق
علي جلالته ومحله من العربية هذه كلها باليا لان اليا اسم وانما
دخلت النون لعلة فان قيل في هذه صفة لجميع الخلق فكيف جعلها
ابراهيم دليلا علي هدايته ولم يهتد بها غيره قال الشيخ قيل انما

ذكرها

ذكرها احتجاجا علي وجوب الطاعة لان من انعم وجب ان يطاع
ولا يعصي ليلتزم غيره من الطاعة ما قد التزمها وهذا
الزام صحيح قال الشيخ رحمه الله وتجوز بعض الاشارات
في غوامض المعاني فعدل عن ظاهر ما ذكرناه الي ما تدفعه
بداية المعقول انه ليس المراد من ابراهيم فقال والذي هو يطعمني
ويسقين اي يطعمني لذة الايمان ويسقيني حلاوة القبول ولهم
في قوله واذا مرضت فهو يشفين وجهان احدهما اذا مرضت
بمخالفته شفاني برحمته الثاني اذا مرضت بمقاساة الخلق
شفاني بمشاهدة الحق وقال جعفر بن محمد الصادق وتاولوا قوله
والذي يميتني ثم يحيين علي ثلاثة اوجه فالذي يميتني بالمعاصي
يحييني بالطاعات الثاني يميتني بالخوف ويحييني بالرجا الثالث
يميتني بالطمع ويحييني بالقناعة وقول رابع يميتني بالعدل
ويحييني بالفضل وقول خامس يميتني بالفراق ويحييني بالتلاق
وقول سادس يميتني بالجهل ويحييني بالعقل الي غير ذلك مما ليس
شي منه مرادا من الاية فان هذه التاويلات الغامضة والامور
الباطنة انما تكون لمن صدق وعرف الحق واما من كان في عمي
عن الحق ولا يعرف الحق فكيف ترد له الامور الباطنة وتترك
الامور الظاهرة وهذا محال والله اعلم قوله تعالي والذي اطمع ان يغفر لي
خطيئتي يوم الدين اطمع اي ارجوا وقيل هو بمعني اليقين في حقه وبمعني الرجا
في حق المومنين سواه وقرا الحسن وابن ابي اسحاق خطاياي وقال ليست
خطيئته واحده قال النحاس خطيئة بمعني خطايا معروف في كلام العرب
وقد اجمعوا علي التوحيد في قوله عز وجل فاعترفوا بذنوبهم وكذا واقيموا
الصلاة معناه الصلوات فكذا خطيئتي ان كانت خطايا والله اعلم قال
مجاهد يعني بخطيئته قوله بل فعله كبيرهم هذا فاسالوهم وقوله اني
سقيم وقوله ان سارة اخته زاد الحسن وقوله للكوكب هذا ربي وقد
مضي بيان هذا مستوفي وقال الزجاج الانبيا بشر فيجوز ان تقع
منهم الخطيئة نعم لا تجري عليهم الكباير لانهم معصومون عنها يوم الدين
يوم الجزا حيث يجازي العباد باعمالهم وهذا من ابراهيم اظهار للعبودية
وان كان يعلم انه مغفور له وفي صحيح مسلم عن عايشة قلت يا رسول الله
ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه قال
لا ينفعه انه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين قوله تعالي رب هب

حكما والحقني بالصالحين حكما معرفة بك وبحدودك واحكامك قاله
ابن عباس وقال مقاتل فهما وعلما وهو راجع الي الاول وقال الكلبي
نبوة ورسالة الي الخلق والحقني بالصالحين اي بالنبيين من قبلي
في الدرجة وقال ابن عباس باهل الجنة وهو تاكيد قوله هب لي حكما
قوله تعالى واجعل لي لسان صدق في الاخرين قال ابن عباس
هو اجتماع الامم عليه وقال مجاهد الثنا الحسن قال ابن عطية هو الثنا
وخلد المكانة باجماع من المفسرين وكذلك اجاب الله دعوته وكل امة تتمسك
به وتعظمه وهو علي الحنيفية التي جا بها محمد صلى الله عليه وسلم قال مكي
وقيل معناه سوال ان يكون من ذريته في اخر الزمان من يقوم بالحق
فاجيبت الدعوة في محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عطية وهذا معنى
حسن الا ان لفظ الاية لا يعطيه الا بتحكم علي اللفظ وقال القشيري
اراد الدعا الحسن الي قيام الساعة فان زيادة الثواب مطلوبة في حق كل احد
قال الشيخ رحمه وقد فعل الله ذلك اذ ليس احد يصلي علي النبي صلى الله عليه وسلم
الا وهو يصلي علي ابراهيم وخاصة في الصلوات وعلي المنابر التي هي افضل
الاوقات وارفع المقامات والصلاة دعا بالرحمة والمراد باللسان القول واصله
جارحة الكلام قال القتيبي وضع اللسان موضع القول علي الاستعارة وقد
تكني العرب بها علي الكلمة قال الاعشي: اني اتتني لسان لا اسر بها من علو
لا عجب منها ولا سخر. قال الجوهري من علو بضم الواو وفتحها وكسرها اي
اتاني خبر من اعلي والثانية للكلمة وكان قد اتاه خبر مقتل اخيه المنتشر
الثانية روى اشهب عن مالك قال قال الله عز وجل واجعل لي لسان صدق
في الاخرين لا باس ان يحب الرجل ان يثني عليه صالحا ويرى في عمل الصالحين
اذا قصد به وجه الله تعالى وقد قال الله تعالى والقيت عليك محبة مني
وقال ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا اي حبا في قلوب
عباده وثنا حسنا فنبه تعالى بقوله واجعل لي لسان صدق في الاخرين
علي استحباب ما يورث الذكر الجميل الليث ابن سليمان اذهى الحياة الثانية
قيل قد مات قوم وهم في الناس احيا قال ابن العربي قال المحققون من شيوخ
الزهد في هذا دليل علي الترغيب في العمل الصالح الذي يكسب الثنا الحسن
قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث وفي
رواية انه كذلك في الغرس والزرع وكذلك فيمن مات مرابطا يكتب له عمله
الي يوم القيامة وقد بيناه في اخر ال عمران والحمد لله قوله تعالى واجعلني
من ورثة جنة النعيم دعا بالجنة وبمن يرثها وهو يرد قول بعضهم لا اسال

جنة ولا نارا قوله تعالى واغفر لابي انه كان من الضالين كان ابوه وعده
في الظاهر انه يومن به فاستغفر له لهذا فلما بان انه لا يفي بما قال
تبرا منه وقد تقدم هذا المعنى انه كان من الضالين اي من المشركين كان
زائدة ولا تخزني يوم يبعثون اي لا تفضحني علي رؤوس الاشهاد او
لا تعذبني يوم القيامة وفي البخاري عن ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال ان ابراهيم يرى اباه يوم القيامة عليه الغبرة والقترة
الغبرة هي القترة وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يلقى
ابراهيم اباه فيقول يا رب انك وعدتني ان لا تخزيني يوم يبعثون
فيقول الله تعالى اني حرمت الجنة علي الكافرين انفرد بهما البخاري
رحمه الله قوله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون يوم بدل من يوم
الاول اي يوم لا ينفع مال ولا بنون احدا والمراد بقوله ولا بنون
الاعوان لان الابن اذا لم ينفع فغيره متى ينفع وقيل ذكر البنين لانه
جرى ذكر والد ابراهيم اي لم ينفعه ابراهيم الا من اتى الله بقلب سليم
هو استثنا من الكافر الذي لا ينفعه ماله ولا بنوه وقيل هو استثنا
من غير الجنس اي لكن من اتى الله بقلب سليم ينفعه لسلامة قلبه
وخص القلب بالذكر لانه الذي اذا سلم سلمت الجوارح واذا فسدت
فسدت سائر الجوارح وقد تقدم في اول البقرة واختلف في القلب
السليم فقيل من الشرك والشك فاما الذنوب فليس يسلم منها
احد قاله قتادة وابن زيد واكثر المفسرين وقال سعيد بن
المسيب القلب السليم الصحيح وهو قلب المومن لان قلب الكافر
والمنافق مريض قال الله تعالى في قلوبهم مرض وقال ابو عثمان
السياري هو القلب الخالي عن البدعة المطمين الي السنة وقال
الحسين سليم من افة المال والبنين وقال الجنيد السليم في اللغة
اللديغ فمعناه انه قلب كاللديغ من خوف الله وقال الضحاك السليم
الخالص قال الشيخ رحمه الله وهذا القول يجمع شتات الاقوال
بعمومه وهو حسن اي الخالص من الاوصاف الذميمة والمتصف
بالاوصاف الجميلة والله اعلم وقد روي عن عروة انه قال يا بني
لا تكونوا لعانين فان ابراهيم لم يلعن شيا قط قال الله تعالى
اذ جا ربه بقلب سليم وقال محمد بن سيرين القلب السليم ان يعلم
ان الله حق وان الساعة قايمة وان الله يبعث من في القبور
وفي صحيح مسلم من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم

قال يدخل الجنة اقوام افيدتهم مثل افيدة الطير يريد والله اعلم انها مثلها في انها خالية
من كل ذنب سليمة من كل عيب لا خبرة لهم بامور الدنيا كما روي انس بن مالك قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اكثر اهل الجنة البله وهو حديث صحيح اي البله عن معاصي الله
قال الازهري الابله هنا هو الذي طبع على الخير وهو غافل عن الشر لا يعرفه وقال القتبي البله
هم الذين غلبت عليهم سلامة الصدور وحسن الظن بالناس **قوله تعالى** وازلفت الجنة للمتقين
اي قربت وادنيت ليدخلوها وقال الزجاج قرب دخولهم اليها ونظرهم اياها وبرزت
اي اظهرت الجحيم يعني جهنم للغاوين اي الكافرين الذين ضلوا عن الهدى اي تظهر جهنم
لاهلها قبل ان يدخلوها حتى يستشعروا الروع والحزن كما يستشعر اهل الجنة الفرح لعلمهم
انهم يدخلون الجنة وقيل لهم اين ما كنتم تعبدون من دون الله من الاصنام والانداد
هل ينصرونكم من عذاب الله او ينتصرون لانفسهم وهذا كله توبيخ فكبكبوا فيها اي قلبوا على رؤوسهم
وقيل دهوروا والقي بعضهم على بعض وقيل جمعوا ماخوذ من الكبكبة وهي الجماعة قاله
الهروي وقال النحاس هو مشتق من كوكب الشي اي معظمه والجماعة من الخيل كوكب وكبكبة
وقال ابن عباس جمعوا فطرحوا في النار وقال مجاهد دهدهوا وقال مقاتل قذفوا
والمعنى واحد تقول دهورت الشي اذا جمعته ثم قذفته في مهواة يقال هو يدهور اللقم
اذا كبرها ويقال في الدعا كبكب الله عدو المسلمين ولا يقال اكبه وكبكبه اي كبه وقلبه ومنه
قوله تعالى فكبكبوا فيها والاصل كببوا فابدل من البا الوسطى كاف استثقالا لاجتماع
البآت قال السدي الضمير في كبكبوا لمشركي قريش والغاوون الالهة وجنود ابليس
من كان من ذريته وقيل كل من دعاه الى عبادة الاصنام فاتبعه وقال قتادة والكلبي
ومقاتل الغاوون هم الشياطين وقيل انما تلقى الاصنام في النار وهي حديد ونحاس ليعذب
بها غيرهم قالوا وهم فيها يختصمون يعني الانس والشياطين والغاوين والمعبودين اختصموا
حينيذ تالله ان كنا لفي ضلال مبين اي في خسارة وتبار وحيرة عن الحق
بينة اذ اتخذنا مع الله الهة فعبدناها كما يعبد وهذا معنى قوله اذ نسويكم برب
العالمين اي في العبادة وانتم لا تستطيعون الان نصرنا ولا نصر انفسكم وما اضلنا الا المجرمون
يعني الشياطين الذين زينوا لنا عبادة الاصنام وقيل اسلافنا الذين قلدناهم قال ابو
العالية وعكرمة المجرمون ابليس وابن ادم القاتل هما اول من سن الكفر والقتل
وانواع المعاصي فما لنا من شافعين اي شفعا يشفعون لنا من الملايكة والنبيين
والمومنين ولا صديق حميم اي صديق مشفق وكان علي رضي الله عنه يقول عليكم بالاخوان
فانهم عدة الدنيا وعدة الاخرة الا تسمع الى قول اهل النار فما لنا من شافعين ولا صديق حميم
الزمخشري وجمع الشافع لكثرة الشفعا ووحد الصديق لقلته الا ترى ان الرجل اذا امتحن
بارهاق ظالم نهضت جماعة وافرة من اهل بلده لشفاعته رحمة له وحسبة وان لم
يسبق له باكثرهم معرفة واما الصديق فهو الصادق في ودادك الذي يهمه ما اهمك فاعز

من بيض

من بيض الانوق وعن بعض الحكما انه سيل عن الصديق فقال اسم لا معنى
له وقد يجوز ان يريد بالصديق الجمع والحميم القريب الخاص ومنه حامة الرجل
اي اقرباؤه واصل هذا من الحميم وهو الما الحار ومنه الحمام والحمى فحامة الرجل
الذين يحرقهم ما احرقه كما يقال يهمهم ما اهمه اي يحزنهم ما يحزنه ويقال حم
الشي واحم اذا قرب ومنه الحمى لانها تقرب من الاجل وقال علي بن عيسى
انما سمي القريب حميما لانه يحمى لغضب صاحبه فجعله ماخوذا من الحمية
وقال قتادة يذهب الله عز وجل يوم القيامة مودة الصديق ورقة
الحميم ويجوز ولا صديق حميم بالرفع على موضع من شافعين لان من شافعين
في موضع رفع وجمع صديق اصدقا وصدقا وصداق ولا يقال صدق للفرق
بين النعت وغيره وحكى الكوفيون انه يقال في جمعه صدقان النحاس
وهذا بعيد لان هذا جمع ما ليس بنعت نحو رغيف ورغفان وحكوا ايضا
صديق واصادق وافاعل انما هو جمع افعل اذا لم يكن نعتا نحو اشجع
واشاجع ويقال صديق للواحد وللجماعة وللمراة قال الشاعر •
• نصبن الهوى ثم ارتمين قلوبنا • باعين اعدا وهن صديق • ويقال
فلان صديقي اي اخص اصدقايي وانما يصغر على جهة المدح كقول
حباب بن المنذر • انا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب • ذكره الجوهري
النحاس وجمع حميم احما واحمة وكره احمة لان فيه التضعيف فلو ان لنا
كرة ان في موضع رفع المعنى فلو وقع لنا رجوع الى الدنيا لامنا حتى
يكون لنا شفعا تمنوا حين لا ينفعهم التمني وانما قالوا ذلك حين تشفع
الملايكة والمومنون قال جابر بن عبد الله قال النبي صلى الله
عليه وسلم ان الرجل ليقول في الجنة ما فعل فلان وصديقه في الجحيم
فلا يزال يشفع له حتى يشفعه الله فيه فاذا نجا قال المشركون ما لنا
من شافعين ولا صديق حميم وقال الحسن ما اجتمع ملا على ذكر الله
فيهم عبد من اهل الجنة الا شفعه الله فيهم وان اهل الايمان ليشفع
بعضهم في بعض وهم عند الله شافعون مشفعون وقال
كعب ان الرجلين كانا صديقين في الدنيا فمر احدهما بصاحبه
وهو يجر الى النار فيقول له اخوه والله ما بقي لي الا حسنة انجوا
بها خذها انت يا اخي فتنجوا بها مما ارى وابقى انا واياك من اصحاب
الاعراف قال فيامر الله بهما جميعا فيدخلان الجنة ان في ذلك لاية
وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم تقدم والحمد لله
قوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين قال كذبت والقوم مذكر لانه

المعنى كذبت جماعة قوم نوح وقال المرسلين لان من كذب
رسولا فقد كذب الرسل لان كل رسول يامر بتصديق جميع الرسل
وقيل كذبوا نوحا في النبوة وفيما اخبرهم به من مجي المرسلين
بعده وقيل ذكر الجنس والمراد نوح وقد مضى هذا في
الفرقان اذ قال لهم اخوهم نوح اي ابن ابيهم وهي اخوة نسب
لا اخوة دين وقيل هي اخوة المجانسة قال الله تعالى وما ارسلنا
من رسول الا بلسان قومه وقد مضى هذا في الاعراف وقيل هو من قول
العرب يا اخا بني تميم يريدون يا واحدا منهم الزمخشري ومنه بيت
الحماسة • لا يسالون اخاهم حين يندبهم • في النائبات على ما قال برهانا
الا تتقون الا تتقون الله في عبادة الاصنام اني لكم رسول امين
اي صادق فيما ابلغكم عن الله تعالى وقيل امين فيما بينكم فانهم كانوا
عرفوا امانته وصدقه من قبل كمحمد صلى الله عليه وسلم في قريش فاتقوا
الله اي استتروا بطاعة الله من عقابه واطيعون فيما امركم به من الايمان
وما اسالكم عليه من اجر اي لا طمع لي في مالكم ان اجري اي ما جزاي الا
على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون كرر تاكيدا قوله تعالى
قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون فيه مسالتان الاولى قوله تعالى
انؤمن لك اي نصدق قولك واتبعك الارذلون الواو للحال وفيه
اضمار قد اي وقد اتبعك الارذلون جمع الارذل والمكسر اراذل
والانثى الرذلى والجمع الرذل قال النحاس ولا يجوز حذف الالف واللام
في شي من هذا عند احد من النحويين علمناه وقرا ابن مسعود والضحاك
ويعقوب الحضرمي وغيرهم واتباعك الارذلون قال النحاس وهي قراءة
حسنة وهذه الواو اكثرها تتبعها الاسماء والافعال بقد واتباع له
جمع تبع وتبع يكون للواحد والجمع قال الشاعر •
• له تبع قد يعلم الناس انه • على من يداني صيف وربيع •
وارتفاع اتباعك يجوز ان يكون بالابتداء والارذلون الخبر [illegible]
التقدير انؤمن لك وانما اتباعك الارذلون ويجوز ان يكون معطوفا
على الضمير في انؤمن لك التقدير انؤمن لك نحن واتباعك الارذلون فنعد
منهم وحسن ذلك الفصل بقوله لك وقد مضى القول في الاراذل في هود
مستوفى ونزيده هنا بيانا وهي المسالة الثانية فقيل ان
الذي امن به بنوه ونساؤه وكنائنه وبنو ابنه واختلف هل كان معهم
غيرهم ام لا وعلى اي الوجهين كان فالكل صالحون وقد قال نوح

رب نجني

رب نجني ومن معي من المؤمنين والذين معه هم الذين اتبعوه
ولا يلحقهم من خول الكفرة شين ولا ذم بل الارذلون هم
المكذبون لهم قال السهيلي وقد اغرى كثير من العوام بمقالة
رويت في تفسير هذه الاية هم الحاكة والحجامون ولو كانوا
حاكة كما زعموا لكان ايمانهم بنبي الله واتباعهم له مشرفا
لهم كما تشرف بلال وسلمان بسبقهما للاسلام فهما من وجوه
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن اكابرهم فلا ذرية نوح
كانوا حاكة ولا حجامين ولا قول الكفرة في الحاكة والحجامين
ان كانوا امنوا بهم ارذلون ما يلحق اليوم بحاكتنا ذما ولا نقصا
لان هذه حكاية عن قول الكفرة الا ان يجعل الكفرة حجة ومقالتهم
اصلا وهذا جهل عظيم وقد اعلم الله تعالى ان الصناعات ليست
بضايرة في الدين قوله تعالى قال وما علمي بما كانوا يعملون كان
زائدة والمعنى وما علمي بما يعملون اي لم اكلف العلم باعمالهم انما كلفت
ان ادعوهم الى الايمان والاعتبار بالايمان لا بالحرف والصنايع وكانهم
قالوا انما اتبعك هولاء الضعفاء طمعا في العزة والمال فقال اني لم اقف
على باطن امرهم وانما الي ظاهرهم وقيل المعنى اي لم اعلم ان الله
يهديهم ويضلكم ويرشدهم ويغويكم ويوفقهم ويخذلكم ان حسابهم
اي في اعمالهم وايمانهم الا على ربي لو تشعرون وجواب لو محذوف
اي لو شعرتم ان حسابهم على ربهم لما عبتموهم بصنايعهم وقراءة العامة
تشعرون بالتاء على المخاطبة للكفار وقرا ابن ابي عبلة ومحمد بن السميقع
لو يشعرون بالياء كانه خبر عن الكفار وترك الخطاب لهم نحو قوله
حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وروي ان رجلا سال سفيان عن
امراة زنت وقتلت ولدها وهي مسلمة هل يقطع لها بالنار فقال سفيان
ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون وما انا بطارد المؤمنين اي لخساسة
احوالهم واشغالهم وكانهم طلبوا منه طرد الضعفاء كما طلبه قريش ان انا
الا نذير مبين يعني ان الله ما ارسلني اخص ذوي الغنى دون الفقراء
انما انا رسول ابلغكم ما ارسلت به فمن اطاعني فذلك السعيد عند الله
وان كان فقيرا قوله تعالى قالوا لئن لم تنته يا نوح عن سب الهتنا وعيب
ديننا لتكونن من المرجومين اي بالحجارة قاله قتادة وقال ابن عباس
ومقاتل من المقتولين قال الثمالي كل مرجومين في القران فهو القتل
الا في مريم لئن لم تنته لارجمنك اي لاسبنك وقيل من المرجومين من

المتوسمين قال السدي قال نوح رب ان قومي كذبون فافتح
بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المومنين قال ذلك لما ايس من
ايمانهم والفتح الحكم وقد تقدم فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون
يريد السفينة وقد مضى ذكرها والمشحون المملو والشحن ملي السفينة
بالناس والدواب وغيرهم ولم يونث الفلك هاهنا لان الفلك هاهنا
واحد لا جمع ثم اغرقنا بعد الباقين اي بعد انجائنا نوحا ومن امن ان في
ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم قوله تعالى
كذبت عاد المرسلين التانيث بمعنى القبيلة والجماعة وتكذيبهم
المرسلين كما تقدم اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون اني لكم رسول
امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري
الا على رب العالمين بين الحب وقد تقدم قوله تعالى
اتبنون بكل ريع اية تعبثون الريع ما ارتفع من الارض في قول
ابن عباس وغيره جمع ريعة وكم ريع ارضك اي ارتفاعها
وقال قتادة الريع الطريق وهو قول الضحاك والكلبي
ومقاتل والسدي وقاله ابن عباس ايضا ومنه قول المسيب
ابن علس • • •
• في الال يخفضها ويرفعها • ريع يلوح كانه سحل •
شبه الطريق بثوب ابيض النحاس ومعروف في اللغة
الارض ريع وللطريق ريعة قال الشاعر • •
• طراق الخوافي مشرف فوق ريعة • ندى ليلة في ريشه يترقرق •
وقال عمارة الريع الجبل الواحد ريعة والجمع رياع وقال مجاهد هو
الفج بين الجبلين وعنه الثنية الصغيرة وعنه المنظرة وقال
عكرمة ومقاتل كانوا يهتدون بالنجوم اذا سافروا فبنوا على
الطريق اميالا طوالا • عبثا ليهتدوا بها يدل عليه قوله اية
اي علامة وعن مجاهد الريع بنيان الحمام دليله تعبثون اي
تلعبون اي تبنون بكل مكان مرتفع اية اي علما تلعبون
بها على معنى ابنية الحمام وبروجها وقيل تعبثون بمن يمر
بالطريق اي تبنون بكل موضع مرتفع لتشرفوا على السابلة فتسخروا
منهم وقال الكلبي انه عبث العشارين باموال من يمر بهم ذكره الماوردي وقال
ابن الاعرابي الريع الصومعة والريع البرج من الحمام يكون في الصحرا والريع
التل العالي وفي الريع لغتان كسر الرا وفتحها وجمع ارياع ذكره الثعلبي

قوله تعالى

قوله تعالى وتتخذون مصانع اي منازل قاله الكلبي
وقيل حصونا مشيدة قاله ابن عباس ومجاهد ومنه
قول الشاعر • • •
• تركن ديارهم منهم قفارا • وهدمن المصانع والبروجا •
وقيل قصورا مشيدة وقاله مجاهد ايضا وعنه بروج الحمام
وقاله السدي قال الشيخ رحمه الله تعالى وفيه بعد عن
مجاهد لانه تقدم عنه في الريع انه بنيان الحمام فيكون
تكرارا في الكلام وقال قتادة مآجل للماء تحت الارض وكذا
قال الزجاج انها مصانع الما واحدتها مصنعة ومصنع
ومنه قول لبيد • • •
• بلينا وما تبلى النجوم الطوالع • وتبقى الجبال بعدنا والمصانع •
الجوهري المصنعة كالحوض يجمع فيه ماء المطر وكذلك
المصنعة بضم النون والمصانع الحصون وقال ابو عبيدة
لكل بناء مصنعة حكاه المهدوي وقال عبد الرزاق
المصانع عندنا بلغة اليمن القصور العادية لعلكم
تخلدون اي كي تخلدوا وقيل لعل استفهام بمعنى التوبيخ
اي فهل تخلدون كقولك لعلك تشتمني اي هل تشتمني
روي معناه عن ابن زيد وقال الفرا كيما تخلدون لا
تتفكرون في الموت وقال ابن عباس وقتادة كانكم
خالدون باقون فيها وفي بعض القراآت كانكم مخلدون
ذكره النحاس وحكى قتادة انها كانت في بعض القراآت
كانكم خالدون قوله تعالى واذا بطشتم بطشتم
جبارين البطش السطوة والاخذ بالعنف وقد بطش
به يبطش ويبطش بطشا وباطشه مباطشة وقال
ابن عباس ومجاهد البطش العسف قتلا بالسيف وضربا
بالسوط ومعنى ذلك فعلتم ذلك ظلما وقال مجاهد
ايضا هو ضرب السياط ورواه مالك بن انس عن نافع
عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهم فيما ذكر ابن العربي
وقيل هو القتل بالسيف في غير حق حكاه يحيى بن
سلام والكلبي والحسن هو القتل على الغضب من غير
تثبت وكله يرجع الى قول ابن عباس رضي الله تعالى عنه

وقيل انه المؤاخذة على العمد والخطاء من غير عفو ولا
ابقاء قال ابن العربي ويؤيده ما قاله مالك رحمه الله
قول الله تعالى ذكره عن موسى عليه الصلاة والسلام
فلما ان اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى
اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ان تريد
الا ان تكون جبارا في الارض وذلك ان موسى عليه
الصلاة والسلام لم يسل عليه سيفا ولا طعنه
برمح وانما كان وكزه وكانت منيته في وكزته والبطش
يكون باليد واقله الوكز والدفع ويليه السوط
والعصا ويليه الحديد والكل مذموم الا بحق والاية
نزلت خبرا عمن تقدم من الامم ووعظا من الله
سبحانه وتعالى لنا في مجانبة ذلك الفعل الذي ذمهم
وانكره عليهم قال الشيخ القرطبي رحمه الله تعالى
وهذه الاوصاف المذمومة قد صارت في كثير من
هذه الامة لاسيما بالديار المصرية منذ وليها البحرية
فيبطشون بالناس بالسوط والعصا في غير حق وقد
اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان ذلك يكون كما
في صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صنفان
من اهل النار لم ارهما قوم معهم سياط كاذناب
البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات
مايلات مميلات رؤسهن كاسنمة البخت المايلة
لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وان ريحها ليوجد من
مسيرة كذا وكذا واخرج ابوداود من حديث ابن عمر قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا تبايعتم
بالعينة واخذتم اذناب البقر ورضيتم بالزرع
وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى
ترجعوا الى دينكم جبارين قتالين والجبار القتال
في غير حق وكذلك قوله تعالى ان تريد الا ان تكون
جبارا في الارض قاله الهروي وقيل الجبار المتسلط
العاتي ومنه قوله تعالى وما انت عليهم بجبار اي بمتسلط

وقال

وقال الشاعر

سلبنا من الجبار بالسيف ملكه ٭ عشيا واطراف الرماح شوارع

قوله تعالى فاتقوا الله واطيعون ثم قال واتقوا الذي
امدكم بما تعلمون اي من الخيرات ثم فسرها بقوله امدكم
بانعام وبنين وجنات وعيون اي سخر ذلك لكم وتفضل
بها عليكم فهو الذي يجب ان يعبد ويشكر ولا يكفر
اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم ان كفرتم به واصررتم
على ذلك قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين
كل ذلك عندنا سواء لا نسمع منك ولا نلوي على ما تقوله
وروى العباس عن ابي عمرو وبشر عن الكسائي
اوعظت مدغمة الظاء في التاء وهو بعيد لان الظاء
اطباق انما يدغم فيما قرب منه جدا وكان مثله
ومخرجه ان هذا الا خلق الاولين اي دينهم عن ابن
عباس وغيره وقال الفراء عادة الاولين وقرا
ابن كثير والكسائي وابو عمرو خلق الاولين الباقون
خلق قال الهروي وقوله عز وجل ان هذا الا خلق
الاولين اي اختلاقهم وكذبهم ومن قرا خلق الاولين
فمعناه عادتهم والعرب تقول حدثنا فلان باحاديث
الخلق اي بالخرافات المفتعلة وقال ابن الاعرابي الخلق
الدين والخلق الطبع والخلق المروة وقال النحاس
خلق الاولين عند الفراء بمعنى عادة الاولين وحكى
لنا محمد بن الوليد عن محمد بن يزيد قال خلق الاولين
مذهبهم وما جرى عليه امرهم قال ابو جعفر والقولان
متقاربان ومنه الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم
اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا اي احسنهم مذهبا
وعادة وما يجري عليه الامر في طاعة الله عز وجل
ولا يجوز ان يكون من كان حسن الخلق فاضلا ولا ان
يكون الكمل ايمانا من السيئ الخلق الذي ليس بفاجر قال
ابو جعفر وحكى لنا عن محمد بن يزيد ان معنى خلق الاولين
تكذيبهم وتخرصهم غير انه كان يميل الى القراءة الاولى
لان فيها مدح ابائهم واكثر ما جاء القران في صفتهم

مدحهم لاباىهم وقولهم انا وجدنا اباىنا على امة وعن
ابى قلابة انه قرا خلْق بضم الخاء واسكان اللام
تخفيف خلق ورواها ابن جبير عن اصحاب نافع عن
نافع وقد قيل ان معنى خلق الاولين دين الاولين
ومنه قوله تعالى فليغيرن خلق الله اى دين الله
وخلق الاولين عادة الاولين حياة ثم موت ولا بعث
وقيل ما هذا الذى انكرت علينا من البنيان
والبطش الا عادة من قبلنا فنحن نقتدى بهم وما
نحن بمعذبين على ما نفعل وقيل المعنى خلق اجسام
الاولين اى ما خلقنا الا كخلق الاولين الذى خلقوا
قبلنا وماتوا ولم ينزل بهم شى مما تحذرنا به من
العذاب فكذبوه فاهلكناهم اى بريح صرصر عاتية
على ما ياتى فى الحاقة ان فى ذلك لاية وما كان اكثرهم
مومنين قال بعضهم اسلم معه ثلاثماية الف ومايتين
وهلك باقيهم وان ربك لهو العزيز الرحيم **قوله
تعالى** كذبت ثمود المرسلين ذكر قصة صالح وقومه
وهم ثمود وكانوا يسكنون الحجر كما تقدم فى تفسير سورة
الحجر وهى نخل وزروع ومياه اتتركون فيما ها هنا
يعنى فى الدنيا امنين من الموت والعذاب قال ابن
عباس رضى الله تعالى عنه كانوا معمرين لا يبقى
البنيان مع اعمارهم ودل على هذا قوله واستعمركم
فيها فقرعهم صالح ووبخهم وقال اتظنون انكم
باقون فى الدنيا بلا موت فى جنات وعيون وزروع
ونخل طلعها هضيم الزمخشرى فان قلت لم قال
ونخل بعد قوله وجنات والجنة تتناول النخل اول شى
كما تتناول النعم الابل كذلك من بين الازواج حتى
انهم ليذكرون الجنة ولا يقصدون الا النخل كما يذكرون
النعم ولا يريدون الا الابل قال زهير تسقى جنة سحقا
يعنى النخل والنخلة السحوق البعيدة الطول قلت
فيه وجهان احدهما ان يخص النخل بافراده بعد
دخوله فى جملة ساير الشجر تنبيها على انفراده عنها

بفضله

بفضله والثانى ان يريد بالجنات غيرها من الشجر لان اللفظ يصلح
لذلك ثم يعطف عليها النخل والطلعة هى التى تطلع من النخلة كنصل
السيف فى جوفه شماريخ القنو والقنو اسم للخارج من الجذع كما هو بعرجونه
وشماريخه وهضيم قال ابن عباس لطيف ما دام فى كفراه والهضيم
اللطيف الدقيق ومنه قول امرى القيس

هضيم الكشح ريا المخلخل

الجوهرى ويقال للطلع هضيم ما لم يخرج من كفراه لدخول بعضه
فى بعض والهضيمة من النسا اللطيفة الكشحين ونحوه حكى الهروى
قال هو المنضم فى وعاية قبل ان يظهر ومنه يقال رجل اهضم
الجنبين اى منضمهما هذا قول اهل اللغة وحكى الماوردى وغيره فى ذلك
اثنى عشر قولا احدها انه الرطب اللين قاله عكرمة الثانى
المذنب من الرطب قاله سعيد بن جبير قال النحاس وروى ابو
اسحق عن يزيد وهو ابن ابى مريم كوفى ويزيد بن ابى مريم شامى
ونخل طلعها هضيم قال منه ما قد ارطب ومنه مذنب الثالث
انه الذى ليس فيه نوى قاله الحسن الرابع انه المتهشم المتفتت
اذا مس تفتت قال مجاهد وقال ابو العالية يتهشم فى الفم
الخامس هو الذى قد ضمر بركوب بعضه بعضا قاله الضحاك
ومقاتل السادس انه المتلاصق بعضه ببعض قاله ابو صخر
السابع انه الطلع حين يتفرق ويخضر قاله الضحاك ايضا الثامن
انه اليانع النضيج قاله ابن عباس التاسع انه المكتنز قبل ان
ينشق عنه القشر حكاه ابن شجرة قال

كان حمولة تجلى عليه هضيم ما يحس له شقوق

العاشر انه الرخو قاله الحسن الحادى عشر انه الرخص اللطيف
اول ما يخرج وهو الطلع النضيد قاله الزهرى الثانى عشر انه
المرى قاله ابن الاعرابى فعيل بمعنى فاعل اى هنى مرى من
انهضام الطعام والطلع اسم مشتق من الطلوع وهو
الظهور ومنه طلوع الشمس والقمر والنبات **قوله تعالى**
وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين النحت النجر والبرى نحته
ينحته بالكسر نحتا اى براه والنحاتة البراية والمنحت ما ينحت به
وفى والصافات اتعبدون ما تنحتون فكانوا ينحتون من الجبال
لما طالت اعمارهم وتهدم بناوهم من المدر وقرا ابن كثير وابو عمرو

فرهين بغير الف الباقون فارهين بالف وهما بمعنى واحد فى قول ابى عبيدة وغيره مثل عظاما نخرة وناخرة وقاله قطرب وحكى فره يفره فهو فاره وفره يفره فهو فره وفارِه اذا كان نشيطا وهو نصب على الحال وفرق بينهما قوم فقالوا فارهين حاذقين بنحتها قاله ابو عبيد وروى عن ابن عباس وغيرهما وقال عبد الله بن شداد فارهين متجبرين وروى عن ابن عباس ايضا ان معنى فرهين بغير الف اشرين بطرين وقاله مجاهد وروى عنه شرهين الضحاك كيسين قتادة معجبين وعنه ناعمين وعنه ايضا امنين وهو قول الحسن وقيل متجبرين قاله الكلبى والسدى ومنه قول الشاعر

الى فرح باجد كل امير   قصدت له لاختبر الطباعا

وقيل معجبين قاله خصيف وقال ابن زيد اقويا وقيل فرهين فرحين قاله الاخفش والعرب تعاقب بين الها والحا تقول مدهته ومدحته فالفره الاشر الفرح ثم الفرح بمعنى المرح مذموم قال الله تعالى ولا تمش فى الارض مرحا وقال ان الله لا يحب الفرحين فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين قيل المراد امر الذين عقروا الناقة وقيل التسعة رهط الذين يفسدون فى الارض ولا يصلحون قال السدى وغيره وحى الله تعالى الى صالح ان قومك سيعقرون ناقتك فقال لهم ذلك فقالوا ما كنا لنفعل فقال لهم صالح انه سيولد فى شهركم هذا غلام يعقرها ويكون هلاككم على يديه فقالوا لا يولد فى هذا الشهر ذكر الا قتلناه فولد لتسعة منهم فى ذلك الشهر فذبحوا ابناهم ثم ولد للعاشر فابى ان يذبح ابنه وكان لم يولد له قبل ذلك فكان ابن العاشر ازرق احمر فنبت نباتا سريعا فكان اذا مر بالتسعة فراوه قالوا لو كان ابناونا احيا فكانوا مثل هذا وغضب التسعة على صالح لانه كان سبب قتلهم ابناهم فتعصبوا وتقاسموا بالله لنبيتنه واهله قالوا نخرج الى سفر فيرى الناس سفرنا فنكون فى غار حتى اذا كان الليل وخرج صالح الى مسجده اتيناه فقتلناه ثم قلنا ما شهدنا مهلك اهله وانا لصادقون فيصدقونا ويعلمون انا قد خرجنا الى سفر وكان صالح لا ينام معهم فى القرية كان ينام فى مسجده فاذا اصبح اتاهم فوعظهم فلما دخلوا الغار ارادوا ان يخرجوا فسقط عليهم الغار فقتلهم فراى ذلك ناس

ممن

ممن كان قد اطلعوا على ذلك فصاحوا فى القرية يا عباد الله اما رضى صالح بقتل اولادهم حتى قتلهم فاجتمع اهل القرية على عقر الناقة وقال ابن اسحق انما اجتمع التسعة فى تبييت صالح بعد عقرهم الناقة وانذارهم العذاب على ما ياتى بيانه فى تفسير سورة النمل قالوا انما انت من المسحرين هو من السحر فى قول مجاهد وقتادة على ما قاله المهدوى اى اصبت بالسحر فبطل عقلك لانك بشر مثلنا فلم تدعى الرسالة دوننا وقيل من المعللين بالطعام والشراب قاله ابن عباس والكلبى وقتادة ومجاهد ايضا فيما ذكر الثعلبى وهو على هذا القول من التسحر وهو الرية اى بشر لك سحر اى رية تاكل وتشرب كمثلنا قال امرؤ القيس

فان تسالينا فيما نحن فاننا   عصافير من هذا الانام المسحر

وقال ايضا   ونسحر بالطعام والشراب

فات باية ان كنت من الصادقين من قولك قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم قال ابن عباس رضى الله تعالى عنه قالوا ان كنت صادقا فادع الله يخرج لنا من هذا الجبل ناقة حمرا عشرا فتضع ونحن ننظر وترد هذا الما فتشرب وتغدو علينا بمثله لبنا فدعا وفعل الله ذلك فقال هذه ناقة لها شرب اى حظ اى لكم شرب يوم ولها شرب يوم فكانت اذا كان يوم شربها شربت ماهم كله اول النهار وتسقيهم اللبن اخر النهار واذا كان يوم شربهم كان لانفسهم ومواشيهم وارضهم ليس لهم فى يوم وردها ان يشربوا من شربها شيا ولا لها ان تشرب فى نوبتهم من مايهم شيا قال الفرا الشرب الحظ من الما قال النحاس فاما المصدر فيقال فيه شرب شربا وشربا وشربا واكثرها المضموم لان المكسورة والمفتوحة يشتركان مع شى اخر فيكون الشرب الحظ من الما ويكون الشرب جمع شارب كما قال

فقلت للشرب فى دورنا

الا ان ابا عمرو بن العلا والكسائى يختاران الشرب بالفتح فى المصدر ويحتجان برواية بعض العلما ان النبى صلى

الله عليه وسلم انها ايام اكل وشرب ولا تمسوها بسوء
لا يجوز اظهار التضعيف هاهنا لانهما حرفان متحركان
من جنس واحد فياخذكم جواب النهى ولا يجوز
حذف الفاء منه والجزم كما جاز فى الامر الا شياذ روى
عن الكسائى انه يجيزها فعقروها فاصبحوا نادمين
اى على عقرها لما ايقنوا بالعذاب وذلك انه
انظرهم ثلاثا فظهرت عليهم العلامة فى كل
يوم وندموا ولم ينفع الندم عند معاينة العذاب
وقيل لم ينفعهم الندم لانهم لم يتوبوا بل
طلبوا صالحا عليه الصلاة والسلام ليقتلوه لما
ايقنوا بالعذاب وقيل كانت ندامتهم على ترك
الولد اذ لم يقتلوه معها وهو بعيد ان فى ذلك لاية
الى اخرها ما تقدم ويقال انه ما امن به من تلك
الامم الا الفان وثلاث مائة رجل وامراة وقيل
كانوا اربعة الاف وقال كعب كان قوم صالح اثنى
عشر الف قبيل كل قبيل نحو اثنى عشر الفا من
سوى النساء والذرية ولقد كان قوم عاد مثلهم
ست مرات **قوله تعالى** كذبت قوم لوط المرسلين
مضى معناه وقصته فى تفسير سورة الاعراف وسورة
هود مستوفى والحمد لله رب العالمين قوله اتاتون
الذكران من العالمين كانوا ينكحونهم فى ادبارهم
وكانوا يفعلون ذلك بالغرباء على ما تقدم فى تفسير
سورة الاعراف وتذرون ما خلق لكم ربكم
من ازواجكم يعنى فروج النساء فان الله سبحانه
وتعالى خلقها للنكاح قال ابراهيم بن المهاجر قال
لى مجاهد كيف يقرا عبد الله وتذرون ما خلق
لكم ربكم من ازواجكم قال الفرج كما قال الله
سبحانه وتعالى فاتوهن من حيث امركم الله بل
انتم قوم عادون اى متجاوزون لحدود الله قالوا
لئن لم تنته يا لوط عن قولك هذا لتكونن من
المخرجين اى من بلدنا وقريتنا قال انى لعملكم يعنى

اللواط

اللواط من القالين اى المبغضين والقلى البغض
قليته اقليه قلى وقلاء قال

فلست بمقلى الخلال ولا قالى

وقال اخر

عليك السلام لا مللت قريبة ومالك عندى ان نايت قلاء

رب نجنى واهلى مما يعملون اى من عذاب عملهم دعا
الله سبحانه وتعالى لما يئس من ايمانهم ان لا يصيبه
من عذابهم فقال الله سبحانه وتعالى فنجيناه واهله
اجمعين ولم يكن الا ابنتيه على ما تقدم فى تفسير
سورة هود الا عجوزا فى الغابرين روى سعيد عن
قتادة قال غبرت فى عذاب الله عز وجل اى بقيت
وابو عبيدة يذهب الى ان المعنى من الباقين فى الهرم
اى بقيت حتى هرمت قال النحاس يقال للذاهب غابر
والباقى غابر كما قال

لا تكسع الشول باغبارها ۔ انك لا تدرى من الناتج

وكما قال

فما ونى محمد من ان غفر ۔ له الاله ما مضى وما غبر

اى ما بقى والاغبار بقيات الالبان ثم دمرنا الاخرين
اى اهلكناهم بالخسف والحصب قال مقاتل خسف
الله بقوم لوط وارسل الحجارة على من كان خارجا
من القرية وامطرنا عليهم مطرا يعنى الحجارة فسا
مطر المنذرين وقيل ان جبريل عليه الصلاة
والسلام خسف بقريتهم وجعل عاليها سافلها ثم
اتبعها الله سبحانه وتعالى بالحجارة ان فى ذلك لاية
وما كان اكثرهم مؤمنين لم يكن فيها مؤمن الا بيت
لوط وابنتاه **قوله تعالى** كذب اصحاب الايكة
المرسلين الايك الشجر الكثير الملتف الواحدة ايكة
ومن قرا اصحاب الايكة فهى الغيضة ومن قرا ليكة
فهى اسم القرية ويقال هما مثل بكة ومكة قاله
الجوهرى وقال النحاس وقرا ابو جعفر ونافع كذب اصحاب
ليكة المرسلين وكذا قرا فى ص واجمع القرا على

الخفض التى فى سورة الحجر والتى فى سورة ص
فيجب ان يرد ما اختلفوا فيه الى ما اجمعوا عليه اذ كان
المعنى واحدا فاما ما حكاه ابو عبيد من ان ليكة هى
اسم القرية التى كانوا فيها وان الايكة اسم البلد
كله فشئ لا يثبت ولا يعرف من قاله فيثبت علمه
ولو عرف من قاله لكان فيه نظر لان اهل العلم جميعا
من اهل التفسير والعلم بكلام العرب على خلافه
روى عبد الله بن وهب عن جرير بن حازم عن قتادة
قال ارسل شعيب عليه الصلاة والسلام الى امتين
الى قومه من اهل مدين والى اصحاب الايكة قال
والايكة غيضة من شجر ملتف وروى سعيد
عن قتادة قال كان اصحاب الايكة اهل غيضة
وشجر وكانت عامة شجرهم الدوم وهو شجر
المقل وروى ابن جبير عن الضحاك قال خرج
اصحاب الايكة يعنى حين اصابهم الحر فانضموا
الى الغيضة والشجر فارسل الله سبحانه وتعالى
اليهم سحابة فاستظلوا تحتها فلما تتاموا تحتها احرقوا
ولو لم يكن فى هذا الا ما روى عن ابن عباس رضى
الله تعالى عنه قال الايكة الشجر ولا نعلم بين
اهل اللغة اختلافا ان الايكة الشجر الملتف فاما
احتجاج بعض من احتج لقراءة من قرا فى هذين
الموضعين بالفتح انه فى السواد ليكة فلا حجة فيه
والقول فيه ان اصله الايكة ثم خففت الهمزة
فالقيت حركتها على اللام فسقطت واستغنيت
عن الف الوصل لان اللام قد تحركت فلا يجوز على
هذا الا الخفض كما تقول بالاحمر تحقق الهمزة ثم
تخففها فتقول بالاحمر فان شئت كتبته فى الخط
على ما كتبته اولا وان شئت كتبته بالحذف ولم
يجز الا الخفض فكذا لا يجوز فى ليكة الا الخفض قال
سيبويه واعلم ان ما لا ينصرف اذا دخلت الالف
واللام او اضيف انصرف ولا نعلم احدا خالف

سيبويه

سيبويه فى هذا وقال الخليل الايكة غيضة تنبت السدر
والاراك ونحوهما من ناعم الشجر اذ قال لهم شعيب
ولم يقل اخوهم شعيب لانه لم يكن اخا لاصحاب الايكة
فى النسب فلما ذكر مدين قال اخاهم شعيبا لانه كان
منهم وقد مضى فى تفسير سورة الاعراف القول
فى نسبه قال ابن زيد ارسل الله سبحانه وتعالى شعيبا
عليه الصلاة والسلام رسولا الى قومه اهل مدين
والى اهل البادية وهم اصحاب الايكة وقاله قتادة
وقد ذكرناه الا تتقون تخافون الله انى لكم رسول
امين فاتقوا الله واطيعون الاية وانما كان جواب
هؤلاء الرسل واحدا على صيغة واحدة لانهم متفقون
على الامر بالتقوى والطاعة والاخلاص فى العبادة
والامتناع من اخذ الاجر على تبليغ الرسالة اوفوا الكيل
ولا تكونوا من المخسرين الناقصين للكيل والوزن
وزنوا بالقسطاس المستقيم اى اعطوا الحق وقد
مضى فى تفسير سورة سبحان وغيرها ولا تبخسوا
الناس اشياءهم ولا تعثوا فى الارض مفسدين تقدم
فى تفسير سورة هود وغيرها واتقوا الذى خلقكم
والجبلة الاولين قال مجاهد الجبلة الخليقة وجبل
فلان على كذا اى خلق فالخلق جبلة وجبلة وجبلة
ذكره النحاس فى معانى القران والجبلة عطف على
الكاف والميم قال الهروى الجبلة والجبلة والجبل
والجبل لغات وهو الجمع والعدد الكثير من الناس
ومنه قوله سبحانه وتعالى جبلا كثيرا اى خلقا كثيرا
وقال النحاس فى كتاب اعراب القران له ويقال
جبلة والجمع فيه جبال وتحذف الضمة والكسرة من
الباء وكذلك التشديد من اللام فيقال جبلة وجبل
ويقال جبلة وجبل ويقال جبلة وجبال وتحذف الهاء
من هذا كله وقرا الحسن باختلاف عنه والجبلة الاولين
بضم الجيم والباء وروى عن شيبة والاعرج الباقون
بالكسر قال

والموت اعظم حادث فيما يمر على الجبلة
قالوا انما انت من المسحرين الذين يأكلون الطعام
والشراب على ما تقدم وان نظنك لمن الكاذبين
اى ما نظنك الا من الكاذبين فى انك رسول الله تعالى
فاسقط علينا كسفا من السماء اى جانبا من السماء
وقطعة منه فننظر اليه كما قال الله سبحانه
وتعالى وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا
سحاب مركوم وقيل اراد وانزل علينا العذاب
وهو مبالغة فى التكذيب قال ابو عبيدة الكسف
جمع كسفة وهى القطعة والجانب تقديره كسرة
وكسر قال الجوهرى الكسفة القطعة من
الشئ يقال اعطنى كسفة من ثوبك والجمع
كسف وكسف ويقال الكسف والكسفة واحد
وقال الاخفش من قرا كسفا من السماء جعله
واحدا ومن قرا كسفا جعله جمعا وقد مضى هذا
فى تفسير سورة سبحان وقال الهروى ومن قرا
كسفا على التوحيد فجمعه اكساف وكسوف كانه
قال او تسقطها علينا طبقا واحدا وهو من كسفت الشئ
كسفا اذا اغطيته ان كنت من الصادقين قال ربى
اعلم بما تعملون تهديد اى انما على التبليغ وليس
العذاب الذى سالتم الى وهو يجازيكم فكذبوه فاخذهم
عذاب يوم الظلة قال ابن عباس رضى الله تعالى
عنه اصابهم حر شديد فارسل الله سبحانه
وتعالى سحابة فهربوا اليها ليستظلوا بها فلما صاروا
تحتها صيح بهم فهلكوا وقيل اقامها الله سبحانه
وتعالى فوق رؤسهم والقها عليهم حرا حتى ماتوا
من الرمد وكان من اعظم يوم فى الدنيا عذابا وقيل
بعث الله سبحانه وتعالى عليهم سموما فخرجوا الى
الايكة يستظلون بها فاضرمها الله سبحانه
وتعالى عليهم نارا فاحترقوا وعن ابن عباس رضى
الله تعالى عنه ايضا وغيره ان الله سبحانه وتعالى

فتح

فتح عليهم بابا من ابواب جهنم وارسل عليهم
هدة وحرا شديدا فاخذ بانفاسهم فدخلوا بيوتهم
فلم ينفعهم ظل ولا ماء فانضجهم الحر فخرجوا هرابا
الى البرية فبعث الله سبحانه وتعالى سحابة فاظلتهم
فوجدوا لها بردا وروحا وريحا طيبة فنادى بعضهم
بعضا فلما اجتمعوا تحت السحابة الهبها الله سبحانه
وتعالى عليهم نارا ورجفت بهم الارض فاحترقوا
كما يحترق الجراد المقلى فصاروا رمادا فذلك قوله
سبحانه وتعالى فاصبحوا فى ديارهم جاثمين كان لم
يغنوا فيها وقوله تعالى فاخذهم عذاب يوم الظلة
انه كان عذاب يوم عظيم وقيل ان الله سبحانه
وتعالى حبس عنهم الريح سبعة ايام وسلط عليهم
الحر حتى اخذ بانفاسهم ولم ينفعهم ظل ولا ماء
فكانوا يدخلون الاسراب ليتبردوا فيها فيجدوا
اشد حرا من الظاهر فهربوا الى البرية فاظلتهم
سحابة وهى الظلة فوجدوا لها بردا ونسيما فامطرت
عليهم نارا فاحترقوا وقال يزيد الجريرى سلط الله
سبحانه وتعالى عليهم الحر سبعة ايام ولياليهن
ثم رفع لهم جبل من بعيد فاتاه رجل فاذا تحته
انهار وعيون وشجر وماء بارد فاجتمعوا كلهم تحته
فوقع عليهم الجبل وهو الظلة وقال قتادة بعث
الله سبحانه وتعالى شعيبا عليه الصلاة والسلام
الى امتين اصحاب الايكة واصحاب مدين فاهلك
اصحاب الايكة بالظلة واما اهل مدين فصاح بهم
جبريل عليه الصلاة والسلام صيحة فهلكوا اجمعين
ان فى ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين قيل
امن بشعيب عليه الصلاة والسلام من الفئتين
تسعمائة انسان والله اعلم **قوله تعالى**
وانه لتنزيل رب العالمين عاد الى ما تقدم فى اول
السورة من اعراض المشركين عن القران نزل به
الروح الامين نزل مخففا قرا نافع وابن كثير وابو عمرو

الباقون نزل مشددا به الروح الامين نصبا وهو
اختيار ابى حاتم وابى عبيد لقوله سبحانه وتعالى
وانه لتنزيل وهو مصدر نزل والحجة لمن قرا
بالتخفيف ان يقول ليس هذا المصدر لان المعنى
وان القران لتنزيل رب العالمين نزل به جبريل
اليك كما قال تعالى قل من كان عدوا لجبريل
فانه نزله على قلبك اى يتلوه عليك فيعيه
قلبك وقيل ليثبت قلبك لتكون من المنذرين
بلسان عربى مبين اى لئلا يقولوا لسنا نفهم
ما تقول وانه لفى زبر الاولين اى وان ذكر
نزوله لفى كتب الاولين يعنى الانبيا عليهم
الصلاة والسلام وقيل اى ان ذكر محمد صلى
الله عليه وسلم فى كتب الاولين كما قال
الله سبحانه وتعالى يجدونه مكتوبا عندهم
فى التوراة والانجيل والزبر الكتب الواحد
زبور كرسول ورسل وقد تقدم والله اعلم
قوله تعالى اولم يكن لهم اية ان يعلمه علما
بنى اسرائيل وقال مجاهد يعنى عبد الله بن سلام
وسلمان وغيرهما ممن اسلم وقال ابن عباس
رضى الله تعالى عنه بعث اهل مكة الى اليهود
وهم بالمدينة يسالونهم عن محمد صلى الله
عليه وسلم فقالوا ان هذا لزمانه وانا لنجد فى
التوراة نعته وصفته فيرجع لفظ العلما الى كل
من كان له علم بكتبهم اسلم او لم يسلم على
هذا القول وانما صارت شهادة اهل الكتاب
حجة على المشركين لانهم كانوا يرجعون فى اشيا
من امور الدين الى اهل الكتاب لانهم مظنون
بهم علم وقرا ابن عامر اولم تكن لهم اية
الباقون اولم يكن لهم اية بالنصب على الخبر
واسم يكن ان يعلمه والتقدير اولم يكن لهم علم
علما بنى اسرائيل الذين اسلموا اية واضحة وعلى

القراة

القراة الاولى اسم كان اية والخبر ان يعلمه
علماء بنى اسرائيل ولو نزلناه على بعض الاعجمين
اى على رجل ليس بعربى اللسان فقراه عليهم
بغير لغة العرب لما امنوا ولقالوا لا نفقهه نظيره
قوله سبحانه وتعالى ولو جعلناه قرانا اعجميا الاية
وقيل معناه ولو نزلناه على رجل ليس من العرب
لما امنوا به انفة وكبرا يقال رجل اعجم واعجمى
اذا كان غير فصيح وان كان عربيا ورجل عجمى وان
كان فصيحا ينسب الى اصله الا ان الفرا اجاز ان
يقال رجل عجمى بمعنى اعجمى وقرا الحسن على
بعض الاعجميين مشددة بياءين جعله نسبة
ومن قرا الاعجمين فقيل انه جمع الاعجم وفيه بعد
لان ما كان من الصفات الذى مونثه فعلا لا يجمع
مونثه بالواو والنون ولا مونثه بالالف والتاء
لا يقال احمرون ولا حمراوات وقيل ان اصله
الاعجميين كقراءة الجحدرى ثم حذفت ياء النسب
وجعل جمعه بالياء والنون دليلا عليها قاله ابو الفتح
عثمن بن جنى وهو مذهب سيبويه **قوله تعالى**
كذلك سلكناه يعنى القران اى الكفر به فى قلوب
المجرمين لا يومنون به وقيل سلكنا التكذيب
فى قلوبهم فذلك الذى منعهم من الايمان قاله
يحيى بن سلام وقال عكرمة القسوة والمعنى
متقارب وقد مضى فى تفسير سورة الحجر واجاز
الفرا الجزم فى لا يومنون لان فيه معنى الشرط
والمجازاة وزعم ان من شان العرب اذا وضعت
لا موضع كى فى مثل هذا اجزمت ما بعدها وربما
رفعت فتقول ربطت الفرس لا ينفلت بالرفع
والجزم قال لان معناه ان لم اربطه ينفلت
والرفع عنده بمعنى كيلا ينفلت وانشد لبعض
بنى عقيل

وحتى راينا احسن الفعل بيننا ۝ مساكنة لا يقرف الشر قارف

بالرفع لما حذف كى ومن الجزم قول الاخر
لطال ما حلأناها لا ترد • فخلياها والسجال تبترد
قال النحاس وهذا كله فى يومنون خطا عند البصريين
ولا يجوز الجزم بلا جازم ولا يكون شىء يعمل عملا
فاذا حذف عمل عملا اقوى من عمله وهو موجود
فهذا احتجاج بين حتى يروا العذاب الاليم فياتيهم
بغتة اى العذاب وقرا الحسن فتاتيهم بالتاء
والمعنى فتاتيهم الساعة بغتة فاضمرت لدلالة
العذاب الواقع فيها ولكثرة ما فى القران من ذكرها
وقال رجل للحسن وقد قرا فتاتيهم يا ابا
سعيد انما ياتيهم العذاب بغتة فانتهره وقال
انما هى الساعة تاتيهم بغتة اى فجاة وهم لا يشعرون
باتيانها فيقولوا هل نحن منظرون اى موخرون
وممهلون يطلبون الرجعة هنالك فلا يجابون
اليها قال القشيرى وقوله فياتيهم ليس عطفا
على قوله حتى يروا بل هو جواب قوله لا يومنون
فلما كان جوابا للنفى انتصب وكذلك فيقولوا ٥
قوله تعالى افبعذابنا يستعجلون قال
مقاتل قال المشركون للنبى صلى الله عليه وسلم
يا محمد الى متى تعدنا بالعذاب ولا تاتى به فنزلت
افبعذابنا يستعجلون افرايت ان متعناهم سنين
يعنى فى الدنيا والمراد اهل مكة فى قول الضحاك
وغيره ثم جاءهم ما كانوا يوعدون من العذاب
والهلاك ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون ما الاولى
استفهام معناه التقرير وهو فى موضع نصب ٥
باغنى وما الثانية فى موضع رفع ويجوز ان تكون
الثانية نفيا لا موضع لها وقيل ما الاولى حرف
نفى وما الثانية فى موضع رفع باغنى والهاء العايدة
محذوفة والتقدير ما اغنى عنهم الزمان الذى كانوا
يمتعونه وعن الزهرى ان عمر بن عبد العزيز كان
اذا اصبح امسك لحيته ثم يقرا افرايت ان متعناهم

سنين

سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم
ما كانوا يمتعون ثم يبكى ويقول
نهارك يا مغرور سهو وغفلة • وليلك نوم والردى لك لازم
فلا انت فى الايقاظ يقظان حازم • ولا انت فى النوام ناج فسالم
وتسعى الى ما سوف تكره غبه • كذلك فى الدنيا تعيش البهايم
قوله تعالى وما اهلكنا من قرية من صلة
المعنى وما اهلكنا قرية الا لها منذرون اى رسل ذكرى
قال الكسائى ذكرى فى موضع نصب على المصدر
قال الفرا اى يذكرون ذكرى وهذا قول صحيح لان
معناه الا لها منذرون الا لها مذكرون وذكرى لا
يتبين فيه الاعراب لان فيها الفا مقصورة ويجوز
ذكرى بالتنوين ويجوز ان يكون ذكرى فى موضع رفع
على اضمار مبتدا قال ابو اسحاق انذارنا ذكرى وقال
الفرا ذلك ذكرى وتلك ذكرى وقال ابن الانبارى
قال بعض المفسرين ليس فى الشعراء وقف
تام الا قوله الا لها منذرون وهذا عندنا وقف
حسن ثم نبتدى ذكرى على معنى هى ذكرى او ٥
يذكرهم ذكرى والوقف على ذكرى اجود وما كنا ظالمين
فى تعذيبهم حيث قدمنا الحجة عليهم واعذرنا
اليهم **قوله تعالى** وما تنزلت به الشياطين
يعنى بالقران بل نزل به الروح الامين وما ينبغى
لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون
اى برمى الشهب كما مضى فى تفسير سورة
الحجر بيانه وقرا الحسن ومحمد بن السميفع وما
تنزلت به الشياطون قال المهدوى وهو غير
جايز فى العربية ومخالف للخط وقال النحاس
وهذا غلط عند جميع النحويين وسمعت على بن
سليمان يقول سمعت محمد بن يزيد يقول هذا غلط
العلما انما يكون بدخول شبهة لما راى الحسن فى
اخره ياء ونونا وهو فى موضع رفع اشتبه عليه بالجمع
المسلم فغلط وفى الحديث احذروا زلة العالم وقد

قراهو مع الناس واذا خلوا الى شياطينهم ولو كان هذا
بالواو فى موضع رفع لوجب حذف النون للاضافة
وقال الثعلبى قال الفرا غلط الشيخ يعنى الحسن
فقيل ذلك للنضر بن شميل فقال ان جاز ان
يحتج بقول روبة والعجاج ودونهما جاز ان يحتج بقول
الحسن وصاحبه مع انا نعلم انهما لم يقرا ابذلك
الا وقد سمعا فى ذلك شيا وقال المورج ان كان
الشياطين من شاط يشيط كان لقراتهما وجه
وقال يونس بن حبيب سمعت اعرابيا يقول
دخلنا بساتين من ورايها بساتون فقلت ما
اشبه هذا بقراءة الحسن **قوله تعالى** فلا
تدع مع الله الها اخر فتكون من المعذبين قيل
المعنى قل لمن كفر هذا اوقيل هو مخاطبة له عليه
الصلاة والسلام وان كان لا يفعل هذا لانه معصوم
مختار ولكنه خوطب بهذا والمقصود غيره ودل
على هذا قوله سبحانه وتعالى وانذر عشيرتك
الاقربين اى لا يتكلوا على نسبهم وقرابتهم فيدعو
ما يجب عليهم **قوله تعالى** وانذر عشيرتك
الاقربين فيه مسئلتان **المسئلة الاولى**
قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين خص عشيرته
الاقربين بالانذار لتنحسم اطماع ساير عشيرته
واطماع الاجانب فى مفارقته اياهم على الشرك
وعشيرته الاقربون قريش وقيل بنو عبد
مناف ووقع فى صحيح مسلم وانذر عشيرتك
الاقربين ورهطك منهم المخلصين وظاهر هذا
انه كان قرانا يتلى وانه نسخ اذ لم يثبت نقله
فى المصحف ولا تواتر ويلزم على ثبوته اشكال وهو
انه كان يلزم عليه ان لا ينذر الا من امن من
عشيرته فان المومنين هم الذين يوصفون
بالاخلاص فى دين الاسلام وفى حب النبى عليه
الصلاة والسلام لا المشركون لانهم ليسوا على شى

من

من ذلك والنبى صلى الله عليه وسلم دعا عشيرته
كلهم مومنهم وكافرهم وانذر جميعهم ومن معهم
ومن ياتى بعدهم صلى الله عليه وسلم فلم يثبت
ذلك نقلا ولا معنى وروى مسلم من حديث ابى هريرة
رضى الله تعالى عنه قال لما نزلت هذه الاية
وانذر عشيرتك الاقربين دعا رسول الله صلى
الله عليه وسلم قريشا فاجتمعوا فعم وخص فقال
يا بنى كعب بن لوى انقذوا انفسكم من النار يا بنى
عبد شمس انقذوا انفسكم من النار يا بنى هاشم
انقذوا انفسكم من النار يا بنى عبد المطلب انقذوا
انفسكم من النار يا فاطمة انقذى نفسك من النار
فانى لا املك لكم من الله شيا غير ان لكم
رحما سابلها ببلالها **المسئلة الثانية** فى هذا
الحديث والاية دليل على ان القرب فى الانساب
لا ينفع مع البعد فى الاسباب ودليل على جواز صلة
المومن الكافر وارشاده ونصيحته لقوله ان لكم رحما
سابلها ببلالها وقوله سبحانه وتعالى لا ينهاكم الله
عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين الاية على ما ياتى
بيانه هناك ان شاء الله تعالى **قوله تعالى** واخفض
جناحك للمومنين تقدم فى تفسير سورة الحجر وسورة
سبحان يقال خفض جناحه اذا لان فان عصوك اى
خالفوا امرك فقل انى برى مما تعملون اى برى من
معصيتكم اياى لان عصيانهم اياه عصيان لله جل
وعز لانه عليه الصلاة والسلام لا يامر الا بما يرضاه
ومن تبرا منه فقد تبرا الله سبحانه وتعالى منه
قوله تعالى وتوكل على العزيز الرحيم اى فوض
امرك اليه فانه العزيز الذى لا يغالب الرحيم الذى
لا يخذل اولياءه وقراءة العامة وتوكل بالواو وكذلك
هو فى مصاحفهم وقرا نافع وابن عامر فتوكل بالفا
وكذلك فى مصاحف المدينة والشام الذى يراك حين
تقوم اى حين تقوم الى الصلاة فى قول اكثر المفسرين

ابن عباس وغيره وقال مجاهد يعنى حين تقوم
حيث ما كنت وتقلبك فى الساجدين قال مجاهد
وقتادة فى المصلين وقال ابن عباس رضى الله
تعالى عنه اى فى اصلاب الاباء ادم ونوح وابراهيم
صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين حتى اخرجه
نبيا وقال عكرمة يراك قايما وراكعا وساجدا
وقاله ابن عباس ايضا وقيل المعنى انك ترى
بقلبك فى صلاتك من خلفك كما ترى بعينيك من
قدامك روى عن مجاهد ذكره الماوردى والثعلبى
وكان عليه الصلاة والسلام يرى من خلفه كما
يرى من بين يديه وذلك ثابت فى الصحيح وفى
تاويل الاية بعيد انه هو السميع العليم تقدم والله
اعلم **قوله تعالى** هل انبيكم على من تنزل
الشياطين تنزل على كل افاك اثيم انما قال
تنزل لانها اكثر ما تكون فى الهوا وانها تمر مر الريح
يلقون السمع واكثرهم كاذبون تقدم فى تفسير
سورة الحجر فيلقون السمع صفة الشياطين
واكثرهم يرجع الى الكهنة وقيل الى الشياطين
قوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون فيه
ست مسايل **المسئلة الاولى** قوله والشعراء
الشعرا جمع شاعر مثل جاهل وجهلا قال ابن عباس
رضى الله تعالى عنه هم الكفار يتبعهم ضلال
الجن والانس وقيل الغاوون الزايلون عن الحق
ودل بهذا ان الشعرا ايضا غاوون لانهم لو لم
يكونوا غاوين ما كان اتباعهم كذلك وقد قدمنا
فى تفسير سورة النور ان من الشعر ما يجوز
انشاده ويكره ويحرم روى مسلم من حديث
عمرو بن الشريد عن ابيه قال ردفت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال هل معك من شعر
امية بن ابى الصلت شى قلت نعم قال هيه
فانشدته بيتا فقال هيه ثم انشدته بيتا

فقال هيه حتى انشدته ماية بيت هكذا صواب
هذا السند وصحيح روايته وقد وقع لبعض رواة
كتاب مسلم عن عمرو بن الشريد عن الشريد
عن ابيه وهو وهم لان الشريد هو الذى اردفه
رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه وانشده
شعر امية لا ابو الشريد واسم ابى الشريد سويد
وفى هذا دليل على حفظ الاشعار والاعتنا بها
اذا تضمنت الحكم والمعانى المستحسنة شرعا
وطبعا وانما استحسن النبى صلى الله عليه وسلم
من شعر امية لانه كان حكما الا ترى قوله عليه
الصلاة والسلام وكاد امية بن ابى الصلت ان
يسلم فاما اذا تضمن ذكر الله وحمده والثنا عليه
فذلك مندوب اليه كقول القايل

احمد الله العلى المنان ٭ صار الثريد فى روس العيدان ٭

او ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم او مدحه
كقول العباس

من قبلها طبت فى الظلال وفى ٭ مستودع حيث يخصف الورق ٭
ثم هبطت البلاد لا بشر انت ولا مضغة ولا علق ٭
بل نطفة تركب السفين وقد ٭ الجم نسرا واهله الغرق ٭
تنقل من صالب الى رحم ٭ اذا مضى عالم بدا طبق ٭

فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لا يفضض الله
فاك او الذب عنه كقول حسان

هجوت محمدا فاجبت عنه ٭ وعند الله فى ذاك الجزاء

وهى ابيات ذكرها مسلم فى صحيحه وهى فى السير اتم
او الصلاة عليه كما روى زيد بن اسلم قال خرج
عمر ليلة يحرس فراى مصباحا فى بيت واذا عجوز
تنفش صوفا وتقول ٭

٭ على محمد صلاة الابرار ٭
٭ صلى عليه الطيبون الاخيار ٭
٭ قد كنت قواما بكا بالاسحار ٭
٭ يا ليت شعرى والمنايا اطوار ٭

هل تجمعني وحبيبي الدار

يعني النبي صلى الله عليه وسلم فجلس عمر يبكي وكذلك ذكر اصحابه ومدحهم رضي الله تعالى عنهم ولقد احسن محمد بن سابق حيث قال

انى رضيت عليا للهدى علما
كما رضيت عتيقا صاحب الغار
وقد رضيت اباحفص وشيعته
وما رضيت بقتل الشيخ في الدار
كل الصحابة عندي قدوة علم
فهل علي بهذا القول من عار
ان كنت تعلم اني لا احبهم
الا من اجلك فاعتقني من النار

وقال اخر فاحسن

حب النبي مفترض وحب اصحابه نور ببرهان
من كان يعلم ان الله خالقه لا يرمين ابا بكر ببهتان
ولا اباحفص الفاروق صاحبه ولا الخليفة عثمان بن عفان
اما علي فمشهور فضائله والبيت لا يستوي الا باركان

قال ابن العربي واما الاستعارات في التشبيهات فمأذون فيها وان استغرقت الحد وتجاوزت المعتاد فبذلك يضرب الملك الموكل بالرؤيا المثل وقد انشد كعب بن زهير رضي الله تعالى عنه النبي صلى الله عليه وسلم

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول
متيم اثرها لم يفد مكبول
وما سعاد غداة البين اذ رحلوا
الا اغن غضيض الطرف مكحول
تجلو عوارض ذي ظلم اذا ابتسمت
كانه منهل بالراح معلول

فجاء في هذه القصيدة من الاستعارات والتشبيهات بكل بديع والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع ولا ينكر في تشبيهه ريقها بالراح وانشد ابو بكر رضي الله تعالى عنه

فقدنا الوحي اذ وليت عنا
وودعنا من الله الكلام
سوى ما قد تركت لنا رهينا
توارثه القراطيس الكرام

فقد اورثتنا ميراث صدق عليك به التحية والسلام

فاذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمعه وابو بكر رضي الله تعالى عنه ينشده فهل للتقليد والاقتداء موضع ارفع من هذا قال ابو عمر ولا ينكر الحسن من الشعر احد من اهل العلم ولا من اولي النهى وليس احد من كبار الصحابة رضوان الله تعالى عليهم واهل العلم وموضع القدوة الا وقد قال الشعر وتمثل به او سمعه فرضيه ما كان حكمة او مباحا ولم يكن فيه فحش ولا خنى ولا لمسلم اذى فان كان كذلك فهو والمنثور من القول سواء لا يحل سماعه ولا قوله روى ابو هريرة رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول اصدق كلمة او اشعر كلمة قالتها العرب قول لبيد

الا كل شيء ما خلا الله باطل

اخرجه مسلم وزاد وكاد امية بن ابي الصلت ان يسلم وروي عن ابن سيرين انه انشد شعرا فقال له بعض جلسائه مثلك ينشد الشعر يا ابا بكر فقال ويلك يا لكع وهل الشعر الا كلام لا يخالف سائر الكلام الا في القوافي فحسنه حسن وقبيحه قبيح قال وقد كانوا يتذاكرون الشعر قال وسمعت ابن عمر ينشد

يحب الخمر من مال الندامى
ويكره ان تفارقه الفلوس

وكان عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود احد فقهاء المدينة العشرة ثم المشيخة السبعة شاعرا مجيدا مقدما فيه وللزبير بن بكار القاضي في اشعاره كتاب وكان له زوجة تسمى عثمة فعتب عليها في بعض الامر فطلقها وله فيها اشعار كثيرة منها قوله

تغلغل حب عثمة في فؤادي
فباديه مع الخافي يسير
تغلغل حيث لم يبلغ شراب
ولا حزن ولم يبلغ سرور

اكاد اذا ذكرت العهد منها اطير لو ان انسانا يطير
وقال ابن شهاب قلت له تقول الشعر في نسكك
وفضلك فقال ان المصدور اذا نفث برا **المسئلة
الثانية** واما الشعر المذموم الذي لا يحل سماعه
وصاحبه ملوم فهو التكلم بالباطل حتى يفضلوا
اجبن الناس على عنتره واشحهم على حاتم وان
يبهتوا البري ويفسقوا التقي وان يفرطوا في القول
بما لم يفعله المرء رغبة في تسلية النفس وتحسين
القول كما روي عن الفرزدق ان سليمان بن عبد
الملك سمع قوله

فبتن بجانبي مصرعات وبت افض اغلاق الختام

فقال قد وجب عليك الحد فقال يا امير المؤمنين
قد درأ الله عني الحد بقوله وانهم يقولون ما لا
يفعلون وروي ان النعمن بن عدي بن نضله كان
عاملا لعمر بن الخطاب فقال

الا هل اتى الحسناء ان حليلها
بميسان يسقى في زجاج وحنتم
اذا شئت غنتني دهاقين قرية
ورقاصة تجدو على كل ميسم
فان كنت ندماني فبالاكبر اسقني
ولا تسقني بالاصغر المتثلم
لعل امير المؤمنين يسوءه
تنادمنا بالجوسق المتهدم

فبلغ ذلك عمر رضي الله تعالى عنه فارسل
اليه بالقدوم وقال اني والله يسوءني فقال يا امير
المؤمنين ما فعلت شيئا مما قلت وانما كانت فضلة
من القول وقد قال الله سبحانه وتعالى والشعراء
يتبعهم الغاوون فقال له عمر اما عذرك فقد درا
عنك الحد ولكن لا تعمل لي عملا ابدا وذكر الزبير
ابن بكار قال حدثني مصعب بن عثمان ان عمر
ابن عبد العزيز لما ولي الخلافة لم يكن له هم

الاعمر

الا عمر بن ابي ربيعة والاحوص فكتب الى عامله الى
المدينة اني قد عرفت عمر والاحوص بالخبث والشر
فاذا اتاك كتابي هذا فاشدد عليهما واحملهما
الي فلما اتاه الكتاب حملهما اليه فاقبل على عمر
فقال هيه

فلم ار كالتجمير منظر ناظر ولا كليالي الحج افلتن ذا هوى
ومن مالئ عينيه من شيء غيره اذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى

اما والله لو اهتممت بحجك لم تنظر الى شيء غيرك فاذا
لم يفلت الناس منك في هذه الايام فمتى يفلتون
ثم امر بنفيه فقال يا امير المؤمنين او خير من
ذلك قال ما هو قال اعاهد الله الا اعود لمثل هذا
الشعر ولا اذكر النساء في شعر ابدا واجدد توبة
قال او تفعل قال نعم فعاهد الله على توبته
وخلاه ثم دعا بالاحوص فقال هيه

الله بيني وبين قيمها يهرب بها مني واتبعه بل الله بين قيمها
وبينك ثم امر بنفيه فكلمه فيه رجال من الانصار
فابى وقال والله لا ارده ما كان لي سلطان فانه
فاسق مجاهر فهذا احكم الشعر المذموم وحكم صاحبه
فلا يحل سماعه ولا انشاده في مسجد ولا في غيره
كمنثور الكلام القبيح ونحوه روى اسمعيل بن عياش
عن عبد الله بن عون عن محمد بن سيرين عن ابي هريرة
رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم حسن الشعر كحسن الكلام وقبيح الشعر
كقبيح الكلام رواه عن اسمعيل عن عبد الله بن عون
الشامي وحديثه عن اهل الشام صحيح فيما قال يحيى
ابن معين وغيره وروى عبد الله بن عمرو بن العاصي
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعر
بمنزلة الكلام حسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح
الكلام **المسئلة الثالثة** روى مسلم عن
ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لان يمتلي جوف احدكم قيحا

يريه خير من ان يمتلئ شعرا وفي الصحيح ايضا عن
ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال بينا
نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعرج
اذ عرض شاعر ينشد فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم خذوا الشيطان او امسكوا الشيطان
لان يمتلئ جوف رجل قيحا خير له من ان يمتلئ شعرا
قال علماؤنا رحمهم الله تعالى انما فعل النبي
صلى الله عليه وسلم هذا مع هذا الشاعر لما
علم من حاله انه قد اتخذ الشعر طريقا للكسب
فيفرط في المدح اذا اعطي وفي الهجو والذم اذا منع
فيؤذي الناس في اموالهم واعراضهم ولا خلاف
في ان من كان على مثل هذه الحالة فكل ما يكتسبه
بالشعر حرام وكل ما يقوله عليه حرام من ذلك
ولا يحل الاصغاء اليه بل يجب الانكار عليه فان لم
يمكن ذلك لمن خاف من لسانه قطعا تعين عليه
ان يداريه بما استطاع ويدافعه بما امكن ولا يحل
ان يعطي شيئا ابتداء لان ذلك عون على المعصية
فان لم يجد من ذلك بدا اعطاه بنية وقاية العرض
فما وقى به المرء عرضه كتب له به صدقة قوله
لان يمتلئ جوف احدكم قيحا حتى يريه القيح المدة
يخالطها دم يقال منه قاح الجرح يقيح وتقيح وقيح
ويريه قال الاصمعي هو من الوري على مثال
الرمي وهو ان يدوي جوفه يقال منه رجل موري
مشدد غير مهموز وفي الصحاح ورى القيح جوفه
يريه وريا اذا اكله وانشد اليزيدي

قالت له وريا اذا تنحنح

وهذا الحديث احسن ما قيل في تاويله انه هو
الذي قد غلب عليه الشعر وامتلا صدره منه دون
علم سواه ولا شيء من الذكر ممن يخوض به في الباطل
ويسلك به مسالك لا تحمد له كالمكثير من اللغط ۝
والهذر والغيبة وقبيح القول ومن كان الغالب عليه

الشعر لزمته هذه الاوصاف المذمومة الدنية
بحكم العادة الادبية وهذا المعنى هو الذي اشار
اليه البخاري في صحيحه لما بوب على هذا الحديث
باب ما يكره من ان يكون الغالب على الانسان
الشعر وقد قيل في تاويله ان المراد بذلك الشعر
الذي هجي به النبي صلى الله عليه وسلم او غيره
وهذا ليس بشيء لان القليل من هجو النبي صلى
الله عليه وسلم وكثيره سواء في انه كفر ومذموم وكذلك
هجو غير النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين
محرم قليله وكثيره وحينئذ لا يكون لتخصيص الذم
بالكثير معنى **المسئلة الرابعة** قال الامام
الشافعي رحمه الله تعالى الشعر نوع من الكلام
حسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيحه يعني ان الشعر
ليس يكره لذاته وانما يكره لمتضمناته وقد كان
عند العرب عظيم الموقع حتى قال الاول منهم

وجرح اللسان كجرح اليد

وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الشعر الذي
يرد به حسان على المشركين انه لاسرع فيهم
من رشق بالنبل اخرجه مسلم وروى الترمذي
وصححه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة
في عمرة القضا وعبد الله بن رواحة يمشي بين
يديه ويقول

خلوا بني الكفار عن سبيله • اليوم نضربكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله • ويذهل الخليل عن خليله

فقال عمر يا ابن رواحة في حرم الله وبين يدي
رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم
خل عنه يا عمر فلهو اسرع فيهم من نضح النبل ۝
المسئلة الخامسة قوله تعالى والشعراء
يتبعهم الغاوون لم يختلف القراء في رفع والشعراء
فيما علمت ويجوز النصب على اضمار فعل يفسره

يتبعهم وبه قرأ عيسى بن عمر قال ابو عبيد كان الغالب
عليه حب النصب قرأ والسارق والسارقة وحمالة
الحطب وسورة انزلناها وقرأ نافع وشيبة والحسن
والسلمي يتبعهم مخففا والباقون يتبعهم وقال
الضحاك تهاجى رجلان احدهما انصاري والآخر
مهاجري على عهد النبي صلى الله عليه وسلم مع كل
واحد غواة قومه وهم السفهاء فنزلت وقاله ابن
عباس رضي الله تعالى عنه وعنه هم الرواة للشعر
وروى عنه علي بن ابي طلحة انهم الكفار يتبعهم
ضلال الجن والانس وقد ذكرناه وروى غضيف
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من احدث
هجاء في الاسلام فاقطعوا لسانه وعن ابن عباس
رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما افتتح مكة رن ابليس رنة فاجتمع اليه ذريته
فقال ايئسوا ان تريدوا امة محمد صلى الله عليه وسلم
على الشرك بعد يومكم هذا ولكن افتنوا فيهما
يعني مكة والمدينة الشعر والنوح **المسئلة
السادسة** قوله تعالى الم تر انهم في كل واد
يهيمون يقول في كل لغو يخوضون ولا يتبعون
سنن الحق لان من اتبع الحق وعلم انه يكتب عليه
ما يقوله تثبت ولم يكن هائما يذهب على وجهه
لا يبالي ما قال نزلت في عبد الله بن الزبعرى وهبيرة
ابن وهب ومسافر بن عبد مناف وامية بن ابي الصلت
وانهم يقولون ما لا يفعلون يقول اكثرهم
يكذبون اي يدلون بكلامهم على الكرم والخير
ولا يفعلونه وقيل انها نزلت في ابي عزة الجمحي
حيث قال

الا ابلغا عني النبي محمدا • بانك حق والمليك حميد •
ولكن اذا ذكرت بدرا واهلها • تأوه مني اعظم وجلود •

ثم استثنى شعراء المؤمنين حسان بن ثابت
وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وكعب بن زهير

ومن

ومن كان على طريقهم من القول الحق فقال الا
الذين امنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا
في كلامهم وانتصروا من بعد ما ظلموا وانما يكون
الانتصار بالحق وبما حده الله عز وجل فان تجاوز
ذلك فقد انتصر بالباطل وقال ابو الحسن المبرد
لما نزلت والشعراء جاء حسان وكعب بن مالك
وابن رواحة يبكون الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقالوا يا نبي الله انزل الله تعالى هذه الاية وهو
سبحانه وتعالى يعلم انا شعراء فقال اقرؤوا ما بعدها
الا الذين امنوا وعملوا الصالحات الاية انتم وانتصروا
من بعد ما ظلموا انتم اي بالرد على المشركين قال
صلى الله عليه وسلم انتصروا ولا تقولوا الا حقا
ولا تذكروا الاباء والامهات فقال حسان لابي
سفيان

هجوت محمدا فاجبت عنه • وعند الله في ذاك الجزاء •
وان ابي ووالده وعرضي • لعرض محمد منكم وقاء •
اتشتمه ولست له بكفوء • فشركما لخيركما الفداء •
لساني صارم لا عيب فيه • وبحري لا تكدره الدلاء •

وقال كعب يا رسول الله ان الله سبحانه وتعالى
قد انزل في الشعر ما قد علمت فكيف ترى فيه
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان المؤمن
يجاهد بنفسه وسيفه ولسانه والذي نفسي
بيده لكانما ترمونهم به نضح النبل وقال كعب

جاءت سخينة كي تغالب ربها • وليغلبن هنالك الغلاب

فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد مدحك
الله يا كعب في قولك هذا وروى الضحاك عن
ابن عباس رضي الله تعالى عنه انه قال قوله
والشعراء يتبعهم الغاوون منسوخ بقوله الا
الذين امنوا وعملوا الصالحات قال المهدوي والصحيح
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه انه استثنا
وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون في هذا

تهديد لمن انتصر بظلم وقال شريح سيعلم الظالمون كيف يخلصون من بين يدي الله سبحانه وتعالى فالظالم ينتظر العقاب والمظلوم ينتظر النصرة وقرا ابن عباس رضي الله تعالى عنه اى منقلب ينفلتون بالفاء والتاء ومعناهما واحد ذكرهما الثعلبي ومعنى اى منقلب ينقلبون اى مصير يصيرون واى مرجع يرجعون لان مصيرهم الى النار وهو اقبح مصير ومرجعهم الى العذاب وهو شر مرجع والفرق بين المنقلب والمرجع ان المنقلب الانتقال الى ضد ما هو فيه والمرجع العود من حال هو فيها الى حال كان عليها فصار كل مرجع منقلب مرجعا والله سبحانه وتعالى اعلم ذكره الماوردي واى منصوب بينقلبون وهو بمعنى المصدر ولا يجوز ان يكون منصوبا بسيعلم لان ايا وسائر اسماء الاستفهام لا يعمل فيها ما قبلها فيما ذكر النحويون قال النحاس وحقيقة القول في ذلك ان الاستفهام معنى وما قبله معنى اخر فلو عمل فيه ما قبله لدخل بعض المعاني في بعض تمت السورة والحمد لله على ذلك وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

تفسير سورة النمل

مكية في قول الجميع وهي ثلاث وتسعون اية وقيل اربع وتسعون.

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى طس تلك ايات الكتاب وقران مبين مضى الكلام في الحروف المقطعة في تفسير سورة البقرة وغيرها وتلك بمعنى هذه اى هذه السورة ايات القران وايات كتاب مبين وذكر القران بلفظ المعرفة وقال وكتاب مبين بلفظ النكرة وهما في معنى المعرفة كما تقول فلان رجل

عاقل

عاقل وفلان الرجل العاقل والكتاب هو القران فجمع له بين الصفتين بانه قران وانه كتاب لانه ما يظهر بالكتابة ويظهر بالقراءة وقد مضى اشتقاقهما في تفسير سورة البقرة وقال في سورة الحجر الر تلك ايات الكتاب وقران مبين فاخرج الكتاب بلفظ المعرفة والقران بلفظ النكرة وذلك لان القران والكتاب اسمان يصلح لكل واحد منهما ان يجعل معرفة وان يجعل صفة ووصفه بالمبين لانه يبين فيه امره ونهيه وحلاله وحرامه ووعده ووعيده وقد تقدم قوله تعالى هدى وبشرى للمؤمنين هدى في موضع نصب على الحال من الكتاب اى تلك ايات الكتاب هادية ومبشرة ويجوز فيه الرفع على الابتداء اى هو هدى وان شئت على حذف حرف الصفة اى فيه هدى ويجوز ان يكون الخبر للمؤمنين ثم وصفهم الله سبحانه وتعالى فقال الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالاخرة هم يوقنون وقد مضى في اول تفسير سورة البقرة بيان هذا والحمد لله قوله تعالى ان الذين لا يؤمنون بالاخرة اى لا يصدقون بالبعث زينا لهم اعمالهم قيل اعمالهم السيئة حتى راوها حسنة وقيل زينا لهم اعمالهم الحسنة فلم يعملوها وقال الزجاج جعلنا جزاهم على كفرهم ان زينا لهم ما هم فيه فهم يعمهون اى يترددون في اعمالهم الخبيثة وفي ضلالتهم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ابو العالية يتمادون قتادة يلعبون الحسن يتحيرون قال الراجز

ومهمه اطرافه في مهمه • اعمى الهدى بالحائرين العمه

قوله تعالى اولئك الذين لهم سوء العذاب وهو جهنم وهم في الاخرة هم الاخسرون في الاخرة تبيين وليس بمتعلق بالاخسرين فان من الناس من خسر الدنيا وربح الاخرة وهؤلاء خسروا الاخرة

بكفرهم فهم اخسر كل خاسر والله اعلم **قوله تعالى** وانك لتلقى القران اى يلقى عليك فتلقاه
وتعلمه وتاخذه من لدن حكيم عليم لدن بمعنى
عند الا انها مبنية غير معربة لانها لا تتمكن وفيها
لغات ذكرت فى الكهف وهذه الاية بساط وتمهيد لما
يريد ان يسوق من الاقاصيص وما فى ذلك من لطايف
حكمته ودقايق علمه   اذ قال موسى لقومه
لاهله اذ منصوب بمضمر وهو اذكر كانه قال على اثر
ذلك قوله وانك لتلقى القران من لدن حكيم عليم
خذ يا محمد قصة حكمته وعلمه وقصة موسى عليه الصلاة
والسلام اذ قال لاهله انى انست نارا اى ابصرتها من
بعد قال الحرث بن حلزه

انست نبأة وافزعها القناص عصرا وقد دنا الامساء

سآتيكم منها بخبر او اتيكم بشهاب قبس لعلكم
تصطلون قرا عاصم وحمزة والكسائى بشهاب
قبس بتنوين شهاب والباقون بغير تنوين على
الاضافة اى بشعلة نار واختاره ابو عبيد وابو حاتم
وزعم الفرا فى تركه التنوين انه بمنزلة قولهم ولدار
الاخرة ومسجد الجامع وصلاة الاولى اضاف الشى
الى نفسه اذا اختلفت اسماؤه قال النحاس اضافة
الشى الى نفسه محال عند البصريين لان معنى الاضافة
فى اللغة ضم الشى الى الشى فمحال ان يضم الى نفسه
وانما يضاف الشى الى الشى ليتبين به معنى الملك
او النوع فمحال ان يتبين انه مالك نفسه او من نوعها
وشهاب قبس اضافة النوع والجنس كما تقول هذا
ثوب خز وخاتم حديد وشبهه والشهاب كل ذى نور
نحو الكوكب والعود الموقد والقبس اسم لما يقتبس
من جمر وما اشبهه فالمعنى بشهاب من قبس يقال
اقتبست قبسا والاسم قبس كما تقول قبضت قبضا
والاسم القبض ومن قرا بشهاب قبس جعله بدلا
منه المهدوى او صفة له لان القبس يجوز ان يكون

اسما غير صفة ويجوز ان يكون صفة فاما كونه صفة
فلانهم قالوا قبسته اقبسه قبسا والقبس المقبوس
واذا كان صفة فالاحسن ان يكون نعتا والاضافة
فيه اذا كان غير صفة احسن وهى اضافة النوع
الى جنسه كخاتم فضة وشبهه ولو قرى بنصب
قبس على البيان او الحال لجاز النحاس ويجوز فى
غير القران بشهاب قبسا على انه مصدر او بيان او
حال لعلكم تصطلون اصل الطا تا فابدل منها
طا لان الطا مطبقة والصاد مطبقة فكان الجمع بينهما
حسنا ومعناه تستدفون من البرد يقال اصطلى
يصطلى اذا استدفا قال الشاعر

النار فاكهة الشتاء فمن يرد
اكل الفواكه شاتيا فليصطل

الزجاج كل ابيض ذى نور فهو شهاب ابو عبيدة الشهاب
النار قال ابو النجم

كانما كان شهابا واقدا
اضاء ضوءا ثم صار جامدا

احمد بن يحيى اصل الشهاب عود فى احد طرفيه
جمرة والاخر لا نور فيه وقول النحاس فيه حسن
والشهاب الشجاع المعنى ومنه قيل للكوكب الذى
يمد ضوءه فى السماء وقال الشاعر

فى كفه صعدة مثقفة فيها سنان كشعلة القبس

قوله تعالى فلما جاءها اى فلما جاء موسى الذى
فلما جاءها اى فلما جاء موسى الذى ظن انها نار وهى
نور قال وهب بن منبه فلما راى موسى النار وقف
قريبا منها فراها تخرج من فرع شجرة خضرا شديدة
الخضرة يقال لها العليق لا تزداد النار الا تضرما
وعظما ولا تزداد الشجرة الا خضرة وحسنا فعجب
منها واهوى اليها بضغث فى يده ليقتبس منها
فمالت اليه فخافها فتاخر عنها ثم لم تزل تطمعه
ويطمع فيها الى ان وضح امرها على انها مامورة لا يدرى

الى ان نودى ان بورك من فى النار ومن حولها وقد مضى
هذا المعنى فى تفسير سورة طه عليه الصلاة والسلام
نودى اى ناداه الله تبارك وتعالى كما قال الله سبحانه
وتعالى وناديناه من جانب الطور الايمن ان بورك قال
الزجاج ان فى موضع نصب اى بانه قال ويجوز ان يكون
فى موضع رفع جعلها اسم ما لم يسم فاعله وحكى
ابو حاتم ان فى قراءة ابى وابن عباس ومجاهد ان بوركت
النار ومن حولها قال النحاس ومثل هذا لا يوجد باسناد
صحيح ولو صح لكان على التفسير فتكون البركة راجعة
الى النار ومن حولها الملايكة وموسى عليهما الصلاة والسلام
وحكى الكسائى عن العرب باركك الله وبارك فيك
الثعلبى العرب تقول باركك الله وبارك فيك وبارك
عليك وبارك لك اربع لغات قال الشاعر

فبوركت مولودا وبوركت ناشيا * وبوركت عند الشيب اذ انت اشيب

الطبرى قال بورك من فى النار ولم يقل بورك على
النار على لغة من يقول باركك الله ويقال باركه الله
وبارك له وبارك عليه وبارك فيه بمعنى اى بورك
على من فى النار وهو موسى او على من فى قرب النار لا انه
كان فى وسطها وقال السدى كان فى النار ملايكة
فالتبريك عايد الى موسى والملايكة اى بورك فيك
يا موسى وفى الملايكة الذين هم حولها وهذا تحية من
الله سبحانه وتعالى لموسى عليه الصلاة والسلام
وتكرمة كما حيا ابراهيم عليه الصلاة والسلام على
السنة الملايكة صلوات الله وسلامه عليهم حين
دخلوا عليه قال رحمت الله وبركاته عليكم اهل البيت
وقول ثالث قاله ابن عباس والحسن وسعيد بن
جبير قدس من فى النار وهو الله سبحانه وتعالى
عنى نفسه تقدس وتعالى قال ابن عباس ومحمد
بن كعب النار نور الله عز وجل نادى الله سبحانه وتعالى
موسى عليه الصلاة والسلام وهو فى النور وتاويل

هذا ان موسى عليه الصلاة والسلام راى نورا
عظيما فظنه نارا وهذا لان الله سبحانه وتعالى
ظهر لموسى عليه الصلاة والسلام باياته وبكلامه
وكلامه من النار لا انه يتحيز فى جهة وهو فى السماء اله
وفى الارض اله لا انه يتحيز فيهما ولكن يظهر فى كل فعل
فيعلم به وجود الفاعل وقيل على هذا اى بورك
من فى النار سلطانه وقدرته وقيل اى بورك
ما فى النار من امر الله سبحانه وتعالى الذى جعله
علامة قال الشيخ القرطبى رحمه الله تعالى ومما
يدل على صحة قول ابن عباس رضى الله تعالى
عنه ما اخرجه مسلم فى صحيحه وابن ماجة فى سننه
واللفظ له عن ابى موسى رضى الله تعالى عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينام
ولا ينبغى له ان ينام يخفض القسط ويرفعه حجابه
النور لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل شى
ادركه بصره ثم قرا ابو عبيدة ان بورك من فى
النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين خرجه
مسلم البيهقى ايضا ولفظ مسلم عن ابى موسى رضى
الله تعالى عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم بخمس كلمات فقال ان الله لا ينام عز وجل
لا ينام ولا ينبغى له ان ينام يخفض القسط ويرفعه
يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار
قبل عمل الليل حجابه النور وفى رواية ابى بكر النار
لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ومنها قيل سبحان
الله انما هو تعظيم له وتنزيه وقوله لو كشفها يعنى
لو رفع الحجاب عن اعينهم ولم يثبتهم لرؤيته
لاحترقوا وما استطاعوا لها وقال ابن جريج النار
حجاب من الحجب وهى سبعة حجب حجاب العز وحجاب
الملك وحجاب السلطان وحجاب النار
وحجاب النور وحجاب الغمام وحجاب الماء وبالحقيقة
فالمخلوق المحجوب والله سبحانه وتعالى لا يحجبه شى

فكانت النور نارا او انما ذكره بلفظ النار لان موسى
عليه الصلاة والسلام حسبه نارا والعرب تضع احدهما
موضع الاخر وقال سعيد بن جبير رضي الله تعالى
عنه كانت النار بعينها فاسمعه الله سبحانه وتعالى
كلامه من ناحيتها واظهر له ربوبيته من جهتها وهو
كما روي انه مكتوب في التوراة جاء الله من سيناء
واشرف من ساعير بعثة المسيح منها واستعلاه
من فاران بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وفاران
مكة وسياتي في تفسير سورة القصص لاسماعه
سبحانه كلامه من الشجرة زيادة بيان ان شاء الله
تعالى **قوله تعالى** وسبحان الله رب العالمين
تنزيها وتعقيدا ببسم الله رب العالمين وقد تقدم في
غير موضع والمعنى اي يقول من حولها سبحان الله
فحذف وقيل ان موسى عليه الصلاة والسلام قاله
حين فرغ من سماع النداء استعانة بالله سبحانه وتعالى
وتنزيها له قاله السدي وقيل هو من قول الله
سبحانه وتعالى ومعناه وبورك فيمن سبح الله رب
العالمين حكاه ابن شجرة **قوله تعالى** يا موسى
انه انا الله العزيز الحكيم الهاء عماد وليست بكناية
في قول الكوفيين والصحيح انها كناية عن الامر والشان
اي ان الامر والشان انا الله العزيز الغالب الذي
ليس كمثله شيء الحكيم في فعله وامره وقيل قال
موسى عليه الصلاة والسلام يا رب من ذا الذي
نادى اي المنادي لك انا الله **قوله تعالى** والق
عصاك قال وهب بن منبه ظن موسى عليه الصلاة
والسلام ان الله سبحانه وتعالى امره ان يرفضها
فرفضها وقيل انما قال له ذلك ليعلم موسى صلى
الله عليه وسلم ان المكلم له هو الله وان موسى
عليه الصلاة والسلام رسوله وكل نبي فلا بد له من
اية في نفسه يعلم بها نبوته وفي الاية حذف اي والق
عصاك فالقاها من يده فصارت حية تهتز كانها جان

وهي الحية الخفيفة الصغيرة الجسم وقال الكلبي
لا صغيرة ولا كبيرة وقيل انها قلبت له اولا حية
صغيرة فلما انس بها قلبت له حية كبيرة وقيل
انقلبت مرة حية صغيرة ومرة حية تسعى وهي الانثى
ومرة ثعبانا وهو الذكر الكبير من الحيات وقيل المعنى
انقلبت ثعبانا تهتز كانها جان لها عظم الثعبان وخفة
الجان واهتزازه وهي حية تسعى وجمع الجان جنان وهي
ومنه الحديث نهى عن قتل الجنان التي في البيوت ولى
مدبرا وهاربا على عادة البشر ولم يعقب اي لم يرجع
قاله مجاهد وقال قتادة لم يلتفت يا موسى لا تخف
اي من الحية وضررها اني لا يخاف لدي المرسلون وتم
الكلام ثم استثنى استثناء منقطعا فقال الا من ظلم
وقيل انه استثناء من محذوف والمعنى اني لا يخاف
لدي المرسلون وانما يخاف غيرهم ممن ظلم الا من
ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانه لا يخاف قاله
الفراء قال النحاس استثناء من محذوف محال لانه
استثناء من شيء لم يذكر ولو جاز هذا لجاز اني لا اضرب
القوم الا زيدا بمعنى اني لا اضرب القوم انما اضرب
غيرهم الا زيدا وهذا ضد البيان والمجيء بما لا يعرف
معناه وزعم الفراء ايضا ان بعض النحويين يجعل الا
بمعنى الواو اي ولا من ظلم قال

وكل اخ مفارقه اخوه لعمر ابيك الا الفرقدان

قال النحاس وكون الا بمعنى الواو لا وجه له ولا يجوز
في شيء من الكلام ومعنى الا خلاف الواو لانك اذا قلت
جاءني اخوتك الا زيدا اخرجت زيدا مما دخل فيه
الاخوة واذا قلت جاءني اخوتك وزيدا ادخلت زيدا
فيما دخل فيه الاخوة فلا نسبة بينهما ولا تقارب وفي
الاية قول اخر وهو ان يكون الاستثناء متصلا والمعنى
الا من ظلم من المرسلين باتيان الصغائر التي لا يسلم
منها احد سوى ما روي في يحيى بن زكريا عليه الصلاة
والسلام وما ذكره الله سبحانه وتعالى في نبينا عليه

الصلاة والسلام من قوله ليغفر لك الله ما تقدم من
ذنبك وما تاخر ذكره المهدوى واختاره النحاس قال
علم الله سبحانه وتعالى من عصى منهم فاستثناه
فقال الا من ظلم ثم بدل حسنا من بعد سوء اى
فانه يخاف وان كنت قد غفرت له الضحاك يعنى ادم
وداود عليهما الصلاة والسلام الزمخشرى كالذى فرط
من ادم ويونس وداود وسليمان واخوة يوسف ومن
موسى عليه الصلاة والسلام بوكزه القبطى فان قال
قائل فما معنى الخوف بعد التوبة والمغفرة قيل له
هذه سبيل العلماء بالله عز وجل ان يكونوا خائفين
من معاصيهم وجلين وهم ايضا لا يامنون ان يكون
قد بقى من اشتراط التوبة شىء لم ياتوا به فهم خائفون
من المطالبة به وقال الحسن وابن جريج قال الله
سبحانه وتعالى لموسى عليه الصلاة والسلام انى اخفتك
لقتلك النفس قال الحسن وكانت الانبياء عليهم
الصلاة والسلام تذنب فتعاقب قال الثعلبى
والقشيرى والماوردى وغيرهم فالاستثناء على
هذا صحيح اى الا من ظلم نفسه من المرسلين
والنبيين فيما فعل من صغيرة او قبل النبوة وكان
موسى صلوات الله وسلامه عليه خاف من قتل
القبطى وتاب منه وقيل انهم بعد النبوة معصومون
من الصغاير والكباير وقد مضى هذا فى تفسير سورة
البقرة قال الشيخ القرطبى رحمه الله تعالى والاول
اصح لتنصلهم من ذلك فى القيامة كما فى حديث الشفاعة
فاذا احدث المقرب حدثا فهو وان غفر له ذلك الحدث
فاثر ذلك الحدث باق وما دام الاثر والتهمة قايمة
فالخوف كاين لا خوف العقوبة ولكن خوف العظمة
والمتهم عند السلطان يجد للتهمة حزازة تؤذيه
الى ان تكدر عليه صفاء الثقة فموسى صلى الله عليه وسلم
قد كان منه الحدث فى ذلك الفرعونى ثم استغفر واقر
بالظلم على نفسه ثم غفر له ثم قال له بعد المغفرة

رب بما انعمت على فلن اكون ظهيرا للمجرمين ثم ابتلى
من الغد بالفرعونى الاخر واراد ان يبطش به فصار
حدثا اخر بهذه الارادة وانما ابتلى من الغد لقوله
فلن اكون ظهيرا وتلك كلمة احتراز من قوله لن افعل
فوقف بالارادة حتى اراد ان يبطش ولم يفعل
فسلط عليه الاسرايلى حتى افشى سره لان الاسرايلى
لما راه تشمر للبطش ظن انه يريده فافشى عليه
فقال يا موسى اتريد ان تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس
فهرب الفرعونى واخبر فرعون بما افشى الاسرايلى
على موسى عليه الصلاة والسلام وكان القتيل بالامس
مكتوما امره لا يدرى من قتله فلما علم فرعون بذلك
وجه فى طلب موسى عليه الصلاة والسلام ليقتله
واشتد الطلب واخذوا بمجامع الطرق جاء رجل من
اقصى المدينة يسعى فقال يا موسى ان الملا ياتمرون
بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين الاية
فخرج كما اخبر الله سبحانه وتعالى فخوف موسى انما
كان خوفه من اجل هذا الحدث فهو وان قربه ربه
واكرمه واصطفاه بالكلام فالتهمة الباقية ولت به
ولم يعقب قوله تعالى وادخل يدك فى جيبك
تخرج بيضاء من غير سوء تقدم فى تفسير سورة طه
عليه الصلاة والسلام القول فيه فى تسع ايات قال
النحاس احسن ما قيل فيه ان هذه الاية داخلة
فى تسع ايات المهدوى المعنى الق عصاك وادخل
يدك فى جيبك فهما ايتان من تسع ايات وقال
معناه القشيرى كما تقول خرجت فى عشرة نفر
وانت احدهم اى خرجت عاشر عشرة ففى بمعنى
من لقربهما منها كما تقول خذ لى عشرا من الابل
فيها فحلان اى منها وقال الاصمعى فى قول امرى
القيس

وهل ينعمن من كان اخر عهده ثلاثين شهرا فى ثلاثة احوال
فى بمعنى من وقيل فى بمعنى مع فالايات عشرة

منها اليد والتسع الفلق والعصا والجراد والقمل
والطوفان والدم والضفادع والسنين والطمس وقد
تقدم بيان جميعه الى فرعون وقومه قال الفرا
فى الكلام اضمار لدلالة الكلام عليه اى انك مبعوث
او مرسل الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين
اى خارجين عن طاعة الله سبحانه وتعالى وقد تقدم
قوله تعالى فلما جاءتهم اياتنا مبصرة اى واضحة
بينة قال الاخفش ويجوز مبصرة وهو مصدر كما
يقال الولد مجبنة قالوا هذا سحر مبين جروا على
عادتهم فى التكذيب ولهذا قال وجحدوا بها ۝
واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا اى تيقنوا انها من
عند الله سبحانه وتعالى وانها ليست سحرا ولكنهم
كفروا بها وتكبروا ان يؤمنوا بموسى عليه الصلاة
والسلام وهذا ابدل على انهم كانوا معاندين وظلما
وعلوا منصوبان على نعت مصدر محذوف اى وجحدوا
بها جحودا ظلما وعلوا والباء زائدة اى وجحدوها
قاله ابو عبيدة فانظر يا محمد كيف كان عاقبة
المفسدين اى جزاء امر الكافرين الطاغين انظر
ذلك بعين قلبك وتدبر فيه الخطاب له والمراد
غيره قوله تعالى ولقد اتينا داود وسليمان
علما اى فهما قاله قتادة وقيل علما بالدين والحكم
وغيرهما كما قال وعلمناه صنعة لبوس لكم وقيل
صنعة الكيميا وهو شاذ وانما الذى اتاه الله سبحانه
وتعالى النبوة والخلافة فى الارض والزبور وقالا
الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المومنين
وفى الاية دليل على شرف العلم وانافة محله وتقدم
حملته واهله وان نعمة العلم من اجل النعم ۝
واجزل القسم وان من اوتيه فقد اوتى فضلا على
كثير من عباد الله تعالى يرفع الله الذين امنوا
والذين اوتوا العلم درجات وقد تقدم هذا المعنى
فى غير موضع والله سبحانه وتعالى اعلم قوله تعالى

وورث

وورث سليمان داود قال الكلبى كان لداود صلى الله
عليه وسلم تسعة عشر ولدا ذكورا فورث سليمان من
بينهم نبوته وملكه ولو كان وراثة المال لكان جميع اولاده
فيه سواء وقاله ابن العربى قال فلو كانت وراثة مال
لانقسمت على العدد فخص الله سبحانه وتعالى سليمان
عليه الصلاة والسلام بما كان لداود عليه الصلاة ۝
والسلام من الحكمة والنبوة وزاده من فضله ملكا لا ينبغى
لاحد من بعده قال ابن عطية داود من بنى اسرائيل
وكان ملكا وورث سليمان ملكه ومنزلته من النبوة بمعنى
صار اليه ذلك بعد موت ابيه فسمى ميراثا تجوزا وهذا
نحو قولهم العلما ورثة الانبيا ويحتمل قوله
عليه الصلاة والسلام انا معشر الانبيا لا نورث ان
يريد ان ذلك من فعل الانبيا عليهم الصلاة والسلام
وسيرتهم وان كان فيهم من ورث ماله كزكريا على
اشهر الاقوال فيه وهذا كما تقول انا معشر المسلمين
انما شغلتنا العبادة والمراد ان ذلك فعل الاكثر ومنه
ما حكى سيبويه انا معشر العرب اقرى الناس للضيف
قال الشيخ رح القرطبى رحمه الله تعالى قد تقدم هذا
المعنى فى تفسير سورة مريم وان الصحيح القول الاول
لقوله عليه الصلاة والسلام انا معشر الانبيا لا نورث
فهو عام ولا يخرج شئ منه الا بدليل قال مقاتل كان
سليمان عليه الصلاة والسلام اعظم ملكا من داود عليه الصلاة
والسلام واقضى وكان داود اشد تعبدا من سليمان قال غيره
ولم يبلغ احد من الانبيا عليهم الصلاة والسلام ما بلغ
ملكه فان الله سبحانه وتعالى سخر له الجن والانس
والطير والوحش واتاه ما لم يوت احدا من العالمين
وورث اباه فى الملك والنبوة وقام بشريعته وكل نبى
جاء بعد موسى عليه الصلاة والسلام ممن بعث ولم
يبعث فكانما بعث بشريعة موسى الى ان بعث المسيح ۝
عليه الصلاة والسلام فنسخها وبينه وبين الهجرة نحو من الف
وثمانماية سنة واليهود تقول الف وثلاث ماية واثنتان ه

وستون سنة وقيل ان بين موته وبين مولد النبي
صلى الله عليه وسلم نحو من الف وسبعماية سنة و
واليهود تنقص منها ثلاث ماية سنة وعاش نيفا
وخمسين سنة **قوله تعالى** وقال يا ايها الناس
اى قال سليمان عليه الصلاة والسلام لبني اسرايل
على جهة الشكر لنعم الله سبحانه وتعالى علمنا
منطق الطير اى تفضل الله سبحانه وتعالى علينا
على ما ورثنا من داود عليه الصلاة والسلام من العلم
والنبوة والخلافة في الارض في ان فهمنا من اصوات
الطير المعاني التي في نفوسها قال مقاتل في الاية
كان سليمان عليه الصلاة والسلام جالسا اذ مر به
طاير يطوف فقال لجلسايه اتدرون ما يقول هذا
الطاير انها قالت لي ايها الملك المسلط والنبي لبني
اسرايل اعطاك الله الكرامة واظهرك على عدوك
اني منطلق الى افراخي واني امر بك الثانية وانه
سيرجع الينا الثانية ثم رجع فقال انه يقول السلام
عليك ايها الملك المسلط ان شيت ان تاذن لي كيما
اكتسب على افراخي حتى يشبوا ثم اتيك فافعل بي
ما شيت فاخبرهم عليه الصلاة والسلام بما قال واذن سليمان صح
له فانطلق وقال فرقد السبخي مر سليمان على
بلبل فوق شجرة يحرك راسه ويميل ذنبه فقال
لاصحابه اتدرون ما يقول هذا البلبل قالوا لا يا نبي
الله قال انه يقول اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا
العفاء ومر بهدهد فوق شجرة وقد نصب له صبي
فخا فقال له سليمان عليه الصلاة والسلام احذر
يا هدهد قال يا نبي الله هذا صبي ولا عقل له فانا
اسخر به ثم رجع سليمان عليه الصلاة والسلام
فوجده قد وقع في حبالة الصبي وهو في يده فقال
هدهد ما هذا قال ما رايتها حتى وقعت فيها يا نبي
الله قال ويحك فانت ترى الماء تحت الارض اما ترى
الفخ قال يا نبي الله اذا وقع القضا عمي البصر وقال كعب

صاح

صاح ورشان عند سليمان بن داود فقال اتدرون ما يقول
قالوا لا قال انه يقول لدوا للموت وابنوا للخراب وصاحت فاختة
فقال اتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول ليت هذا الخلق
لم يخلقوا وليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا وصاح عنده طاوس
فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول كما تدين تدان
وصاح عنده هدهد فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه
يقول من لا يرحم لا يرحم وصاح صرد عنده فقال اتدرون
ما يقول قالوا لا قال فانه يقول استغفروا الله يا مذنبين
فمن ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتله
وقيل ان الصرد هو الذي دل ادم عليه الصلاة والسلام
على مكان البيت وهو اول من صام ولذلك يقال له الصرد
الصوام روى عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه وصاحت
عنده طيطوى فقال اتدرون ما تقول قالوا لا قال انها
تقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاحت خطافة عنده
فقال اتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول قدموا
خيرا تجدوه فمن ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن قتلها وقيل ان ادم عليه الصلاة والسلام خرج
من الجنة فاشتكى الى الله سبحانه وتعالى الوحشة فانس
الله سبحانه وتعالى بالخطاف والزمها البيوت فهي لا تفارق
بني ادم انسا لهم قال ومعها اربع ايات من كتاب الله
سبحانه وتعالى لو انزلنا هذا القران على جبل الى
اخرها وتمد صوتها بقوله العزيز الحكيم وهدرت
حمامة عند سليمان عليه الصلاة والسلام فقال
اتدرون ما تقول قالوا لا قال انه تقول سبحان ربي
الاعلى عدد ما في سمواته وارضيه وصاح قمري عند
سليمان عليه الصلاة والسلام فقال اتدرون ما
يقول قالوا لا قال انه يقول سبحان ربي العظيم المهيمن
قال كعب وحدثهم سليمان عليه الصلاة والسلام
فقال الغراب يقول اللهم العن العشار والحداة
يقول كل شي هالك الا وجهه والقطاة تقول من
سكت سلم والببغا تقول ويل لمن الدنيا همه والضفد

ع

يقول سبحان ربى القدوس والبازى يقول سبحان
ربى وبحمده والسرطان يقول سبحان المذكور بكل
مكان وقال مكحول صاح دراج عند سليمان عليه
الصلاة والسلام فقال اتدرون ما يقول قالوا لا
قال انه يقول الرحمن على العرش استوى وقال
الحسن قال النبى صلى الله عليه وسلم الديك
اذا صاح قال اذكروا الله يا غافلين وقال الحسن
ابن على بن ابى طالب قال النبى صلى الله عليه وسلم
النسر اذا صاح قال يا ابن ادم عش ما شيت فاخرك
الموت واذا صاحت العقاب قالت فى البعد من الناس
الراحة واذا صاح القنبر قال الهى العن مبغضى
ال محمد واذا صاح الخطاف قال الحمد لله رب العالمين
الى اخرها فيقول ولا الضالين ويمد بها صوته كما يمد
القارى قال قتادة والشعبى انما هذا الامر فى
الطير خاصة لقوله علمنا منطق الطير والنملة طاير
اذ قد توجد له اجنحة قال الشعبى وكذلك كانت
هذه النملة ذات جناحين وقالت فرقة بل كان فى
جميع الحيوان وانما ذكر الطير لانه كان جندا من
جند سليمان عليه الصلاة والسلام يحتاجه فى ٥
التظليل عن الشمس وفى البعث فى الامور فخص
بالذكر لكثرة مداخلته ولان امر ساير الحيوان نادر
وغير متردد ترداد امر الطير وقال ابو جعفر
النحاس والمنطق قد يقع لما يفهم بغير كلام والله
جل وعز اعلم بما اراد قال ابن العربى من قال
انه لا يعلم الا منطق الطير فنقصان عظيم وقد اتفق
الناس على انه كان يفهم كلام من لا يتكلم ويخلق له
فيه القول من النبات فكان كل نبت يقول له انا شجر كذا
انفع من كذا واضر من كذا فما ظنك بالحيوان **قوله تعالى**
واوتينا من كل شى اى من كل ما الينا حاجة من النبوة والعلم
والحكمة والمال وتسخير الجن والانس والطير والرياح والوحش
والدواب وكلما بين السماء والارض ان هذا لهو الفضل المبين

اى

اى الطاهر والمطهر لتفضيلنا **قوله تعالى** وحشر
لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون
فيه مسيلتان **الاولى** قوله تعالى وحشر حشر جمع
والحشر الجمع ومنه قوله جل وعز وحشرناهم فلم
نغادر منهم احدا واختلف الناس فى مقدار جند
سليمان عليه الصلاة والسلام فيقال كان عسكره ماية
فرسخ فى ماية خمسة وعشرين للجن وخمسة وعشرون
للانس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون
للوحش وكان له الف بيت من قوارير على الخشب
فيها ثلاث ماية منكوحة وسبع ماية سرية ابن عطية
اختلف فى عسكره ومقدار جنده اختلافا شديدا غير
ان الصحيح ان ملكه كان عظيما ملا الارض وانقادت
له المعمورة كلها فهم يوزعون معناه يرد اولهم الى
اخرهم ويكفون قال قتادة كان لكل صنف وزعة
فى رتبتهم ومواضعهم من الكرسى ومن الارض اذا ٥
مشوا فيها يقال وزعته ازعه وزعا اى كففته والوازع
فى الحرب الموكل بالصفوف يزع من تقدم منهم روى محمد بن
اسحق عن اسما بنت ابى بكر قالت لما وقف رسول الله
صلى الله عليه وسلم بذى طوى يعنى يوم الفتح قال
ابو قحافة وقد كف يومئذ بصره لابنته اظهرى بى على
ابى قبيس قالت فاشرفت به عليه فقال ما ترين فقالت
ارى سوادا مجتمعا قال تلك الخيل قالت وارى رجلا
بين السواد مقبلا ومدبرا قال ذاك الوازع يمنعها ان
تنتشر وذكر تمام الخبر ومن هذا قوله عليه الصلاة
والسلام ما رى الشيطان يوما هو فيه اصغر ولا ادحر
ولا احقر ولا اغيظ منه فى يوم عرفة وما ذلك الا لما
يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الكبار من الذنوب
الا ما يرى يوم بدر قيل وما راى يا رسول الله فقال
اما انه راى جبريل يزع الملايكة خرجه الموطا ومن
هذا المعنى قول النابغة

على حين عاتبت المشيب على الصبا ۞ وقلت الما اصح والشيب وازع

وقال اخر

ولما تلاقينا جرت من جفوننا دموع وزعنا غربها بالاصابع

وقال اخر

ولا يزع النفس اللجوج عن الهوى من الناس الا وافر العقل كامله

وقيل هو من التوزيع بمعنى التفريق والقوم اوزاع اى طوايف وفى القصة ان الشياطين نسجت له بساطا فرسخا فى فرسخ ذهبا فى ابريسم وكان يوضع له كرسى من ذهب وفضة فتقعد الانبيا على كراسى الذهب والعلما على كراسى الفضة **الثانية** فى الاية دليل على اتخاذ الامام والحكام وزعة يكفون الناس ويمنعهم من تطاول بعضهم على بعض اذ لا يمكن الحكام ذلك بانفسهم وقال ابن عون سمعت الحسن يقول وهو فى مجلس قضايه فلما راى ما يصنع الناس قال والله ما يصلح هولاء الناس الا وزعة وقال الحسن ايضا لا بد للناس من وازع اى من سلطان يكفهم وذكر ابن القاسم قال حدثنا مالك ان عثمان بن عفان كان يقول ما يزع الامام اكثر مما يزع القران اى من الناس قال ابن القاسم قلت لمالك ما يزع قال يكف قال القاضى ابو بكر ابن العربى وقد جهل القوم المراد بهذا الكلام فظنوا ان المعنى ان قدرة السلطان تردع الناس اكثر مما تردعهم حدود القران هذا جهل بالله وحكمته فان الله ما وضع الحدود الا مصلحة عامة كافة قايمة لقوام الخلق لا زيادة عليها ولا نقصان معها ولا مصلحة سواها ولكن الظلمة خاسوا بها وقصروا عنها واتوا ما اتوا بغير نية ولم يقصدوا وجه الله سبحانه وتعالى فى القضاء بها فلم يردع الخلق بها ولو حكموا بالعدل واخلصوا النية لاستقامت الامور وصلح الجمهور **قوله تعالى** حتى اذا اتوا على وادى النمل قالت نملة يا ايها النمل الى قوله فتبسم ضاحكا فيه ست مسايل **الاولى** قوله تعالى حتى اذا اتوا على وادى النمل قال قتادة ذكر لنا انه واد بارض الشام وقال كعب هو بالطايف قالت نملة يا ايها النمل قال

الشعبى

الشعبى كان للنملة جناحان فصارت من الطير فلذلك علم منطقها ولولا ذلك لما علمه وقد مضى هذا ان وياتى وقرا سليمان التيمى نملة والنمل بفتح النون وضم الميم وعنه ايضا ضمهما جميعا وسميت النملة نملة لتنملها وكثرة حركتها وقلة قرارها قال كعب مر سليمن عليه الصلاة والسلام بوادى السدير من اودية الطايف فاتى على وادى النمل فقالت نملة تمشى وكانت عرجا اسمها شكاوش مثل الذيب فى العظم فنادت ايها النمل الزمخشرى سمع سليمان عليه الصلاة والسلام كلامها من ثلاثة اميال وكانت تمشى وهى عرجا شكاوش وقيل كان اسمها طاخية وقال السهيلى ذكروا اسم النملة المكلمة لسليمان عليه الصلاة والسلام وقالوا اسمها حرميا ولا ادرى كيف يتصور للنملة اسم علم والنمل لا يسمى بعضهم بعضا ولا الادميون يمكنهم تسمية واحدة منهم باسم علم لانه لا يتميز للادميين بعضهم من بعض ولا هم ايضا واقعون تحت ملكة بنى ادم كالخيل والكلاب ونحوها فان العلمية فيما كان كذلك موجودة عند العرب فان قلت ان العلمية موجودة فى الاجناس كثعالة واسامة وجعال وقثام فى الضبع ونحو هذا كثير فليس اسم النملة فى هذا لانهم زعموا انه اسم علم لنملة واحدة معينة من بين ساير النمل وثعالة ونحوه لا يختص بواحد من الجنس بل كل واحد رايته من ذلك الجنس فهو ثعالة وكذلك اسامة وابن اوى وابن عرس وما اشبه ذلك فان صح ما قالوه فله وجه وهو ان تكون هذه النملة الناطقة قد سميت بهذا الاسم فى التوراة او فى الزبور او فى بعض الصحف سماها الله تعالى بهذا الاسم وعرفها به الانبيا قبل سليمان او بعضهم وخصت بالتسمية لنطقها وايمانها فهذا وجه ومعنى قوله بايماننا انها قالت للنمل لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فقولها وهم لا يشعرون التفاتة مومن اى من عدل سليمن عليه الصلاة والسلام وفضله وفضل جنوده لا يحطمون

نملة فما فوقها الا بان لا يشعروا وفيك ان تبسم سليمن
سرور ابهذه الكلمة منها وكذلك اكد التبسم بقوله
ضاحكا اذ قد يكون التبسم بغير ضحك ولا رضى الا
تراهم يقولون تبسم تبسم الغضبان وتبسمه
تبسم المستهزئين وتبسم الضحك انما هو عن سرور
ولا يسر نبي بامر دنيا وانما يسر بما كان من الدين
وقولها وهم لا يشعرون اشارة الى الدين والعدل
والرافة ونظير قول النملة في جند سليمان وهم لا يشعرون
قول الله تعالى في جند محمد صلى الله عليه وسلم
فتصيبكم منهم معرة بغير علم التفاتا الى
انهم لا يقصدون هدر مومن الا ان المثنى على جند
سليمان باذن الله سبحانه وتعالى والمثنى على جند
محمد صلى الله عليه وسلم هو الله جل وعز بنفسه
لما لجنود محمد صلى الله عليه وسلم من الفضل على
جند غيره من الانبيا كما لمحمد صلى الله عليه وسلم من
الفضل على جميع النبيين صلى الله عليهم اجمعين وقرا
شهر بن حوشب مسكنكم بسكون السين على الافراد
وفي مصحف ابي مساكنكن لا يحطمنكم وقرا سليمان
التيمي مسكنكم لا يحطمنكم ذكره النحاس اي لا يكسرنكم
بوطيهم عليكم وهم لا يعلمون بكم قال المهدوي وافهم
الله تعالى النملة هذا لتكون معجزة لسليمان وقال وهب
امر الله تعالى الريح ان لا يتكلم احد بشي الا طرحته
في سمع سليمان بسبب ان الشيطان ارادت كيده وقد
قيل ان هذا الوادي كان ببلاد اليمن وانها كانت نملة
صغيرة مثل النمل المعتاد قاله الكلبي وقال نوف الشامي
وشقيق بن سلمة كان نمل ذلك الوادي كهيئة الذباب في العظم
قال بريدة الاسلمي كهيئة النعاج قال محمد بن علي الترمذي فان
كان على هذه الخلقة فلها صوت وانما افتقد صوت النمل
لا لان لصغر خلقها والا فالاصوات في الطيور والبهايم
كاينة وذلك منطقهم وفي تلك المناطق معاني
التسبيح وغير ذلك وهو قوله وان من شي الا يسبح بحمده

ولكن

ولكن لا تفقهون تسبيحهم قال الشيخ القرطبي رحمه الله تعالى
وقوله لا يحطمنكم يدل على صحة قول الكلبي اذ لو كانت كهيئة الذباب
والنعاج لما حطمت بالوطي والله اعلم وقال ادخلوا مساكنكم
فجاء على خطاب الادميين قال ابو اسحاق الثعلبي ورايت
في بعض الكتب ان سليمان قال لها لم حذرت النمل اخفت
ظلمي اما علمت اني نبي عدل فلم قلت لا يحطمنكم سليمن
وجنوده فقالت النملة اما سمعت قولي وهم لا يشعرون
مع اني لم ارد حطم النفوس وانما اردت حطم القلوب
خشيت ان يتمنين مثل ما اعطيت او يفتتن بالدنيا او
يشتغلن بالنظر الى ملكك عن التسبيح والذكر فقال لها
سليمان عظيني فقالت النملة اما علمت لم سمي ابوك
داود قال لا قالت لانه داوى جرحه فودا هل علمت لم
سميت سليمان قالت لانك سليم الناحية على ما اوتيته
بسلامة صدرك وان لك ان تلحق بابيك ثم قالت اتدري
لم سخر الله لك الريح قال لا قالت اخبرك ان الدنيا
كلها ريح فتبسم ضاحكا من قولها متعجبا ثم مضت مسرعة
الى قومها فقالت هل عندكم من شي نهديه الى نبي الله
قالوا وما قدر ما نهدي له والله ما عندنا الا نبقة واحدة
قالت حسنة ايتوني بها فاتوها بها فحملتها بفيها وانطلقت
تجرها وامر الله الريح فحملتها واقبلت تشق الجن والانس
والعلما والانبيا على البساط حتى وقفت بين يديه ثم وضعت
تلك النبقة من فيها في كفه وانشات تقول

ألم ترنا نهدي الى الله ماله — وان كان عنه ذا غنى فهو قابله
ولو كان يهدى للجليل بقدره — لاقصر عنه البحر يوما بساحله
ولكننا نهدي الى من نحبه — فيرضى به عنا ويشكر فاعله
وما ذاك الا من كريم فعاله — والا فما في ملكنا ما يشاكله

فقال لها بارك الله فيكم فهم بتلك الدعوة اشكر خلق
الله تعالى واكثر خلق الله وقال ابن عباس رضي الله
تعالى عنه نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل
اربع من الدواب الهدهد والصرد والنملة والنحلة
خرجه ابو داود وصححه ابو محمد عبد الحق وروى مجاهد بن

ابو محمد عبد الحق وروى من حديث ابي هريرة رضي الله
تعالى عنه وقد مضى في تفسير سورة الاعراف فالنملة
اثنت على سليمان واخبرت باحسن ما تقدر عليه بانهم
لا يشعرون ان حطموكم ولا يفعلون ذلك عن عمد منهم
فنفت عنه الجور فلذلك نهى عن قتلها وعن قتل
الهدهد لانه كان دليل سليمان على الماء ورسوله الى
بلقيس وقال عكرمة انما صرف الله شر سليمان
عن الهدهد لانه كان بارا بابويه والصرد يقال له
الصرد الصوام روى عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه
قال اول من صام الصرد ولما خرج ابراهيم عليه الصلاة
والسلام من الشام الى الحرم كانت السكينة معه والصرد
فكان الصرد دليله الى الموضع والسكينة مقداره فلما
صار الى البقعة وقعت السكينة على موضع البيت ونادت
ابن يا ابراهيم على مقدار ظلي وقد تقدم في تفسير سورة
[illegible] الاعراف النهي عن قتل الضفدع وفي سورة النحل
عن قتل النحل والحمد لله **الثانية** قرا الحسن لا يحطمنكم
وعنه ايضا لا يحطّمنكم وعنه ايضا وعن ابي رجاء لا يُحَطِّمَنكم
والحطم الكسر حطمته حطما اي كسرته وحطّمته والتحطيم
التكسير وهم لا يشعرون يجوز ان يكون حالا من سليمان
وجنوده والعامل في الحال يحطمنكم او حالا من النملة والعامل
قالت اي قالت ذلك في حال غفلة الجنود كقولك قمت
والناس غافلون او حالا من النمل ايضا والعامل قالت
على ان المعنى والنمل لا يشعرون ان سليمان يفهم مقالتها
وفيه بعد وسياق **الثالثة** روى مسلم من حديث ابي
هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان نملة قرصت نبيا من الانبيا فامر بقرية
النمل فاحرقت فاوحى الله اليه ان قرصتك نملة اهلكت
امة من الامم تسبح وفي طريق اخر فهلا نملة واحدة قال
علماونا رحمهم الله تعالى يقال ان هذا النبي هو موسى
عليه الصلاة والسلام وانه قال يا رب تعذب اهل قرية
بمعاصيهم وفيهم الطايع فكانه احب ان يريه ذلك من عنده

فسلط

فسلط الله عليه الحر حتى التجا الى شجرة مستروحا
الى ظلها وعندها قرية النمل فغلبه النوم فلما وجد
لذة النوم لدغته نملة فاضجرته فدلكهن بقدمه
فاهلكهن واحرق تلك الشجرة التي عندها مساكنهم
فاراه الله سبحانه وتعالى العبرة في ذلك انه لما لدغتك
نملة فكيف اصيبت الباقين بعقوبتها يريد ان ينبهه
ان العقوبة من الله سبحانه وتعالى تعم فتصير رحمة على
المطيع وطهارة وبركة وشرا ونقمة على العاصي وعلى هذا
فليس في الحديث ما يدل على كراهة ولا حظر في قتل النمل
فان من اذاك حل لك دفعه عن نفسك ولا احد من
خلقه اعظم حرمة من المومن وقد ابيح لك دفعه بقتل
وضرب على المقدار فكيف بالهوام والدواب التي قد
سخرت لك وسلطت عليه فاذا اذاك ابيح لك قتله
وروي عن ابراهيم ما اذاك من النمل فاقتله وقوله
الا نملة واحدة دليل على ان الذي يوذي يقتل
وكلما كان القتل لنفع او دفع ضرر فلا باس به عند العلما
رحمهم الله تعالى واطلق له نملة ولم يخص تلك النملة
التي لدغت من غيرها لانه ليس المراد بالقصاص لانه
لو اراده لقال الا نملتك التي لدغتك ولكن قال الا
نملة مكان نملة فعم البري والجاني ذلك ليعلم انه
اراد ان ينبهه لمسئلته ربه في عذاب اهل قرية
وفيهم المطيع والعاصي وقد قيل ان هذا النبي
كانت العقوبة للحيوان بالتحريق جايزة في شرعه
فلذلك انما عاتبه الله سبحانه وتعالى في احراق الكثير
من النمل لا في اصل الاحراق الا ترى قوله فهلا نملة واحدة
اي هلا احرقت واحدة وهذا بخلاف شرعنا فان النبي
صلى الله عليه وسلم قد نهى عن التعذيب بالنار
وقال لا يعذب بالنار الا الله وكذلك ايضا كان قتل
النمل مباحا في شريعة ذلك النبي فان الله سبحانه
وتعالى لم يعتبه على اصل قتل النمل واما شرعنا
فقد جاء من حديث ابن عباس وابي هريرة رضي

الله تعالى عنه النبي عن ذلك وقد كره مالك رحمه الله
تعالى قتل النمل الا ان يضر ولا يقدر على دفعه الا
بالقتل وقد قيل ان هذا النبي انما عاتبه الله عز
سبحانه وتعالى حيث انتقم لنفسه باهلاك جمع اذاه
واحد وكان الاولى به الصبر والصفح لكن وقع للنبي ان
هذا النوع مود لبني ادم وحرمة بني ادم اعظم من
حرمة غيره من الحيوان غير الناطق فلو انفرد له هذا
النظر ولم ينضم اليه التشفي الطبعي لم يعاتب والله
سبحانه وتعالى اعلم لكن لما انضاف اليه التشفي
الذي دل عليه سياق الحديث عوتب عليه **الرابعة**
قوله اني ان ترصتك نملة اهلكت امة من الامم تسبح
مقتضى هذا انه تسبيح مقال ونطق كما اخبر الله سبحانه
وتعالى عن النمل ان لها منطقا وفهمه سليمان عليه الصلاة
والسلام معجزة له وتبسم من قولها وهذا يدل دلالة
واضحة ان للنمل نطقا وقولا لكن لا يسمعه كل احد بل
من شاء الله تعالى ممن خرق له العادة من نبي او ولي ولا
ينكر هذا من حيث انا لا نسمع ذلك فانه لا يلزم من عدم
الادراك عدم المدرك في نفسه ثم ان الانسان يجد في نفسه
قولا وكلاما ولا يسمع منه الا اذا انطق به لسانه وقد خرق
الله العادة لنبينا صلى الله عليه وسلم فاسمعه
كلام النفس من قوم تحدثوا مع انفسهم واخبرهم بما في
نفوسهم كما قد نقل منه الكثير ايمتنا في كتب معجزات
النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك قد وقع لكثير
ممن اكرمه الله تعالى من الاوليا مثل ذلك في غير ما
قضية واياه عنى النبي صلى الله عليه وسلم بقوله
ان في امتي محدثون وان عمر منهم وقد مضى هذا المعنى
في الجاد في سورة سبحان وانه يسبح تسبيح لسان ومقال
لا تسبيح دلالة وحال والله سبحانه وتعالى اعلم
الخامسة قوله تعالى فتبسم ضاحكا وقرا ابن
السميفع ضحكا بغير الف وهو منصوب على المصدر
بفعل محذوف يدل عليه تبسم كانه قال ضحك ضحكا هذا

مذهب

مذهب سيبويه وهو عند غير سيبويه منصوب بنفس تبسم لانه
في معنى ضحك ومن قرا ضاحكا فهو منصوب على الحال من الضمير
في تبسم والمعنى تبسم مقدار الضحك لان الضحك يستغرق الضحك
والتبسم دون الضحك وهو اوله يقال بسم بالفتح يبسم بسما فهو
باسم وابتسم وتبسم والمبسم مثل المجلس من جلس يجلس ورجل
مبسام وبسام كثير التبسم فالتبسم ابتدا الضحك والضحك
عبارة عن الابتدا والانتها الا ان الضحك يقتضي مزيدا على
التبسم فاذا زاد ولم يضبط الانسان نفسه قيل قهقه والتبسم
ضحك الانبيا عليهم السلام في غالب امرهم وفي الصحيح عن جابر
ابن سمرة وقيل له اكنت تجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال نعم كثيرا كان لا يقوم من مصلاه الذي يصلي فيه الصبح الغداة
حتى تطلع الشمس فاذا طلعت قام وكانوا يتحدثون فياخذون في
امر الجاهلية فيضحكون ويتبسم وفيه عن سعد قال كان رجل من
المشركين قد احرق في المسلمين فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
ارم فداك ابي وامي قال فنزعت له بسهم ليس فيه نصل فاصبت
جنبه فسقط فانكشفت عورته فضحك رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى نظرت الى نواجذه فكان عليه السلام في اكثر احواله
يتبسم وكان ايضا يضحك في احوال اخر ضحكا اعلى من التبسم واقل
من الاستغراق الذي تبدو فيه اللهوات وكان في النادر
عند افراط تعجبه ربما ضحك حتى بدت نواجذه وقد كرهه العلما
منه الكثرة كما قال لقمان لابنه يا بني اياك وكثرة الضحك فانه
يميت القلب وقد روي مرفوعا من حديث ابي ذر وغيره
وضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه حين
رمى سعد الرجل فاصابه انما كان سرورا باصابته لا بانكشاف
عورته فانه المنزه عن ذلك صلى الله عليه وسلم السادسة
لا اختلاف عند العلما ان الحيوانات كلها لها افهام وعقول وقد
قال الشافعي الحمام اعقل الطير قال ابن عطية والنمل حيوان
فطن قوي شمام جدا يدخر ويتخذ القرى ويشق الحب بقطعتين
لئلا ينبت ويشق الكزبرة باربع قطع لانها تنبت اذا قسمت شقتين
وياكل في عامه نصف ما جمع ويستبقي سايره عدة قال ابن العربي
وهذه خواص العلوم عندنا وقد ادركتها النمل بخلق الله ذلك

لما قال الاستاذ ابو المظفر شاهفور الاسفرايني ولا يبعد ان تدرك
البهايم حدث العالم وحدث المخلوقات ووحدانية الاله ولكنا
لا نفهم عنها ولا تفهم عنا اما انا نطلبها وهي تفر منا فبحكم الجنسية ه
قوله تعالى وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي
وعلى والدي كان مصدرية واوزعني اي الهمني ذلك واصله
من وزع فكانه قال كفني عما يسخطك وقال محمد بن اسحاق يزعم
اهل الكتاب ان ام سليمان هي امراة اوريا التي امتحن الله بها
داود وانه بعد موت زوجها داود تزوجها فولدت له سليمان وسياتي بيان
هذا في سورة ص ان شا الله تعالى وادخلني برحمتك اي مع عبادك
عن ابن زيد وقيل المعنى في جملة عبادك الصالحين قوله تعالى
وتفقد الطير فقال ما لي لا ارى الهدهد فيه ثلاث مسايل
الاولى قوله تعالى وتفقد الطير الى اخر قصة الهدهد فيه ثمان
عشرة مسيلة الاولى قوله تعالى وتفقد الطير ذكر شيا اخر مما جرى
له في مسيره الذي كان فيه من النمل ما تقدم والتفقد طلب ما غاب عنك
من شي والطير اسم جامع والواحد طاير والمراد بالطير هنا جنس
الطير وجماعتها وكانت تصحبه في سفره وتظله باجنحتها واختلف
الناس في معنى تفقده للطير فقالت فرقة ذلك بحسب ما تقتضيه
العناية بامور الملك والتهمم بكل جز منها وهذا ظاهر الاية وفرقة
بل تفقد الطير لان الشمس دخلت من موضع الهدهد حين غاب فكان
ذلك سبب تفقد الطير ليتبين من اين دخلت الشمس وقال عبد
الله بن سلام انما طلب الهدهد لانه احتاج الى معرفة الما على كم هو
من وجه الارض لانه كان نزل في مفازة عدم فيها الما وان
الهدهد كان يرى باطن الارض وظاهرها فكان يخبر سليمان
موضع الما ثم كانت الجن تخرجه من ساعة يسيرة تسلخ عنه وجه الارض
كما تسلخ شاة قاله ابن عباس فيما روي عن ابن سلام قال ابو مجلز
قال ابن عباس لعبد الله بن سلام اريد ان اسالك عن ثلاث
مسايل قال اتسالني وانت تقرا القران قال نعم ثلاث مرات قال لم تفقد
سليمان الهدهد دون ساير الطير قال احتاج الى الما ولم يعرف عمقه
او قال مسافته وكان الهدهد يعرف ذلك دون الطير فتفقده وقال
في كتاب النقاش كان الهدهد مهندسا وروي ان نافع بن الازرق
سمع ابن عباس يذكر شان الهدهد فقال له قف يا وقاف كيف يرى

الهدهد

الهدهد باطن الارض وهو لا يرى الفخ حين يقع فيه فقال له ابن عباس
اذا جا القدر عمي البصر وقال مجاهد لابن عباس كيف تفقد الهدهد
من الطير فقال نزل منزلا ولم يدر كم بعد الما وكان الهدهد مهتديا
اليه فاراد ان يساله قال مجاهد فقلت كيف يهتدي والصبي يضع
له الحبالة فيصيده فقال اذا جا القضا عمي البصر قال ابن العربي
ولا يقدر على هذا الجواب الا عالم القران قال الشيخ رحمه الله هذا
الجواب قد قاله الهدهد لسليمان كما تقدم وانشدوا

اذا اراد الله امرا بامري ● وكان ذا عقل وراي ونظر ●
وحيلة يعملها في دفع ما ● ياتي به مكروه اسباب القدر ●
غطى عليه سمعه وعقله ● وسله من ذهنه سل الشعر ●
حتى اذا انفذ فيه حكمه ● رد عليه عقله ليعتبر ●

قال الكلبي لم يكن له في مسيره الا هدهد واحد والله اعلم الثانية في هذه
الاية دليل على تفقد الامام احوال رعيته والمحافظة عليهم فانظر
الى الهدهد مع صغره كيف لم يخف على سليمان حاله فكيف بعظام
الملك ويرحم الله عمر فانه كان على سيرته قال لو ان سخلة على شاطي الفرات
اخذها الذيب ليسيل عنها عمر فما ظنك بوال تذهب على يديه البلدان
وتضيع الرعية ويضيع الرعيان وفي الصحيح عن عبد الله بن عباس
ان عمر بن الخطاب خرج الى الشام حتى اذا كان بسرغ لقيه امرا الاجناد
ابو عبيدة واصحابه فاخبروه ان الوبا قد وقع بالشام الحديث قال
علماونا كان هذا الخروج من عمر بعد ما فتح بيت المقدس سنة سبع عشرة
على ما ذكره خليفة ابن خياط وكان يتفقد احوال رعيته واحوال امرايه
بنفسه فقد دل القران والسنة وبينا ما يجب على الامام من تفقد
احوال رعيته ومباشرة ذلك بنفسه والسفر الى ذلك وان طال ورحم
الله ابن المبارك حيث يقول ● وهل افسد الدين الا الملوك ● واحبار
سوء ورهبانها ● الثالثة قوله تعالى ما لي لا ارى الهدهد اي ما للهدهد
لا اراه فهو من القلب الذي يعرف معناه وهو كقولك ما لي لا اراك كيبيا
اي ما لك والهدهد طير معروف وهدهدته صوته قال ابن عطية انما مقصد
الكلام الهدهد غاب لكنه اخذ اللازم عن مغيبه وهو ان لا يراه فاستفهم
على جهة التوقيف على اللازم وهذا ضرب من الايجاز والاستفهام
الذي في قوله ما لي ناب مناب الالف التي تحتاجها ام وقيل انما قال ما لي
الهدهد لانه اعتبر حال نفسه اذ علم انه اوتي الملك العظيم وسخر له الخلق

فقد لزمه من الشكر باقامة الطاعة وادامة العدل فلما فقد نوبة الهدهد
توقع ان يكون قصر في حق الشكر فلاجله سلبها فجعل يتفقد نفسه فقال
مالي قال ابن العربي وهكذا يفعل شيوخ الصوفية اذا فقدوا امالهم تفقدوا
اعمالهم هذا في الاداب فكيف بنا اليوم ونحن نقصر في الفرائض
وقرا ابن كثير وابن محيصن وعاصم والكسائي وهشام وايوب مالي
بفتح اليا وكذلك في يس ومالي لا اعبد واسكنها حمزة ويعقوب
وقرا الباقون بفتح التي في يس واسكان هذه قال ابو عمرو ولان هذه
التي في النمل استفهام والاخرى انتفا واختار ابو حاتم وابو عبيد الاسكان
فقال مالي وقال ابو جعفر النحاس زعم قوم انهم ارادوا ان يفرقوا
بين ما كان مبتدا وبين ما كان معطوفا على ما قبله وهذا ليس بشي
وانما هي يا النفس من العرب من يفتحها ومنهم من يسكنها فقروا به
باللغتين واللغة الفصيحة في يا النفس ان تكون مفتوحة لانها
اسم وهي على حرف واحد فكان الاختيار ان لا تسكن فيجحف
بالاسم ام كان من الغايبين بمعنى بل الرابعة قوله تعالى لاعذبنه
عذابا شديدا اولاذبحنه دليل على ان الحد على قدر الذنب لا على
قدر الجسد اما انه يرفق بالمحدود في الزمان والصفة روي عن
ابن عباس ومجاهد وابن جريج ان تعذيبه للطير كان بان ينتف
قال ابن جريج ريشه اجمع وقال يزيد بن رومان جناحاه فعل
سليمان هذا بالهدهد غلظا على العاصين وعقابا على اخلاله
بنوبته ورتبته وكان اباح الله له ذلك كما اباح ذبح البهائم والطيور
للاكل وغيره من المنافع والله اعلم وفي نوادر الاصول حدثنا سليمان
ابن حميد ابو الربيع الايادي قال حدثنا عون بن عمارة عن الحسين
الجعفي عن الزبير بن خريت عن عكرمة قال انما صرف الله شر
سليمان عن الهدهد لانه كان بارا بابويه وسيانيه وقيل تعذيبه
ان يجمع مع اضداده وعن بعضهم اضيق السجون معاشرة الاضداد
وقيل لالزمنه خدمة اقرانه وقيل بداعه القفص وقيل بان يجعل للشمس
بعد نتفه وقيل بتبعيده عن خدمتي والملوك يودبون بالهجران
الجسد بتفريق الفه وهو موكد بالنون الثقيلة وهي لازمة والخفيفة
قال ابو حاتم ولو قريت لاعذبنه عذابا شديدا ولاذبحنه جاز ولياتيني
بسلطان مبين اي بحجة بينة وليست اللام في لياتيني لام القسم لانه لا
يقسم سليمان على فعل الهدهد ولكن لما جا في اثر قوله لاعذبنه وهو مما

جاز به

جاز به القسم اجراه مجراه وقرا ابن كثير وحده ليأتينني بنونين الخامسة
قوله تعالى فمكث غير بعيد اي الهدهد والجمهور من القرا على ضم
الكاف وقرا عاصم وحده بفتحها ومعناه في القراتين اقام قال
سيبويه مكث يمكث مكوثا كما قالوا قعد يقعد قعودا قال ومكث مثل
ظرف قال غيره والفتح احسن لقوله تعالى ماكثين اذ هو من مكث
يقال مكث يمكث فهو ماكث ومكث يمكث مثل عظم يعظم فهو
مكيث مثل عظيم ومكث يمكث فهو ماكث مثل حمد يحمد فهو حامد
والضمير في مكث يحتمل ان يكون لسليمان والمعنى بقي سليمان بعد
التفقد والوعيد غير طويل اي غير وقت طويل ويحتمل ان يكون
للهدهد وهو الاكثر فجا فقال احطت بما لم تحط به وهي السادسة
التي علمت ما لم تعلمه من الامر فكان في هذا رد على من قال ان
الانبيا تعلم ما لم تعلمه من الامر فكان في هذا رد على من قال ان
الانبيا تعلم الغيب وحكى الفرا احطت يدغم التا في الطا وحكي احط
بقلب الطا تا وتدغم السابعة قوله تعالى وجئتك من سبا بنبا يقين
اعلم سليمان ما لم يكن يعلمه ودفع عن نفسه ما توعده به من العذاب
والذبح وقرا الجمهور سبا بالصرف وابن كثير وابو عمرو سبا بفتح
الهمزة وترك الصرف فالاول على انه اسم رجل نسب اليه قوم
وعليه قول الشاعر الواردون وتيم في ذرى سبا قد عض اعناقهم
جلد الجواميس وانكر الزجاج ان يكون اسم رجل وقال سبا
اسم مدينة تعرف بمارب اليمن بينها وبين صنعا مسيرة ثلاثة
ايام وانشد للنابغة الجعدي • من سبا الحاضرين اذ يبنون من
دون سيله العرما • قال فمن لم يصرف قال انه اسم مدينة ومن
صرف وهو الاكثر فلانه اسم للبلد فيكون مذكرا سمي به مذكر وقيل
اسم امراة سميت بها المدينة والصحيح انه اسم رجل كذلك في
كتاب الترمذي من حديث فروة بن مسيك المرادي عن النبي صلى
الله عليه وسلم وسياتي في سبا ان شا الله تعالى قال ابن عطية وخفي
هذا الحديث على الزجاج فخبط عشوا وزعم الفرا ان الرواسي
سال ابا عمرو بن العلا عن سبا فقال ما ادري ما هو قال النحاس
وتاول الفرا على ابي انه سيله عن الصرف لانه مجهول وانه اذا
لم يعرف الشي لم ينصرف قال النحاس وابو عمرو اجل من ان يقول
هذا وليس في حكاية الرواسي عنه دليل انه انما منعه من الصرف

لانه لم يعرفوا وانما قال لا اعرفه ولو سيل نحوي عن اسم فقال
لا اعرفه لم يكن في هذا دليل على انه منعه من الصرف بل الحق
على غير هذا والواجب اذا لم يعرفه ان يصرفه لان اصل الاسما
الصرف وانما يمنع الشي من الصرف لعلة داخلة عليه فالاصل
ثابت بيقينه فلا يزول بما لا يعرف وذكر كلاما كثيرا عن
الحياة قال في اخره والقول في سبب ما هو التوقيف فيه
انه في الاصل اسم رجل خاص فتنه فلذلك قد صار اسماه
للحي وانه لم ينصرف فجعلته اسما للقبيلة مثل ثمود الا ان الاختيار
عند سيبويه الصرف وحجته في ذلك قاطعة لان هذا الاسم
لما كان يقع له التذكير والتانيث كان التذكير اولى لانه
الاصل والاخف الثامنة وفي الاية دليل على ان الصغير
يقول للكبير والمتعلم للعالم عندي ما ليس عندك اذا تحقق
ذلك وتيقنه هذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع جلالته
وعلمه لم يكن عنده علم بالاستيذان وكان التيمم عند عمار
وغيره وغاب عن عمر وابن مسعود حتى قالا لا يتيمم الجنب
وكان حكم الاذن في ان تنفر الحايض عند ابن عباس ولم
يعلمه عمر ولا زيد بن ثابت وكان غسل راس المحرم معلوما
عند ابن عباس وخفي على المسور بن مخرمة ومثله كثير
فلا نطول به وقيل كيف خفي عن سليمان مكانها وكانت
وكانت المسافة بين محطه وبين بلدها قريبة وهي مسيرة
ثلاث بين صنعا ومارب فالجواب ان الله عز وجل اخفى ذلك
عنه لمصلحة راها كما اخفى مكان يوسف على يعقوب التاسعة
قوله تعالى اني وجدت امراة تملكهم لما قال الهدهد وجئتك
من سبا بنبا يقين قال سليمان وما ذاك الخبر قال اني و
وجدت امراة تملكهم يعني بلقيس بنت شراحيل تملك اهل
سبا الي ويروى ان احد ابويها كان من الجن قال ابن العربي
وهذا امر تنكره الملحدة ويقولون الجن لا ياكلون ولا يلدون
كذبوا لعنهم الله اجمعين ذلك صحيح ونكاحهم جايز عقلا
وان صح نقلا فيها ونقول قال الشيخ رحمه الله خرج ابو داود
حديث عبد الله بن مسعود انه قال قدم وفد الجن على النبي
صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد انه امتك ان يستنجوا بعظم او روثة

او حممة

او حممة فان الله جاعل لنا فيها رزقا وفي صحيح مسلم فقال لكم
كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في ايديكم اوفر ما يكون لحما وكل بعرة
علف لدوابكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تستنجوا
بهما فانهما طعام اخوانكم وفي البخاري من حديث ابي هريرة
قال فقلت ما بال العظم والروثة قال هما من طعام الجن وانه
اتاني وفد نصيبين ونعم الجن فسالوني الزاد فدعوت الله ان لا يمروا
بعظم ولا روثة الا وجدوا عليها طعاما وهذا كله نص في انهم
يطعمون واما نكاحهم فقد تقدمت الاشارة اليه في سبحان
عند قوله وشاركهم في الاموال والاولاد وروى وهب بن
جرير بن حازم عن الخليل بن احمد عن عثمان بن عاصم
قال كانت ام بلقيس من الجن يقال لها بلقمة بنت شيصان
وسياتي لهذا مزيد بيان ان شا الله تعالى في المسالة العاشرة روى
البخاري من حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما بلغه ان اهل فارس قد ملكوا بنت كسرى قال لن يفلح
قوم ولوا امرهم امراة قال القاضي ابو بكر ابن العربي
هذا نص في ان المراة لا تكون خليفة ولا خلاف فيه ونقل عن
محمد بن جرير الطبري انه يجوز ان تكون المراة قاضية ولم
يصح ذلك عنه ولعله نقل عنه كما نقل عن ابي حنيفة
انها انما تقضي فيما تشهد فيه وليس بان تكون قاضية
على الاطلاق ولا بان يكتب لها مسطور بان فلانة مقدمة
على الحكم وانما ذلك كسبيل التحكيم والاستنابة في القضية الواحدة
وهذا هو الظن بابي حنيفة وابن جرير وقد روي ان عمر قدم
امراة على حسبة السوق ولا يصح فلا تلتفتوا اليه فانما هو
من دساوس المبتدعة في الاحاديث وقد تناظر في هذه
المسالة القاضي ابو بكر ابن الطيب المالكي الاشعري مع ابي الفرج
ابن طرار شيخ الشافعية فقال ابو الفرج الدليل على ان المراة
يجوز ان تحكم ان الغرض من الاحكام تنفيذ القاضي لها وسماع
البينة عليها والفصل بين الخصوم فيها وذلك ممكن من المراة
كامكانه من الرجل فاعترض عليه القاضي ابو بكر ونقض كلامه
بالامامة الكبرى فان الغرض منه حفظ الثغور وتدبير الامور
وحماية البيضة وقبض الخراج ورده على مستحقه وذلك لا يتاتى

لانها تاتي من المراة كما تاتيه من الرجل قال ابن المهلب وليس بلازم
التحجب في هذه المسالة ممتنع فان المراة لا ينبغي لها ان تبرز
الى المجالس ولا تخالط الرجال ولا تفاوضهم مفاوضة النظير للنظير
لانها ان كانت فتاة حرم النظر اليها وكلامها وان كانت برزة
لم يجز ان الرجال تجلس واحد تزدحم فيه معهم وتكون منظرة
لهم ولن يفلح قوم من تصور هذا ولا من اعتقده الحادية عشرة
قوله تعالى واوتيت من كل شي سيا لغة اي مما تحتاجه المملكة
وقيل المعنى اوتيت من كل شي في زمانها شيا فحذف المفعول
لان الكلام دل عليه ولها عرش عظيم اي سرير ووصفه بالعظم
في الهيئة ورتبة السلطان قيل كان من ذهب تجلس عليه وقيل
العرش ههنا الملك والاول اصح لقوله تعالى ايكم ياتيني بعرشها
الزمخشري فان قلت كيف سوى الهدهد بين عرش بلقيس
وعرش الله في الوصف بالعظم قلت بين الوصفين بون
عظيم لانه وصف عرشها بالعظم تعظيم له بالاضافة الى العروش
ابناء جنسها من الملوك ووصف عرش الله بالعظم تعظيم له
بالنسبة الى ما خلق من السموات والارض قال ابن عباس كان طول
عرشها ثمانين ذراعا وعرضه اربعين ذراعا وارتفاعه في السما
ثلاثون ذراعا مكلل بالدر والياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر
قوايمه من زبرجد اخضر قتادة وقوايمه لولو وجوهر
وكان مسترا بالديباج والحرير عليه سبعة مغاليق مقاتل كانت
ثمانين ذراعا في ثمانين ذراعا وارتفاعه من الارض ثمانون
ذراعا وهو مكلل بالجوهر ابن اسحاق وكان يخدمها النسا
فكان معها لخدمتها ستماية امراة قال ابن عطية واللازم من
الاية انها امراة ملكة على مداين اليمن ذات ملك عظيم وسرير
عظيم وكانت كافرة من قوم كفار الثانية عشرة **قوله تعالى**
وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله قيل كانت مجوسا
يعبدون الانوار وروي عن نافع ان الوقف على عرش قال المهدوي
فعظيم على هذا متعلق بما بعده وكان ينبغي على هذا ان يكون عظيم
او وجدتها اي عظيم وجودي اياها كافرة وقال ابن الانباري
ولها عرش عظيم وقف حسن ولا يجوز ان تقف على العرش وتبتدي
عظيم وجدتها الا على من فتح لان عظيما نعت للعرش فلو كان متعلقا

بوجدتها

بوجدتها لقلت عظيمة وجدتها وهذا محال من كل وجه وقد حكى
ابو بكر محمد بن الحسين بن شهريار قال حدثنا ابو عبد الله الحسين
ابن الاسود العجلي عن بعض اهل العلم انه قال الوقف على عرش
والابتدا عظيم على معنى عظيم عبادتهم الشمس والقمر قال وقد سمعت
من يويد هذا المذهب ويحتج بان عرشها احقر وادق شانا من
ان يصفه الله بالعظيم قال ابن الانباري والاختيار عندي
ما ذكرته اولا لانه ليس على اضمار عبادة الشمس والقمر دليل
وغير منكر ان يصف الهدهد عرشها بالعظم اذ راه متناهي
الطول والعرض وجريه على اعراض عرش دليل على انه
نعته وزين لهم الشيطان اعمالهم اي ما هم فيه من الكفر
فصدهم عن السبيل اي عن الطريق التوحيد وبين بهذا انه
ما ليس بسبيل التوحيد فليس بسبيل ينتفع به على التحقيق فهم
لا يهتدون الى الله وتوحيده الثالثة عشرة **قوله تعالى** ان
لا يسجدوا لله قرا ابو عمرو وعاصم ونافع وحمزة الا يسجدوا بالتشديد
الا قال ابن الانباري فهم لا يهتدون غير تام لمن شدد الا
لان المعنى وزين لهم الشيطان الا يسجدوا قال النحاس هي
ان دخلت عليها لا وان في موضع نصب قال الاخفش اي زين
اي زين لهم لئلا يسجدوا وقال الكسائي فصدهم اي فصدهم
ان لا يسجدوا وهو في الوجهين مفعول له وقال اليزيدي وعلي
ابن سليمان ان بدل من اعمالهم في موضع نصب وقال ابو
عمرو ان في موضع خفض على البدل من السبيل وقيل العامل
فيها لا يهتدون اي فهم لا يهتدون ان يسجدوا لله اي لا يعلمون
ان ذلك واجب عليهم وعلى هذا القول لا زايدة كقوله ما منعك
ان لا تسجد اي ما منعك ان تسجد وعلى هذه القراة فليس بموضع
سجدة لان ذلك خبر عنهم بترك السجود اما بالتزيين او بالصد
او بمنع الاهتدا وقرا الزهري والكسائي وغيرهما الا يسجدوا
بمعنى الا يا هولا اسجدوا لان يا تنادي بها الاسما دون الافعال
وانشد سيبويه * يا لعنة الله والاقوام كلهم * والصالحين على سمعان من جار *
قال سيبويه يا لغير اللعنة لانه لو كان للعنة لنصبها لانه كان
يصير منادا مضافا ولكن تقديره يا هولا لعنة الله والاقوام
على سمعان وحكى بعضهم سماعا عن العرب الا يا رحموا الا يا اصدقوا

يريد ونا الا يا قوم ارحموا اصدقوا فعلي هذه القراة اسجدوا في
موضع جزم بالامر والوقف عليه الايا ثم تبتدي فتقول اسجدوا
قال الكسائي ما كنت اسمع الاشياخ يقرونها الا بالتخفيف علي نية
الامر وفي قراة عبدالله هلا تسجدوا لله بالتا والنون وفي قراة
ابي الا تسجدوا لله فهاتان القراتان حجة لمن خفف الزجاج وقراة
التخفيف تقتضي وجوب السجود دون التشديد واختار ابو
حاتم وابو عبيدة قراة التشديد وقال التخفيف وجه حسن الا ان
فيه انقطاع الخبر عن امر سبا ثم يرجع بعد الي ذكرهم والقراة بالتشديد
خبر يتبع بعضه بعضا لا انقطاع في وسطه ونحوه قال النحاس
قال قراة التخفيف بعيدة لان الكلام يكون معترضا وقراة التشديد
يكون الكلام بها متسقا وايضا فان السواد علي غير هذه القراة
لانه قد حذف منها الفان وانما يختصر مثل هذا بحذف الف واحدة
نحو يا عيسى بن مريم ابن الانباري وسقطت الفا اسجدوا كما تسقط
مع هولا اذا ظهر ولما سقطت الف يا واتصلت بها الف اسجدوا
واسقطت بعد سقوطها دل الزعلي الاختصار وايثار ما يخف
وتقل الفاظه وقال الجوهري في اخر كتابه قال بعضهم ان يا في هذا
الموضع انما هو للتنبيه كانه قال الا اسجدوا فلما ادخل عليه يا التنبيه
سقطت الالف التي في اسجدوا لانها الف وصل وذهبت الالف
التي في يا لاجتماع الساكنين لانها والسين ساكنتان قال ذو الرمة
الا يا اسلمي يا دار مية علي البلا • ولا زال منهلا بجرعايك القطر •
وقال الجرجاني هو كلام معترض من الهدهد وسليمان او من الله اي
الا ليسجدوا كقوله قل للذين امنوا يغفروا قيل له امر اي ليغفروا
وتنتظم علي هذا كتابة المصحف اي ليس ها هنا ندا قال ابن عطية فيل
هو من كلام الهدهد الي قوله العظيم وهو قول ابن زيد وابن اسحاق
ويعترض بانه غير مخاطب فكيف يتكلم في معنى شرع ويحتمل ان يكون
من قول سليمان لما اخبره الهدهد عن القوم ويحتمل ان يكون من الله
تعالى فهو اعتراض بين الكلامين وهو الثابت مع التامل وقراة
التشديد يعطي ان الكلام للهدهد وقراة التخفيف تمنعه
والتخفيف يقتضي الامر بالسجود لله عز وجل للامر علي ما بيناه قال
الزمخشري فان قلت اسجدة التلاوة واجبة في القرائتين جميعا ام في
احداهما قلت هي واجبة فيهما جميعا لان مواضع السجدة اما امر بها او

مدح لمن

مدح لمن اتى بها او ذم لمن تركها واحدى القرائتين امر بالسجود والاخرى
ذم للتارك قال مصنفه غفر الله لنا وله وقد اخبر الله عن الكفار
بانهم لا يسجدون كما في الانشقاق وسجد النبي صلى الله عليه وسلم فيها
كما ثبت في صحيح البخاري فكذلك في النمل والله اعلم الزمخشري وما
ذكره الزجاج من وجوب السجدة مع التخفيف دون التشديد فغير
مرجوع اليه الذي يخرج الخبء الخبا قطرها وخبء الارض كنوزها
ونباتها وقال قتادة الخبء السر النحاس هذا اولى اي ما غاب في السموات
والارض ويدل عليه ويعلم ما يخفون وما يعلنون وقرا عكرمة ومالك
ابن دينار الخبَ بفتح البا من غير همز قال المهدوي وهو التخفيف القياسي
وذكر من يترك الهمز في الوقف وقال النحاس وحكى ابو حاتم ان عكرمة
قرا الذي يخرج الخبا بالف غير مهموزة وزعم ان هذا لا يجوز في العربية
واعتل بانه ان خفف الهمزة القى حركتها على البا وحذفها فقال الخبَ
في السموات والارض وانه ان حول الهمزة قال الخبي باسكان البا
وبعدها يا قال النحاس وسمعت علي بن سليمان يقول سمعت محمد
ابن يزيد يقول كان ابو حاتم دون اصحابه في النحو ولم يلحق بهم الا انه
اذا خرج من بلده لم يلق اعلم منه حكى سيبويه عن العرب انها تبدل من
الهمزة الفا اذا كان قبلها ساكن وكانت مفتوحة وتبدل منها واو
اذا كان قبلها ساكن وكانت مضمومة وتبدل منها يا اذا كان قبلها
ساكن وكانت مكسورة فتقول هذا الوثو وعجبت من الوثي ورايت
الوثا وهذا من وثئت وكذلك الخبو وعجبت من الخبي ورايت الخبا
وانما فعل هذا لان الهمزة خفيفة فابدلت منها هذه الحروف وحكى سيبويه
عن قوم من بني تميم وبني اسد انهم يقولون هذا الخبو فيضمون الساكن
اذا كانت الهمزة مكسورة ويفتحون الساكن اذا كانت الهمزة مفتوحة
وحكى سيبويه ايضا انهم يكسرون وان كانت الهمزة مضمومة الا ان هذا
عن بني تميم فيقولون الردي وزعم انهم لم يضموا الدال لانهم كرهوا
ضمة قبلها كسرة لانه ليس في الكلام فعل وهذه كلها لغات داخلة
على اللغة التي قرا بها الجماعة وفي قراة عبدالله الذي يخرج الخبء
من السموات ومن وفي يتيما قبانه تقول العرب لاستخرجن العلم منكم
يريد فيكم قاله الفرا ويعلم ما يخفون وما يعلنون قراة العامة فيهما
بيا الغايب وهذه القراة تعطي ان الاية من كلام الهدهد وان الله
تعالى خصه من المعرفة بتوحيده ووجوب السجود له وانكار سجودهم للشمس

واضافته الى الشيطان وتزيينه لهم ما خص به غيره من الطيور وسائر
الحيوان من المعارف اللطيفة التي لا تكاد العقول الراجحة تهتدي
لها وقرا الجحدري وعيسى بن عمر وحفص والكسائي تخفون وتعلنون
بالتاء على الخطاب وهذه القراءة تعطي ان الاية من خطاب الله
جل وعز لامة محمد صلى الله عليه وسلم الله لا اله الا هو رب العرش
العظيم قرا ابن محيصن العظيم رفعا نعتا لله والباقون بالخفض
نعتا للعرش وخص بالذكر لانه اعظم المخلوقات وما عداه في
ضمنه وقبضته الرابعة عشرة **قوله تعالى** قال سننظر من النظر
الذي هو التامل والتصفح اصدقت ام كنت من الكاذبين في مقالتك
وكنت بمعنى انت وقال سننظر اصدقت ولم يقل سننظر في امرك
لان الهدهد لما صرح بفخر العلم في قوله احطت بما لم تحط به صرح له
سليمان بانه سننظر اصدقت ام كنت من الكاذبين فكان ذلك كفاء لما
قاله الخامسة عشرة **قوله تعالى** في قوله سننظر اصدقت ام كنت
من الكاذبين دليل على ان الامام يجب عليه ان يقبل عذر رعيته
ويدرا العقوبة عنهم في ظاهر احوالهم بباطن اعذارهم لان سليمان
لم يعاقب الهدهد حين اعتذر اليه وانما صار صدق الهدهد عذرا لانه
اخبر بما يقتضي الجهاد وكان سليمان حبب اليه الجهاد وفي الصحيح
لا احد احب اليه العذر من الله من اجل ذلك بعث المرسلين مبشرين
ومنذرين وقد قبل عمر عذر النعمان بن عدي ولم يعاقبه ولكن للامام
ان يمتحن ذلك اذا تعلق به حكم من احكام الشريعة كما فعل سليمان
فانه لما قال الهدهد اني وجدت امراة تملكهم واوتيت من كل شيء ولها
عرش عظيم لم يستفزه الطمع ولا استجره حب الزيادة في الملك الى
ان يعرض له حتى قال له وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون
الله فغاظه حينئذ ما سمع وطلب الانتهاء الى ما اخبر وتحصيل علم ما
غاب عنه من ذلك فقال سننظر اصدقت ام كنت من الكاذبين ونحو
منه ما رواه الصحيح عن المسور بن مخرمة قال استشار عمر الناس
في املاص المراة وهي التي يضرب بطنها فتلقي جنينها فقال المغيرة
ابن شعبة شهدت النبي صلى الله عليه وسلم قضى فيه بغرة عبد او
امة قال فقال عمر ائتني بمن يشهد معك قال فشهد له محمد بن مسلمة
في رواية فقال لا تبرح حتى تاتيني بالمخرج من ذلك فخرجت فوجدت محمد
ابن مسلمة فجئت به فشهد ونحوه حديث ابي موسى في الاستئذان وغيره

السادسة عشر

السادسة عشرة فيها خمس لغات اوجهها القه اليهم باثبات الياء في اللفظ
وبحذف الياء واثبات الكسرة دالة عليها فالقه اليهم وبضم الهاء
واثبات الواو على الاصل فالقهو اليهم وبحذف الواو واثبات
الضمة فالقهُ اليهم واللغة الخامسة قرا بها حمزة باسكان الهاء فالقهْ
اليهم قال النحاس وهذا عند النحويين لا يجوز الا على حيلة بعيدة
يكون بقدر الوقف وسمعت علي بن سليمان يقول لا تلتفت الى
هذه العلة ولو جاز ان يصل وهو ينوي الوقف لجاز ان يحذف
الاعراب من الاسماء وقال اليهم على لفظ الجمع ولم يقل اليها لانه
قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله فكانه قال
فالقه الى الذين هذا دينهم اهتماما منه بامر الدين واشتغالا به
عن غيره وبني الخطاب في الكتاب على لفظ الجمع لذلك وروي
في قصص هذه الاية ان الهدهد وصل فالقى دون هذه الملكة
حجب جدرات فعمد الى كوة كانت بلقيس صنعتها ليدخل منها
الشمس عند طلوعها لمعنى عبادتها اياها فدخل منها ورمى الكتاب
على بلقيس وهي فيما يروى نائمة فلما استيقظت وجدته فراعها
وظنت انه قد دخل عليها احد ثم قامت فوجدت حالها كما عهدت
فنظرت الى الكوة تهمما بامر الشمس فرات الهدهد فعلمت وقال
وهب وابن زيد كانت لها كوة مستقبل مطلع الشمس فاذا طلعت
سجدت فسدها الهدهد بجناحه فارتفعت الشمس ولم تعلم
فلما استبطات الشمس قامت تنظر فرمى بالصحيفة اليها فلما رات
الخاتم ارتعدت وخضعت لان ملك سليمان كان في خاتمه فقراته
فجمعت الملا من قومها فخاطبتهم بما ياتي بعد وقال مقاتل حمل
الهدهد الكتاب بمنقاره وطار حتى وقف على راس المراة
وحولها الجنود والعساكر فرفرف ساعة والناس ينظرون اليه
فرفعت المراة راسها فالقى الكتاب في حجرها السابعة عشرة
في هذه الاية دليل على ارسال الكتب الى المشركين وتبليغهم الدعوة
ودعائهم الى الاسلام وقد كتب النبي صلى الله عليه وسلم الى كسرى وقيصر
والى كل جبار كما تقدم في ال عمران الثامنة عشرة **قوله تعالى**
ثم تول عنهم امره بالتولي حسن ادب ليتنحى حسب ما يتادب به مع
الملوك بمعنى وكن قريبا حتى ترى مراجعتهم قال وهب بن منبه
وقال ابن زيد امره بالتولي بمعنى الرجوع اليه اي فقه وارجع

فقال وقوله فانظر ماذا يرجعون في معني التقديم علي قوله
ثم تول واتساق وترتيب الكلام اظهر الي الفهم ثم تول وحيده
خلال ذلك فانظر اي انظر وقيل فاعلم كقوله يوم ينظر المرء
ما قدمت يداه اي اعلم ماذا يرجعون اي يجيبون او ماذا يردون
من القول وقيل فانظر ماذا يتراجعون بينهم من الكلام قوله
تعالي قالت يا ايها الملا اني القي الي كتاب كريم فيه ست
مسايل الاولي قوله تعالي قالت يا ايها الملا في الكلام حذف
والمعني فذهب فالقاه اليهم فسمعوها تقول يا ايها الملا ثم
وصفت الكتاب بالكريم اما لانه من عند عظيم في نفسها ونفوسهم
فعظمته اجلالا لسليمان عليه السلام وهذا قول ابن زيد واما
انها اشارت الي انه مطبوع عليه بالخاتم وكرامة الكتاب ختمه
روي ذلك عن رسول الله صلي الله عليه وسلم وقيل لانه بدا فيه
ببسم الله الرحمن الرحيم وقد قال صلي الله عليه وسلم كل كلام لم يبدا
فيه ببسم الله فهو اجذم وقيل لانه بدا فيه بنفسه ولا يفعل ذلك
الا الجلة وفي حديث ابن عمر انه كتب الي عبد الملك ابن مروان
امير المومنين اني اقر لك بالسمع والطاعة ما استطعت يعني فذا قرظها
لك بذلك وقد توهمت انه كتاب جا من السما اذ كان الموصل طيرا
وقيل كريم حسن كقوله ومقام كريم اي مجلس حسن وقيل وصفته
بذلك لما تضمن من لين القول والموعظة في الدعا الي عبادة
الله جل وعز وحسن الاستعطاف والاستلطاف من غير ان
يتضمن سبا ولا لعنا ولا ما يغير النفس ومن غير كلام نازل ولا
مستغلق علي عادة الرسل في الدعا الي الله عز وجل الا ترى
الي قول الله جل وعز لنبيه صلي الله عليه وسلم ادع الي سبيل
ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وقوله لموسي وهارون فقولا
له قولا لينا لعله يتذكر او يخشي وكلها وجوه حسان وهذا
احسنها وقد روي انه لم يكتب بسم الله الرحمن الرحيم احد قبل
سليمان وفي قراءة ابي وانه بزيادة واو الثانية الوصف
بالكريم في الكتاب غاية الوصف الا ترى قوله تعالي انه لقران
كريم واهل الزمان يصفون الكتاب بالخطير والاثير وبالمبرور
وان كان لملك قالوا العزيز واسقطوا الكريم غفلة وهو افضلها
خصلة فاما الوصف بالعزيز فقد وصف به القران فقال تعالي وانه

لكتاب عزيز

لكتاب عزيز الاية فهذه عزته وليست لاحد الا له فاجتنبوه في
كتبكم واجعلوا بدلها العالي توفية لحق الولاية وحياطة للديانة
قاله القاضي ابو بكر بن العربي الثالثة كان رسم المتقدمين اذا
كتبوا ان يبدوا بانفسهم من فلان الي فلان وبذلك جات الاثار
وروي الربيع عن انس قال ما كان احد اعظم حرمة من النبي صلي
الله عليه وسلم وكان اصحابه اذا كتبوا بدوا بانفسهم وقال ابن سيرين
قال النبي صلي الله عليه وسلم ان اهل فارس اذا كتبوا بدوا بعظمايهم
فلا يبدا الرجل الا بنفسه قال ابو الليث السمرقندي في كتاب
البستان له ولو بدا بالمكتوب اليه جاز لان الامة قد اجتمعت
عليه وفعلوه لمصلحة راوها في ذلك او نسخ ما كان من قبل فالاحسن
في زماننا هذا ان يبدا بالمكتوب اليه ثم بنفسه لان البدا بنفسه
تعد منه استخفافا بالمكتوب اليه وتكبرا عليه الا ان يكتب الي عبد
او غلام من غلمانه الرابعة واذا ورد علي انسان كتاب بالتحية
او نحوها فينبغي ان يرد الجواب لان الكتاب من الغايب كالسلام
من الحاضر وروي عن ابن عباس انه كان يري رد الكتاب واجبا
كما يري رد السلام والله اعلم الخامسة اتفقوا علي كتب بسم الله
الرحمن الرحيم في اول الكتب والرسايل وعلي ختمها لانه ابعد من
الريبة وعلي هذا جري الرسم وبه جا الاثر عن عمر ابن الخطاب انه
قال ايما كتاب لم يكن مختوما فهو اغلف وفي الحديث كرم الكتاب
ختمه وقال بعض الادبا هو ابن المقفع من كتب الي اخيه كتابا ولم
يختمه فقد استخف به لان الختم ختم وقال انس لما اراد النبي صلي الله
عليه وسلم ان يكتب الي العجم قيل له انهم لا يقبلون الا كتابا عليه ختم
فاصطنع خاتما ونقش علي فصه لا اله الا الله محمد رسول الله وكاني
انظر الي وبيصه وبياضه في كفه السادسة قوله تعالي انه من
سليمان وانه بالكسر فيهما اي وان الكلام او ان مبتدا الكلام بسم
الله الرحمن الرحيم واجاز الفرا انه من سليمان وانه بفتحهما جميعا
علي ان يكونا في موضع رفع بدل من الكتاب بمعني القي الي انه من
سليمان واجاز ان يكونا في موضع نصب علي حذف الخافض اي
لانه من سليمان ولانه كانها عللت كرمه بكونه من سليمان وتصديره
بسم الله وقرا اشهب العقيلي ومحمد بن السميفع ان لا تغلوا بالغين
المعجمة وروي عن وهب ابن منبه من غلا يغلو اذا تجاوز وتكبر وهي

راجحة الي معني قراة الجماعة واتوني مسلمين اي منقادين طايعين
مومنين قوله تعالي قالت يا ايها الملا افتوني في امري فيه ثلاث
مسايل الاولي قوله تعالي فيه قالت يا ايها الملا اشراف القوم وقد مضي
في البقرة القول فيه قال ابن عباس كان معها الف قيل وقيل
اثنا عشر الف قيل مع كل قيل مائة الف والقيل الملك دون الملك
الاعظم فاخذت في حسن الادب مع قومها ومشاورتهم في امرها ه
واعلمتهم ان ذلك مطرد عندها في كل امر يعرض لقولها ما كنت
قاطعة امرا حتي تشهدون فكيف في هذه النازلة الكبري فراجعها
الملا بما يقر عينها من اعلامهم اياها بالقوة والباس ثم سلموا الامر الي
نظرها وهذه محاورة حسنة من الجميع قال قتادة ذكر لنا انه كان
لها ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا هم اهل مشورتها كل رجل منهم علي
عشرة الاف الثانية في هذه الاية دليل علي صحة المشاورة وقد
قال تعالي لنبيه عليه السلام وشاورهم في الامر في ال عمران اما
استعانة بالاراء واما مداراة للاولياء وقد مدح الله الفضلا بقوله
وامرهم شوري بينهم والمشاورة من الامر القديم وخاصة في الحرب
فهذه بلقيس امراة جاهلية كانت تعبد الشمس قالت يا ايها الملا
افتوني في امري ما كنت قاطعة امرا حتي تشهدون لتختبر عزمهم
علي مقاومة عدوهم وحزمهم فيما يقيم امرهم وامضاهم علي الطاعة
لها لعلمها بانهم ان لم يبذلوا انفسهم ودماهم واموالهم دونها لم يكن
لها طاقة بمقاومة عدوها وان لم يجتمع امرهم وحزمهم وجدهم
كان ذلك عونا لعدوهم عليهم وان لم يختبر ما عندهم وتعلم قدر عزمهم
لم تكن علي بصيرة من امرهم وربما كان استبدادها برايها وهنا
في طاعتها ودخيلة في تقدير امرهم وكان في مشاورتهم واخذ رايهم
عون علي ما تريده من قوة شوكتهم وشدة مدافعتهم الا تري
الي قولهم في جوابهم نحن اولوا قوة واولوا باس شديد قال
ابن عباس كان من قوة احدهم ان يركض فرسه حتي اذا احتد
ضم فخذيه فحبسه بقوته الثالثة قوله تعالي والامر اليك فانظري
ماذا تامرين سلموا الامر الي نظرها مع ما اظهروا لها من القوة والباس
والشدة فلما فعلوا ذلك اخبرت عند ذلك بفعل الملوك بالقرى
التي يتغلبون عليها وفي هذا الكلام خوف علي قومها وحيطة لهم
واستعظام لامر سليمان عليه السلام وكذلك يفعلون قيل هو من قول بلقيس

تاكيدا

تاكيدا للمعني الذي ارادته وقال ابن عباس هو من قول الله عز وجل
معرفا لمحمد صلي الله عليه وسلم وامته بذلك ومخبرا به وقال وهب لما قرات
عليهم الكتاب لم تعرف اسم الله فقالت ما هذا فقال بعض القوم ما اظن
هذا الا عفريتا عظيما من الجن يقتدر به هذا الملك علي ما يريده فسكتوه
فقال الاخر اراهم ثلاثة من العفاريت فسكتوه فقال شاب قد علم يا
سيدة الملوك ان سليمان ملك قد اعطاه ملك السما ملكا عظيما فهو لا يتكلم
بكلمة الا بدا فيها بتسمية الهه والله اسم مليك السما ملكا عظيما فهو لا يتكلم
بكلمة الا بدا فيها بتسمية الاهه والله اسم مليك السما والرحمن الرحيم
نعوته فعندها قالت افتوني في امري فقالوا نحن اولوا قوة في القتال
واولوا باس شديد قوة في الحرب واللقا والامر اليك ردوا امرهم اليها
لما جربوا علي رايها من البركة فانظري ماذا تامرين قالت ان الملوك
اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون
قال ابن الانباري وجعلوا اعزة اهلها اذلة هذا وقف تام فقال الله
عز وجل تحقيقا لقولها وكذلك يفعلون ويشبه به في سورة الاعراف قال
الملا من قوم فرعون ان هذا الساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم
تم الكلام فقال فرعون فماذا تامرون وقال ابن شجرة هو من قول
بلقيس فالوقف علي وكذلك يفعلون اي وكذلك يفعل سليمان اذا دخل
بلادنا قوله تعالي واني مرسلة اليهم بهدية فيه ست مسايل الاولي
قوله تعالي واني مرسلة اليهم بهدية هذا من حسن نظرها وتدبيرها ه
اي اني اجرب هذا الرجل بهدية واعطيه فيها نفايس الاموال واغرب عليه
بامور المملكة فان كان ملكا دنياويا ارضاه المال وعملنا معه بحسب
ذلك وان كان نبيا لم يرضه المال ولازمنا في امر الدين فينبغي ان نومن
به ونتبعه علي دينه فبعثت اليه بهدية عظيمة اكثر الناس في
تفصيلها فقال سعيد بن جبير عن ابن عباس ارسلت اليهم بلبنة
من ذهب فرات الرسل الحيطان من ذهب فصغر عندهم ما جاوا به
وقال مجاهد ارسلت بماتي غلام وماتي جارية وروي عن ابن عباس
باثني عشرة وصيفة مذكرين قد البستهم زي الغلمان واثني عشر غلاما
مونثين قد البستهم زي النسا وعلي ايدي الوصايف اطباق مسك وعنبر
وباثنتي عشرة نجيبة تحمل لبن الذهب وبخرزتين احدهما غير
مثقوبة والاخري مثقوبة ثقبا معوجا وبقدح لا شي فيه وبعصا كان
يتوارثها ملوك حمير وانفذت الهدية مع جماعة من قومها وقيل كان

الرسول واحدا ولكن كان في صحبته اتباع وخدم وقيل ارسلت رجالا
من اشراف قومها يقال له المنذر بن عمرو وضمت اليه رجالا ذوي راي
وعقول والهدية مائة وصيف ومائة وصيفة قد خولف بينهم في ه
اللباس وقالت للغلمان اذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام فيه تانيث يشبه كلام
النسا وقالت للجواري كلمنه بكلام فيه غلظ يشبه كلام الرجال فيقال
ان الهدهد جا فاخبر سليمان بذلك كله وقيل ان الله اخبر سليمان بذلك
فامر سليمان الا يبسط من موضعه الي تسع فراسخ بلبنات الذهب والفضة
ثم قال اي الدواب رايتم احسن في البر والبحر قالوا يا نبي الله راينا في
بحر كذا دواب منقطة مختلفة الوانها لها اجنحة واعراف ونواصي فامر
بها فجات فشدت علي يمين الميدان وعلي يساره وعلي لبنات الذهب
والفضة والقوا لها علوفتها ثم قال للجن علي باولادكم فاقام
احسن ما يكون من الشباب عن يمين الميدان ويساره ثم قعد سليمان
علي كرسيه في مجلسه ووضع له اربعة الاف كرسي من ذهب عن يمينه
ومثل عن يساره واجلس عليها الانبيا والعلما وامر الشياطين
والجن ان يصطفوا صفوفا فراسخ وامر السباع والوحوش والهوام
والطير فاصطفوا عن يمينه ويساره فلما دنا القوم من الميدان
ونظروا الي ملك سليمان وراوا الدواب التي لم تر اعينهم احسن منها
تروث علي لبنات الذهب والفضة تقاصرت اليهم انفسهم ورموا ما
معهم من الهدايا وفي بعض الروايات ان سليمان لما امرهم بفرش
الميدان بلبنات الذهب والفضة امرهم ان يتركوا علي طريقهم موضعا
علي قدر موضع بساط من الارض غير مفروشة فلما مروا بها خافوا
ان يتهموا بذلك فطرحوا ما معهم في ذلك المكان فلما نظروا الشياطين
راوا منظرا هايلا فظيعا ففزعوا وخافوا فقالت لهم الشياطين جوزوا
لا باس عليكم فكانوا يمرون علي كردوس كردوس من الجن والانس
والبهايم والهوام والطير والسباع والوحوش حتي وقفوا بين يدي
سليمان فنظر اليهم سليمان نظرا حسنا بوجه طلق وقد كانت قالت لرسلها
ان نظر اليك نظر مغضب فاعلم انه ملك فلا يهولنك منظره فانا اعز
منه وان رايت الرجل بشا لطيفا فاعلم انه نبي مرسل ففهم قوله
ورد الجواب فاخبر الهدهد سليمان بذلك علي ما تقدم وكانت عمدت الي حقة
من ذهب فجعلت فيها درة يتيمة غير مثقوبة وخرزة معوجة الثقب
وكتبت كتابا مع رسولها تقول فيه ان كنت نبيا فميز بين الوصفا والوصايف

واخبر بما في الحقة وعرفني راس العصا من اسفلها وانقب الدرة
نقبا مستويا وادخل خيط الخرزة واملا القدح ما ليس من
الارض ولا من السما فلما وصل الرسول ووقف بين يدي سليمان عليه
السلام اعطاه كتاب الملكة فنظر فيه وقال اين الحقة فاتي بها فحركها
فاخبره جبريل بما فيها ثم اخبرهم سليمان فقال له الرسول صدقت
فانقب الدرة وادخل الخيط في الخرزة فسال سليمان الجن والجن عن
نقبها فعجزوا فقال للشياطين ما الراي فيه فقالوا ترسل الي الارضة
فجات الارضة واخذت شعرة في فيها حتي خرجت من الجانب الاخر
فقال لها سليمان ما حاجتك فقالت تصير رزقي في الشجر فقال لك ذلك ثم
قال من لهذه الخرزة يسلكها الخيط فقالت دودة بيضا انا لها يا نبي
الله فاخذت الدودة الخيط في فيها ودخلت الثقب حتي خرجت من
الجانب الاخر فقال لها سليمان ما حاجتك قالت تجعل رزقي في الفواكه
قال لك ذلك ثم ميز بين الغلمان قال السدي امرهم بالوضو فجعل
الرجل يحدر الما علي اليد والرجل حدرا وجعل الجواري يصببن
من اليد اليسري علي اليمني ومن اليمني علي اليسري فميز بينهم بهذا
وقيل كانت الجارية تاخذ الما من الانية باحدي يديها ثم تجعله علي الاخري
ثم تضرب به علي الوجه والغلام كان ياخذ من الانية يضرب به في الوجه
والجارية تصب علي باطن ساعدها والغلام علي ظاهر الساعد
والجارية تصب الما صبا والغلام يحدر علي يديه فميز بينهم بهذا وروي
يعلي بن مسلم عن سعيد بن جبير قال ارسلت بلقيس بمائتي وصيف
ووصيفة وقالت ان كان نبيا فسيعلم الذكور من الاناث فامرهم
فتوضوا فمن توضا منهم فبدا بمرفقه قبل كفه قال هو من الاناث
ومن بدا بكفه قبل مرفقه قال هو من الذكور ثم ارسل العصا الي الهوا
فقال اي الراسين سبق الي الارض فهو اصلها وامر بالخيل فاجريت
حتي عرقت وملا القدح من عرقها ثم رد سليمان الهدية فيروي انه
لما صرف الهدية عليها واخبرها رسولها بما شاهده قالت لقومها هذا
امر من السما الثانية كان النبي صلي الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب
عليها ولا يقبل الصدقة وكذلك كان سليمان وجميع الانبيا صلوات الله
عليهم وانما جعلت بلقيس قبول الهدية او ردها علامة علي ما في نفسها
علي ما ذكرناه من كون سليمان ملكا او نبيا لانه قال لها في كتابه الا
تعلوا علي واتوني مسلمين وهذا لا يقبل فيه فدية ولا يوخذ عنه هدية

وليس هذا من الباب الذي تقرر في الشريعة من قبول الهدية بسبيل
وانما هي رشوة وبيع الحق بالباطل وهي الرشوة التي لا تحل واما
الهدية المطلقة للتحبب والتواصل فانها جائزة من كل احد وعن
كل احد وهذا ما لم تكن من مشرك الثالثة فان كانت من مشرك
ففي الحديث نهيت عن زبد المشركين يعني رفدهم وعطاياهم
وروي عنه عليه السلام انه قبلها كما في حديث مالك عن ثور بن
زيد الديلي وغيره فقال جماعة من العلما بالنسخ فيهما وقال
اخرون ليس فيها ناسخ ولا منسوخ والمعنى فيها انه كان لا يقبل
هدية من يطمع بالظهور عليه واخذ بلده ودخوله في الاسلام وهذه
الصفة كانت حالة سليمان عليه السلام فمن مثل هذا نهي ان
تقبل هديته ويهاديه ويقره على دينه مع قدرته عليه لان في
قبول هديته حملا على الكف عنه وهذا احسن تاويل للعلما في
هذا فانه جمع بين الاحاديث وقيل غير هذا الرابعة الهدية مندوب
اليها وهي مما تورث المودة وتدفع العداوة روى مالك عن عبد
الله بن عطا الخراساني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
تصافحوا يذهب الغل وتهادوا تحابوا ويذهب الشحنا وروى
معاوية بن الحكم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
تهادوا فانه يضعف الود ويذهب بغوائل الصدر قال الدارقطني
تفرد به ابن بجير عن ابيه عن مالك ولم يكن بالرضا ولا يصح عن
مالك ولا عن الزهري وعن ابن شهاب قال بلغنا ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال تهادوا بينكم فان الهدية تذهب السخيمة
قال ابن وهب سالت يونس عن السخيمة ما هي قال الغل وهذا
الحديث وصله الوقاصي عثمان عن الزهري وهو ضعيف وعلى
الجملة فقد ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل الهدية
وفيه الاسوة الحسنة ومن فضل الهدية مع اتباع السنة انها
تزيل حزازات النفوس وتكسب المهدي والمهدى اليه زينة في
اللقا والجلوس ولقد احسن القائل

* هدايا الناس بعضهم لبعض * تولد في قلوبهم الوصالا *
* وتزرع في الضمير هوى ووداً * وتكسبهم اذا حضروا جمالا *

اخر

* ان الهدايا لهم حظ اذا وردت * احظى من الابن عند الوالد الحرب *

الخامسة روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال جلساؤكم شركاؤكم

واختلف

واختلف في معناه فقيل هو محمول على ظاهره وقيل يشاركهم على
وجه الكرم والمروة فان لم يفعل فلا يجبر عليه قال ابو يوسف ذلك
في الفواكه ونحوها وقال بعضهم هم شركاؤه في السرور لا في الهدية
والخبر محمول في مثل اصحاب الصفة والخوانق والرباطات واما
اذا كان فقيها من الفقها اختص بهدية فلا شركة فيها لاصحابه فان
اشركهم فذلك كرما وجودا منه السادسة قوله تعالى فناظرة اي
منتظرة بم يرجع المرسلون قال قتادة يرحمها الله ان كانت لعاقلة
في اسلامها وشركها قد علمت ان الهدية تقع موقعا من الناس
وسقطت الالف في بم للفرق بين ما الخبرية وقد يجوز اثباتها قال

* على ما قام يشتمني لئيم * كخنزير تمرغ في رماد *

قوله تعالى فلما جا سليمان اي جا الرسول سليمان بالهدية قال
اتمدونني بمال قرا حمزة ويعقوب والاعمش بنون واحدة
مشددة وبيا ثابتة بعدها الباقون بنونين وهو اختيار ابي عبيد
وابي عبيد لانها في كل المصاحف بنونين وقد روى اسحاق عن
نافع انه كان يقرا اتمدوني بنون واحدة مخففة بعدها يا في اللفظ
قال ابن الانباري فهذه الرواية يجب فيها اثبات اليا عند الوقف
ليصح لها موافقة هجا المصحف والاصل في النون التشديد فخفف
التشديد من ذا الموضع كما خفف من اشهد انك عالم واصله انك عالم
وعلى ذا المعنى بنى الذين تشاقون فيهم تحاجوني في الله وقد
قالت العرب الرجال يضربوني ويقصدوني لانها ادغام يضربونني
ويقصدونني قال الشاعر

* ترهبني والجيد منك لليلى * والحشا والبطن والعينان *

والاصل في ترهبني فخفف ومعنى اتمدونني اتزيدونني مالا الى
ما تشاهدونه من اموالي قوله تعالى فما اتاني الله خير مما اتاكم
اي ما اعطاني من الاسلام والنبوة والملك خير مما اعطاكم فلا افرح
بالمال واتاني وقعت في كل المصاحف بغير يا وقرا ابو عمرو
ونافع وحفص اتاني الله بيا مفتوحة فاذا وقفوا حذفوا واما
يعقوب فانه يثبتها في الوقف ويحذف في الوصل لالتقا الساكنين
الباقون بغير يا في الحالين بل انتم بهديتكم تفرحون لانكم اهل
مفاخرة ومكاثرة في الدنيا قوله تعالى ارجع اليهم اي قال سليمان
للمنذر بن عمرو امير الوفد ارجع اليهم بهديتهم فلناتينهم بجنود لا قبل

لهم بها لام قسم والنون لها لازمة قال النحاس وسمعت ابا الحسن بن
كيسان يقول هي لام توكيد وكذا كان عنده ان اللامات كلها ثلاث
لا غير لام توكيد ولام امر ولام خفض وهذا قول الحذاق من النحويين
لانهم يردون الشي الى اصله وهذا لا يتهيا الا لمن درب في العربية
ومعنى لا قبل لهم بها اي لا طاقة لهم عليها ولنخرجنهم منها اي من ارضهم
اذلة وهم صاغرون وقيل منها اي من قرية سبا وقد سبق ذكر
القرية في قوله ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها اذلة قد
سلبوا ملكهم وعزهم وهم صاغرون اي مهانون اذلا من الصغر
وهو الذل ان لم يسلموا فرجع اليها رسولها فاخبرها فقالت قد عرفت
انه ليس بملك ولا طاقة لنا بقتال نبي من انبيا الله ثم امرت بعرشها
فجعل في سبعة ابيات بعضها في جوف بعض في اخر قصر من سبع قصور
لها وغلقت الابواب وجعلت الحرس عليه وتوجهت الى سليمان
في اثني عشر الف قيل من ملوك اليمن تحت يد كل قيل ماية
قال ابن عباس وكان سليمان مهيبا لا يبتدي بشي حتى يكون
هو يسال عنه فنظر ذات يوم رهجا قريبا منه فقال ما هذا قالوا
بلقيس يا نبي الله فقال سليمان لجنوده وقال وهب وغيره للجن
ايكم ياتيني بعرشها قبل ان ياتوني مسلمين وقال عبد الله بن شداد
كانت بلقيس على فرسخ من سليمان لما قال ايكم ياتيني بعرشها وكانت
خلفت عرشها بسبا ووكلت به حفظة وقيل انها لما بعثت بالهدية
بعثت رسلها في جندها لتغافص سليمان عليه السلام بالقتل قبل
ان يتاهب له ان كان طالب ملك فلما علم ذلك قال ايكم ياتيني بعرشها
قال ابن عباس كان امره بالاتيان بالعرش قبل ان يكتب الكتاب
اليها ولم يكتب اليها حتى جاءه العرش قال ابن عطية وظاهر
الايات ان هذه المقالة من سليمان عليه السلام هي بعد مجي
هديتها وردها اياها وبعثه الهدهد بالكتاب وعلى هذا
جمهور المتاولين واختلفوا في فايدة استدعا عرشها فقال
قتادة ذكر له بعظم وجودة فاراد اخذه قبل ان يعصمها وقومها
الاسلام ويحمي اموالهم والاسلام على هذا الدين وهو قول ابن جريج
وقال ابن زيد استدعاه ليريها القدرة التي هي من عند الله ويجعله
دليلا على نبوته لاخذه من ثقاتها دون جيش ولا حرب ومسلمين
على هذا التاويل بمعنى مستسلمين وهو قول ابن عباس وقال ابن

زيد

زيد ايضا اراد ان يختبر عقلها ولهذا قال نكروا لها عرشها ننظر
اتهتدي وقيل خافت الجن ان يتزوج بها سليمان عليه السلام فيولد
له منها فلا يزالون في السخرة والخدمة لنسل سليمان فقالت لسليمان في
عقلها خللا فاراد ان يمتحنها بعرشها وقيل اراد ان يختبر صدق الهدهد
في قوله ولها عرش عظيم قال الطبري وعن قتادة احب ان
يراه لما وصفه الهدهد والقول الاول عليه اكثر العلما لقوله تعالى
قبل ان ياتوني مسلمين ولانها لو اسلمت لحظر عليه مالها فلا يوتى
به الا باذنها وروي انه كان من فضة وذهب مرصعا بالياقوت
والجوهر وانه كان في جوف سبعة ابيات عليه سبعة اغلاق قوله
تعالى قال عفريت من الجن كذا قرا الجمهور وقرا ابو رجا وعيسى الثقفي
وابن السميقع عفرية ورويت عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه وفي
الحديث ان الله يبغض العفرية النفرية اتباع لعفرية قال قتادة وهي
الداهية قال النحاس يقال للشديد اذا كان معه خبث ودها عفر وعفرية
وعفريت وعفارية وقيل عفريت اي رئيس وقرات فرقة قال عفر
بكسر العين حكاه ابن عطية قال النحاس من قال عفرية جمعه على
عفار ومن قال عفريت كان له في الجمع ثلاثة اوجه ان شا قال عفاريت
وان شا قال عفار لان التا زايدة كما يقال طواغ في جمع طاغوت
وان شا عوض من التا يا فقال عفاري والعفريت من الشياطين القوي
المارد والتا زايدة وقد قال تعفرت الرجل اذا تخلق بخلق الاذاية
قال وهب ابن منبه اسم هذا العفريت كودن ذكره النحاس وقيل
ذكوان ذكره السهيلي وقال شعيب الجبائي اسمه دعوان وروي
عن ابن عباس انه صخر الجني ومن هذا الاسم قول ذي الرمة •
كانه كوكب في اثر عفرية • مصوب في سواد الليل منقضب •
وانشد الكسائي • • •
فقال شيطان لهم عفريت • ما لكم مكث ولا تبييت •
وفي الصحيح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان عفريتا من الجن جعل يفتك علي البارحة ليقطع علي الصلاة وان
الله تعالى امكنني منه فذعته وذكر الحديث وفي البخاري تفلت
علي البارحة مكان جعل يفتك وفي الموطا عن يحيى بن سعيد انه
قال اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم فراى عفريتا من الجن
يطلبه بشعلة من نار كلما التفت رسول الله صلى الله عليه وسلم راه

فقال جبريل الا اعلمك كلمات تقولهن اذا قلتهن طفيت شعلته وخر لفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى فقال اعوذ بوجه الله الكريم وبكلمات الله التامات اللاتي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السما ومن شر ما يعرج فيها ومن شر ما ذرا في الارض ومن شر ما يخرج منها ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق الليل الا طارقا يطرق بخير يا رحمن **قوله تعالى** انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك يعني مجلسه الذي يحكم فيه واني عليه لقوي امين اي قوي على حمله امين على ما فيه ابن عباس امين على فرج المراة ذكره المهدوي فقال سليمان اريد اسرع من ذلك فقال الذي عنده علم من الكتاب انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك اكثر المفسرين على ان الذي عنده علم من الكتاب اصف بن برخيا وهو من بني اسرايل وكان صديقا يحفظ اسم الله الاعظم الذي اذا دعي الله به اجاب واذا سيل به اعطى وقالت عايشة رضي الله عنها قال النبي صلى الله عليه وسلم ان اسم الله الاعظم الذي دعا به اصف يا حي يا قيوم قيل وهي بلسانهم اهيا شراهيا وقال الزهري دعا الذي عنده اسم الله الاعظم يا الاهنا والاه كل شي الاها واحدا لا اله الا انت ايتني بعرشها فمثل بين يديه وقال مجاهد دعا فقال يا الاهنا والاه كل شي يا ذا الجلال والاكرام قال السهيلي الذي عنده علم من الكتاب هو اصف بن برخيا ابن خالة سليمان وكان عنده اسم الله الاعظم من اسما الله تعالى وقيل هو سليمان نفسه ولا يصح في سياق الكلام مثل هذا التاويل قال ابن عطية وقالت فرقة هو سليمان عليه السلام والمخاطبة في هذا التاويل للعفريت لما قال انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك كان سليمان استبطا ذلك فقال له على جهة تحقيره انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك واستدلوا على هذه المقالة بقول سليمان هذا من فضل ربي قال الشيخ رحمه الله ما ذكره ابن عطية قال النحاس في معاني القران له وهو قول حسن ان شا الله بن بحر هو ملك بيده كتاب المقادير ارسله الله عند قول العفريت قال السهيلي وذكر محمد بن الحسن المقري ان ضبة ابن اد وهذا لا يصح لان ضبة هو ابن اد ابن طابخة واسمه عمرو بن الياس بن مضر بن نزار ابن معد ومعد كان في مدة بخت نصر وذلك بعد عهد سليمان بدهر طويل فاذا لم يكن معد في عهد سليمان فكيف ضبة ابن اد وهو بعده بخمسة ابا وهذا بين لمن

تامله

تامله ابن لهيعة هو الخضر عليه السلام وقال ابن زيد الذي عنده علم من الكتاب رجل صالح كان في جزيرة من جزاير البحر خرج ذلك اليوم ينظر من ساكن الارض وهل يعبد الله ام لا فوجد سليمان فدعا باسم من اسما الله تعالى فجي بالعرش وقول سابع انه رجل صالح من بني اسرايل اسمه تمليخا كان يعلم اسم الله الاعظم ذكره القشيري وقال ابن ابي بزة الرجل الذي عنده علم من الكتاب اسمه اسطوم كان عابدا في بني اسرايل قال محمد بن المنكدر وانما هو سليمان عليه السلام اما ان الناس كانوا يرون انه كان معه اسم وليس ذلك كذلك انما كان رجل من بني اسرايل عالم اتاه الله علما وفقها قال انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك قال هات قال انت نبي الله ابن نبي الله فان دعوت الله جاك به فدعا الله سليمان فجاه الله بالعرش وقول تاسع انه جبريل عليه السلام قاله النخعي وروي عن ابن عباس وعلم الكتاب على هذا علمه بكتب الله المنزلة او بما في اللوح المحفوظ وقيل علم كتاب سليمان الى بلقيس قال ابن عطية والذي عليه الجمهور من الناس انه رجل صالح من بني اسرايل اسمه اصف ابن برخيا روي انه صلى ركعتين ثم قال لسليمان يا نبي الله امدد بصرك نحو اليمن فاذا بالعرش فما رد سليمان بصره الا وهو عنده قال مجاهد هو ادامة النظر حتى يرتد طرفه خاسيا حسيرا وقيل اراد مقدار ما يفتح عينه ثم يطرف وهو كما تقول افعل كذا في لحظة عين وهذا اشبه لانه ان كان هذا الفعل من سليمان فهو معجزة وان كان من اصف او غيره من اوليا الله تعالى فهو كرامة وكرامة الولي معجزة النبي قال القشيري وقد انكر كرامات الاوليا من قال ان الذي عنده علم من الكتاب هو سليمان قال للعفريت انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك وعندهم ان ما فعل العفريت فليس من المعجزات ولا من الكرامات فان الجن يقدرون على امثال هذا ولا يقطع جوهر في حال واحدة مكانين بل يتصور ذلك بان يعدم الله الجوهر في اقصى الشرق ثم يعيده في الحالة الثانية وهي الحالة التي بعد العدم في اقصى الغرب او يعدم الاماكن المتوسطة ثم يعيدها قال القشيري ورواه ابن وهب عن مالك وقد قيل جي به في الهوي قال مجاهد وكان بين سليمان والعرش كما بين الكوفة والحيرة وقال مالك كانت باليمن وسليمان عليه السلام بالشام وفي التفاسير انخرق بعرش بلقيس مكانه الذي هو فيه ثم نبع بين يدي سليمان وقال عبد الله بن شداد ظهر العرش من نفق تحت الارض

كان

فالله اعلم اي ذلك كان **قوله تعالى** فلما راه مستقرا عنده اي ثابتا عنده
قال هذا من فضل ربي اي هذا النصر والتمكين من فضل الله ليبلوني
قال الاخفش المعنى لينظر اشكر ام اكفر وقال غيره معنى ليبلوني
ليتعبدني وهو مجاز والاصل في الابتلا الاختبار اي ليختبرني
اشكر نعمته ام اكفرها ومن شكر فانما يشكر لنفسه اي لا يرجع نفع
ذلك الا الي نفسه حيث استوجب بشكره تمام النعمة ودوامها
والمزيد عنها والشكر قيد النعمة الموجودة وبه تنال النعمة المفقودة
ومن كفر فان ربي غني اي عن الشكر كريم في التفضل **قوله**
تعالى قال نكروا لها عرشها اي غيروه قيل جعل اعلاه اسفله
واسفله اعلاه وقيل غير بزيادة ونقصان قال الفرا وغيره انما
امر بتنكيره لان الشياطين قالوا له ان في عقلها شيا فاراد ان
يمتحنها وقيل خافت الجن ان يتزوج بها سليمان فيولد له منها
ولد فيبقون مسخرين لال سليمان ابدا فقالوا لسليمان انها
ضعيفة العقل ورجلها كرجل حمار فقال نكروا لها عرشها
ليعرف عقلها وكان لسليمان ناصح من الجن فقال كيف لي ان
ادري قدميها من غير ان اسالها كشفها فقال انا اجعل في هذا
القصر ما واجعل فوق الما زجاجا حتى تظن انه ما فترفع ثوبها
فترى قدميها فهذا الصرح الذي اخبر الله تعالى عنه **قوله**
تعالى فلما جات قيل لبلقيس فقيل لها اهكذا عرشك قالت كانه
هو شبهته به لانها كانت خلفته تحت الاغلاق فلم تقر بذلك
ولم تنكره فعلم سليمان كمال عقلها قال عكرمة كانت حكيمة فقالت
كانه هو وقال مقاتل عرفته ولكن شبهت عليهم كما شبهوا عليها
ولو قيل لها اهذا عرشك لقالت نعم وقال الحسن بن الفضل
ايضا وقيل اراد سليمان ان يظهر لها ان الجن مسخرون له وكذلك
الشياطين لتعرف انها نبوة وتومن وقيل هذا في مقابلة
تعميتها الامر في باب الغلمان والجواري واوتينا العلم من
قبلها قيل هو من قول بلقيس اي اوتينا العلم بصحة نبوة سليمان
من قبل هذه الاية في العرش وكنا مسلمين منقادين لامره وقيل
هو من قول سليمان اي اوتينا العلم بقدرة الله على ما يشا من قبل
هذه المرة وقيل واوتينا العلم باسلامها ومجيها طايعة من قبل
مجيها وقيل هو من كلام قوم سليمان فالله اعلم **قوله تعالى**

وصدها ما كانت

وصدها ما كانت تعبد من دون الله الوقف على من دون الله حسن
والمعنى منعها من ان تعبد الله ما كانت تعبد من الشمس والقمر فاجرى
هذا التاويل في موضع رفع النحاس المعنى اي صدها عبادتها
من دون الله وصدها الله اي منعها الله من عبادتها غيره
فحذفت عن وتعدى الفعل نظيره واختار موسى قومه اي من
قومه وانشد سيبويه •
• نبيت عبد الله بالجو اصبحت • كراما مواليها ليما صميمها •
وزعم ان المعنى عنده نبيت عن عبد الله انها كانت من قوم كافرين
قرا سعيد بن جبير انها بفتح الهمزة وهي في موضع نصب بمعنى لانها
ويجوز ان يكون بدلا من ما فتكون في موضع رفع ان كانت ما
فاعلة او على ان فاعلة الصد والكسر على الاستيناف **قوله تعالى**
قيل لها ادخلي الصرح التقدير عند سيبويه ادخلي الى الصرح
فحذفت الى وعدي الفعل وابو العباس يغلط في هذا قال لان
دخل يدل على مدخول وكان الصرح صحنا من زجاج تحته
ما وفيه الحيتان عمله ليريها ملكا اعظم من ملكها قال مجاهد
وقال قتادة كان من قوارير خلفه ما حسبته لجة اي ما
وقيل الصرح القصر عن ابي عبيدة كما قال •
• تحسب اعلامهن الصروحا • وقيل الصرح الصحن كما يقال
هذه صرحة الدار وقاعتها بمعنى وحكى ابو عبيدة في الغريب
المصنف ان الصرح كل بنا عال مرتفع وان الممرد الطويل
اصل هذا انه يقال لكل ما عمل عملا واحدا صرح من قولهم لبن
صريح اذا لم يشبه ما ومنه قولهم صرح بالامر ومنه عربي صريح
وقيل عمله ليختبر قول الجن فيها ان امها من الجن ورجلها رجل حمار
قاله وهب بن منبه فلما رات اللجة فزعت وظنت انها قصد بها
الغرق وتعجبت من كون كرسيه على الما ورات ما هالها ابد من
امتثال الامر فكشفت عن ساقيها فاذا هي احسن الناس ساقا سليمة
مما قالت الجن غير انها كانت كثيرة الشعر فلما بلغت هذا الحد قال
لها سليمان بعد ان صرف بصره عنها انه صرح ممرد من قوارير
والممرد المحكوك المملس ومنه الامرد وتمرد الرجل اذا ابطا خروج
لحيته بعد ادراكه قاله الفرا ومنه الشجرة المردا التي لا ورق عليها ورملة
مردا اذا كانت لا تنبت والممرد ايضا المطول ومنه قيل للحصن مارد ابو

صالح طويل على هيئة النخلة ابن سنجرة واسع فيما طوله وعرضه فقال
عدوت صاحبا باكوا فوجد ثمم • قبيل الصحي في السامري المرد •
ابي الدروع الواسعة وعند ذلك استسلمت بلقيس واذعنت واسلمت
واقرت على نفسها بالظلم على ما باتي فلما راي سليمان قدميها
قال للشاهد من الشياطين كيف لي ان اقلع هذا الشعر من غير مضرة
بالجسد فدله على عمل النوره فلما كانت النورة والحمامات من يومئذ
فيرد كي ان سليمان تزوجها عند ذلك واسكنها الشام قال الضحاك
وقال سعيد بن عبد العزيز في كتاب النقاش تزوجها وردها الي
ملكها باليمن وكان ياتيها على الريح كل شهر مرة فولدت له غلاما
سماه داود مات في زمانه وفي بعض الاخبار ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال كانت بلقيس من احسن نساء العالمين ساقين
وهي من ازواج سليمان في الجنة فقالت عايشة هي احسن ساقين
مني فقال عليه السلام انت احسن ساقين منها في الجنة ذكره
القشيري وذكر الثعلبي عن ابي موسى ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اول من اتخذ الحمامات سليمان بن داود عليهما السلام
فلما الصق ظهره الى الجدار فمسه حرها قال اواه من
عذاب الله ثم احبها حبا شديدا واقرها على ملكها باليمن وامر
الجن فبنوا لها ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعا
سلحون وبينون وغمدان ثم كان سليمان يزورها في كل
شهر مرة ويقيم عندها ثلاثة ايام وحكي الشعبي ان ناسا
من حمير حفروا مقبرة الملوك فوجدوا مقبرة الملوك فوجدوا
فيها قبرا معقودا فيه امراة عليها حلل منسوجة بالذهب و
وعند راسها لوح رخام فيه مكتوب •

يا ايها الاقوام عوجوا معا • وارتعوا في مقبري العيسا
لتعلموا اني تلك التي قد كنت • ادعي الدهر بلقيسا
شيدت قصر الملك في حمير قومي • وقد ما قد كان مانوسا
وكنت في ملكي وتدبيره • ارغم في الله المعاطيسا
بعلي سليمان النبي الذي • قد كان للتوراة دريسا
وسخر الريح له مركبا • تهب احيانا رواميسا
مع ابن داود النبي الذي • قدسه الرحمن تقديسا

وقال محمد بن اسحاق ووهب ابن منبه لم يتزوجها سليمان وانما قال لها

اختار لي زوجا

اختار لي زوجا فقالت مثلي لا ينكح وقد كان لي من الملك ما كان فقال
لا بد في الاسلام من ذلك فاختارت ذا تبع ملك همدان فزوجها اياه
وردها الى اليمن وامر زوبعة امير جن اليمن ان يطيعه فبنى
له المصانع ولم يزل اميرا حتى مات سليمان وقال قوم لم يرد فيه
خبر صحيح لا في انه تزوجها ولا في انه زوجها وهي بلقيس بنت السرح
ابن الهداهد بن شراحيل بن اد بن حدر بن السرح بن الحرث
ابن قيس بن صيفي بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عامر
ابن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح وكان جدها الهدهاد
ملكا عظيم الشان قد ولد له اربعون ولدا كلهم ملوك وكان ملك
ارض اليمن كلها وكان ابوها السرح يقول لملوك الاطراف ليس احد
منكم كفوا لي وابى ان يتزوج منهم امراة من الجن يقال لها ريحانة
بنت السكن فولدت له بلقمة وهي بلقيس ولم يكن له ولد غيرها
وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم كان احد ابوي بلقيس
جنيا فمات ابوها واختلف قومها عليها فرقتين وملكوا امرهم
رجلا فساءت سيرته حتى فجر بنساء رعيته فادركت بلقيس الغيرة
فعرضت عليه نفسها فتزوجته فسقته الخمر حتى حزت راسه
ونصبته على باب دارها فملكوها وقال ابو بكرة ذكرت بلقيس
عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا يفلح قوم ولوا امرهم امراة
ويقال ان سبب تزوج ابيها من الجن انه كان وزير الملك عاد يغتصب
نساء الرعية وكان الوزير غيورا فلم يتزوج فصحب مرة في الطريق
رجلا لا يعرفه فقال هل من زوجة قال لا اتزوج ابدا فان ملك
بلدنا يغتصب النساء من ازواجهن قال لئن تزوجت ابنتي لم يغتصبها
ابدا قال بل يغتصبها قال انا قوم من الجن لا يقدر علينا فتزوج
ابنته فولدت له بلقيس ثم ماتت الام وابتنيت بلقيس قصرا في
الصحرا فتحدث ابوها بحديثها غلطا فنمي للملك خبرها فقال له
يا فلان تكون عندك هذه البنت الجميلة ولا تاتيني بها وانت تعلم
حبي للنساء امر بحبسه فارسلت بلقيس اليه اني بين يديك فتجهز
للمسير الى قصرها فلما هم بالدخول بمن معه خرجت اليه جواري من
بنات الجن مثل صور الشمس وقلن له الا تستحي قالت لك سيدتنا
اتدخل بهم ولا الرجال معك على اهلك فاذن لهم بالانصراف ودخل وحده
فلما غلقت عليه الباب قتلته بالنعال ثم قطعت راسه ورمت به الى

علىعسكره فرموها عليهم فلم تزل كذلك الى ان ابلغ الهدهد خبرها
سليمان عليه السلام وذلك ان سليمان لما نزل في بعض منازله
قال الهدهد ان سليمان قد اشتغل بالنزول فارتفع نحو السما
فابصر طول الدنيا وعرضها فابصر الدنيا يمينا وشمالا فراى بستانا
لبلقيس فيه هدهد وكان اسم ذلك الهدهد عنقير فقال عنقير
اليمن ليعفور سليمان من اين اقبلت واين تريد فقال اقبلت
من الشام مع صاحبي سليمان بن داود قال ومن سليمان قال ملك
الجن والانس والشياطين والطيور والوحوش والريح وكل ما بين
السما والارض فمن اين انت قال من هذه البلاد ملكها امراة يقال
لها بلقيس تحت يدها اثني عشر الف قايد تحت كل قايد مايه
الف مقاتل من سوى النسا والذراري فانطلق معه ونظر الى بلقيس
وملكها ورجع الى سليمان وقت العصر وكان سليمان قد تفقده
وقت الصلاة فلم يجده وكانوا على غير ما قال ابن عباس في
رواية وقعت نفحة من الشمس فنظر فقال لوزير الطير هذا
موضع من قال يا نبي الله هذا موضع الهدهد قال واين ذهب
قال لا ادري اصلح الله الملك فغضب سليمان وقال لاعذبنه
الاية ثم دعا بالعقاب سيد الطير واصرمها واشدها باسا
فقال ما تريد يا نبي الله قال علي بالهدهد الساعة فرفع
العقاب نفسه دون السما حتى لزق بالهوى فنظر الى الدنيا
كالقصعة بين يدي احدكم فاذا هو بالهدهد مقبلا من نحو اليمن
فانقض نحوه وانشب فيه مخلبه فقال الهدهد اسالك بالله
الذي اقدرك علي الا رحمتني فقال له الويل لك وثكلتك امك
ان نبي الله سليمان حلف ان يعذبك او يذبحك ثم اتي به فتلقته
النسور وساير عساكر الطير وقالوا الويل لك لقد توعدك نبي
الله فقال وما قدري وما انا اما استثني قالوا بلى انه قال
او لياتيني بسلطان مبين ثم دخل على سليمان فرفع راسه
وارخى ذنبه وجناحيه تواضعا لسليمان فقال له سليمان
اين كنت عن خدمتك ومكانك لاعذبنك عذابا شديدا او لاذبحنك
فقال له الهدهد يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله بمنزلة
وقوفي بين يديك فاقشعر جلد سليمان وارتعد وعفا عنه وقال
عكرمة انما صرف سليمان عن ذبح الهدهد انه كان بارا بابويه

بنيل الطعام

بنيل الطعام اليهما فيزقهما ثم قال له سليمان ما الذي ابطابك فقال
الهدهد ما اخبر الله عنه عن بلقيس وعرشها وقومها حسب ما تقدم
بيانه قال الماوردي والقول بان ام بلقيس جنية مستنكر من
العقول لتباين الجنسين واختلاف الطبعين وتفارق الحسين لان
الادمي جسماني والجن روحاني وخلق الله تعالى الادمي من صلصال
كالفخار وخلق الجان من مارج من نار ويمتنع الامتزاج مع هذا
التباين ويستحيل التناسل مع هذا الاختلاف قال الشيخ رحمه الله
قد مضى الكلام في هذا والعقل لا يحيله مع ما جا من الخبر في ذلك
واذا نظرنا اصل الخلق فاصله الما على ما تقدم ولا بعد في ذلك
والله اعلم وفي التنزيل وشاركهم في الاموال والاولاد وقد تقدم
وقال لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان على ما ياتي بيانه في الرحمن
قوله تعالى قال رب اني ظلمت نفسي اي بالشرك الذي كان عليه
قال ابن شجرة وقال سفين اي بالظن الذي توهمته في سليمان
لانها لما امرت بدخول الصرح حسبته لجة وان سليمان يريد تغريقها
فيه فلما بان لها انه صرح ممرد من قوارير علمت انها ظلمت نفسها
بذلك الظن وكسرت ان لانها ابتداة بعد القول ومن فتحها
فعمل فيها القول واسلمت مع سليمان لله رب العالمين اذا سكنت
مع فهي حرف جا المعنى بلا اختلاف بين النحويين واذا فتحتها
ففيها قولان احدهما انها بمعنى الظرف اسم والاخر انها حرف
خافض مبني على الفتح قاله النحاس قوله تعالى ولقد ارسلنا
الي ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله تقدم معناه فاذا هم فريقان
يختصمون قال مجاهد اي مومن وكافر قال والخصومة ما
قص الله تعالى في قوله اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه الي
قوله كافرون وقيل تخاصمهم ان كل فرقة قالت نحن على الحق دو
دونكم قوله تعالى قال يا قوم لم تستعجلون بالسية قبل الحسنة قال
مجاهد بالعذاب قبل الرحمة والمعني لم تؤخرون الايمان الذي
يجلب اليكم الثواب وتقدمون الكفر الذي يوجب العقاب وكان
الكفار يقولون لفرط الانكار ايتنا بالعذاب وقيل اي لم تفعلون
ما تستحقون به المعاجلة بالعقاب لانهم استعجلوا تعجيل العذاب لو
تستغفرون الله اي هلا تتوبون الي الله من الشرك لعلكم ترحمون
لكي ترحموا وقد تقدم قوله تعالى قالوا اطيرنا بك وبمن معك اي

تشاءمنا والشوم النحس ولا شي اضر بالراي ولا افسد بالتدبير من
اعتقاد الطيرة ومن ظن ان خوار بقرة او نعيق غراب يرد قضا
او يدفع مقدورا فقد جهل وقال الشاعر

طيرة الدهر لا ترد قضا • فاعذر الدهر ولا تشبه بلوم
اي يوم يخصه بسعود • والمنايا ينزلن في كل يوم
ليس يوم الا وفيه سعود • ونحوس تجري لقوم دون قوم

وقد كان العرب اكثر الناس طيرة وكانت اذا ارادت سفرا نفرت
طيرا فان طار يمنة صارت وتيمنت وان طار شامة رجعت وتشاءمت
فنهى النبي صلى الله عليه وسلم وقال اقروا الطير في وكناتها
على ما تقدم في المائدة قال طايركم عند الله اي مصايبكم بل
انتم قوم تفتنون اي تمتحنون وقيل تعذبون بذنوبكم
قوله تعالى وكان في المدينة اي مدينة صالح وهي الحجر تسعة رهط
اي تسعة رجال من ابنا اشرافهم قال الضحاك كان هولا التسعة
عظما اهل المدينة وكانوا يفسدون ويامرون بالفساد فجلسوا
عند صخرة عظيمة فقلبها الله عليهم وقال عطا ابن ابي رباح
بلغني انهم كانوا يقرضون الدنانير والدراهم وذلك من الفساد
في الارض وقاله سعيد بن المسيب وقيل فسادهم كانوا يتبعون
عورات الناس ولا يسترون عليهم وقيل غير هذا واللازم من
الاية ما قاله الضحاك وغيره انهم كانوا من اوجه القوم واقناهم
واغناهم وكانوا اهل كفر ومعاص جمة جملة امرهم انهم يفسدون
ولا يصلحون والرهط اسم الجماعة فكانهم كانوا روسا يتبع كل واحد
منهم رهط والجمع ارهط واراهط قال

يا بوس للحرب التي وضعت • اراهط فاستراحوا •

وهولا المذكورين
كانوا اصحاب قدار عاقر الناقة ذكره ابن عطية قال الشيخ رحمه
الله واختلف في اسمايهم فقال الغزنوي واسماوهم قدار بن
سالف ومصدع واسلم ودهما ودهيم ودعما ودعيم وقتال وصداع
ابن اسحاق واسم قدار بن سالف ومصدع بن مهرج فالسبعة
سبعة هويلع بن بيلع ودعير بن غنم وذواب بن مهرج والاربعة
لم يحفظ اسماوهم وذكر الزمخشري اسماهم عن وهب بن منبه
الهذيل بن عبد رب غنم بن غنم رياب بن مهرج مصدع بن مهرج عمير
ابن كردبة عاصم بن مخرمة سبيط بن صدقة سمعان بن صفي قدار بن

سالف وهم الذين سعوا في عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا
من ابنا اشرافهم السهيلي ذكر النقاش التسعة الذين كانوا يفسدون
في الارض ولا يصلحون وسماهم باسمايهم وذلك لا ينضبط برواية
غير اني اذكره على وجه الاجتهاد والتخمين ولكن نذكره على
ما وجدناه في كتاب محمد بن حبيب وهم مصدع بن دهر ويقال
دهم وقدار بن سالف وهريم وصواب ورياب وداب ودعمي
وهرمي ورعين بن عمرو قال الشيخ رحمه الله وقد ذكر الماوردي
اسمايهم عن ابن عباس قال هم زعمي وزعيم وهرمي وهويم
وداب وصواب ورياب ومصدع وقدار وكانوا بارض الحجر
وهي ارض الشام قوله تعالى قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه واهله
يجوز ان يكون تقاسموا فعلا مستقبلا وهو امر اي قال بعضهم
لبعض احلفوا ويجوز ان يكون ماضيا في معنى الحال كانه قال
قالوا متقاسمين بالله ودليله هذا قراة عبد الله التاويل
قراة عبد الله يفسدون في الارض ولا يصلحون تقاسموا بالله
وليس فيها قالوا لنبيتنه واهله ثم لنقولن قراة العامة بالنون
فيهما واختاره ابو حاتم وقراة حمزة والكسايي بالتا فيهما وضم
التا واللام على الخطاب اي انهم تخاطبوا بذلك واختاره ابو عبيد
وقرا مجاهد وحميد بالتا فيهما وضم التا واللام على الخبر والتبات
مباغتة العدو ليلا ومعنى لوليه اي لرهط صالح الذي له
ولاية الدم ما شهدنا مهلك اهله اي ما حضرنا قتله ولا ندري
من قتله وقتل اهله وانا لصادقون في انكارنا لقتله والمهلك
بمعنى الاهلاك ويجوز ان يكون الموضع وقرا حفص والسلمي
بفتح الميم واللام اي الهلاك يقال ضرب يضرب مضربا اي
ضربا وقرا المفضل وابو بكر بفتح الميم وكسر اللام فيكون اسم
المكان كالمجلس لموضع الجلوس ويجوز ان يكون مصدرا لقوله
تعالى اليه مرجعكم جميعا ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون
مكرهم ما روي ان هولا التسعة لما كان في صدر الثلاثة الايام
بعد عقر الناقة وقد اخبرهم صالح بمجي العذاب اتفقوا وتحالفوا
على ان ياتوا دار صالح ليلا فيقتلوه واهله المختصين قالوا فان كان
كاذبا في وعيده اوقعنا به ما يستحق وان كان صادقا كنا عجلناه
قبلنا وشفينا نفوسنا قال معناه مجاهد وغيره قال ابن عباس

ارسل الله تعالى الملائكة تلك الليلة فامتلأت بهم دار صالح فاتى
التسعة الى دار صالح شاهرين سيوفهم فقتلتهم الملائكة
رضخا بالحجارة فيرون الحجارة ولا يرون من يرميها وقال
قتادة خرجوا مسرعين الى صالح فسلط عليهم ملك بيده صخرة
فقتلهم وقال السدي نزلوا على جرف من الارض فانهار بهم
فاهلكهم الله تحته وقيل اختفوا في غار قريب من دار صالح
فانحدرت عليهم صخرة فشدختهم جميعا فهذا كان مكرهم ومكر
الله مجازاتهم على ذلك فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم
وقومهم اجمعين اي بالصيحة التي اهلكتهم وقد قيل ان هلاك
الكل كان بصيحة جبريل والاظهر ان التسعة هلكوا بعذاب مفرد
ثم هلك الباقون بالصيحة والدمدمة وكان الاعمش والحسن وابن
ابي اسحاق وعاصم وحمزة والكسائي يقرؤون بالفتح قال ابن
الانباري فعلى هذا المذهب لا يحسن الوقف على عاقبة مكرهم
لان انا دمرناهم خبر كان ويجوز ان يجعله في موضع رفع على
الاتباع للعاقبة ويجوز ان يجعله في موضع نصب من قول الفراء
وخفض من قول الكسائي على معنى بانا دمرناهم ولانا دمرناهم
ويجوز ان يجعله في موضع نصب على الاتباع لموضع كيف فمن هذه
المذاهب لا يحسن الوقف على مكرهم وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو انا
دمرناهم بكسر الالف على الاستئناف فعلى هذا المذهب يحسن الوقف
على مكرهم قال النحاس ويجوز ان تنصب عاقبة مكرهم على خبر
كان وتكون انا موضع رفع على انها اسم كان ويجوز ان تكون في
موضع رفع على اضمار مبتدأ تبيينا للعاقبة والتقدير هي انا دمرناهم
قال ابو حاتم وفي حرف ابي ان دمرناهم تصديقا لفتحها قوله تعالى
فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا قرأ العامة بالنصب على الحال عند الفراء
والنحاس اي خالية عن اهلها خرابا ليس بها ساكن وقال الكسائي
وابو عبيدة خاوية نصب على القطع مجازه فتلك بيوتهم الخاوية
فلما قطع منها الالف واللام نصب كقوله وله الدين واصبا وقرأ عاصم بن
عمرو ونصر بن عاصم والجحدري بالرفع على انها خبر عن تلك وبيوتهم
بدل من تلك ويجوز ان يكون بيوتهم عطف بيان وخاوية خبر عن تلك
ويجوز ان يكون بيوتهم وخاوية خبرين عن تلك ويجوز ان يكون رفع خاوية
على انها خبر ابتداء محذوف اي هي خاوية او بدل من بيوتهم لان النكرة تبدل

من المعرفة

من المعرفة ان في ذلك لآية لقوم يعلمون وانجينا الذين آمنوا بصالح وكانوا
يتقون الله ويخافون عذابه قيل آمن بصالح قدر اربعة آلاف رجل
والباقون خرج بابدانهم في قول مقاتل وغيره خراج مثل الحمص
وكان في اليوم الاول احمر ثم صار من الغد اصفر ثم صار في الثالث
اسود وكان عقر الناقة يوم الاربعاء وهلاكهم يوم الاحد قال مقاتل
فقعت تلك الجراحات وصاح جبريل بهم خلال ذلك صيحة فخمدوا وكان
ضحوة وخرج صالح بمن آمن معه الى حضرموت فلما دخلها مات
صالح فسمي حضرموت قال الضحاك ثم بنى الاربعة الآلاف مدينة يقال
لها حاضورا على ما تقدم بيانه في قصة اصحاب الرس قوله تعالى
ولوطا اذ قال لقومه اي وارسلنا لوطا واذكر لوطا اذ قال لقومه
وهم اهل سدوم وقال لقومه اتأتون الفاحشة والفعلة القبيحة
الشنيعة وانتم تبصرون انها فاحشة وذلك اعظم لذنوبكم وقيل يأتي
بعضكم بعضا وانتم تنظرون اليه وكانوا لا يستترون عتوا منهم وتمردا ائنكم
لتأتون الرجال شهوة من دون النساء اعاد ذكرها لفرط قبحها وشنعتها
بل انتم قوم تجهلون اما التحريم او العقوبة واختيار الخليل وسيبويه
تخفيف الهمزة الثانية من ائنكم فاما الخط فالسبيل فيه ان يكتب بالفين
على الوجوه كلها لانها همزة مبتدأة دخلت عليها الف الاستفهام قوله
تعالى فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس
يتطهرون اي عن ادبار الرجال يقولون ذلك استهزاء منهم قال مجاهد
وقال قتادة عابوهم والله بغير عيب بانهم يتطهرون من اعمال السوء فانجينا
فانجيناه واهله الا امرأته قدرناها من الغابرين قرأ عاصم قدرنا مخففا
والمعنى واحد والمعنى قدرت الذي قدر او قدرا او قدرته وامطرنا عليهم
مطرا فساء مطر المنذرين اي من انذر فلم يقبل الانذار وقد مضى بيان
هذا في الاعراف وهود قوله تعالى قل الحمد لله وسلام على عباده
الذين اصطفى قال الفراء قال اهل اللغة قال اهل المعاني قيل للوط
الحمد لله على هلاكهم وخالف جماعة من [illegible] العلماء الفراء في هذا وقالوا
هو مخاطبة لنبينا صلى الله عليه وسلم اي قل الحمد لله على هلاك كفار الامم
الخالية قال النحاس وهذا اولى لان القرآن منزل على النبي صلى الله عليه
وسلم وكل ما فيه فهو مخاطب به عليه السلام الا ما لم يصح معناه الا لغيره
وقيل المعنى اي قل يا محمد الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى
يعني امته عليه السلام قال الكلبي اصطفاهم الله بمعرفته وطاعته وقال

ابن عباس وسفين هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتلو هذه الايات الناطقة بالبراهين على وحدانيته وقدرته على كل شي وحكمته وان يستفتح بتحميده والسلام على انبيايه والمصطفين من عباده وفيه تعليم حسن وتوقيف على ادب جميل وبعث على التيمن بالذكرين والتبرك بهما والاستظهار بمكانهما على قبول ما يلقى الى السامعين واصغايهم اليه وانزاله من قلوبهم المنزلة التي يبغيها المسمع ولقد توارث العلما والخطبا والوعاظ كابرا عن كابر هذا الادب فحمدوا الله وصلوا على رسوله صلى الله عليه وسلم امام كل علم مفاد وقبل كل عظة وتذكرة وفي مفتتح كل خطبة وتبعهم المترسلون فاجروا عليه اوايل كتبهم في الفتوح والتهاني وغير ذلك من الحوادث التي لها شان قوله تعالى الذين اصطفى اختارهم لرسالته وهم الانبيا عليهم السلام دليله قوله تعالى وسلام على المرسلين الله خير واجاز ابو حاتم الله خير بهمزتين النحاس ولا نعلم احدا تابعه على ذلك لان هذه المدة انما جي بها فرقا بين الاستفهام والخبر وهذه الف التوقيف وخير هاهنا ليس بمعنى افضل منك وانما هو مثل قول الشاعر •

• اتهجوه ولست له بكف • فشركما لخيركما الفدا •

والمعنى فالذي فيه الشر منكما للذي فيه الخير الفدا ولا يجوز ان يكون بمعنى من لانك اذا قلت فلان شر من فلان ففي كل واحد منهما شر وقيل المعنى الخير في هذا ام في هذا الذي يشركونه في العبادة وحكى سيبويه السعادة احب اليك ام الشقا وهو يعلم ان السعادة احب اليه وقيل هو على بابه من التفضيل والمعنى الله خير اما تشركون اي ثوابه خير ام عقاب ما تشركون وقيل قال لهم ذلك لانهم كانوا يعتقدون ان في عبادة الاصنام خيرا فخاطبهم الله عز وجل على اعتقادهم وقيل اللفظ لفظ الاستفهام ومعناه الخبر وقرا ابو عمرو وعاصم ويعقوب يشركون بيا على الخبر الباقون بالتا على الخطاب وهي اختيار ابي عبيد وابي حاتم وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قرا هذه الاية يقول الله خير وابقى واجل واكرم قوله تعالى ام من خلق السموات والارض قال ابو حاتم تقديره الهتكم خير ام من خلق السموات والارض وقدر على خلقهن وقيل المعنى اعبادة ما تعبدون من اوثانكم خير ام عبادة من خلق السموات والارض فهو مردود على ما قبله من المعنى وفيه معنى التوبيخ لهم والتنبيه على قدرة الله جل وعز وعجز الهتهم فانبتنا به حدايق ذات بهجة الحدايق البساتين الذي عليه حايط والبهجة

المنظر

المنظر الحسن قال الفرا الحديقة البستان المحظر عليه فان لم يكن عليه حايط فهو البستان وليس بحديقة وقال قتادة وعكرمة الحدايق النخل ذات بهجة والبهجة الزينة والحسن يبهج به من راه ما كان لكم ان تنبتوا شجرها ما للنفي ومعناه الحظر والمنع من فعل هذا اي ما كان للبشر ولا يتهيا لهم ولا يقع تحت قدرتهم ان ينبتوا شجرها اذ هم عجزة عن مثلها لان ذلك اخراج شي من العدم الى الوجود قال الشيخ رحمه الله وقد يستدل من هذا على منع تصوير شي سوا كان له روح او لم يكن وهو قول مجاهد ويعضده قوله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل ومن اظلم ممن ذهب يخلق خلقا كخلقي فليخلقوا ذرة وليخلقوا حبة شعيرة رواه مسلم في صحيحه من حديث ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل فذكره فعم بالذم والتهديد والتقبيح كل من تعاطى تصوير شي مما خلقه الله وضاهاه في التشبيه في خلقه فيما انفرد به سبحانه من الخلق والاختراع وهذا واضح وذهب الجمهور الى ان تصوير ما ليس فيه روح يجوز هو والاكتساب به وقد قال ابن عباس للذي ساله ان يصنع الصور ان كنت لا بد فاعلا فاصنع الشجر وما لا نفس له خرجه مسلم ايضا والمنع اولى والله اعلم لما ذكرنا وسياتي لهذا مزيد بيان في سبا ان شا الله تعالى ثم قال على جهة التوبيخ االه مع الله اي هل معبود مع الله يعينه على ذلك بل هم قوم يعدلون بالله غيره وقيل يعدلون عن القصد والحق اي يكفرون وقيل االه مرفوع بمع تقديره االه مع الله فيكم اله والوقف على مع الله حسن قوله تعالى امن جعل الارض قرارا اي مستقرا وجعل خلالها اي وسطها انهارا مثل وفجرنا خلالهما نهرا وجعل لها رواسي يعني جبالا ثوابت تمسكها وتمنعها من الحركة وجعل بين البحرين حاجزا مانعا من قدرته لئلا يختلط الاجاج بالعذب وقال ابن عباس سلطانا من قدرته فلا هذا يغير ذاك ولا ذاك يغير هذا والحجز المنع االه مع الله اي اذا ثبت انه لا يقدر على هذا غيره فلم تعبدون ما لا يضر ولا ينفع بل اكثرهم لا يعلمون يعني كانهم يجهلون الله فلا يعلمون ما يجب له من الوحدانية قوله تعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى امن يجيب المضطر قال ابن عباس هو ذو الضرورة المجهود وقال السدي الذي لا حول له ولا قوة وقال ذو النون هو ذو الضرورة الذي قطع العلايق عما دون الله وقال ابو جعفر وابو عثمان النيسابوري هو المفلس وقال سهل

ابي عبد الله هو الذي اذا رفع يديه الى الله داعيا لم تكن له وسيلة من
طاعة قدمها وجاء رجل الى مالك بن دينار فقال انا اسالك بالله ان
تدعو لي فاني والله مضطر قال اذا فاساله فانه يجيب المضطر اذا
دعاه قال الشاعر واني لادعو الله والامر ضيق علي فما ينفك ان يتفرجا
ورب اخ سدت عليه وجوهه اصاب لها لما دعا الله مخرجا
الثانية في مسند ابي داود الطيالسي عن ابي بكرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم في دعا المضطر اللهم رحمتك ارجو فلا تكلني الى
نفسي طرفة عين واصلح لي شاني كله لا اله الا انت الثالثة ضمن
الله سبحانه اجابة المضطر اذا دعاه واخبر بذلك عن نفسه والسبب
في ذلك ان الضرورة اليه باللجا تنشا عن الاخلاص وقطع القلب
عما سواه وللاخلاص عنده سبحانه وتعالى موقع وذمة وجد من
مومن او كافر طايع او فاجر كما قال تعالى حتى اذا كنتم في الفلك
وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاتها ريح عاصف وجاءهم الموج من
كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لين انجيتنا
من هذه لنكونن من الشاكرين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون فاجابهم
عند ضرورتهم ووقوع اخلاصهم مع علمه انهم يعودون الى شركهم وكفرهم
وقال تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين الاية
فيجيب المضطر لموضع اضطراره واخلاصه وفي الحديث ثلاث
دعوات مستجابات لا شك فيهن دعوة المظلوم ودعوة المسافر
ودعوة الوالد على ولده ذكره صاحب الشهاب وهو حديث صحيح
وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لمعاذ لما وجهه
الى اليمن واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب وفي
كتاب الشهاب اتقوا دعوة المظلوم فانها تحمل على الغمام يقول الله
تبارك وتعالى وعزتي وجلالي لانصرنك ولو بعد حين وهو صحيح ايضا
وخرج الاجري من حديث ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابي
لا اردها ولو كانت من فم كافر فيجيب المظلوم لموضع اخلاصه بضرورته
بمقتضى كرمه واجابة لاخلاصه وان كان كافرا وكذلك ان كان فاجرا
في دينه ففجور الفاجر وكفر الكافر لا يعود منه نقص ولا وهن
على مملكة سيده فلا يمنعه ما قضى للمضطر من اجابته وفسر اجابته
للمظلوم بالنصر على ظالمه بما شا سبحانه من قهر له او اقتصاص
منه او تسليط ظالم اخر عليه يقهره كما قال عز وجل وكذلك نولي بعض

الظالمين

الظالمين بعضا واكد سرعة اجابتها بقوله تحمل على الغمام ومعناه والله
اعلم ان الله عز وجل يوكل ملايكته بتلقي دعوة المظلوم وتحملها على
الغمام فيعرجوا بها الى السما فتقبل الدعا ليراها الملايكة كلهم فيظهر منهم
معاونة للمظلوم وشفاعة منهم له في اجابته ورحمة له وفي هذا تحذير
من الظلم جملة لما فيه من سخط الله ومعصيته ومخالفة امره حيث
قال على لسان نبيه في صحيح مسلم وغيره يا عبادي اني حرمت الظلم
على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا الحديث فالمظلوم مضطر
ويقرب منه المسافر لانه منقطع عن الاهل والوطن منفرد عن
الصديق والحميم لا يسكن قلبه الى مسعد ولا معين لغربته فتصدق
ضرورته الى المولى فيخلص اليه في اللجا وهو المجيب للمضطر اذا دعاه
وكذلك دعوة الوالد على ولده لا تصدر منه مع ما يعلم من شفقته
عليه وشفقته الا عند تكامل عجزه عنه وصدق ضرورته واياسه
عن بر ولده مع وجود اذيته فيسرع الحق الى اجابته قوله تعالى
ويكشف السو اي الضر ويجعلكم خلفا الارض اي سكانها يهلك قوما
وينشي اخرين وفي كتاب النقاش اي ويجعل اولادكم خلفا منكم
وقال الكلبي خلفا من الكفار ينزلون ارضهم وطاعة الله بعد كفرهم
االه مع الله على جهة التوبيخ كانه قال االه مع الله ويلكم الاه فالاه
مرفوع بمعنى ويجوز ان يكون مرفوعا باضمار االه مع الله يفعل
ذلك فتعبدوه والوقف على مع الله حسن قليلا ما تذكرون قرا ابو
عمرو وهشام ويعقوب يذكرون باليا على الخبر كقوله بل اكثرهم لا
يعلمون وتعالى الله عما يشركون فاخبر فيما قبلها وما بعدها واختاره
ابو حاتم الباقون بالتا خطابا لقوله ويجعلكم خلفا الارض قوله
تعالى امن يهديكم اي يرشدكم الطريق في ظلمات البر والبحر اذا سافرتم
الى البلاد التي تتوجهون اليها بالليل وقيل جعل مفاوز البر التي
لا اعلام لها ولجج البحار كانها ظلمات لانه ليس فيها علم يهتدى به
ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته اي قدام المطر باتفاق
اهل التاويل االه مع الله يفعل ذلك ويعينه عليه تعالى الله عما
يشركون من دونه قوله تعالى امن يبدا الخلق ثم يعيده كانوا يقرون
بان الخالق الرزاق فالزمهم الاعادة اي اذا قدر على الابتدا فهو
القادر على الاعادة وهو اهون عليه االه مع الله يخلق ويرزقه
ويبدي ويعيد قل هاتوا برهانكم اي حجتكم في انه صنع احد شيا من هذه

الا انشيا غير الله ان كنتم صادقين **قوله تعالى** قل لا يعلم من في السموات
والارض الغيب الا الله وعن بعضهم اخفى غيبه عن الخلق ولم يطلع
عليه احدا لئلا يامن احد من عبيده مكره وقيل نزلت في المشركين
حين سالوا النبي صلى الله عليه وسلم عن قيام الساعة ومن في موضع
رفع والمعنى قل لا يعلم احد الغيب الا الله فانه بدل من من قال الزجاج
الخرا وانما رفع ما بعد الا لان ما قبلها جحد كقولك ما ذهب احد الا ابوك
والمعنى واحد قال الزجاج ومن نصب نصب على الاستثنا يعني في
الكلام قال النحاس وسمعته يحتج بهذه الاية على من صدق منجما وقال
اخاف ان يكفر لعموم هذه الاية قال الشيخ رحمه الله قد مضى هذا في الانعام
مستوفى وقالت عايشة من زعم ان محمدا يعلم ما في غد فقد اعظم على الله
الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله
خرجه مسلم وروي انه دخل على الحجاج منجم فاعتقله الحجاج ثم اخذ حصيات
فعدهن ثم قال له كم في يدي من حصاة فحسب المنجم ثم قال كذا فاصاب
ثم اعتقله واخذ حصيات لم يعدهن فقال كم في يدي فحسب فاخطا
ثم حسب فاخطا فقال ايها الامير اظنك لا تعرف عددها قال لا قال
فاني لا اصيب قال فما الفرق قال ان ذلك احصيته فخرج عن حد الغيب
وهذا لم تحصه فهو غيب ولا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله
وقد مضى هذا في العمران **قوله تعالى** بل ادرك علمهم في الاخرة هذه
قراة اكثر الناس منهم عاصم وشيبة ونافع ويحيى بن وثاب والاعمش
وحمزة والكسائي وقرا ابو جعفر وابن كثير وابو عمرو وحميد بل ادرك
من الادراك وقرا عطا بن يسار واخوه سليمان بن يسار والاعمش بل
ادرك غير مهموز مشددا وقرا ابن محيصن بل ادرك على الاستفهام
وقرا ابن عباس بلى باثبات اليا ادراك بهمزة قطع والدال مشددة
والف بعدها قال النحاس واسناده صحيح هو من حديث
شعبة يرفعه الى ابن عباس وزعم هارون القاري ان قراة ابي
تدارك علمهم وحكى الثعلبي انها في حرف ابي ام تدارك والعرب تضع بل موضع
ام وام موضع بل اذا كان في اول الكلام استفهام كقول الشاعر •

• فوالله ما ادري اسلمى تغولت ام القوم ام كل الي حبيب •

اي بل كل قال النحاس القراة الاولى والاخرة معناهما واحد لان اصل
ادرك تدارك ادغمت التا في الدال وجي بالف الوصل وفي معناها قولان
احدهما ان المعنى بل تكامل علمهم في الاخرة لانهم راوا كل ما وعدوا به معاينة

فتكامل علمهم

فتكامل علمهم به والقول الاخر ان المعنى بل تتابع علمهم اليوم في الاخرة
فقالوا تكون وقالوا لا تكون القراة الثانية فيها ايضا قولان احدهما
ان معناه كمل في الاخرة مثل الاول قال مجاهد معناه يدرك علمهم في الاخرة
ويعلمونها اذا عاينوها حين لا ينفعهم علمهم لانهم كانوا في الدنيا مكذبين
والقول الاخر انه على معنى الانكار وهو مذهب ابي اسحاق واستدل
على صحة هذا القول بان بعده بل هم منها عمون اي لم يدرك علمهم علم
الاخرة وقيل بل ضل وغاب علمهم في الاخرة فليس لهم فيها علم القراة
الثالثة بل ادرك فهي بمعنى بل ادرك وقد يجي افتعل وتفاعل بمعنى
ولذلك صح ازدوجوا حين كان بمعنى تزاوجوا القراة الرابعة ليس فيها
الا قول واحد يكون فيه معنى الانكار كما تقول اانا قاتلتك فيكون
المعنى لم يدرك واليه ترجع قراة ابن عباس قال ابن عباس بلى ادرك
علمهم في الاخرة اي لم يدرك قال الزجاج وجه حسن كانه وجهه الى
الاستهزا بالمكذبين بالبعث كقولك للرجل تكذبه بلى لعمري قد ادركت
السلف وانت تروي ما لا اروي وانت تكذبه وقراة سابعة بل ادرك
بفتح اللام عدل الى الفتحة لخفتها وقد حكي نحو ذلك عن قطرب في قم
الليل فانه عدل الى الفتح وكذلك وبع الثوب ونحوه وذكر الزمخشري
في الكتاب وقرى بل ادرك بل اادرك بل تدارك بلى ادرك ام تدارك ام
ادرك فهذه ثنتا عشرة قراة ثم اخذ يعلل وجوه القراات فقال
فان قلت فما وجه قراة بل ادرك على الاستفهام قلت هو استفهام
على وجه الانكار لادراك علمهم وكذلك من قرا ام ادرك وام تدارك
لانها ام التي بمعنى بل والهمزة واما من قرا بلى ادرك على الاستفهام
فمعناه بل يشعرون متى يبعثون ثم انكر علمهم بكونها واذا انكر
علمهم بكونها لم يتحصل لهم شعور بوقت كونها لان العلم بوقت الكاين
تابع للعلم بكون الكاين في شان الاخرة ومعناها بل هم
في شك منها اي في الدنيا بل هم عنها عمون اي بقلوبهم واحدهم عمو وقيل
عمي واصله عميون حذفت اليا لالتقا الساكنين ولم يجز تحريكها
لثقل الحركة فيها **قوله تعالى** وقال الذين كفروا يعني مشركي
مكة اذا كنا ترابا واباؤنا اينا لمخرجون هكذا يقرا نافع هنا وفي
سورة العنكبوت وقرا ابو عمرو باستفهامين الا انه خفف الهمزة وقرا
عاصم وحمزة ايضا باستفهامين الا انهما حققا الهمزتين وكلا ما ذكرناه
في السورتين جميعا واحد وقرا الكسائي وابن عامر ورويس ويعقوب

أإذا بهمزتين أئنا بنونين على الخبر في هذه السورة وفي سورة العنكبوت
باستفهامين قال ابو جعفر النحاس القراءة اذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا
موافقة للخط حسنة وقد عارض فيها ابو حاتم فقال وهذا معنى كلامه
اذا ليس باستفهام وأئنا استفهام وفيه ان فكيف يجوز ان يعمل ما
في حيز الاستفهام فيما قبله وكيف يجوز ان يعمل ما بعد ان فيما قبلها
وكيف يجوز غدا ان زيدا خارج فاذا كان فيها استفهام كان ابعد وهذا اذا
سئل عنه كان مشكلا لما ذكره قال ابو جعفر وسمعت محمد بن الوليد
يقول سألنا ابا العباس عن آية من القرآن صعبة مشكلة وهي
قول الله عز وجل وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم
اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد فقال ان عمل في اذا ينبئكم
كان محالا لانه لا ينبئهم ذلك الوقت وان عمل في اذا ينبئكم فيه ما بعد
ان كان المعنى صحيحا وكان خطأ في العربية ان يعمل ما قبل ان فيما بعدها
وهذا سؤال بين رأيت ان يذكر في السورة التي هو فيها فاما ابو عبيد
فمال الى قراءة نافع ورد على من جمع بين استفهامين واستدل
بقوله تعالى أفإن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم وبقوله أفإن مت
فهم الخالدون وهذا الرد على ابي عمرو وعاصم وحمزة وطلحة والاعرج
لا يلزم منه شيء ولا يشبه ما جاء به من الآية شيئا والفرق بينهما ان
الشرط وجوابه بمنزلة شيء واحد ومعنى أفإن مت فهم الخالدون
أفإن مت خلدوا ونظير هذا أإن زيد منطلق ولا يقال أإن زيدا منطلق
لانهما بمنزلة شيء واحد وليس كذا الآية لان الثاني جملة قائمة بنفسها
فيصلح فيها الاستفهام والاول كلام مفرد يصلح فيه الاستفهام فاما
من حذف الاستفهام من الثاني واثبته في الاول فقرأ أإذا كنا وآباؤنا
انا فحذفه من الثاني لان في الكلام دليلا عليه بمعنى الانكار قوله
تعالى لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل ان هذا الا اساطير
الاولين تقدم في سورة المؤمنين وكان الانبياء يقربون امر البعث
مبالغة في التحذير وكل ما هو آت فقريب قوله تعالى قل
سيروا في الارض اي قل لهؤلاء الكفار سيروا في بلاد الشام والحجاز
واليمن فانظروا اي بقلوبكم وبصائركم كيف كان عاقبة المكذبين
لرسلهم ولا تحزن عليهم اي على كفار مكة ان لم يؤمنوا ولا تكن في
ضيق حرج مما يمكرون نزلت في المستهزئين الذين اقتسموا عقاب
مكة وقد تقدم ذكرهم وقرئ في ضيق وقد مضى في النحل ويقولون

متى

متى هذا الوعد اي وقت يجيئنا العذاب بتكذيبنا ان كنتم صادقين
قوله تعالى قل عسى ان يكون ردف لكم اي دنا منكم بعض الذي
تستعجلون اي من العذاب قاله ابن عباس وهو من ردفه اذا تبعه
وجاء في اثره وتكون اللام ادخلت لان المعنى اقترب لكم ودنا لكم
او تكون متعلقة بالمصدر وقيل معناه وقال ابن شجرة تبعكم ومنه
ردف المرأة لانه تبع لها من خلفها ومنه قول ابي ذؤيب

عاد السواد بياضا في مفارقه ... لا مرحبا ببياض الشيب اذ ردفا

قال الجوهري وأردفه امر لغة في ردفه مثل تبعه واتبعه بمعنى
قال خزيمة بن مالك بن نهد

اذا الجوزاء اردفت الثريا ... ظننت بآل فاطمة الظنونا

يعني فاطمة بنت يذكر بن عنزة احد القارظين وقال الفراء ردف لكم
دنا لكم ولهذا قال لكم ولهذا قال ردفه وردف له بمعنى فتزاد
اللام للتوكيد عن الفراء ايضا كما تقول نقدته ونقدت له وكلته ووزنته
وكلت له ووزنت له ونحو ذلك بعض الذي تستعجلون من العذاب
فكان ذلك يوم بدر وقيل عذاب القبر قوله تعالى وان ربك
لذو فضل على الناس اي في تأخير العقوبة وادرار الرزق ولكن
اكثرهم لا يشكرون فضله ونعمه قوله تعالى وان ربك
ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون يظهرون من الامور وقرأ ابن
محيصن وحميد ما تكن من كننت الشيء اذا سترته هنا وفي القصص
تقديره ما تكنه صدورهم عليه فكان الضمير الذي في الصدور كالجسم
الساتر ومن قرأ تكن فهو المعروف يقال اكننت الشيء اذا اخفيته في
نفسك قوله تعالى وما من غائبة في السماء والارض الا في
كتاب مبين قال الحسن الغائبة هنا القيامة وقيل ما غاب عنهم
من عذاب السماء والارض حكاه النقاش وقال ابن شجرة الغائبة هنا
جميع ما اخفى الله تعالى عن خلقه وغيبه عنهم وهذا عام وانما دخلت
الهاء في غائبة اشارة الى الجمع اي من خصلة غائبة عن الخلق الا والله
عالم بها قد اثبتها في ام الكتاب عنده فكيف يخفى عليه ما يسرون وما
يعلنونه وقيل اي كل شيء هو مثبت في ام الكتاب يخرجه للاجل
المؤجل له فالذي تستعجلونه من العذاب له اجل مضروب لا يتأخر
عنه ولا يتقدم عليه والكتاب اللوح المحفوظ اثبت الله فيه ما اراد
ليعلم بذلك من يشاء من ملائكته قوله تعالى ان هذا القرآن

يقص على بني اسرايل اكثر الذي هم يختلفون وذلك انهم اختلفوا فيه لو اخذوا به وذلك مما حرفوه في كثير من الاشيا حتى لعن بعضهم بعضا فنزلت والمعنى ان هذا القران يبين لهم ما اختلفوا فيه لو اخذوا به وذلك مما حرفوه من التوراة والانجيل وما سقط من كتبهم من الاحكام وانه يعني القران لهدى ورحمة للمومنين خص المومنين لانهم المنتفعون به ان ربك يقضي بينهم بحكمه اي يقضي بين بني اسرايل فما اختلفوا فيه في الاخرة فيجازي المحق والمبطل وقيل يقضي بينهم في الدنيا فيظهر ما حرفوه وهو العزيز المنيع الغالب الذي لا يرد امره العليم الذي لا يخفى عليه شي **قوله تعالى** فتوكل على الله اي فوض اليه امرك واعتمد عليه فانه ناصرك انك على الحق المبين اي الظاهر وقيل المظهر لمن تدبر وجه الصواب انك لا تسمع الموتى يعني الكفار لتركهم التدبر فهم كالموتى الذين لا حس لهم ولا عقل وقيل هذا فيمن علم الله انه لا يومن ولا تسمع الصم الدعا يعني الكفار الذين هم بمنزلة الصم عن قبول المواعظ فاذا دعوا الى الخير اعرضوا وولوا كانهم لا يسمعون نظيره صم بكم عمي كما تقدم وقرا ابن محيصن وحميد وابن كثير وابن ابي اسحاق وعباس عن ابي عمرو ولا يسمع بفتح اليا والميم الصم رفعا على الفاعل الباقون تسمع مضارع اسمعت الصم نصبا **مسالة** وقد احتجت عايشة رضي الله عنها في انكارها ان النبي صلى الله عليه وسلم اسمع موتى بدر بهذه الاية ونظرت في الاية بقياس عقلي ووقفت مع هذه الاية وقد صح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما انتم باسمع منهم قال بن عطية فيشبه ان قصة بدر خرق عادة لمحمد عليه السلام في ان رد الله اليهم ادراكا سمعوا به مقالته ولولا اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بسماعهم لحملنا نداه اياهم على معنى التوبيخ لمن بقي من الكفرة وعلى معنى شفا صدور المسلمين قال الشيخ رحمه الله روى البخاري حدثنا عبد الله بن محمد سمع روح بن عبادة حدثنا سعيد بن ابي عروبة عن قتادة قال ذكر لنا انس بن مالك عن ابي طلحة ان نبي الله صلى الله عليه وسلم امر يوم بدر باربعة وعشرين رجلا من صناديد قريش فقذفوا في طوى من اطوا بدر خبيث مخبث وكان اذا ظهر على قوم اقام بالعرصة ثلاث ليال فلما كان ببدر اليوم الثالث امر براحلته فشد عليها رحلها ثم مشى واتبعه اصحابه قالوا ما نرى ينطلق الا لبعض حاجته حتى قام على شفة الركي

فجعل يناديهم باسمايهم واسما ابايهم يا فلان بن فلان ويا فلان ابن فلان ايسركم انكم اطعتم الله ورسوله فانا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قال فقال عمر يا رسول الله ما تكلم من اجساد لا ارواح لها فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده ما انتم باسمع لما اقول منهم قال قتادة احياهم الله حتى اسمعهم قوله توبيخا وتصغيرا ونقمة وحسرة وندما خرجه مسلم ايضا قال البخاري حدثني عثمان قال حدثنا عبدة عن هشام عن ابيه عن ابن عمر وقف النبي صلى الله عليه وسلم على قليب بدر فقال هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا ثم قال انهم الان ليسمعون ما اقول فذكر لعايشة فقالت انما قال انهم الان ليعلمون ان الذي كنت اقول لهم هو الحق ثم قرات انك لا تسمع الموتى حتى قرات الاية وقد عورضت هذه الاية بقصة بدر وبالسلام على القبور وبما روي في ذلك من ان الارواح تكون على شفير القبور في اوقات وبان الميت يسمع قرع النعال اذا انصرفوا عنه الى غير ذلك فلو لم يسمع الميت لم يسلم عليه وهذا واضح وقد ذكرناه في كتاب التذكرة **قوله تعالى** وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم اي كفرهم اي ليس في وسعك خلق الايمان في قلوبهم وقرا حمزة وما انت تهدي العمي عن ضلالتهم كقوله افانت تهدي العمي الباقون بهادي وهو اختيار ابي عبيد وابي حاتم وفي الروم مثله وكلهم وقف على بهادي باليا في هذه السورة وبغير يا في الروم اتباعا للمصحف الا يعقوب فانه وقف فيهما جميعا باليا واجاز الفرا وابو حاتم وما انت بهاد العمي وهي الاصل وفي حرف عبد الله وما ان تهدي العمي ان تسمع اي ما تسمع الا من يومن باياتنا قال بن عباس اي الا من خلقته للسعادة فهم مخلصون في التوحيد **قوله تعالى** واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم اختلف في معنى وقع القول وفي الدابة فقيل معنى وقع القول عليهم وجب الغضب عليهم قاله قتادة وقال مجاهد اي حق القول عليهم بانهم لا يومنون وقال بن عمر وابو سعيد الخدري رضي الله عنهما اذا لم يامروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر وجب السخط عليهم وقال عبد الله بن مسعود وقوع القول يكون بموت العلما وذهاب العلم ورفع القران قال عبد الله اكثروا تلاوة القران قبل ان يرفع قالوا هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الرجال قال يسرى عليه ليلا فيصبحون منه قفرا وينسون لا اله الا الله ويقعون

في قول الجاهلية واشعارهم وذلك حين يقع عليهم القول قال الشيخ
رحمه الله اسنده ابو بكر البزار قال حدثنا عبيد الله بن يوسف الثقفي
قال حدثنا عبد المجيد بن عبد العزيز عن موسى بن عبيدة عن صفوان بن
سليم عن ابن لعبد الله بن مسعود عن ابيه رضي الله عنه انه قال اكثروا
من زيارة هذا البيت من قبل ان يرفع وينسى الناس مكانه واكثروا
تلاوة القران قبل ان يرفع قالوا يا ابا عبد الرحمن هذه المصاحف ترفع
فكيف بما في صدور الرجال قال يصبحون فيقولون كنا نتكلم بكلام
ونقول قولا فيرجعون الى شعر الجاهلية واحاديث الجاهلية وذلك
حين يقع القول عليهم وقيل القول هو قوله تعالى ولكن حق القول مني
لاملان جهنم فوقوع القول وجوب العقاب على هولاء اي فاذا صاروا
الى حد لا تقبل توبتهم ولا يولد لهم ولد مومن فحينيذ تقوم القيامة
ذكره القشيري وقول سادس قالت حفصة بنت سيرين سالت ابا العالية
عن قول الله عز وجل واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض
تكلمهم فقال اوحى الله الى نوح انه لن يومن من قومك الا من قد امن
فكانما كان على وجهي غطا فكشف قال النحاس وهذا من احسن الجواب
لان الناس ممتحنون وموخرون لان فيهم مومنين وصالحين ومن قد علم
الله عز وجل انه سيومن ويتوب فلهذا امهلوا وامروا باخذ الجزية فاذا
زال هذا وجب القول عليهم فصاروا كقوم نوح حين قال الله عز وجل
انه لن يومن من قومك الا من قد امن قال الشيخ رحمه الله وجميع الاقوال
عند التامل ترجع الى معنى واحد والدليل عليها اخر الاية ان الناس
كانوا باياتنا لا يوقنون وقرى ان بفتح الهمزة وسياتي وفي صحيح مسلم
من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث اذا
خرجن لا ينفع نفسا ايمانها طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة
الارض وقد مضى في الانعام واختلف في تعيين هذه الدابة وصفتها
ومن اين تخرج اختلافا كثيرا قد ذكرناه في كتاب التذكرة ونذكره هنا
ان شا الله مستوفى فاول الاقوال انه فصيل ناقة صالح وهو اصحها
والله اعلم لما ذكره ابو داود الطيالسي في مسنده عن حذيفة قال ذكر
رسول الله صلى الله عليه وسلم الدابة فقال لها ثلاث خرجات من
الدهر فتخرج في اقصى البادية ولا يدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم
تكمن زمانا طويلا ثم تخرج خرجة اخرى دون ذلك فيفشو ذكرها
في اهل البادية ويدخل ذكرها القرية يعني مكة قال رسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم ثم بينا الناس في اعظم المساجد على الله حرمة خيرها
واكرمها المسجد الحرام لم يرعهم الا وهي ترغو بين الركن والمقام تنفض عن
راسها التراب فارفض الناس منها شتى وثبتت عصابة من المومنين
وعرفوا انهم لن يعجزوا الله فبدات بهم فجلت وجوههم حتى جعلتها
كانها الكوكب الدري وولت في الارض لا يدركها طالب ولا ينجو منها هارب
حتى ان الرجل ليتعوذ منها بالصلاة فتاتيه من خلفه فتقول يا فلان
الان تصلي فيقبل عليها فتسمه في وجهه ثم تنطلق ويشترك الناس في
الاموال ويصطحبون في الامصار يعرف المومن من الكافر يقول يا كافر
اقضني حقي وحتى ان الكافر يقول يا مومن اقضني حقي وموضع الدليل
من هذا الحديث اخر الفصيل قوله وهي ترغو والرغا انما هو للابل وذلك
ان الفصيل لما قتلت الناقة هرب فانفتح له حجر فدخل في جوفه
ثم انطبق عليه الحجر فهو فيه حتى تخرج باذن الله عز وجل وروي انها
دابة مزغبة شعرا ذات قوائم طولها ستون ذراعا ويقال انها الجساسة
وهو قول عبد الله بن عمرو وروي عن ابن عمر انها على خلقة الادميين
وهي في السحاب وقوايمها في الارض وروي انها جمعت من خلق كل حيوان
وذكر الماوردي والثعلبي انها دابة راسها راس ثور وعينها عين خنزير
واذنها اذن فيل وقرنها قرن ايل وعنقها عنق نعامة وصدرها
صدر اسد ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة هر وذنبها ذنب كبش
وقوائمها قوائم بعير بين كل مفصل ومفصل اثنا عشر ذراعا الزمخشري
بذراع ادم عليه السلام يخرج معها عصى موسى وخاتم سليمان فتنكت
في وجه المومن بعصا موسى نكتة بيضا فيبيض وجهه وتنكت في
وجه الكافر بخاتم سليمان فيسود وجهه قاله ابن الزبير رضي الله عنهما
وفي كتاب النقاش عن ابن عباس ان الدابة الثعبان المشرف على جدار
الكعبة وحكى الماوردي عن محمد بن كعب عن علي بن ابي طالب عليه السلام
انه سئل عن الدابة فقال اما والله ما لها ذنب وان لها اللحية قال
الماوردي وفي هذا القول منه اشارة الى انها من الانس وان لم يصرح
به قال الشيخ رحمه الله ولهذا والله اعلم قال بعض المتاخرين من
المفسرين ان الاقرب ان تكون هذه الدابة انسانا متكلما يناظر اهل
البدع والكفر ويجادلهم فينقطعوا فيهلك من هلك عن بينة ويحيا
من حي عن بينة قال شيخنا ابو العباس احمد بن عمر القرطبي في كتاب
المفهم له وانما كان عند هذا القايل الاقرب لقوله تعالى تكلمهم

وعلى هذا فلا يكون في هذه الدابة آية خاصة خارقة للعادة ولا
تكون من جملة العشر الآيات المذكورة في الحديث لأن وجود المناظرين
والمحتجين على أهل البدع كثير فلا آية خاصة فلا ينبغي أن يذكر مع
العشر ويرتفع خصوصية وجودها إذا وقع القول ثم فيه العدول
عن تسمية هذا الإنسان المناظر الفاضل العالم الذي على أهل الأرض
باسم الإنسان أو بالعالم أو بالإمام إلى أن يسمى بدابة وهذا خروج عن
عادة الفصحاء وعن تعظيم العلماء وليس ذلك دأب العقلاء فالأولى ما
قاله أهل التفسير والله بحقائق الأمور عليم قال الشيخ رحمه الله
قد رفع الإشكال في هذه الدابة ما ذكرناه من حديث حذيفة
فليعتمد عليه واختلف من أي موضع تخرج فقال عبد الله بن عمر تخرج
من جبل الصفا بمكة يتصدع فتخرج منه وقال عبد الله بن عمرو نحوه
وقال لو شئت أن أضع قدمي على موضع خروجها لفعلت وروي في
خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الأرض تنشق عن الدابة وعيسى
عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون من ناحية المسعى وإنها
تخرج من الصفا فتسم بين عيني المؤمن بسمة كأنها كوكب دري وتسم
بين عيني الكافر نكتة سوداء كافر وذكر في الخبر أنها ذات وبر وريش
ذكره المهدوي وابن عباس أنها تخرج من شعب فيمس رأسها السحاب
ورجلاها في الأرض لم تخرجا وتخرج معها عصا موسى وخاتم سليمان
وعن حذيفة تخرج ثلاث خرجات خرجة في بعض البوادي ثم تكمن
وخرجة في القرى يتقاتل فيها الأمراء حتى تكثر الدماء وخرجة من أعظم
المساجد وأكرمها وأشرفها وأفضلها الزمخشري تخرج من بين الركن
حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون
نظارة وروي عن قتادة أنها تخرج في تهامة وروي أنها تخرج من
مسجد الكوفة من حيث فار تنور نوح عليه السلام وقيل من أرض الطائف
قال أبو قبيل ضرب عبد الله بن عمرو أرض الطائف برجله وقال من
هنا تخرج الدابة التي تكلم الناس وقيل من بعض أودية تهامة قاله
ابن عباس وقيل من صخرة من شعب أجياد قاله عبد الله بن عمرو وقيل
من بحر سدوم قاله وهب بن منبه ذكر هذه الأقوال الثلاثة الأخيرة
الماوردي في كتابه وذكر البغوي أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد
العزيز حدثنا علي بن الجعد عن فضيل بن مرزوق الرقاشي الأغر
وسئل عنه يحيى بن معين فقال ثقة عن عطية العوفي عن ابن عمر قال

تخرج

تخرج الدابة من صدع في الكعبة كجري الفرس ثلاثة أيام لم يخرج ثلثها
قال الشيخ رحمه الله فهذه أقوال الصحابة والتابعين في خروج الدابة
وصفتها وهي ترد قول من قال من المفسرين أن الدابة إنما هي إنسان
متكلم يناظر أهل البدع والكفر وقد روى أبو أمامة أن النبي صلى الله عليه
وسلم قال تخرج الدابة فتسم الناس على خراطيمهم ذكره الماوردي
تكلمهم بضم التاء وشد اللام مكسورة من الكلام قراءة العامة يدل عليه
قراءة أبي تنبئهم وقال السدي تكلمهم ببطلان الأديان سوى دين الإسلام
وقيل تكلمهم بما يسوءهم وقيل تكلمهم بلسان ذلق فتقول بصوت يسمعه
من قرب وبعد أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون أي بخروجي لأن خروجها
من الآيات وتقول ألا لعنة الله على الظالمين وقرأ أبو زرعة وابن عباس
والحسن وأبو رجاء تكلمهم بفتح التاء من الكلم وهو الجرح قال عكرمة
تسمهم وقال أبو الجوزاء سألت ابن عباس عن هذه الآية تكلمهم أو
تكلمهم فقال هي والله تكلمهم وتكلمهم تكلم المؤمن وتكلم الكافر والفاجر أي
تجرحه وقال أبو حاتم تكلمهم كما تقول تجرحهم يذهب إلى أنه تكثير من تكلمهم
أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون قرأ الكوفيون وابن أبي إسحاق أن
بالفتح وقرأ أهل الحرمين وأهل الشام وأهل البصرة إن بكسر الهمزة قال
النحاس في المفتوحة قولان وكذا المكسورة قال الأخفش المعنى بأن وكذا
قرأ ابن مسعود بأن وقال أبو عبيد موضعها نصب بوقوع الفعل عليها
أي تخبرهم أن الناس وقال الكسائي والفراء إن الناس بالكسر على الاستئناف
وقال الأخفش هي بمعنى تقول إن الناس يعني الكفار بآياتنا لا يوقنون
يعني بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك حين لا يقبل الله من كافر إيمانا
ولم يبق إلا مؤمنون وكافرون في علم الله قبل خروجها **قوله تعالى**
ويوم نحشر من كل أمة فوجا أي زمرة وجماعة ممن يكذب بآياتنا يعني
القرآن وبأعلامنا الدالة على الحق فهم يوزعون أي يدفعون ويساقون
إلى موضع الحساب قال الشماخ

وكم وزعنا من خميس جحفل حبونا من رئيس مسحل

وقال قتادة يوزعون أي يرد أولهم على آخرهم حتى إذا جاءوا قال أي
قال الله أكذبتم بآياتي التي أنزلتها على رسلي وبالآيات التي أقمتها دلالة على
توحيدي ولم تحيطوا بها علما أي ببطلانها حتى تعرضوا عنها بل كذبتم
جاهلين غير مستدلين أم ماذا كنتم تعملون تقريع وتوبيخ أي ماذا
كنتم تعملون حين لم تبحثوا عنها ولم تتفكروا فيها ووقع القول عليهم

بما ظلموا أي وجب العذاب عليهم بظلمهم أي بشركهم فهم لا ينطقون أي
ليس لهم عذر ولا حجة وقيل يختم على أفواههم فلا ينطقون قاله أكثر
المفسرين **قوله تعالى** ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه
أي يستقرون وينامون والنهار مبصرا أي يبصر فيه للسعي في الرزق
إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون بالله ذكر الدلالة على إلهيته وقدرته
أي ألم يعلموا كمال قدرتنا فيؤمنوا **قوله تعالى** ويوم ينفخ في
الصور أي واذكر يوم أو ذكرهم يوم ينفخ في الصور ومذهب الفراء أن المعنى
وذلكم يوم ينفخ في الصور وأجاز فيه الحذف والصحيح في الصور أنه قرن
من نور ينفخ فيه إسرافيل وقال مجاهد كهيئة البوق وقيل هو
البوق بلغة اليمن وقد مضى في الأنعام بيانه وما للعلماء في ذلك ففزع
من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله قال أبو هريرة قال النبي
صلى الله عليه وسلم إن الله لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور
فأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره إلى العرش
ينتظر متى يؤمر بالنفخة قلت يا رسول الله ما الصور قال قرن والله
عظيم والذي بعثني بالحق إن عظم دارة فيه كعرض السماء والأرض فينفخ
فيه ثلاث نفخات الأولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة
نفخة البعث والقيام لرب العالمين وذكر الحديث ذكره علي بن معبد
والطبري والثعلبي وغيرهم وصححه ابن العربي وقد ذكرناه في كتاب
التذكرة وتكلمنا عليه هناك وأن الصحيح في النفخ في الصور أنهما نفختان
لا ثلاث وأن نفخة الفزع إنما تكون راجعة إلى نفخة الصعق لأن
الأمرين لازمان لهما أي فزعوا فزعا ماتوا منه أو إلى نفخة البعث
وهو اختيار القشيري وغيره فإنه قال في كلامه على هذه الآية والمراد
النفخة الثانية أي يحيون فزعين يقولون من بعثنا من مرقدنا
ويعاينون من الأمور ما يهولهم ويفزعهم وهذا النفخ كصوت البوق ليجتمع
الخلق في أرض الجزاء وقال الماوردي ويوم ينفخ في الصور هو يوم النشور من
القبور قال وفي هذا الفزع قولان أحدهما أنه الإسراع والإجابة إلى
النداء من قولهم فزعت إليك في كذا إذا أسرعت إلى ندائك في معونتك
والقول الثاني أن الفزع هنا هو الفزع المعهود من الخوف والحزن لأنهم
أزعجوا من قبورهم ففزعوا وخافوا وهذا أشبه القولين قال الشيخ
رحمه الله والسنة الثابتة من حديث أبي هريرة وحديث عبد الله
ابن عمرو يدل على أنهما نفختان لا ثلاث خرجهما مسلم وقد ذكرناهما

في

في كتاب التذكرة وهو الصحيح إن شاء الله أنهما نفختان قال الله تعالى
ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله فاستثنى هنا
كما استثنى في نفخة الفزع فدل أنهما واحدة وقد روى ابن المبارك عن الحسن
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بين النفختين أربعون سنة
الأولى يميت الله بها كل حي والأخرى يحيي الله بها كل ميت فإن قيل فإن قوله
تعالى يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة إلى أن قال فإنما هي زجرة واحدة
وهذا يقتضي بظاهره أنها ثلاث قيل له ليس كذلك وإنما المراد بالزجرة
النفخة الثانية التي يكون عنها خروج الخلق من قبورهم كذلك قال ابن
عباس ومجاهد وعطاء وابن زيد وغيرهم قال مجاهد هما صيحتان أما
الأولى فتميت كل شيء بإذن الله وأما الأخرى فتحيي كل شيء بإذن الله
وقال عطاء الراجفة القيامة والرادفة البعث وقال ابن زيد الراجفة
الموت والرادفة الساعة والله أعلم إلا من شاء الله اختلف في هذا المستثنى
من هم ففي حديث أبي هريرة أنهم الشهداء عند ربهم يرزقون إنما يصل الفزع
إلى الأحياء وهو قول سعيد بن جبير أنهم الشهداء متقلدو السيوف حول
العرش قال القشيري والأنبياء داخلون في جملتهم لأن لهم الشهادة
مع النبوة وقيل الملائكة قال الحسن استثنى طوائف من الملائكة يموتون
بين النفختين قال مقاتل يعني جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت
وقيل الحور العين وقيل هم المؤمنون لأن الله تعالى قال عقيب هذا
من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون وقال بعض
علمائنا والصحيح أنه لم يرد في تعيينهم خبر صحيح والكل محتمل قال الشيخ
رحمه الله خفي عليه حديث أبي هريرة وقد صححه القاضي أبو بكر بن العربي
فليعول عليه لأنه نص في التعيين وغيره اجتهاد والله أعلم وقيل غير
هذا على ما يأتي في الزمر وقوله ففزع من في السموات ماض وينفخ
مستقبل فيقال كيف عطف ماضيا على مستقبل فزعم الفراء أن هذا محمول
على المعنى لأن المعنى إذا نفخ في الصور فزع إلا من شاء الله نصب على
الاستثناء وكل أتوه داخرين قرأ أبو عمرو وعاصم والكسائي ونافع
وابن عامر وابن كثير آتوه جعلوه فعلا مستقبلا وقرأ الأعمش ويحيى
وحمزة وحفص عن عاصم وكل أتوه مقصورا على الفعل الماضي وكذلك
قرأه ابن مسعود وعن قتادة وكل أتاه داخرين قال النحاس وفي
كتابي عن أبي إسحاق في القراءات وكل أتوه وحد على لفظ كل ومن قرأ
أتوه جمع على معناها وهذا القول غلط قبيح لأنه إذا قال وكل أتوه

فلم يوحد وانما جمع ولو وحد لقال اتاه ولكن من قال اتوه جمع على
المعنى وجاء به ماضيا لانه رده الى ففزع ومن قرا وكل اتوه حمله على المعنى
وجاء به ماضيا لانه رده الى ففزع ومن قرا ايضا وقال اتوه لا فيه
جملة مستقطعة من الاول قال بن نصر قد حكي عن ابي اسحاق رحمه الله
ما لم يفعله ونص ابي اسحاق وكل اتوه داخرين ويقرا اتوه لمن وحد
فللفظ كل ومن جمع فلمعناها يريد ما اتى في الاول وغيره من توحيد
خبر كل فعلى اللفظ او جمع فعلى المعنى فلم ياخذ ابو جعفر هذا المعنى
قال المهدوي ومن قرا وكل اتوه فهو اسم الفاعل من اتى يدلك على ذلك
قوله تعالى وكلهم اتيه يوم القيامة فردا ومن قرا وكل اتاه حمله على
لفظ كل دون معناها وحمل داخرين على المعنى ومعناه صاغرين
عن ابن عباس وقتادة وقد مضى في النحل **قوله تعالى**
وترى الجبال تحسبها جامدة قال بن عباس اي قائمة وهي تسير
سيرا حثيثا قال القتبي وذلك ان الجبال تجمع وتسير وهي في
روية العين كالقائمة وهي تسير وكذلك كل شي عظيم وجمع كثير
يقصر عنه النظر لكثرته وبعد ما بين اطرافه وهو في حسبان الناظر
كالواقف وهو يسير قال النابغة في وصف جيش

بارعن مثل الطود تحسب انهم وقوف لحاج والركاب تهملج

ويقال الجيش الارعن هو المضطرب لكثرته قال القشيري وهذا يوم
القيامة اي هي لكثرتها كانها جامدة اي واقفة في مراي العين وان
كانت في انفسها تسير سير السحاب والسحاب المتراكم يظن انها واقفة
وهي تسير اي تمر مر السحاب حتى لا يبقى منها شي قال الله تعالى وسيرت
الجبال فكانت سرابا ويقال ان الله تعالى وصف الجبال بصفات
مختلفة ترجع كلها الى تفريغ الارض منها وابراز ما كانت تواريه فاول
الصفات الاندكاك وذلك قبل الزلزلة ثم تصير كالعهن المنفوش وذلك
اذا صارت السما كالمهل وقد جمع الله بينهما فقال يوم تكون السما كالمهل
وتكون الجبال كالعهن والحالة الثالثة ان تصير كالهبا وذلك ان
تنقطع بعد ان كانت كالعهن والحالة الرابعة ان تنسف لانها مع الاحوال
المتقدمة قارة في مواضعها والارض تحتها غير بارزة فتنسف عنها
لتبرز فاذا نسفت فبارسال الرياح عليها والحالة الخامسة ان الرياح
ترفعها على وجه الارض فتظهرها شعاعا في الهوا كانها غبار فمن نظر
اليها من بعد حسبها لتكاثفها اجسادا جامدة وهي بالحقيقة مارة

الا ان مرورها مرور الرياح كانها مندكة متفتتة والحالة السادسة
ان تكون سرابا يعني لا شي فمن نظر الى مواضعها لم يجد فيها شيا منها
كالسراب قال مقاتل تقع على الارض فتستوي بها ثم قيل هذا مثل قال الماوردي
وفيما ضرب له ثلاثة اقاويل احدها انه مثل ضربه الله تعالى للدنيا يظن
الناظر اليها انها واقفة كالجبال وهي اخذة بحظها من الزوال كالسحاب
قاله سهل بن عبد الله الثاني مثل ضرب للايمان تحسبه ثابتا في القلب وعمله
صاعد الى السما الثالث انه مثل ضرب للنفس عند خروج الروح والروح
تسير الى العرش صنع الله الذي اتقن كل شي اي هذا من فعل الله وهو فعل
منه فهو متقن ويرى من روية العين ولو كانت من روية القلب لتعدت
الى مفعولين والاصل ترءى فالقيت حركة الهمزة على الرا فتحركت الرا وحذفت
الهمزة وهذا سبيل تخفيف الهمزة اذا كان قبلها ساكن الا ان التخفيف لازم
لترى واهل الكوفة يقرون تحسبها بفتح السين وهو القياس لانه من
حسب يحسب الا انه قد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم خلافها انه قرا
بالكسر في المستقبل فيكون على فعل يفعل مثل نعم ينعم وبيس يبيس
ويبس ييبس وحكى يبيس يبيس من السالم لا يعرف له في كلام العرب
غير هذه الاحرف وهي تمر مر السحاب تقديره تمر مرا مثل مر السحاب
فاقيمت الصفة مقام الموصوف والمضاف مقام المضاف اليه فالجبال
تزال من اماكنها من على وجه الارض وتجمع وتسير كما تسير السحاب ثم
تكسر فتعود الى الارض كما قال وبست الجبال بسا صنع الله منصوب
عند الخليل وسيبويه على انه مصدر لانه لما قال عز وجل وهي تمر مر
السحاب دل على انه قد صنع ذلك صنعا ويجوز النصب على الاغرا
اي انظروا صنع الله فعلى هذا يوقف على السحاب ولا يوقف عليه على التقدير
الاول ويجوز رفعه على تقدير ذلك صنع الله الذي اتقن كل شي اي احكمه
ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله من عمل عملا فاتقنه وقال
قتادة احسن كل شي والاتقان الاحكام يقال رجل تقن وهو رجل
من عاد لم يكن يسقط له سهم فضرب المثل يقال ارمى من ابن تقن
ثم يقال لكل حاذق تقن انه خبير بما تفعلون بالتا على الخطاب
قوله تعالى من جا بالحسنة فله خير منها قال بن مسعود
وابن عباس رضي الله عنهما الحسنة لا اله الا الله وقال ابو معشر كان
ابراهيم يحلف بالله الذي لا اله الا هو ولا يستثني ان الحسنة لا اله الا الله
محمد رسول الله وقال علي بن الحسين بن علي رضوان الله عليهم غزا رجل

فاذا اخلاعكان قال لا اله الا الله وحده لا شريك له فبينما هو في ارض
الروم في ارض حلقا وبردي رفع صوته فقال لا اله الا الله وحده
لا شريك له فخرج عليه رجل على فرس عليه ثياب بيض فقال له والذي
نفسي بيده انها الكلمة التي قال الله تعالى من جاء بالحسنة الاية وروي
ابو ذر قال قلت يا رسول الله اوصني قال اتق الله واذا عملت
سيئة فاتبعها حسنة تمحها قال قلت يا رسول الله امن الحسنات
لا اله الا الله من افضل الحسنات في رواية قال نعم هي احسن الحسنات
ذكره البيهقي وقال قتادة من جاء بالحسنة بالاخلاص والتوحيد
وقيل اداء الفرايض كلها قال الشيخ رحمه الله اذا اتى بلا اله الا الله
على حقيقتها وما يجب لها على ما تقدم بيانه في سورة ابراهيم فقد
اتى بالتوحيد والاخلاص والفرايض فله خير منها قال بن عباس
اي وصل اليه الخير منها وقاله مجاهد وقيل فله الجزا الجميل وهو الجنة
وليس خير للتفضيل قال عكرمة وابن جريج اما ان يكون له خير
منها يعني من الايمان فلا فانه ليس شي خير من قال لا اله الا الله ولكن
له منها خير وقيل فله خير منها للتفضيل اي ثواب الله خير من عمل
العبد قاله بن عباس ايضا وقيل يرجع هذا الى الاضعاف فان الله
تعالى يعطيه بالواحدة عشرا وبالايمان في مدة يسيرة الثواب الابدي
قاله محمد بن كعب وعبد الرحمن بن زيد وهم من فزع يومئذ امنون قراه
عاصم وحمزة والكسائي من فزع يومئذ بالتنوين وفتح الميم نافع بفتح
الميم من غير تنوين الباقون من فزع يومئذ بالاضافة قال ابو عبيد
وهذا اعجب الي لانه اعم التاويل ان يكون الامن من جميع فزع
ذلك اليوم واذا قال من فزع يومئذ صار كانه فزع دون فزع
قال القشيري وقري من فزع بالتنوين ثم قيل يعني به فزعا
واحدا كما قال لا يحزنهم الفزع الاكبر وقيل عنى الكثرة لانه مصدر والمصدر
صالح للكثرة قال الشيخ رحمه الله فعلى هذا تكون القراتان بمعنى
قال المهدوي ومن قرا من فزع يومئذ بالتنوين انتصب يومئذ
بالمصدر الذي هو فزع ويجوز ان يكون صفة لفزع ويكون متعلقا
بمحذوف لان المصادر يخبر عنها باسما الزمان وتوصف بها ويجوز
ان يتعلق باسم الفاعل الذي هو امنون والاضافة على الاتساع في
الظروف ومن حذف التنوين وفتح الميم بناه لانه ظرف زمان وليس
الاعراب في ظرف الزمان متمكنا فلما اضيف الى غير متمكن ولا معرب

بني

بني وانشد سيبويه

على حين الهى الناس جل امورهم ۰ فندلا زريق المال ندل الثعالب

قوله تعالى ومن جاء بالسيئة اي بالشرك قاله ابن عباس وابو
هريرة والنخعي ومجاهد وقيس بن سعد والحسن وهو اجماع من اهل
التاويل في ان الحسنة لا اله الا الله وان السيئة الشرك في هذه
الاية فكبت وجوههم في النار قال ابن عباس القيت وقال الضحاك
طرحت يقال كببت الانا اي قلبته على وجهه واللازم منه اكب
وقلما ياتي هذا في كلام العرب هل تجزون اي يقال لهم تجزون
ثم يجوز ان يكون من قول الله سبحانه وتعالى ويجوز ان يكون من
قول الملايكة الا ما كنتم تعملون اي جزاء عملكم **قوله تعالى** انما
امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها يعني مكة التي عظم الله
تعالى حرمتها اي جعلها حرما امنا لا يسفك فيها دم ولا يظلم
فيها احد ولا يصاد فيها صيد ولا يعضد فيها شجر على ما تقدم
بيانه في غير موضع وقرا ابن عباس التي حرمها نعتا للبلدة وقرا
الجماعة الذي وهو في موضع نصب نعت لرب ولو كان بالالف واللام
لقلت المحرمها فان كان نعتا للبلدة قلت المحرمها هو لا بد
من اظهار المضمر مع الالف واللام لان الفعل جرى على غير من هو
له فان قلت التي حرمها لم تحتج ان تقول هو وله كل شي خلقا وملكا
وامرت ان اكون من المسلمين اي المنقادين لامره الموحدين له وان
اتلو القران اي وامرت ان اتلو القران اي اقراه فمن اهتدى فله ثواب
هدايته ومن ضل فليس علي الا البلاغ نسخها اية القتال قاله
النحاس وان اتلو نصب بان قال الفرا وفي احدى القراتين وان
اتل وزعم انه في موضع جزم بالامر فلذلك حذفت منه الواو
قال النحاس ولا نعرف احدا قرا هذه القراة وهي مخالفة لجميع
المصاحف **قوله تعالى** وقل الحمد لله اي على نعمه وعلى ما
هدانا سيريكم اياته اي في انفسكم وفي غيركم كما قال تعالى
سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم فتعرفونها اي تعرفون
دلايل قدرته ووحدانيته في انفسكم وفي السموات وفي الارض
نظيره قوله تعالى وفي الارض ايات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون
وما ربك بغافل عما تعملون قرا اهل المدينة واهل الشام وحفص
عن عاصم بالتاء على الخطاب لقوله سيريكم اياته فتعرفونها

فيكون الكلام على نسق واحد الباقون بالياء على ان يرد الى
ما قبله من قوله من اهتدى فاخبر عن تلك الاية انتهى والله اعلم

تم تفسير سورة النمل وبتمامها تم الجزء المبارك
من تفسير الامام العالم الورع الزاهد
الشيخ القرطبي نفعنا الله تعالى
ببركاته واعاد علينا وعلى
المسلمين من صالح دعواته
ولا حول ولا قوة الا بالله
العلي
العظيم

يتلوه ان شاء الله تعالى في الذي يليه
تفسير سورة القصص والحمد لله اولا واخرا

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما